الأربعون النووية

شرح فضيلة الشيخ

أحمد بن عمر بازمول

حفظه الله

الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى

١٤٣٦\١٤٣٧ هـ

ضمن دروس معهد الميراث النبوي

تفريغ فريق صيانة السلفي

الدرس الأول من الأربعين النووية

http://meerath.nabawee.net
https://www.facebook.com/meerath.nabawee/?ref=

بِسْمِ اِللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمْ

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

أَلَا وإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامُ كَلَامُ الله وَخَيْرِ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدْ ، وَشَرِّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُها وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَة وَكُلَّ بِدْعَة ضَلَالَة وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ

أَمَّا بَعْدُ:

فنتدارس –بإذن الله تعالى –كتاب الأربعين النووية ، للحافظ أبي زكريا يحيى النووي – رحمه الله تعالى – .

وهذا الكتاب هو من كتب متون الحديث عند أهل العلم ، وهو كتابٌ قد اهتم العلماء به واعتنوا به شرحًا وتدريسًا وتأليفًا ، ولازال العلماء إلى عصرنا هذا يكتبون شروحاتٍ عليه ، كما سيأتي –إن شاء الله تعالى– مما يتعلق بشروحات هذا الكتاب .

والأربعون النووية كما ذكر الحافظ ابن رجب – رحمه الله تعالى – أصلُ هذا الكتاب الذي جمعه النووي – رحمه الله تعالى –أصله كتابٌ أو مجلسٌ مختصر للحافظ ابن الصلاح ، أملى فيه مجموعةً من الأحاديث النبوية التي توصف بكونها من جوامع الكلم

، وكان هذا المجلس يحتوي على ستةٍ وعشرين حديثًا ، سمّاه الحافظ ابن الصلاح – رحمه الله تعالى– " الأحاديث الكُلية " ، جمع فيه ستةً وعشرين حديثًا ،كُلية بمعنى : أنها من جوامع الكلم .

– وما معنى كونها من جوامع الكلم ؟

معنى جوامع الكلم أولًا مأخوذٌ من الحديث الذي رواه البخاري ومسلم في الصحيحين عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : (بُعثت بجوامع الكلم) .

قال الزهري كما في صحيح البخاري : جوامع الكلم فيما بلغنا أن الله يجمع له الأمور الكثيرة التي كانت تُكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد والأمرين ونحو ذلك .

فإذًا :

جوامع الكلم كما يصفها بعض أهل العلم : هو الكلام القليل في ألفاظه الكثير في معناه ، بمعنى أنه يدخل في أبوابٍ كثيرة من أبواب العلم والدين .

فمثلًا حديث (إنما الأعمال بالنيات) كما ذكر الفقهاء كما سيأتينا –بإذن الله تعالى – في محله ، كما ذكر الفقهاء أنه يدخل في كل باب من أبواب الفقه ، قال الشافعي – رحمه الله تعالى – : " هذا الحديث يدخل في سبعين بابًا من أبواب الفقه " ، وهو

ألفاظٌ معدودة (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرئ ما نوى) ، فكم من الأحكام تدخل في هذا الحديث في هذه الألفاظ اليسيرة ، فهذه من الجوامع ، جوامع الكلم .

والنبي – صلى الله عليه وسلم – كما ذكر ابن رجب – رحمه الله تعالى – خُصَّ بهذا ، كما جاء في الأحاديث أنه أُعطي جوامع الكلم – عليه الصلاة والسلام – ؛ فجوامع الكلم التي خُصَّ بها النبي – صلى الله عليه وسلم – **نوعـــان :**

– **أحدهما :** ما في القرآن ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ﴿٩٠﴾﴾[1]

قال الحسن البصري – رحمه الله تعالى – : " لم تترك هذه الآية خيرًا إلا أمرت به ، ولا شرًا إلا نهت عنه " ؛ ومعلوم أن تفاصيل الأمور المأمور بها تؤخذ من الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة ، فهذا النوع الأول من الكلمات التي هي من جوامع الكلم .

– **وأمّا النوع الثاني :** فما في كلامه – صلى الله عليه وسلم – من جوامع الكلم ، وقد اهتم العلماء بهذه الأحاديث الجوامع ، فقد صنّف الحافظ أبو بكر بن السنّي كتابًا .

جمع فيه الأحاديث الجوامع وسمّاه " الإيجاز وجوامع الكلم من السنن المأثورة " .

([1]) سورة النحل (90)

وأيضًا جمع القاضي أبو عبد الله القضاعي جملةً من الأحاديث النبوية الجوامع ، جملةً وفيرة في كتابٍ سمّاه " الشهاب في الحِكم والآداب " .

وكما سبق أن الحافظ ابن الصلاح – رحمه الله تعالى – أملى مجلسًا جمع فيه ستةً وعشرين حديثًا من جوامع الكلم سمّاه " الأحاديث الكُلية " ، أي الأحاديث التي ترجع إليها أحكامٌ كثيرة من أحكام هذا الدين .

ثم بعد ابن الصلاح جاء الحافظ النووي ، الفقيه الشافعي – رحمه الله تعالى – أخذ هذه الستة وعشرين حديثًا ووصلها وأبلغها إلى اثنين وأربعين حديثًا

– **فكم حديث زاده على ابن الصلاح ؟**

زاد على ابن الصلاح – رحمه الله تعالى – ستة عشر حديثًا ، فجاءت هذه الأربعون النووية في ذاك المتن الذي اعتنى العلماء به واهتموا به لأمور منها :

– أن هذه الأحاديث هي من جوامع الكلم ، ومن الأحاديث المختصرة القليلة اللفظ الكثيرة المعنى .

– ومنها أيضًا وهذا أمر مهم :

أن هذه الأربعين حديثًا تعتبر من الأحاديث الجوامع مما يتعلق بها أحكامٌ فقهية وأحكامٌ عملية وعلمية مهمةٌ جدًا ، فهذه الأحاديث على قلّتها ؛ يعني قلة عددها كما سبق بلغ إلى اثنين وأربعين حديثًا وأحاديث النبي – صلى الله عليه وسلم – بالآلاف ،

الروايات الموجودة في كتب السُنن ، والصحيحين ، والمسانيد وغيرها بالآلاف ، حتى قال بعض العلماء : أحفظ ألف ألف حديثٍ ، قال الذهبي : يريد بطرقه ورواياته .

إذًا هي بالآلاف كثيرة جدًا ، وهذه الأربعون أربعون حديثًا أو اثنان وأربعون حديثًا ، لكنها يندرج فيها ويدخل فيها أحاديث كثيرة وأحكام كثيرة ؛ من هنا اعتنى العلماء بهذه الأحاديث .

– فإن قيل لماذا لم يقل اثنان وأربعون حديثًا ، كيف يقول أربعون حديثًا وهي اثنان وأربعون ؟

فالجواب :

أن العرب جرت من عادتهم أنهم قد لا يحسبون الكسور ، فإذا كان مثلًا من أربعين إلى تسع وأربعين يقولون مثلًا أربعون ، كما لو كان مثلًا في مُلكك ثلاث وأربعون ألفًا ، فقلت عندي أربعون ألفًا يصح لغةً ولا عيب في ذلك ولا نقص ؛ لذلك النووي والعلماء سمّوها " بالأربعين النووية" وهي اثنان وأربعون حديثًا .

ثم جاء بعض العلماء وزاد حديثين ، قال هما من أهم الأحاديث ولم يذكرها النووي ، –

– فصارت كم ؟

صارت أربعًا وأربعين حديثًا ، ثم جاء الحافظ ابن رجب – رحمه الله تعالى – وزاد عليها ستة من الأحاديث فصارت خمسين حديثًا تتعلق بجوامع الكلم والأحكام الشرعية

الفقهية العملية والعلمية ؛ فجاء هذا المتن على صغر حجمه جاء عظيمَ المعنى ، وافرَ الحكم والأحكام والآداب ، فكان جديرًا بالحفظ والاهتمام والاعتناء عند العلماء .

سبق أن العلماء اهتموا بشرح الأربعين النووية ، ومن أفضل الشروح المتعلقة بالأربعين النووية عند أهل العلم شرح الحافظ ابن رجب – رحمه الله تعالى – المسمَى "بجامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم" ضمّنها الاثنين والأربعين حديثًا التي جمعها النووي ، و ضمنها أيضًا الحديثين الذي قال بعض أهل العلم هما من الأهمية بمكان ، وزاد عليها أيضًا ستة أحاديث فصارت خمسين حديثًا، فشرحها في هذا الكتاب وهذا السِّفر الجامع الموصوف والموسوم والمُسمّى " بجامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم " .

أيضًا هناك شروح كثيرة وكثيرة جدًا للعلماء طُبع منها عشرات من الكتب المؤلفة في شرح الأربعين ، وأُخذت رسائل علمية ماجستير ودكتوراه في تحقيق بعض هذه الشروح ، وإلى أيامنا هذه هناك بعض الأطروحات في الماجستير أو الدكتوراه مقدمة لتحقيقِ شرحٍ على هذه الأربعين .

وكما سبق ؛ العلماء إلى اليوم يهتمون بشرح هذه الأربعين ، فممن شرحها من العلماء المعاصرين :

الإمام الجبل ، العالم الرّباني ، العلاّمة : محمد العثيمين – رحمه الله تعالى – ، وشرحه مطبوع ، وهو أيضًا من الشروحات المهمة التي لا يستغني عنها طالب العلم بل ولا

العالم لا يستغني عنها ، وأيضًا قد جعل الله في كتب ورسائل هذا الإمام الجبل العثيمين – رحمه الله تعالى – قد جعل الله – عز وجل – فيها من النفع الشيء الكثير ، فهي سهلة وواضحة حتى لو قرأها المسلم يفهم –بإذن الله تعالى– كلام هذا الإمام ؛ لأن الله – عز وجل –قد سهّل ويسّر على يديه أمورًا كثيرة نحسبه كذلك ولا نزُكي على الله أحدا ، فنسأل الله – عز وجل – أن يجعلها في موازين أعماله .

وأيضًا ممن شرح هذا المتن – أعني الأربعين النووية – الشيخ العلامة : صالح الفوزان – حفظه الله تعالى – ، في شرح سمّاه " المنحة الربانية في شرح الأربعين النووية " ، وهو أيضًا مطبوع .

وأيضًا ممن شرح هذه الأربعين الشيخ العلامة : عبد المحسن العباد – حفظه الله تعالى – ، و شرحه أيضًا مطبوع ضمن مجموع مؤلفاته .

وكلها شروح مفيدة ومهمة ولكن كما سبق شرح الحافظ ابن رجب – رحمه الله تعالى – مُقدَّم عند العلماء وله مكانته وشروح هؤلاء العلماء مهمة ومفيدة ومناسبة لطلاب العلم ، وكل مسلم يريد أن يستفيد في فهم هذه الأحاديث الجوامع ؛ فالشيخ العثيمين والشيخ الفوزان والشيخ العباد – رحم الله من مات منهم وحفظ الله الأحياء – قد اعتنوا بتسهيل معاني هذه الأحاديث –فجزاهم الله خيرا– .

وقبل الدخول في الأربعين النووية ، ونحن –إن شاء الله تعالى– نتدارس ونتذاكر فيما بيننا الأربعين النووية بزيادة الأحاديث التي ضمّها الحافظ ابن رجب – رحمه الله تعالى – ، أقول قبل الدخول في هذا الشرح :

أحببت أن أقرأ عليكم كلام الإمام العثيمين – رحمه الله تعالى – مما يتعلق بالنووي – رحمه الله تعالى– فأقول مع التعليق عليه ، فأقول :

قال الإمام العثيمين – رحمه الله تعالى – :

" إن الحافظ النووي – رحمه الله تعالى – من أصحاب الشافعي المعتبرة أقوالهم ، ومن أشد الشافعية حرصًا على التأليف " ، يعني كان النووي – رحمه الله تعالى – يُكثر التأليف ، وفعلًا مؤلفاته كثيرة وغزيرة ، شرح صحيح مسلم وشرحُه من أفضل الشروح عند العلماء ، وأيضًا شرح يعني كثيرًا من الكتب وألّف في فقه الشافعية كثيرًا من الكتب معتمدة عندهم كالمنهاج وغيره ؛ فقال الشيخ – رحمه الله تعالى – :

" ومن أشد الشافعية حرصًا على التأليف فقد ألّف في فنون شتى " ، يعني ألّف أقول بمعنى أنه ألّف في شرح الحديث ، وفي تراجم الرواة ، وفي اللغات والأسماء ، وفي فقه الشافعية وفي غير ذلك ؛ فقال :

" فقد ألّف في فنون شتى ، في الحديث وعلومه ، وألّف في علم اللغة كتاب " تهذيب الأسماء واللغات ، وهو في الحقيقة من أعلم الناس – يعني النووي –رحمه الله تعالى– ، والظاهر والله أعلم أنه أخلص الناس في التأليف ، يعني يظهر من حال مؤلفات هذا

الرجل أنه كان عنده إخلاص لله – عز وجل – ؛ لأن الله – عز وجل – جعل البركة والخير في مؤلفاته .

قال : " والظاهر والله أعلم أنه من أخلص الناس في التأليف " لأن تأليفاته – رحمه الله – انتشرت في العالم الإسلامي ، فلا تكاد تجد مسجدًا إلا ويُقرأ فيه كتاب رياض الصالحين ، وكتبه مشهورة مبثوثة في العالم مما يدل على صحة نيته ، فإن قبول الناس للمؤلفات من الأدلة على إخلاص النية .

قال الشيخ العثيمين : " وهو – رحمه الله – أي النووي– مجتهدٌ" ، يعني إمامٌ له اجتهاداته في الفقه الشافعي وفي العلم ؛ قال : " والمجتهد يخطئ ويصيب " .

يقول الشيخ العثيمين – رحمه الله تعالى – " النووي مجتهد والمجتهد يخطئ ويصيب " يعني كما قال العلماء : "كلُ يؤخذ من قوله ويُرد إلا النبي – صلى الله عليه وسلم – " وأيضًا في هذا الكلام من الإمام العثيمين – رحمه الله تعالى – فائدةً لنا نحن طلاب العلم ، ونحن المسلمين عمومًا أيضًا فائدة لنا

– مـــــــا هي؟

أن العالم قد يصيب ، وهذا –إن شاء الله– كما يقول أهل العلم في العلماء أنه الغالب من حال هؤلاء العلماء المجتهدين ، ولكن قد يخطئ ، فلا ندّعي في عالم أن كل أقواله صحيحة ، ولا ندّعي في عالم أنه عنده أدلة نحن لم نطّلع عليها ؛ لا ، العالم بشر يصيب ويخطئ ، فما اطّلعنا عليه من خطئه نجتنبه مع احترامنا لهذا العالم وتوقيرنا لهذا

العالم ، ولا يعني كوننا نجتنب خطأ هذا العالم أننا نطعن فيه كما يظن ذلك بعض الناس ؛ فهذا خطأٌ ؛ ظنٌّ خاطئ ، لأنه كما يقول الإمام العثيمين هنا :

" والمجتهد " ، من هو المجتهد ؟

المجتهد عند العلماء : من بلغ رُتبةً في العلم يفتي ويبين الأحكام ويجتهد دون الرجوعِ لأقوال أهل العلم ، إنما يستنير بالكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة ؛ فمع ذلك مع أنه بلغ هذه الرتبة العالية في العلم الشرعي قد يصيب ويخطئ ، فقولوا لي بربكم

- ما حال بعض العلماء الذين لم يبلغوا رتبة الاجتهاد ؟
- وما حال بعض الشباب الذين يتعاملون مع أقوالهم وأفعالهم أنها كلها على الصواب ؟

هذا خطأ ، خطأٌ شرعي ، لأنه كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم – وهذا درسٌ لنا جميعًا ، كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : (إذا اجتهد الحاكم فأصاب) ، يعني العالم إذا اجتهد فأصاب (فله أجران) ، يعني أجرٌ لإصابته الحق ، وأجرٌ لاجتهاده .

(وإذا اجتهد الحاكم فأخطأ ، فله أجرٌ واحد) ، فقولوا لي بربكم هذا النبي – صلى الله عليه وسلم – يُبين لنا أن العالم والحاكم قد يجتهدان فيصيبان وقد يجتهدان فيخطئان ؛ فما حال من يدّعي في عالمٍ ما أن كل أقواله صحيحة ، وأن من ردّ شيئًا من

قوله أنه يطعن فيه ، وأنه يتسفه أو يخطّيء العلماء ، نعم نحن لا نفتح الباب للجهال ، ولا نفتح الباب لمن لا علم له ومن لا حجة عنده أن يُخطئ العلماء ، ولكن أن نغلق الباب مطلقًا هذا خطأ .

فإن ظهر الدليل فالعبرة بالدليل ، والحجة في الحق والبرهان ، وهو المقدم على كل أحد ، لذلك كانت هذه الكلمة من الإمام العثيمين –رحمه الله تعالى – مأخوذةً من ذاك الحديث (إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر) ، وأيضًا مأخوذة من قول الإمام أحمد ، وقول الإمام الشافعي ، وقول الإمام مالك ، وقول الإمام أبي حنيفة ، وغيره من أهل العلم : "كلٌ يؤخذ من قوله – أي فيما أصابوا – ، و يُرد – أي فيما أخطأوا " ، ولا يعني رد الخطأ الطعن فيهم ، ولا يعني عدم قبول الخطأ أننا نتجرأ عليهم ؛ لا ، فلابد أن نحترم الحق وأن نحترم العلماء وأن نعرف منازل العلم ، فنميز بين الحق والباطل ، بين الصواب والخطأ ، فنأخذ الحق والصواب ونترك الباطل والخطأ .

قال الشيخ العثيمين : " وهو – رحمه الله – مجتهدٌ والمجتهد يخطئ ويصيب ، وقد أخطأ أي النووي – رحمه الله – في مسائل الأسماء والصفات ، فكان يؤول فيها لكنه لا ينكرها ، فمثلًا استوى على العرش ، يقول أهل التأويل معناها : استولى على العرش ، لكن لا ينكرون استوى ، لأنهم لو أنكروا الاستواء تكذيبًا –يعني للقرآن والسنة– لكفروا ، فهم يصدقون به ولكن يحرّفون معناه" .

قلت : أما أهل السنة فإنهم يقولون الرحمن على العرش استوى ، استواءً يليق بجلاله ، نؤمن بذلك دون خوضٍ في الكيفية ، والاستواء معلوم من لغة العرب والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة كما قال ابن تيمية وغيره من أهل العلم : " نحن لم نرَ الله – عز وجل – فلا نستطيع أن نحدد كيف صفاته ولكن معانيها معلومةٌ " .

فاستوى معلومةٌ عند السلف بمعنى : علا ، ونحوها كما ذكر العلماء ؛ فالله – عز وجل – استوى على عرشه ، أما أن نقول استولى كما يقوله المتأولون فهذا خطأ .

قال الشيخ العثيمين – رحمه الله تعالى – :

" ومثل هذه المسائل التي وقع منه – أي النووي – رحمه الله – خطأٌ في تأويل بعض نصوص الصفات إنه لمغمورٌ بما له من فضائل ومنافعٌ جمة ، ولا نظن أن ما وقع منه إلا صادرٌ عن اجتهاده وتأويلٍ سائغ ، ولو في رأيه وأرجو أن يكون من الخطأ المغفور – يعني للنووي عند الله – عز وجل – وأن يكون ما قدّمه من الخير والنفع من السعي المشكور وأن يصدق عليه قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾[2] .

مراد العثيمين – رحمه الله تعالى – :

أن النووي – رحمه الله تعالى – لما وقع في تأويل الصفات وقع فيها عن خطأ غير مقصود وغير متعمد لمخالفة السنة ومخالفة منهج السلف الصالح ، فمثل هؤلاء العلماء كالحافظ النووي ، والحافظ ابن حجر لو وقعوا في تأويلات لا نُضللهم ،

([2]) سورة هود (114)

ونحذر من كتبهم ، ونهجرهم كما يقول ذلك الحدادية – قبحهم الله – ، الذين يبّدعون النووي ، ويبدّعون الحافظ ابن حجر ؛ فإن هذا القول باطل ، والقول الحق : هو قول العثيمين ها هنا – رحمه الله رحمةً واسعة–

– ما هو القول الحق ؟

– القول الحق :

أولًا : أن نقول أخطئوا ، ولا عيب في أن نخطئهم لأنهم بشر يصيبون ويخطئون .

وثانيًا : ندعوا لهم الله أن يغفر الله لهم ، وأن يتجاوز عنهم .

وثالثًا: أننا لا نبدّعهم ، ونضللهم ، ونعاملهم كمعاملة المبتدعة الضلال ؛ فإن هذا مسلكٌ باطل ومنهجٌ عاطل عند أهل العلم – أعني منهج الحدادية – ونحوهم ممن يطعنوا في هؤلاء الأئمة .

ولذا أنا تعمدت أن أقرأ كلام الإمام العثيمين – رحمه الله تعالى – في ترجمة هذا الحافظ النووي – رحمه الله تعالى– حتى يعلم جميع المستمعين والمستمعات إلى أن هذا الموقف من هذا الإمام هو موقف العلماء – رحمهم الله تعالى وحفظ الله الاحياء منهم – .

إذًا قال الشيخ – رحمه الله تعالى – العثيمين : " ولقد ضلَّ قومٌ من الخلف الخالفين ، الذين أخذوا يسبّونه – أي يسبّون النووي – سبًا عظيمًا حتى بلغني أن بعضهم قال : يجب أن يحرق شرح النووي على صحيح مسلم ، نسأل الله العافية " .

أقول : أيضًا حتى قالوا يجب أيضًا أن يحرق فتح الباري وهؤلاء الذين يشيرُ إليهم الإمام العثيمين – رحمه الله تعالى – هم الحدادية – قبحهم الله – ، الذين ذكرت لكم سابقًا شيئًا عنهم ؛ فإن هؤلاء الحدادية غلاةُ في التبديع ، غلاةُ في التكفير ، وكما سبق إن الحدادية هم أفراخ داعش ، وأفراخ تنظيم القاعدة التكفيريين ، وهم خطرٌ في كل مجتمع ؛ لأنهم يعلّمون الناس تكفير العلماء ، وتكفير الحُكام ، وتبديع العلماء ويجرؤون العامة ، وهؤلاء الحدادية هم الذين يقولون للناس لا ترجعوا للعلماء المعاصرين وارجعوا العلماء الأقدمين فقط ، حتى يربوهم على هذه الأفكار المنحرفة ، والعلماء الأقدمين السابقين ليس عندهم تكفير ولكن هؤلاء الحدادية لم يفهموا كلام العلماء وفهموه على أهواءهم وآرائهم ، مثل الخوارج الذين فهموا القرآن على آرائهم ولم يفهموه على السنة وكلام سلف الأمة .

فإذًا – بارك الله فيكم – تأملوا قول هذا الإمام العثيمين –رحمه الله تعالى – ، فإنه ناصح ، وإنه من العلماء المأمونين– نحسبه كذلك – وضع له القبول ، وإني وإن كنت لأنسى فإني لا أنسى موقفًا قبل مدةٌ من الزمان وكنت وقفت مع بعض الحدادية وأنا لا

أعلم أنه حدّادي ، وإذا به يطعن في الإمام العثيمين ؛ فقلت : يا أخي اتق الله ، هذا العثيمين إمام وعالمٌ عند العلماء ، وهذا الكلام ربما قبل عشر سنين تقريبًا .

فقلت له : يا أخي اتق الله ، هذا عالمٌ من العلماء ، وإمام عند العلماء ، فقال : هذا العثيمين جهمي وأخذ يبدعه ويضلله ، ثم علمت أنه حدّادي فحذّرت منه .

فلم يسلم النووي ولم يسلم حتى العثيمين – رحمه الله تعالى – ، العثيمين الذي نحسبه والله حسيبه إمام أو أحد أئمة هذا العصر ، وكلنا يعرف ويعلم ويتذكر أن من أئمة هذا العصر الإمام العثيمين – رحمه الله تعالى – ، وابن باز ، والألباني ، هؤلاء الثلاثة هم من أئمة العصر ولا يعني هذا بموتهم أنه انتهى عصر الأئمة ؛ لا ، ولكن لهم من أخذ عنهم العلم وأخذ منهم وحمل هذا الدين وهم أيضًا علماء وأئمة ، كالشيخ النجمي – رحمه الله تعالى – والشيخ مقبل الوادعي ، والشيخ زيد المدخلي – رحمهم الله تعالى – ، وأيضًا الشيخ العلامة الإمام ربيع المدخلي ، والشيخ صالح الفوزان ، والشيخ صالح اللحيدان وغيرهم – حفظهم الله تعالى – من العلماء المعاصرين البارزين في العلم والعمل والدعوة إلى الله – عز وجل – .

فتأملوا قول هذا الإمام العثيمين ، أنظروا ماذا يقول : " ولقد ضلَّ " ، إذًا هم ضلال ، هؤلاء الحدادية ضلال ؛ وإني أنبه إلى أن بعض الحزبيين – قبحهم الله – – ماذا فعل ؟

- نسب مقولة حرق فتح الباري إلى السلفيين ، وهذا خطأ ؛ وإنما هذه المقولة التي فيها الطعن في النووي ، وفيها الطعن في ابن حجر ، وفيها الطعن في علماء الدين هي مقولات الحدادية ، الذين يصفهم الإمام العثيمين ها هنا بقوله :" ولقد ضلَّ قومٌ من الخلف الخالفين ،الذين أخذوا يسبونه – أي النووي –سبًا عظيمًا " ، نعم يقولون هو أشعري جلد ، ويقولون هو مبتدعٌ ضال ، ويقولون هو يهدم الدين ، والرجل عامله العلماء ؛ ما كان عنده من صواب قبلوه ، وما كان عنده من خطأ ردوه ، واستغفروا الله له ، واحترموه لأنه ليس داعيةً إلى بدعة .

وأيضًا كما ذكر بعض أهل العلم ، أن النووي في آخر حياته صنف رسالةً يظهر من هذه الرسالة أنه رجع عن بعض أخطائه التي كانت في الأسماء والصفات ، فنسأل الله أن يغفر له ونسأل الله أن يحفظ المسلمين والمسلمات من الحدادية ، وأن يكفينا شرهم فإنهم وبالٌ على هذا المجتمع .

قال العثيمين – رحمه الله تعالى – وأنا أكمل كلامه ، وكلامه موجود في مقدمة شرح الأربعين ، قال :

" فالنووي نشهد له فيما نعلم من حاله بالصلاح ، وأنه مجتهدٌ ، وأن كل مجتهدٍ يصيب وقد يخطئ ، إن أخطأ فله أجرٌ واحد ، وإن أصاب فله أجران " .

قال : " وقد ألّف مؤلفات كثيرة من أحسنها هذا الكتاب ، الأربعون النووية ، وهي ليست أربعين بل هي اثنان وأربعون ، لكن العرب يحذفون الكسر – يعني الواحد

والاثنين والثلاث– يحذفون الكسر في الأعداد فيقولون أربعون ، وإن زاد واحدًا أو اثنين ، أو نقص واحدًا أو اثنين ، وهذه الأربعون ينبغي لطالب العلم أن يحفظها ".

إذاً هذا توجيه مهم من الإمام العثيمين ، أن نعتني بحفظ هذه الأربعين ، قال :

" وهذه الأربعون ينبغي لطالب العلم أن يحفظها لأنها منتخبةٌ من أحاديث عديدة "

– ما معنى منتخبة ؟ ؟

يعني مختارة ومُنتقاة ، وكل حديث النبي – صلى الله عليه وسلم – حسن ، وكل حديث النبي – صلى الله عليه وسلم – مهم ، ولكن هذه الأحاديث أيضًا فيها من جوامع الكلم الشيء الكثير ، ولا يعني انتخاب بعضها تقليل شأن غيرها ؛ وإنما يُنتخب البعض ليحفظ ويفهم ويُدرس .

قال الشيخ – رحمه الله – : " لأنها منتخبة من أحاديث عديدة وفي أبوابٍ متفرقة بخلاف غيرها من المؤلفات ، فلو نظرنا إلى عُمدة الأحكام لوجدناها منتخبة لكنها في بابٍ واحدٍ وهو باب الفقه ، أما الأربعون النووية فهي في أبوابٍ متفرقة ، يعني في الأحكام الفقهية وأيضًا في أحكام علمية ، كما في حديث جبريل الطويل ، لما سأله ما الإسلام ؟ ما الإيمان ؟ ما الإحسان ؟ ، وكما في حديث ابن مسعود – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – : (إن أحدكم يجمع خلقه أربعين يومًا) ، ثم ذكر حول كتابة الأجل والرزق والعمل إلى آخره ، فهذا من أحاديث الأحكام العلمية العقدية

وأيضًا ما فيها من الآداب ، كقول النبي – صلى الله عليه وسلم – في حديث النواس ابن سمعان ، حينما سأله عن البر ، فقال : (البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس) ؛ فهذه الأربعون متنوعة ولكنها تجتمع في كونها من جوامع الكلم ، وتجتمع في كونها فيها من الأحكام العلمية والعملية .

قال الشيخ – رحمه الله تعالى – :

" أما الأربعون النووية فهي في أبواب متفرقة متنوعة ونحن نستعين بالله تعالى في التعليق عليها والله الموفق " انتهى قوله –رحمه الله تعالى – بالتعليق عليها هذا من تواضعه وإلا فهو شرحها شرحًا وافيًا وليس فقط تعليقًا – رحمه الله تعالى – .

إذًا هذه ترجمةٌ مختصرة متعلقة بالإمام النووي ، وإن مما ذكره العلماء عن النووي مما يتعلق بترجمته أنه مات شابًا صغيرًا ، وخلّف كتبًا كثيرةً ربما غيره ممن عاش سبعين وثمانين لم يؤلف مثله – فبارك الله في عمره – ، وهذا مثالٌ آخر أيضًا له الإمام العلامة حافظ الحكمي فإنه مات شابًا صغيرًا وخلّف من الكتب الجامعة الكثيرة .

أيضًا مما ذكر عن النووي – رحمه الله تعالى – ، اجتهاده في طلب العلم ؛ فقد ذكروا في ترجمته أنه كانت له أكثر من عشرة دروس في اليوم والليلة يحضرها ويواظب عليها ، فذكروا أن له اثني عشرة درسًا ؛ فانظروا إلى حرص هذا الإمام وهذا العالم في طلبه للعلم .

كان له في اليوم والليلة من الصباح إلى العشاء له اثنا عشرة درسًا في الحديث والفقه والتفسير وغير ذلك كان يحضرها ويواظب عليها ويحفظها مع العبادة والزهد والتقلل من الدنيا – رحمه الله تعالى – .

وهذا النووي كما سبق من كلام الإمام العثيمين – رحمه الله تعالى – أخطأ في باب الأسماء والصفات ، وأخطأ ايضًا في بعض المسائل التي نبه العلماء عليها ، فنحن موقفنا من هذه الأخطاء أن نجتنبها ، وموقفنا من النووي أن نحترمه وأن نستفيد من كتبه كما استفاد منها العلماء ، وأن نحرص على الاستزادة من العلم من أهل العلم الذين أفادونا ، نسأل الله – عز وجل – أن يجزيهم عنا خير الجزاء .

ولعل في هذا القدر كفاية مما يتعلق بهذا الكتاب – أعني متن الأربعين النووية – وإن شاء الله سندخل في اللقاء القادم وهو غدًا – بإذن الله تعالى – في الحديث الأول ، وهو حديث (إنما الأعمال بالنيات) .

قال النووي – رحمه الله تعالى – عن أمير المؤمنين أبي حفصٍ عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– قال : سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يقول : (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه) قال رواه إماما المحدثين أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة

البخاري ، وأبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري في صحيحيهما اللذين هما أصح الكتب المصنفة .

فهذا الحديث الأول نحفظه – إن شاء الله – ، وندرس ما فيه من العلم في اللقاء القادم – بإذن الله تعالى –.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الأربعون النووية

شرح فضيلة الشيخ

أحمد بن عمر بازمول

حفظه الله

الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى

- ١٤٣٦\١٤٣٧ هـ.

ضمن دروس معهد الميراث النبوي

-تفريغ فريق صيانه السلفي-

http://meerath.nabawee.net
https://www.facebook.com/meerath.nabawee/?ref=

بِسْمِ اِللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمْ

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

أَلَا وإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامُ كَلَامُ الله وَخَيْرِ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدْ ، وَشَرِّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُها وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَة وَكُلَّ بِدْعَة ضَلَالَة وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النِّارِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فقد مرَّ معنا بالأمس ما يتعلق بمتن وكتاب "الأربعين النووية" للحافظ النووي –رحمه الله تعالى– ، واليوم –بإذن الله تعالى– نقرأ مقدمة المؤلف –رحمه الله تعالى – التي قدَّم بها كتابه ، حيث قال النووي –رحمه الله تعالى–: " الحمد لله رب العالمين ، قيوم السموات والأراضين ، مُدبِّر الخلائق أجمعين ، باعث الرسل –صلوات الله وسلامه عليهم– إلى المكلفين ، لهدايتهم وبيان شرائع الدين بالدلائل القطعية وواضحات البراهين .

أحمده على جميع نعمه وأسأله المزيدَ من فضله وكرمه ، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد القهار ، الكريم الغفار ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وحبيبه وخليله أفضل المخلوقين المكرَّم بالقرآن العزيز ، المعجزة المستمرة على تعاقب السنين ، وبالسُّنن المستنيرة للمسترشدين ، المخصوص بجوامع الكلم

، وسماحة الدين –صلوات الله وسلامه عليه– وعلى سائر النبيين وآل كلٍ وسائر الصالحين ، أما بعد :

فقد رُوِّينا عن علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وأبي الدرداء ، وابن عمر ، وابن عباس ، وأنس بن مالك ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري –رضي الله تعالى عنهم– من طرق كثيرات بروايات متنوعات ، أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: (مَنْ حَفظ عَلَى أُمَّتِي أَرْبَعِينَ حَدِيثاً من أمر دينها بَعَثَهُ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَي زُمرَةِ الفقهاء) .

وفي رواية : (بعثه الله فَقِيهاً عَالِماً) .

وفي رواية أبي الدرداء : (وكنت له يوم القيامة شافعًا وشهيدًا) .

وفي رواية ابن مسعود : (قيل له : أدخل من أي أبواب الجنة شئت) .

وفي رواية ابن عمر: (كُتب في زمرة العلماء ، وحُشر في زمرة الشهداء) .

واتفق الحفاظ على أنه حديث ضعيف وإنْ كثرت طرقه ؛ وقد صنَّف العلماء –رضي الله عنهم – في هذا الباب ما لا يحصى من المصنفات ؛ فأول من علمته صنفه –أي صنف في الأحاديث الأربعين– :

عبد الله بن المبارك ، ثم محمد ابن أسلم الطوسي العالم الرباني ، ثم الحسن بن سفيان النسوي ، وأبو بكر الآجري ، وأبو بكر محمد بن إبراهيم الأصبهاني ، والدارقطني ، والحاكم ، وأبو نُعيم ، وأبو عبد الرحمن السلمي ،

وأبو سعيد الماليني ، وأبو عثمان الصابوني ، وعبد الله بن محمد الأنصاري ، وأبو بكرٍ البيهقي ، وخلائق لا يُحصَوْن من المتقدمين والمتأخرين .

وقد استخرت الله –تعالى– في جمع أربعين حديثًا اقتداء بهؤلاء الأئمة الأعلام وحفَّاظ الإسلام ، وقد اتفق العلماء على العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال ؛ مع هذا فليس اعتمادي على هذا الحديث بل على قوله –صلى الله عليه وسلم– في الأحاديث الصحيحة : (ليبلغ الشاهد منكم الغائب)، وقوله –صلى الله عليه وسلم-: (نَضَّرَ الله امرءاً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا ثُمَّ فأدّاها كما سمعها) انتهى .

هذه مقدمة الحافظ النووي –رحمه الله تعالى– ، وسأعلق على بعض الأمور فيها :

- ابتدأ المصنف –رحمه الله تعالى–بذكر هذه المقدمة :

"الحمد لله رب العالمين...إلخ " ، وهذا لا مانع منه ، واستحب بعض أهل العلم أن يبتدئ من أراد أن يصنف في رسائله وكتبه وخطبه ونحو ذلك ؛ أن يبتدئ بخطبة الحاجة ، التي فيها أنّ النبي –صلى الله عليه وسلم– كان يُقَدِّم بين يدي حاجته (إنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ... إلخ) ؛ فهذه بلا شك أفضل في تقدمة مثل هذه الكتب والمؤلفات ، وأما ما ذكره المصنف –رحمه الله تعالى– فلا مانع منه ، وإنما التنبيه على الأفضل والأكمل .

• ثم قوله –رحمه الله تعالى– في حديث : (مَنْ حَفظ عَلَى أُمَّتِي أَرْبَعِينَ حَدِيثاً) وذكر الروايات ، وذكر أنه من روايات مجموعة من الصحابة ، ثم ذكر أنه حديث ضعيف ؛ نعم هو حديث ضعيف ، بل هو شديد الضعف عند العلماء وإن كثرت طرقه ؛ لأن طرقه فيها الكذابين والوضاعين والمتهمين بالكذب ونحو ذلك .

فهذا الحديث الذي تكثر طرقه من طرق الكذابين والمتهمين وأصحاب الروايات المنكرة لا تتقوى عند العلماء ؛ فلذلك أجاد النووي –رحمه الله تعالى– حين بيَّن أن الحفاظ قد اتفقوا على ضعف هذا الحديث وإن كثرت طرقه .

• ثم بيَّن –رحمه الله تعالى– أن العلماء صنفوا كتبًا سمَّوها بالأربعين ، جمعوا فيها أربعين حديثًا ، من ذلك :

عبد الله بن المبارك وكتابه قد طبع ، وأيضًا محمد بن أسلم الطوسي وكتابه قد طبع ، وكذا النسوي ، وكذا الآجري قد طبعت كتبهم ، وكذا المالِيني والسُّلَمي والبيهقي فهؤلاء قد طبعت كتبهم الموسومة بالأربعين ، وقد تتابع العلماء على جمع أربعين حديثًا .

النووي –رحمه الله تعالى– بيَّن أنّه إنّما جمع الأربعين اقتداءً بهؤلاء العلماء الذين جمعوا أربعين حديثًا ؛ لا أنّه اقتدى أو لا أنّه عمل بهذا الحديث الضعيف .

• ثم قال –رحمه الله –:

"وقد اتفق العلماء على العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال" .

أقول كذا قال –رحمه الله تعالى– وإنمّا هناك خلاف بين العلماء

– هل يُعمَل بالحديث الضعيف أم لا ؟

وربّما أراد اتّفاق علماء مثلًا الشّافعيّة ، قد يُقال مثل هذا ، ولكن المهم أنّ العلماء لم يتّفقوا ؛ فهناك من ذهب إلى عدم العمل بالحديث الضّعيف مطلقًا ، فلا يُذكر إلّا مع بيان ضعفه ولا يُعمل به ، ومنهم من أطلق القول بالعمل بالحديث الضّعيف ، رجاء ما جاء فيه من ثواب وأجر ، ومنهم من فصّل واشترط بعض الشّروط ؛ فقال :" لا يُعمل بالحديث الضّعيف إلّا بشروط" وستأتي إن شاء الله.

أمّا المذهب الأوّل : وهو الذّي يقول إنه لا يعمل بالحديث الضّعيف ، فهذا قول جهابذة علماء الحديث ، كالبخاري وابن المبارك وغيرهما ، حتّى قال بعضهم من أئمّة الحديث : "في الصّحيح غُنية عن الضّعيف" .

يعني : نستغني بالحديث الصحيح والعمل به عن العمل بالحديث الضّعيف .

وأيضًا من معاني هذه الكلمة أنّ الأحاديث الصحيحة كثيرة ونحن لم نعمل بها كلّها ،

– فكيف نعمل بأحاديث ضعيفة ونحن لم نعمل بجميع الصّحيح ؟

ولا شكّ أنّ هذا المذهب مذهب قويّ ، وله حظّ من النّظر ، وهو أسلم لعموم قوله –صلّى الله عليه وسلّم–(مَنْ قَالَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ) .

ولعموم قوله –صلّى الله عليه وسلّم– (مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبَيْنِ أو الكذّابين) .

ومعنى هذا الحديث أنّ الذّي يُحدِّث عن النّبيّ –صلّى الله عليه وسّلم– بحديث لا يدري هل هو صحيحٌ قاله النّبي –صلّى الله عليه وسلّم–أم ليس بصحيح ، فهو مشاركٌ للإثم الذي وقع فيه من كذب هذا الحديث .

وفي صحيح البخاري عن ابن الزّبير أنّه قال لأبيه : "يا أبتاه ، ما لي لا أراك تحدِّث مثل فلان وفلان وقد جالست النّبيّ –صلى الله عليه وسلّم–؟ " ؛ فقال: "يا بنيّ أما إنّي لم أفارق النّبيّ– صلّى الله عليه وسلّم– ولكنّي سمعتُ النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– يقول : (مَنْ قَالَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ) فهذا الذّي منعني من الإكثار" ، أو كما جاء في صحيح البخاري.

فإذًا هذا الصّحابي الجليل يمتنع عن كثرة التحديث عن النّبي – صلّى الله عليه وسلّم–خشية أن يقع في الكذب عليه ، ومعنى خشية أن يقع في الكذب عليه أي : خطأ دون تعمّد بلا شكّ ؛ فالصّحابة –رضوان الله عليهم– هم عدول كلّهم ، وهم أبعد النّاس عن مثل هذه الأمور ، ولكنهم لعلمهم وفضلهم كانوا يخافون على أنفسهم أن يقعوا خلاف الأمر الفاضل .

فإذًا –بارك الله فيكم–هذا المذهب الأول الذي يرى منع العمل بالأحاديث الضّعيفة وأنها لا تُذكر للعامّة ولا غيرهم ، نعم تبيّن أنّها ضعيفة وتجمع لبيان ضعفها ولكن لا تذكر في فضائل الأعمال ولا في غيرها .

وأمّا المذهب الثّاني : وهو الذي يرى جواز العمل بالحديث الضّعيف مطلقًا ؛ فهو مذهب ضعيف عند العلماء ، لأنّه يفتح باب البدع والضّلالات على الناس ، ولأنّه أيضًا ؛كما سبق يفتح باب نسبة الأحاديث إلى النّبي –صلى الله عليه وسلم– .

خاصة وأن بعض النّاس إذا أنكرت عليه وقلت له : يا أخي هذا الحديث ضعيف لم يقله النبي –صلى الله عليه وسلم – ، يردّ عليك قائلًا: والله هذا الحديث معناه جميل وكلام حسن حتّى لو كان ضعيفًا ، وهنا نردّ على هؤلاء بقول الإمام المِزّي –رحمه الله تعالى–حين قال: (كل حديث النّبيّ – صلى الله عليه وسلم– حسن وليس كل حسن قاله النبي –صلى الله عليه وسلم–) ، فلا ينبغي لنا إذا رأينا أحاديث ضعيفة وأحاديث لا تصح ومعناها جميل أن نقول هذا معنى جميل نحن نذكره للناس لكي يستفيدوا ؛ فهذا لا شكّ أنه خطأ كما سبق .

وأمّا المذهب الثالث : الذي يرى اشتراط بعض الشروط ؛ فإن هذا المذهب كما يقول الألباني –رحمه الله تعالى–في مقدمة صحيح الترغيب والترهيب : " أن هذا المذهب الثالث يرجع إلى المذهب الأول في نتيجته ، وفي تقريره ، وخاتمته يرجع إلى المذهب الأول " .

– لمــــــــاذا ؟

–لأنّ الشروط المذكورة هي تؤدي إلى المذهب الأول .

– ما هي هذه الشروط ؟

– قالوا : لا يُعمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال إلّا بثلاثة شروط :

* الشرط الأول : أن لا يجزم بنسبته للنّبي –صلى الله عليه وسلم – ؛ لأننا لا نعلم هل ثبت أو لم يثبت ، فلا يجوز لنا أن نثبت شيئًا إلا ونحن متثبتين عالمين بصحة نسبته للنبي –صلى الله عليه وسلم – .

* الشرط الثاني : أن يُبيِّن للناس أن هذا الحديث ضعيف ؛ بمعنى لا يذكره للناس وكأنه حديث صحيح ، وإنما يقول قال النبي –صلى الله عليه وسلم –: " كذا كذا كذا" ، وهو حديث ضعيف .

* الشرط الثالث : أن يكون ما جاء في هذا الحديث من فضل ، أن يكون العمل الذي جاء في هذا الحديث فضله –أي الحديث الضعيف– فضله أن يكون العمل ثابتًا في حديث آخر ، مثلا :

بعض الأحاديث الواردة في صلاة الضحى ضعيفة ، أن من صلّى الضحى فله كذا وكذا من الأجر ، فهنا يقول العلماء : صلاة الضحى ثابتة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – في أحاديث أخر صحيحة ، أن النبي – صلى الله عليه وسلم – صلاّها كما في فتح مكة وحثَّ عليها كما في قوله – عليه

الصلاة والسلام –: (صلاة الضحى صلاة الأوابين) ، ولمَّا ذكر : (يصبح على بني آدم على كل سلامى صدقة) ، ثم ذكر (ويجزئ عن ذلك ركعتي الضحى) ، أو كما قال – عليه الصلاة والسلام – ، وهو حديث صحيح .

فإذًا الصلاة –صلاة الضحى– من حيث هي ثابتة ، وما جاء من فضلها في بعض الأحاديث الضعيفة في فضائل الأعمال كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : "يرجى لمن صلى الضحى ذلك الثواب " ، فإن كان الحديث صحيحًا فإنّ من صلّى الضحى يناله ذاك الثواب ، وإن كان الحديث ضعيفًا فإن من صلى الضحى إنما صلى الضحى بناءً على السنة الثابتة عن النبي –صلى الله عليه وسلم– ، لا على الأحاديث الضعيفة .

إذن ثلاث شروط :

* الشرط الأول : أن لا يجزم بنسبته إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– ، أنا قلت الشرط الثاني أن يبين ضعفه ، لا الشرط الأول : أن لا يجزم بنسبته إلى النبي – صلى الله عليه وسلم –، وذلك بأن يبين أنه ضعيف ؛ هذا شرطٌ واحد .

– طيب ما الشرط الثاني ؟

* الشرط الثاني : أن لا يكون الحديث الضعيف شديد الضعف، من رواية الكذَّابين ، أو المتهمين بالكذب ، أو أصحاب الروايات المنكرة ، التي بين

العلماء أن هذه الروايات ضعيفة جدًا ، بل يكون الحديث فيه راوٍ مجهول أو فيه اِنقطاع أو سقط فيكون خفيف الضعف .

- فإذًا هذه الشروط الثلاثة أعيدها مرة أخرى :

* **الشرط الأول :** أن لا يجزم بنسبة الحديث إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- ، و ينص على ضعفه ، حديث ضعيف .

* **الثاني :** أن يكون ضعف الحديث ضعفًا يسيرًا لا شديدًا .

* **الثالث :** أن يكون ما جاء من عمل في هذا الحديث ثابت في أحاديث أخر ، فالعمل بتلك الأحاديث الثابتة لا بهذا الحديث الضعيف.

لو تأملنا هذه الشروط الثلاثة كما يقول الألباني -رحمه الله تعالى- وغيره من أهل العلم ، لوجدنا أن مؤدّاها إلى أنه لا يعمل بالحديث الضعيف :

- وذلك لأننا ننص على أنه ليس من حديث النبي لضعفه .

- وأيضًا لأننا إنما نعمل بالعمل لما جاء في حديث صحيح ، لا من هذا الحديث .

لذلك كان المذهب الأول أقواها ، والمذهب الثاني الذي يرى جواز العمل بالحديث الضعيف مطلقًا ضعيف وباطل ، والمذهب الثالث الذي يرى الشروط مرجعه إلى المذهب الأول ولكن من باب الاحتياط ذكروا هذا الأمر .

وقد نبَّه الألباني وغيره من أهل العلم إلى أن العامة لو جاء الخطيب في خطبة الجمعة ، أو جاء المحاضر في محاضرته ، و الواعظ في موعظته ، وذكر حديثٌ ضعيف فقال: هذا حديث ضعيف ، عامة الناس لا يفهمون ما معنى حديث ضعيف .

بل ذكر بعض أهل العلم قصةً طريفة ، و هي: (أن خطيبًا في صلاة الجمعة خطب فأورد حديثًا مكذوبًا على النبي –صلى الله عليه وسلم– ذكره في الخطبة ، و بعد الصلاة قام إليه بعض العلماء وقال له: يا أخي –بارك الله فيك– هذا الحديث الذي ذكرته حديث ضعيف ، بل موضوع مكذوب عن النبي –صلى الله عليه وسلم– ؛ فتعجب الخطيب قال : كيف يكون مكذوب وقد ذكره ابن الجوزي في كتاب الموضوعات) ؛ فهذا خطيب جمعة وهو لا يعلم ولا يدري أن كتاب الموضوعات لابن الجوزي هو كتاب جمع فيه ابن الجوزي الأحاديث المكذوبة على النبي –صلى الله عليه وسلم – .

فإذا كان هذا الخطيب لا يعرف الصحيح من الضعيف ، ولا الضعيف من المكذوب ، فما بالنا بعامة الناس الذين لا علم عندهم ، و لا دراية لديهم ، كيف يعرفون وكيف يميزون هذه المصطلحات ؟ ضعيفٌ ، أو مرسلٌ ، أو منقطعٌ ، أو نحو ذلك .

لذلك أنا أؤكد على هذه القضية وأهميتها –أعني الحذر من نسبة شيء للنبي – صلى الله عليه وسلم – ، خاصة في هذه الأيام عن طريق برامج التواصل كالفيس بوك و الواتس اب و غيرهما ، يكثر نشر أحاديث منسوبة إلى النبي–

صلى الله عليه وسلم–وهو –أي الذي ينشر هذه الأحاديث– لا يعلم هل هي صحيحة أو ضعيفة ، بل بعضها مكذوبة ، والرافضة الذين يسبُّون أبا بكر وعمر ، ويكفرون الصحابة إلا ثلاثة منهم –أي من الصحابة لا يكفرونهم– ، نشطون كل النشاط في نشر وتوزيع الأحاديث المكذوبة ، وبعض أهل السنة من العوام لا يدري ، تأتيه الرسالة في الفيس بوك أو في الواتس أو في غيرهما فيقوم بنشرها ، يرى حديثًا عظيمًا في نظره لجهله أن هذا الحديث جميل فينشره للناس ، حبًا للخير ، ولكن كما قال بن مسعود:" وكم من مريد للحق لم يصبه " .

فليست العبرة أن تريد الخير فقط بل لابد أن تسلك مسلكه .

لذلك عمر–رضي الله عنه– كان يشدد على قضية الحديث عن النبي–صلى الله عليه وسلم– ؛ أتاه أبو موسى الأشعري فطرق عليه الباب ثلاثًا فلم يرد عمر–رضي الله عنهم أجمعين– ، فذهب أبو موسى الأشعري ، ففتح عمر الباب وقال له : لم ذهبت ؟ ، فقال له أبو موسى الأشعري : لقول النبي–صلى الله عليه وسلم–: (الاستئذان ثلاث) ، فقال له عمر: لتأتيني بشاهدٍ – يعني سمع النبي يقول هذا الحديث– أو لأوجعنّ ظهرك ، فذهب أبو موسى إلى المسجد فلقي جماعة من الصحابة ، ثم قال لهم : من سمع النبي–صلى الله عليه وسلم– يقول : "الاستئذان ثلاث" ، فقالوا :" نحن ويقوم معك أبو سعيد الخدري أصغرنا" ، فقام معه أبو سعيد –رضي الله عنهم أجمعين–؛

فذهب إلى عمر وقال: "نعم سمعت من النبي –صلى الله عليه وسلم– هذا الحديث".

جاء في بعض الروايات عن عمر أنه قال : " أما إني سمعت النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول ذلك ولكني أردت أن يتثبت الناس ، أو أن لا يروى حديث عن النبي –صلى الله عليه وسلم– إلا بعلم " .

فهذا عمر –رضي الله عنه– يقول هذا الكلام ويفعل هذا الفعل حفاظًا على السنة ؛ **فماذا نقول نحن في هذه العصور المتأخرة ؟**

فبارك الله فيكم الحذر الحذر من نشر حديث وأنت لا تعلم هل هو صحيح أم لا، ولعل قائلًا يقول :

–كيف أعرف صحة الحديث ؟

–فنقول جوابًا على هذا :

ممكن أن تعرف صحة الحديث ، –وكلامي هنا لعوام الناس لا لطلاب العلم–، فطلاب العلم يتعلمون كيف يصلون للحديث وإلى درجته وأما عوام الناس فنقول لهم: عن طريق سؤال العلماء :

أن تتصل على عالم متخصص ، فتسأله عن صحة هذا الحديث وهل ثبت أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قاله أم لا ؟

فإذا بيَّن لك أنه حديث صحيح فلا مانع من نشره ، وإذا بيَّن لك أنه حديث ضعيف فإن كنت قد نشرته من قبل فاكتب في الحديث في أسفله سألت العالم الفلاني فقال: " هذا حديث ضعيف" فانشره مبينًا ضعفه ، لعله يكفر ما سبق من نشرك للحديث الضعيف ،هذه طريقة .

– الطريقة الأخرى :

أن ترجع لأحكام الألباني –رحمه الله تعالى–على الأحاديث إن كان هذا الحديث مما حكم عليه الألباني ، فالألباني –رحمه الله تعالى–إمام هذا العصر في الحديث وفقه الحديث .

– فإذا كان الحديث مما بين الألباني حكمه ودرجته فتستفيد من حكمه إن كان صحيحًا تنشره ، وإن كان ضعيفًا تحذر منه –بارك الله فيك– .

ثم قول النووي–رحمه الله تعالى– :

"أن العلماء جوَّزوا العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال" .

يعني لم يجوزوا العمل بالحديث الضعيف في الأحكام ، في الحلال والحرام

جاء عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى أنه قال :

"إذا جاء الحلال والحرام شدَّدْنا ،وإذا جاء فضائل الأعمال تساهلنا" .

هذه العبارة عن الإمام أحمد لا تعني أنه يعمل بالحديث الضعيف ، وإنما تعني كما ذكر ابن تيمية وغيره أنه بالأحاديث التي إذا اجتمعت تكون في مرتبة

الحسن لغيره ، ويكون رواتها عندهم حفظ ولكن عندهم شيء من الضعف في الحفظ ؛ فلا ينبغي أن يفهم كلام الإمام أحمد –رحمه الله تعالى– على التساهل بالعمل أو بنسبة الحديث إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– .

إذًا –بارك الله فيكم– هذه وقفة مهمة وضرورية ، وتنبيه مهم أو عظيم عند العلماء أو نبه عليه العلماء في هذا الباب ؛ أعني باب رواية الأحاديث الضعيفة ونسبتها للنبي –صلى الله عليه وسلم– ؛ فينبغي التثبت والحذر قبل نسبة ذلك للنبي –صلى الله عليه وسلم– .

والنووي –رحمه الله تعالى– ماذا يقول ؟

يقول : " مع هذا –أي مع جواز العمل بالحديث الضعيف– فليس اعتمادي على هذا الحديث " .

يعني لم أصنف الأربعين هذه لما ورد في الحديث ، وإنما لأن العلماء صنفوا أربعين حديثًا ، فأنا جريت على طريقة العلماء .

وأيضًا وهذا مهم ، يقول : "بل على قوله –صلى الله عليه وسلم– في الأحاديث الصحيحة : (ليبلغ الشاهد منكم الغائب) ، وقوله : (نظَّر الله امرءًا سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها) " ؛ فالنووي بيَّن أن اعتماده على الحديث الصحيح ، **هذا الحديث ما معناه ؟** ، قوله –صلى الله عليه وسلم– : (ليبلغ الشاهد منكم الغائب) ، معناه :

أنقلوا عني أحاديثي وأرووها للناس .

وكذا قوله: (نظَّر الله) دعاء لمن نقل السنن الثابتة الصحيحة عن النبي – صلى الله عليه وسلم– أن يُنَظِّر الله من نقلها ، ومعنى النُّظرة كما قال العلماء : الحسن والبهاء .

ولذلك ذكر علماء الحديث أن المشتغلين بعلم الحديث المخلصين في عملهم المتبعين للسنة، تجد في وجوههم أو على وجوههم بهاءً ، وحسنًا ، ونورًا ؛ وذلك لأن النبي –صلى الله عليه وسلم – دعا لهم بالنظرة : وهي الحسن والبهاء .

قال: (سمع مقالتي فوعاها –أي حفظها– فأداها كما سمعها) ، يعني لم يزد فيها ولم يحرف معناها ، (ولم يأت بشيء لم أقله) ؛ فدعا له النبي – صلى الله عليه وسلم– بالنظرة والحسن والبهاء .

إذًا نكمل كلام النووي قال: –رحمه الله تعالى–:

" ثم من العلماء من جمع الأربعين في أصول الدين ، وبعضهم في الفروع ، وبعضهم في الجهاد ، وبعضهم في الزهد ، وبعضهم في الآداب ، وبعضهم في الخطب ، وكلها مقاصد صالحة رضي الله عن قاصديها " .

يعني هذه المؤلفات التي هي بعنوان "الأربعين" ، بعضها في أصول الدين ، وبعضها في الفروع– يعني أصول الدين في العقائد – وبعضها في الفروع – يعني في مسائل فقهية– ، وبعضها في الجهاد هكذا ، وبعضها في الزهد .

وقوله: "رضي الله عن قاصديها " .

يعني "رضي الله" هنا : بمعنى الدعاء لهم بالرضى ، الدعاء لهم أن يحصل لهم رضا الله –عز وجل– .

قال النووي :" وقد رأيت جمع أربعين أهم من هذا كله " وهي أربعون حديثًا مشتملةً على جميع ذلك ، وكل حديثٍ منها قاعدة عظيمة من قواعد الدين .

أقول : "وقد رأيت جمع أربعين حديثا أهم من هذا كله " .

سبق أنه ذكر أربعين في أصول الدين –أي في العقائد– ؛ فلا شك أن باب العقائد آكد من غيره عند العلماء ، وأيضًا لعله قصد أن هذا الجمع الذي جمعه هو من المهمات .

ثم قال : "وقد وصف العلماء كل حديثٍ منها بأن مدار الإسلام عليه ، أو هو نصف الإسلام ، أو ثلثه أو نحو ذلك ، ثم ألتزم في هذه الأربعين أن تكون صحيحة و معظمها في صحيحي البخاري ومسلم ، وأذكرها محذوفة الأسانيد ليسهل حفظها ويعم الانتفاع بها –إن شاء الله تعالى– ".

نعم هذه الأحاديث الأربعين أغلبها صحيحة ، ولكن نبه الحافظ ابن رجب وغيره من العلماء على ضعف بعض الأحاديث فيها ،كما سيأتي إن شاء الله في موطنه .

قال النووي : " ثم أتبعها بباب في خفيِّ ألفاظها ، وينبغي لكل راغب في الآخرة أن يعرف هذه الأحاديث لما اشتملت عليه من المهمات واحتوت عليه من التنبيه على جميع الطاعات وذلك ظاهر لمن تدبره".

يعني :

يُرَغِّب النووي –رحمه الله تعالى– في حفظ هذه الأحاديث ، وقد مرَّ معنا بالأمس أننا –بإذن الله تعالى– نطلب من طلاب المعهد وطالباته أن يشتغلوا بحفظ هذه الأربعين .

قال النووي: " وعلى الله اعتماده وإليه تفويضي واستنادي وله الحمد والنعمة وبه التوفيق والعصمة ".

انتهت مقدمته –رحمه الله تعالى– وهي مقدمة نافعة.

ونكتفي بهذا القدر مما يتعلق بدرس الأربعين النووية .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الأربعون النووية

شرح فضيلة الشيخ

أحمد بن عمر بازمول

حفظه الله

الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى

- ١٤٣٧ \ ١٤٣٦ هـ.

ضمن دروس معهد الميراث النبوي

-تفريغ فريق صيانه السلفي-

http://meerath.nabawee.net
https://www.facebook.com/meerath.nabawee/?ref=

بِسْمِ اِللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمْ

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَلَا وإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللهِ وَخَيْرِ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدْ ، وَشَرِّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُها وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَة وَكُلَّ بِدْعَة ضَلَالَة وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ :

فنتدارس –بإذن الله تعالى– الحديث الأول من "الأربعين النووية" ؛ وهو ما رواه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب–رضي الله عنه– قال : (سَمِعْت رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– يَقُولُ: (إنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إلَى مَا هَاجَرَ إلَيْهِ) رواه البخاري ومسلم ، أي في الصحيحين.

هذا الحديث كما قال الحافظ ابن رجب –رحمه الله تعالى– : أحد الأحاديث التي يدور الدين عليها ؛

فرُوي عن الشافعي أنه قال :"هذا الحديث ثلث العلم ، ويدخل في سبعين بابًا من الفقه. "

وعن الإمام أحمد أنه قال :" أصول الإسلام على ثلاثة أحاديث :

حديث عمر : (إنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ) ، وحديث عائشة : (مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ) ، وحديث النعمان بن بشير : (الْحَلَالَ بَيِّنٌ ، وَ الْحَرَامَ بَيِّنٌ)

وقال الحاكم :" حدثونا عن عبد الله بن أحمد ، عن أبيه –أي الإمام أحمد– أنه ذكر قوله –عليه الصلاة والسلام– (الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ) ، وقوله : (إنَّ خلق أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا) ، وقوله :(مَنْ أَحْدَثَ فِي ديننا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ) ؛ فقال: " ينبغي أن يُبدأ بهذه الأحاديث في كل تصنيف ، فإنها أصول الحديث. "

وقال إسحاق بن راهويه : " أربعة أحاديث هي من أصول الدين "

حديث عمر : (إنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ) ، وحديث : (الْحَلَالَ بَيِّنٌ ، وَالْحَرَامَ بَيِّنٌ) ، وحديث : (إنَّ خلق أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ) ، وحديث : (من صنع في أمرنا شيئًا ليس منه فهو رد) .

إلى غير ذلك من أقوال العلماء التي أوردها الحافظ بن رجب في أول شرحه للأربعين ، التي تبين منزلة هذا الحديث وأهميته ، وأنه أصلٌ من أصول الأحاديث الجامعة التي يدخل في كثير من الأبواب الفقهية ؛ بل هو كما سيأتينا النية بمعنى : الإخلاص ، تدخل

في جميع العبادات ، وهي أحد شرطي قبول العبادات كما سيأتي –إن شاء الله تعالى–
.

– والمعنى الإجمالي لهذا الحديث :

يُخبر النبي –صلى الله عليه وسلم– أن الأعمال من أقوال وأفعال للجوارح أو أعمال القلوب لا تعتبر إلا بالنية ، وأنَّ نصيب كل إنسان في عمله ما نوى ، وما أراده وما قصده.

ثم ضرب –صلى الله عليه وسلم– مثالًا لعمل واحد اختلف فيه الأجر والثواب باختلاف النية ، فرجلان كل منهما هاجر وخرج من مكانه وانتقل ؛ فالفعل واحد –وهو الخروج من مكان إلى مكان– ؛ ولكن وإن كان الفعل في الظاهر واحدًا إلا أنه اختلف أجره باختلاف النية.

– **فالأول** : هاجر إلى الله ورسوله ، طلبًا لرضا الله –عز وجل– ، والثواب منه ، واتباع سنة –النبي صلى الله عليه وسلم– ، واستجابةً لأمر النبي –صلى الله عليه وسلم– ؛ فهذا هجرته لها شأنٌ عظيم ، ولها مكانةٌ مهمة ، (فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ) ، بيَّن بهذه الجملة أن هذه الهجرة وهذا الانتقال عظيم .

ثم الآخر :خرج من مكانه

– لمـــــــــاذا ؟

– (لِدُنْيَا يُصِيبُهَا) : تجارة ، وربح مال , ونحو ذلك ، (يُصِيبُهَا) : بمعنى يحصلها ويقصدها ويطلبها.

–أَوْ (امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا) لكي يتزوج ؛ (فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ) .

يعني أن النبي –صلى الله عليه وسلم– يبين أن هذا الثاني ليس له من عمله إلا ما نوى ، فهو نوى الدنيا فليس له من الأجر شيء ؛ لأنه نوى الدنيا ولم ينوِ الثواب والأجر والاتباع لهدي النبي –صلى الله عليه وسلم –

إذًا، هذا معنى الحديث باختصار وإجمال .

قوله –صلى الله عليه وسلم– : (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ)

قال العلماء " إِنَّمَا " تفيد الحصر ، والحصر معناه : إثبات الحكم في المذكور بعد إنما ، ونفيه عمَّا سواه .

فقوله :(إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ) يعني : الأعمال التي لا نية فيها لا ثواب فيها .

فإذًا، " إِنَّمَا " تفيد الحصر ، وقلنا في ما سبق إن معنى الحصر :

إثبات الحكم بعد كلمة " إِنَّمَا " : فالعمل يثاب ويقبل بالنية .

ونفيه عمَّا سواه يعني : أن العمل الذي لا نية فيه لا يثاب عليه الإنسان .

كما لو قال الإنسان مثلًا : **من في الدار ؟**

فقال : إنما في الدار زيدٌ ؛ فهذا معناه : أنه لا يوجد أحد سوى زيدٍ في الدار ، بينما لو قال : في الدار زيد ؛ لا يفيد الحصر لاحتمال أن يكون هناك غير زيد في الدار.

فقوله –صلى الله عليه وسلم- :(إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ) أفاد هذا الحكم ، وأن يعلم كل واحد منا أن أجره على ما عمل ، أو قال ، أو اعتقد إنما يكون على نيته (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ) .

والأعمال –كما سبق- تشمل الأقوال ، وتشمل الأفعال ، وتشمل أيضًا أعمال القلوب ، كما ذكر أهل العلم .

(وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى) :

هنا أيضًا (إِنَّمَا) ، الأول النبي –صلى الله عليه وسلم- يقول العمل يحصل ثوابه ويتم أجره بالنية ؛ فهذا في الأعمال ، وأما بالنسبة للإنسان قال –صلى الله عليه وسلم- : (وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى) .

هنا النبي –صلى الله عليه وسلم- حصر الأجر الحاصل للإنسان بالذي نواه ، فمثلًا لو أن إنسانًا عمل عملًا ، على سبيل المثال : قام ، ثم ثنى ظهره إلى هيئة الركوع ، ثم رفع ، ثم نزل إلى الأرض ؛ فهذا لم ينوِ الصلاة ، هذا نوى مثلًا الرياضة.

فهنا نقول له : "ليس لك أجر الصلاة " ، فإن قال أنا رفعت وركعت وهذه أفعال الصلاة فقل: " نعم ، وإنما ليس لك إلا ما نويت ، وأنت لم تنوِ الصلاة. "

ثم قال –صلى الله عليه وسلم– : (فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلى اللهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَو امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ)

قال العلماء كما سبق : العمل واحد ، هجرة وانتقال ، ولكن اختلف بالنية.

ثم قال العلماء : لماذا قال في هجرته إلى الله ورسوله (فَهِجْرَتُهُ إِلى اللهِ وَرَسُولِهِ) ، ولم يقل في الدنيا (وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَو امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا) فهجرته إلى الدنيا والمرأة التي ينكحها ؟

– قالو إنمّا قال : (فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ) تحقيرًا لأمر طلب الدنيا ، وتعظيمًا لأمر طلب الأجر والثواب من الله –عز وجل– في الصورة الأولى ، وليس معنى هذا ذم هذا الفعل ، وإنما فيه أن الإنسان لا يحصل له من الأجر إلا ما نوى وما سعى.

– وأيضًا فيه أيضًا أن أمور الدنيا بالنسبة للآخرة حقيرة ، لذلك قال الله –عز وجل– : ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾ ﴾[1] ؛ فالآخرة خير من الدنيا لأنها دار الخلود ، والدنيا بالنسبة للآخرة حقيرة ، حقيرة الشأن

– لمـــــــــــاذا ؟

[1]) سورة الأعلى : (١٧)

- لأنها زائلة ، ولأنها دار الغرور ، ولأن المرء مهما عاش في الدنيا فإنه سيموت ويتركها ، ويخلف كل ما عمل ، وما يبقى معه إلا ما قدمه من خير ، أو شر.

فنسأل الله –عز وجل– أن يجعل الدار الآخرة لنا هي دار خير وقرار وأن يجعلنا من أهل الجنة وأن ينجينا من النار ؛ ولذلك قال النبي –صلى الله عليه وسلم (الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما ولاه) ، وفي حديث (أو عالم ومتعلم) ، فهنا بالنسبة للآخرة كانت كذا منزلة الدنيا ، ولا يعني هذا الحديث أن الإنسان يشتغل بأمور الآخرة ويترك أمور الدنيا ، لا، وإنما هو كما سبق بالنسبة لأمور الآخرة ، أمّا في الدنيا فالله –عز وجل– جعل لنا فيها متاعًا إلى حين ؛ فالإنسان لا مانع أن ينتفع بما تفضل الله –عز وجل– به عليه من رزق ، ولكن لا ينسى الآخرة ، ولا ينغمس في الدنيا وملذاتها ، ولا يعش في الدنيا كأنه لا يموت أبدًا ، "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل "

فالمسلم يوازن بين الأمور ، وينتفع بالأمور التي أحلَّها الله له ، فإن الله –عز وجل– جعل في الدنيا أمورًا هي زينة ، حلالًا ، لم تحرَّم ، ينتفع بها الإنسان ؛ لكن كما سبق يوازن المرء نفسه.

ثم بعد ذلك كل واحد منا على درجات ، إذا أحلَّ الحلال وحرّم الحرام ، فمنهم من يُقبل على الآخرة ويتقلل من الدنيا لا مانع من ذلك ، وهذا يسمى : الزهد ، كما كان

حال السلف وحال النبي –صلى الله عليه وسلم– ، (مالي وللدنيا) ، هذا زهد لا مانع منه ، ما هو تصوف !

التصوف : ضلال وانحراف.

أما الزهد في الدنيا والتقلل منها : هو أن يعمل المرء على سنة النبي –صلى الله عليه وسلم – ، وما كان عليه الصحابة الكرام ، وما كان عليه أئمة السنة وعلماء السنة.

أما هؤلاء الذين يشتغلون بالتصوف والزهد ويزعمون ويزعمون ، فإنما أتوا بأمور هي مخالفة لهدي النبي –صلى الله عليه وسلم– ؛ فإنهم أبعد ما يكونون عن سنة النبي – صلى الله عليه وسلم. –

كما أن هذا المصطلح (التصوف) لم يُعرف عن السلف ، إنما كانوا يعرفون كما سبق (الزهد) ، وهذا إن شاء الله يأتينا في محله من " الأربعين النووية " –بإذن الله تعالى– ، وإنما هذه تذكرة عند هذا الحديث العظيم ، لأنه حتى لا يفهم المرء أنه يتقلل من الدنيا ويتركها مرة ، فيهمل نفسه ، ويهمل أهله ، ويهمل أبنائه ؛ فهذا خطأ ، ليس المراد من هذا الحديث هذا الفهم الخاطئ ، وإنما كما سبق مقارنةً بين الدنيا والآخرة .

فإذا قول النبي –صلى الله عليه وسلم– : (فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ) كما سبق ، تحقيرًا وتقليلًا لشأن الدنيا.

يقول الشيخ العثيمين –رحمه الله تعالى– مُبينًا : هل قوله –صلى الله عليه وسلم– : (إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى)

– **هل قوله :** (وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى) **هو نفس معنى** (إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّات) ؟

–يقول الشيخ –رحمه الله تعالى : –

" والصواب أن الثانية غير الأولى " ؛ يعني (وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى) ليست بمعنى (إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّات) ، فالأولى باعتبار المنوي ، وهو العمل ، (إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّات) باعتبار المنوي ؛ وهي الأعمال .

فالنبي –صلى الله عليه وسلم– يقول : الأعمال قد تكون متشابهة في الصورة ولكنها مختلفة في الحقيقة وفي الأجر عند الله –عز وجل– ؛ ولذلك مثلًا : رجلان كلٌ منهم يتصدق بمال ، في الظاهر الصورة واحدة ؛ لكن واحد نوى وجه الله –عز وجل– وطلب الأجر مخلصًا لله –عز وجل– ، وواحد نوى رياءً وسمعةً ؛ فنقول هنا : (إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّات) ، فهذا الذي أخلص له الأجر ، وذاك الذي لم يخلص ليس له من الأجر شيء ، بل يعذب لسوء نيته.

فيقول الشيخ –رحمه الله– : والصواب أن الثانية غير الأولى

فالأولى : باعتبار المنوي وهو العمل

والثانية : باعتبار المنوي له وهو المعمول له

– هل أنت عملت لله أو عملت للدنيا ؟

ويدل لهذا ما فرّعه عليه النبي –صلى الله عليه وسلم– في قوله : (فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلى اللهِ وَرَسُولِهِ) وعلى هذا يبقى الكلام ولا تكرار فيه" ، انتهى

وقد بيَّن الحافظ ابن رجب أن النية –رحمه الله تعالى – أن النية تطلق عند العلماء بمعنيين:

النيـــة : بمعنى الإخلاص ، وإرادة الثواب من الله – عز وجل– ، تطلق بمعنى الإخلاص وإرادة الثواب والأجر من الله – عز وجل– ، وهذه التي يذكرها أهل العقيدة والمؤلفات في العقيدة وفي السنة.

ويعنون بها : تمييز المقصود بالعمل ، كقوله تعالى : ﴿ مِنكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآَخِرَةَ ﴾[2]

وقوله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿15﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿16﴾[3] ؛ فهذه النية التي يذكرها أصحاب العقيدة كما يقول بن رجب – رحمه الله تعالى – فهي بمعنى الإخلاص والإرادة المقصود بالعمل –

[2]) سورة آل عمران (152)
[3]) سورة هود (15 -16)

وهي كما سبق معنا أحد شرطي قبول العمل ؛ **فالعمل لا يُقبل إلا بشرطين:**

- **الأوّل** : الإخلاص لله تعالى.

- **والثاني** : المتابعة لسنة النبي – صلى الله عليه وسلم. –

فالأول الإخلاص يدل عليه هذا الحديث (إنّما الأعمال بالنيات) .

– ماذا أردت ؟

– هل أردت وجه الله ؟

– هل أردت الثواب من الله ؟

– أم أردت الثواب من النّاس ؟

كما جاء في الحديث عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنّه قال : (يُقال للمُرائين يوم القيامة انظروا للذين عملتم العمل لأجلهم فاطلبوا منهم الثواب والأجر) ، ومعلوم أنّهم لا يملكون لغيرهم شيئًا وهذا من باب التّوبيخ والإنكار على حالهم وبيان سوء عاقبتهم ، وجاء في الحديث : (أنّ أول ثلاثة تسعَّر بهم النّار قارئٌ للقرآن ، ومنفق ماله في سبيل الله ، ومجاهد ، كلهم يُقال لهم فيم فعلتم هذا فأمّا القارئ للقرآن يقول قرأت القرآن فيك يا رب فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت بل قرأت القرآن ليُقال قارئ خذوه إلى النّار) ؛ لأنّه قرأ لأجل مدح الناس وطلبًا للسمعة والرياء والفخر وأن يحصل له شكر وثناء النّاس .

وأمّا الثاني : (أنفق ماله فيقول الله له فيم أنفقت ؟ فيقول : أنفقت فيك يا رب فيقول الله كذبت ، وتقول الملائكة كذبت ، بل أنفقت ليقال مُنفِق وكريم ، خُذوه إلى النّار) ، فيؤمر به إلى النّار.

ويُقال للثالث : (فيم قاتلت ؟ فيقول : قاتلت فيك يا رب ، فيقول الله كذبت ، وتقول الملائكة كذبت ، بل قاتلت ليُقال شجاع ومُقاتل وقد قيل – يعني في الدنيا أثنى عليك الناس – خذوه إلى النار) .

فهذه النية هي أحد شرطي قَبُول العمل وهي التي يذكرها كما سبق أصحاب كتب العقيدة ، وهي كما ذكر بن رجب : تمييز المقصود بالعمل الله أم الناس.

ولذلك جاء في الحديث القدسي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – فيما يرويه عن ربه (أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك فيه مَعيَ غيري تركته وشركه) ؛ فالنبي – صلى الله عليه وسلم – يروي عن الله – عز وجل – هذا الحديث القدسي كما سبق معنا أنّ الحديث القدسي لفظه ومعناه من الله ؛ فالله غنيٌّ أن يعمل العبد العمل له لله ولغيره ، فإنّ الله لا يقبل هذا العمل.

والنية بهذا المعنى يُعبِّرون عنها بالإخلاص كما سبق ، وأيضًا يُعبِّرون عنها بالابتغاء ، كقوله تعالى: ﴿ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴾20﴿ [4]

[4]) سورة الشورى (20)

ويعبّرون عنها بالإرادة ، كقوله تعالى :﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآَخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآَخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾ 20 ﴿[5]

إذًا هذا المعنى الأول للنية عند العلماء واستعمالاتهم.

– المعنى الثاني للنية عند الفقهاء :

– وهم يستعملونها بمعنيين الفقهاء :

المعنى الأول : تمييز العبادات بعضها عن بعض ؛ فمثلًا من فاتته صلاة الظهر والعصر بسبب نوم أو شغل أو نحو ذلك ، أو كان مثلًا أراد أن يُؤخر الظهر إلى العصر ، أو أن يُقدِّم العصر إلى الظهر فأراد أن يُصلي فهنا الصلاة تتشابه في هيئتها ، فلابد أن يُقدِّم الأولى وينوي أنّها الظهر ، ولابد أن يُؤخِّر الثانية وينوي أنّها العصر.

فلابد من تمييز العبادات بعضها من بعض ، ومثلًا من عليه قضاء من رمضان ، وأراد مثلًا أن يصوم الاثنين ، فإذا أراد أن يصوم الاثنين فنقول له :

– ماذا أردت بصيامك ؟

– فإن قال : أردت أن أصوم الاثنين والخميس لما فيهما من الأجر ، نقول : عملك في الظاهر بالنسبة لنا وقع على صيام التطوع .

---

[5]) سورة الشورى الآية (20)

طيب يقول : أنا صُمْتُ الاثنين والخميس ، وأريد أن أحسبهما من الفريضة التي فاتتني من رمضان وأفطرت لسفر أو لمرض أو نحو ذلك ، فنقول له ليس لك إلا ما نويت ، ولا يقع الأجر لك إلا على ما نويت من النافلة .

فهنا لابد من تمييز العبادات بعضها من بعض.

والمعنى الثاني : تمييز العبادة عن العادة ،كما سبق معنا رجل قام ثمّ جاء على هيئة الركوع ثمّ رفع ثمّ نزل على هيئة السجود ، فقال : أنا الآن فعلت أفعال المُصَلِّي فهذه ركعة ، فنقول : له لا

– أنت حينما وقفت ثمّ انثنيت ثم رفعت ثم انحنيت إلى الأرض ماذا أردت ؟

يقول أردت الرياضة مثلًا ، فنقول له إذن لم تحصل لك الصلاة ؛ فلابد أن تميِّز العادة من العبادة.

فإذًا الفقهاء يُطلقون النية بهذا المعنى ، أن يُميِّز بين العبادات بعضها من بعض هذا معنى ، وأن يُميِّز بين العبادة والعادة.

وقد نصّ العلماء على أن قراءة القرآن والأذكار والأحاديث لا تحتاج إلى نية ؛ ومرادهم هنا : لا تحتاج إلى تمييز العبادة عن العادة.

ليس المراد أنه لا تحتاج إلى نية الإخلاص لا ، وإنما مرادهم أنه لا تحتاج تمييز العبادة عن العادة ؛ لأن القرآن لا يُشابه كلام البشر.

ومن الأمور المتعلقة بالنية أن نعلم أن الأعمال نوعان :

نوعٌ يُطلب فيه النية : كما سبق معنا من العبادات ؛ في الصلاة والصيام ونحو ذلك.

ونوعٌ لا تُشترط فيه النية لكنه لا يؤجر إلا إذا نوى : وهي الأعمال الدنيوية المحضة ، التي هي من باب العادات ، إلا إن العلماء بينوا أن العبد إذا عمل عملًا صالحًا وتعدَّى نفعه فإنه يؤجر ، وإن لم ينوِي تعدي هذا النفع .

فمثلًا : لو أن إنسانًا نوى في زرعه للأرض الصدقة على الفقراء والمساكين وأن يستغني بما أغناه الله –عز وجل– ، فجاءت الطير مثلًا فأكلت من هذا الزرع فإنه يؤجر عليه ؛ لذلك نبه العلماء أيضًا إلى إن هذا العمل المتعدي نفعه لا تُشترط النية في العمل المتُعدى.

وقد ذكروا أيضًا إلى أن النية ، بالنسبة إلى النية التي عند الفقهاء تشترط شروطًا من أهمها:

1–إخلاص العمل إلى الله ومتابعة سنة النبي – صلى الله عليه وسلم . –

2–وأيضًا الإسلام : فالكافر ولو نوى الخير لا يحصل له ، وجاء في الحديث (أن الكافر لو نوى خيرًا فإن الله – عز وجل – يجازيه في الدنيا)

3–وأن يكون صاحب النية مميزًا : يعني ليس صغيرًا لا يعقل ، وإنما يُميز بين الأمور ، قالوا : سبع سنين.

4–وأيضًا العلم بالمنوي : هل هو فرضٌ ، أم نافلة هل هو عبادة ، أم لا.

5–وأيضًا الجزم بالمنوي : يعني مثلًا أراد أن يُصلي الظهر فقام فصلى ، وهو في صلاته قال : لا ، اجعلها نافلة قبل الظهر ، فهنا إن نوى هذا الأمر وعقد العزم عليه انتقلت النية إلى النافلة ، ثم بعد ذلك قال : لا ، أنا أرجع إلى صلاة الظهر خلاص نيتي صلاة الظهر فهنا قطع نية صلاته وتُعتبر بالنسبة له نافلة ليست فرضًا.

6–أيضًا من الشروط : أن لا يأتي بمنافي للنية ؛ **والمنافي للنية أمران كما سبق :**

الأول : القطع يعني ينوي قطع العبادة

الثاني : الردة عن الإسلام.

كما أيضًا نبهوا على أن وقت النية يكون مقارنًا للعمل ، أو قبله بيسير .

ومن الأمور التي نبَّه عليها العلماء مما يتعلق أيضًا بالنية وهو أمرٌ مهم

- **أن النية هي :** العزم والإرادة ؛ والعزم والإرادة محلهما القلب.

- **لذا قال العلماء :** النية شرط والتلفظ بها بدعة ، فما يفعله بعض الناس مثلًا لما يريد عندما يريد أن يُصلي الظهر يرفع يديه ويقول : نويت أن أُصلي فريضة الظهر حاضرًا كذا كذا كذا فيجلس يعني وقتًا قبل أن يدخل مع الإمام قبل أن يُكبر ، فنرى بعض الناس يرفعون أيديهم ويجلسون وقتًا ، فلا شك إن هذا الأمر بدعةٌ ، قد نص العلماء على أنه من البدع.

وابن تيمية – رحمه الله تعالى – في الفتاوى المصرية ، الفتاوى الكبرى له كلام جميل في هذا يقول : " المتلفظ بالنية في العبادة حاله كحال إنسانٍ مثلًا قام ليحضر الطعام ، فقال : أنا قمت الأن لأحضر الطعام فذهب وأحضر الطعام ، ثم حمل الملعقة أو الأداة التي يأكل بها أو يأكل بأصبعه يعني بيده فقال : أنا أرفع اللقمة الأن لأكلها ، قال : الناس كلها ستقول : إنه مجنون سفيه لا يُحسن التصرف لأنه ليس بحاجة أن يُصرح بهذه النية ؛ لأن قيامك إلى مكان الطعام هو عزم وإرادة وهذه هي النية ، ورفعك الطعام إلى فمك هو عزم وإرادة وهذه هي النية ، لست بحاجة إلى أن تتلفظ بألفاظ النية ، كذا ذهابك إلى الوضوء ، ووقوفك إلى الصلاة هذا عزم وإرادة وهي النية لست بحاجة إلى أن تقول نويت أن أتوضأ ، نويت أن أُصلي ، نويت أن أصوم.

وأمَّا ما جاء في بعض الأحاديث أن الملبي يقول : " لبيك اللهم عمرة ، لبيك اللهم حجة " هذه ليست النية ؛ هذه إنما كما قال العلماء هذا الدخول في النُسك ، التلبية ؛ الإحرام ، نية الدخول في النسك العزم والإرادة الذي في قلبه ، وأما قوله لبيك اللهم عمرة أو لبيك اللهم حجة ؛ فإن هذا هي التلبية : وهي الإحرام بالنُسك ، وهذا يقع لكثير من الناس أنه يتلفظ بالنية .

فشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – نقل اتفاق السلف على عدم مشروعية هذا الأمر وبين أن هذا الأمر بدعة مخالفًا لهدي النبي – صلى الله عليه وسلم – ، فالنبي – صلى الله عليه وسلم – لم يفعلها والصحابة – رضوان الله عليهم – لم

يفعلوها وأئمة الدين من بعدهم من التابعين لم يقوموا بها ، فعلينا أن نجتنب هذا الفعل المخالف لهدي النبي –صلى الله عليه وسلم– وهدي أصحابه الكرام.

وهنا ننبه على مسألة ذكرها العلماء تتعلق بالنية وانقطاعها أو انتقالها إلى أمر آخر.

يقول ابن رجب – رحمه الله تعالى – وأنا ألخّص كلامه : " واعلم أن العمل لغير الله أقسام : فتارةً يكون رياء محضًا ، بحيث لا يراد به سوى مراءاة المخلوقين لغرض دنيوي ، كحال المنافقين في صلاتهم ، كما قال الله – عز وجل – : ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿ 142 ﴾ [6] وكذلك وصف الله الكفار بالرياء : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [7]

قال الحافظ بن رجب : " وهذا الرياء المحض ، لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام ، وقد يصدر في الصدقة الواجبة أو الحج و غيرهما من الأعمال الظاهرة أو التي يتعدى نفعها ، فإن الإخلاص فيها عزيز ، وهذا العمل لا يشك مسلمٌ أنه حابط ، وأن صاحبه يستحق المقت من الله – عز وجل – و العقوبة "

يعني : أن الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام ، وقد يصدر في بعض الأعمال كالصدقة أو الحج أو الجهاد ، وهنا أذكر نفسي وإخواني وأخواتي إلى أن الواحد منا عليه أن يحرص على الإخلاص في عمله لله – عز وجل – ،

---

[6]) سورة النساء (142)
[7]) سورة الأنفال (47)

و أن لا يطلب ثناء الناس وحمدهم وشكرهم ، فإن الناس مخلوقون وأنهم عبادٌ مثله وليس بيدهم شيء ، وإنما الأمور كلها بيد الله – عز وجل – فلا يضيع الواحد منا عمله لدنيا أو لثناء الناس .

كما مرَّ معنا في قصة المجاهد والمنفق والقارئ للقرآن وفي بعض الروايات وعالم متعلم ، فإن هذه الأعمال جليلة وعظيمة ولكنهم أحبطوها بالرياء ، والواحد منا عليه أن يخاف على نفسه من الرياء ، وأن لا يغتر ؛ فإن أبا هريرة – رضي الله عنه – لما حدَّث بهذا الحديث غشي عليه – أغمي عليه – عدة مرات ؛ لأن الواحد منا لا يدري ، قد يقدم يوم القيامة بأعمال أمثال الجبال و تأتي بعض الأعمال فتبطلها ، منها الرياء ، فكان أبو هريرة كلما جاء يحدِّث بهذا الحديث أغمي عليه –رضي الله عنه– وعن جميع صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم . –

إذًا : هذا الأمر الأول .

قال ابن رجب : " وتارة يكون العمل لله و يشاركه الرياء "

الأول : أن يكون رياء محضًا ،

والثاني : أن يكون العمل لله و يشاركه الرياء.

قال : " فإن شاركه من أصله " ، يعني في البداية ، من يوم ما نوى العمل لله ، نوى العمل لله ، و نوى العمل للناس ؛ فإن النصوص الصحيحة تدل على بطلانه وحبوطه أيضًا.

ثم قال في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول الله تبارك وتعالى : (أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته و شريكه) .

ثم قال ابن رجب – رحمه الله تعالى – : " ولا نعرف عن السلف في هذا خلافًا ، وإن كان فيه خلافًا عند بعض المتأخرين " ، يعني أن الصحابة – رضوان الله عليهم – وأئمة التابعين يرون أن العمل الذي ابتدأ صاحبه فيه النية لله وللناس أنه يبطل ابتداءً .

قال ابن رجب – رحمه الله تعالى – : " فإن خالط نية الجهاد مثلًا نية غير الرياء " ، يعني انسان جاهد وفي نيته الغنيمة ، مثل أخذ أجرة الخدمة ، أو شيء من الغنيمة ، أو التجارة نقص بذلك أجر جهادهم ولم يبطل بالكلية ؛ ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : (إن الغزاة إذا غنموا غنيمة تعجلوا ثلثي أجرهم ، فإن لم يغنموا شيئًا تم لهم أجرهم)

فهذا هنا ينبه ابن رجب – رحمه الله تعالى – على أن الأجر قد ينقص في حالة أن يطلب العبد بعمله وجه الله –عز وجل– ، و ينوي مع ذلك مثلًا أمرًا غير الرياء ، الرياء يبطله من أصله كما سبق ، لكن لو كان يعمل لأجل أو جاهد لأجل غنيمة ، أو يعمل

شيء لله – عز وجل – أيضًا مع طلبه شيء من أجل الدنيا كأجر الخدمة فإنه يقول ابن رجب : " ينقص من أجره ولا يبطل "

فينبغي أن نفرق بين هذا و وبين هذا ، ثم قال ابن رجب – رحمه الله تعالى – : " وأما إن كان أصل العمل لله ثم طرأت عليه نية الرياء " ، وهذا كثير ما يقع لبعض الناس و يسأل فيقول : أنا نويت العمل لله ولكن أثناء العمل جاءني خاطر أو جاءني أمر و نويت شيء من ثناء الناس ثم رجعت ونويت العمل لله .

- فما حكم عملي هذا ؟

- فهنا ابن رجب سيُبيِّن حكم من ابتدأ عمله بإخلاص لله – عز وجل – ، ثم طرأ عليه شيء من الرياء أو السمعة .

أعيد مرة أخرى حتى تكون الصورة ظاهرة معنا :

القسم الأول الذي ذكره ابن رجب : الذي يكون عمله رياءًا محضًا ؛ فهذا حابط من أصله ، وهذا لا يكاد يصدر من مؤمن في صلاة أو صيام ، وقد يصدر في الصدقة الواجبة أو في حج أو نحو ذلك .

وتارة يكون العمل لله و يشاركه الرياء : فإن كان من أصله هذا الرياء من بداية النية يبطل العمل و بهذا قال السلف .

وإن كان العمل لله و أيضًا لطلب شيء من الدنيا لا رياءً : كغنيمة أو أجرة خدمة فإنه ينقص من أجره ولا يبطل.

ثم الآن يقول : " فأما إذا عمل عملا لله خالصا ثم ألقى الله له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين بذلك ففرح –بفضل الله ورحمته– واستبشر بذلك لم يضره ذلك. "

ثم يعني إنسان عمل العمل لله – عز وجل – ، ثم سمع ثناء الناس ومدحهم له ، فاستبشر وفرح –بفضل الله ورحمته– وأن هذا من توفيق الله له فهذا لا يضره –بإذن الله تعالى. –

وأيضًا بيَّن ابن قيم الجوزية حكم العمل الذي تخالطه هذه النية ، فقال:

" فإن كان نية الرياء الطارئة على العمل خواطر ودفعها فإنه ـ إن شاء الله ـ لا يضره ذلك ، وإن كانت هذه النية هو نوى العمل لله ثم طرا عليه الرياء ، وإن كانت هذه النية مستمرة وأثرت عليه نُظِر ، فإن كان العمل أوله يرتبط بآخره بطل العمل ، مثل الصلاة ، ومثل الصيام ؛ فإنهما لا يتجزءان لابد النية فيه من أوله الى آخرة"

يعني ؛ صورة المسألة أن إنسان قام صلى الظهر لله ، أو مثلًا صلى الضحى لله فدخل الناس ، فاشتغل في قلبه فقال : يعني الآن يقولون أصلي ، وأنا إنسان طيب ويمدحوني ، ويكون هذا لي مكانة عندهم و و و ..الى آخره.

فاشتغل بهذه النية ؛ بطلت الصلاة .

- لمـــــــاذا ؟

- لأن الصلاة لا تتجزأ ، ولأنه استمر في نية الرياء ، وعدم الاخلاص لله ـ عز وجل ـ

قال : "وأما إن كان العمل يتجزأ ؛ قال : مثل الحج ، كأن يخرج من بلده للحج وطرأ عليه أنه يمدحه الناس ، ويثنوا عليه ، ويقولون عنه الحاج الفلاني ونحو ذلك ، ثم هذا الرجل سمع كلامًا من واعظٍ أو ناصحٍ من وجوب الاخلاص ، وان الرياء يبطل العمل ، و كذا ، فجدد النية ، فجدد النية.

فهذا هنا الحج أعماله منفصلة ، فيمكن أن يجدد النية و أن ينوي نية الحج خالصًا لله –عز وجل –ويستمر في عمله ؛ فهذه بعض الأحكام المتعلقة بالنية إذا خالطها شيءٌ من الرياء ، وهذا محله كما سبق أن الإنسان يكون قد نوى في أول أمره النية لله –عز وجل– ثم طرأ عليه الرياء .

وأختم كلامي ها هنا بمسألة الهجرة من كلام الشيخ ابن العثيمين –رحمه الله تعالى– يقول :

"ومن فوائد الحديث أن الهجرة من الأعمال الصالحة ، لأنها يقصد بها الله ورسوله ، وكل عملٍ يُقصد به الله ورسوله ؛ فإنه من الأعمال الصالحة لأنك قصدت التقرب إلى الله ، والتقرب الى الله هو العبادة. "

ثم قال الشيخ العثيمين : " مسألة ؛ **هل الهجرة واجبة أم مستحبة ؟**

فقال : "الجواب فيه تفصيل ، إذا كان الإنسان يستطيع أن يظهر دينه ، وأن يعلنه ، ولا يجد من يمنعه في ذلك فالهجرة هنا مستحبة ، وإن كان لا يستطيع يعني ؛ يظهر دينه ، أو يوجد من يمنعه من ذلك فالهجرة واجبة ، وهذا هو الضابط للمستحب والواجب ، وهذا يكون في البلاد الكافرة ، أما في البلاد الفاسقة : وهي التي تعلن الفسق وتظهره ، فإنا نقول : إن خاف الإنسان على نفسه من أن ينزلق فيما انزلق فيه أهل البلد فها هنا الهجرة واجبة ، وإن لم يخف فتكون غير واجبة ، بل نقول : إن كان في بقائه إصلاح فبقاؤه واجب لحاجة البلد إليه في الإصلاح ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والغريب أن بعضهم يهاجر من بلد الإسلام الى بلد الكفر ، وإذا هاجر أهل الإصلاح من بلد الإسلام

– من الذي يبقى ينكر على أهل الفساد ؟

– وربما تنحدر البلاد أكثر بسبب قلة أهل الإصلاح وكثرة أهل الفساد والفسق ، لكن إذا بقي ودعا الله بأن يصلح الحال فسوف يصلح غيره ، وغيره يصلح غيره ، حتى يكون هؤلاء على أيديهم صلاح البلد ، وإذا صلح عامة الناس فإن الغالب من بيده الحكم سيصلح ، ولو عن طريق الضغط ، ولكن الذي يفسد هذا للأسف الصالحون أنفسهم ، فتجد هؤلاء الصالحين يتحزّبون ، ويتفرّقون ، وتختلف كلمتهم من أجل الخلاف في مسالةٍ من مسائل الدين التي يغتفر فيها الخلاف.

هذا هو الواقع ، لا سيما في البلاد التي لم يثبت فيها الإسلام تمامًا ، فربما يتعادون ويتباغضون ويتناحرون من أجل مسألة رفع اليدين في الصلاة ، وأقرأ عليكم يقول الشيخ العثيمين : قصةً ، وقعت لي شخصيًا في منى : " في يوم من الأيام ، أتى لي مدير التوعية بطائفتين من أفريقيا ، تكفر إحداهما الأخرى ، على ماذا ؟ قال : إحداهما تقول السنة في القيام أن يضع المصلي يديه على صدره ، والاخرى تقول السنة أن يطلق اليدين ، وهذه المسألة فرعية ، سهلة ، ليست من الأصول ، قالوا : لا ، النبي يقول : (من رغب عن سنتي فليس مني) ، قال : وهذا كفر ، تبرأ منه الرسول . صلى الله عليه وسلم . ، فبناءً على هذا الفهم الفاسد كفرت إحداهما الاخرى "

قال الشيخ : " فالمهم أن بعض أهل الصلاح في البلاد التي ليست مما قوي فيها الإسلام ، يبدع ويفسق بعضهم بعضًا ، ولو أنهم اتفقوا ، وإذا اختلفوا اتسعت صدورهم لما يسوغ فيه الاختلاف ، وكانوا يدًا واحدة لصلحت الأمة ، ولكن إذا رأت الأمة أن أهل الصلاح والاستقامة بينهم هذا الخلاف في مسائل الفقه والدين ، فستضرب صفحًا عنهم ، وعمَّا عندهم من خير وهدى ، بل يمكن أن يحدث ركوس ونكوس ، وهذا ما حدث والعياذ بالله ، فترى الشاب يدخل في الاستقامة على أن الدين خيرُ وهدى ، وانشراح صدر ، وقلب مطمئن ، ثم يرى ما يرى من المستقيمين من خلاف حادٍ وشحناء وبغضاء فيترك الاستقامة لأنه ما وجد ما يطلبه.

والحاصل أن الهجرة من بلاد الكفر ليست كالهجرة من بلاد الفسق ، فيقال للإنسان : اصبر واحتسب و لا سيما إن كنت مصلحًا ، بل قد يقال أن الهجرة في حقك حرامٌ" ، انتهى.

ومراد الشيخ العثيمين –رحمه الله تعالى– واضح ، أن أهل السنة يعملون بالسنة ، وإذا وقع خلاف في مسألة يسوغ فيها الاجتهاد ، ويكون المجتهد فيها معذور ، لا ينبغي أن يبدّع بعضهم بعضا ، ولا أن يتعدَّى أو يكفر بعضهم بعضا ، وهذا الكلام الذي قاله الشيخ العثيمين –رحمه الله تعالى– قرره شيخ الإسلام ابن تيمية في بعض رسائله ، وقال : إن الذي يبدع الناس ويضللهم ، في مسائل الاجتهاد ، هذا من فعل أهل الاهواء والبدع الذين ذمهم الله –عز وجل– وفي هذا القدر كفاية من شرح الأربعين النووية ، و–إن شاء الله في اللقاء القادم– ندخل فيما يتعلق بالحديث الثاني ، حديث جبريل الطويل.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الأربعون النووية

شرح فضيلة الشيخ

أحمد بن عمر بازمول

حفظه الله

الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى

- ١٤٣٦ \ ١٤٣٧ هـ-

ضمن دروس معهد الميراث النبوي

-تفريغ فريق صيانه السلفي-

http://meerath.nabawee.net
https://www.facebook.com/meerath.nabawee/?ref=

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمْ

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

أَلَا وإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامُ كَلَامُ الله وَخيرِ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدْ ، وَشَرِّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُها وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَة وَكُلَّ بِدْعَة ضَلَالَة وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ

أَمَّا بَعْدُ:

فقد توقفنا في مدارسة "الأربعين النووية" عند الحديث الثاني، وقد انتهينا من الحديث الأول وهو ح

حديث (إنما الأعمال بالنيات) الذي أخرجه البخاري ومسلم ..

واليوم –بإذن الله تعالى– ندخل ونتدارس الحديث الثاني ،وهو حديث عُمَرَ رضي الله عنه أَيْضًا ،وهو مشهور عند العلماء بحديث جبريل –عليه السلام– الطويل .

ولفظه: (عن عُمَرَ رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ ،إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ ،شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ ،لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ ،وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ –صلى الله عليه

وسلم- فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إلَى رُكْبَتَيْهِ ،وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ ،وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَخْبِرْنِي عَنْ الْإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ،وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ ،وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ،وَتَصُومَ رَمَضَانَ ،وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إنْ اسْتَطَعْت إلَيْهِ سَبِيلًا. قَالَ: صَدَقْت .فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ! قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِيمَانِ. قَالَ -صلى الله عليه وسلم-: أَنْ تُؤْمِنَ بِاَللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ،وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. قَالَ: صَدَقْت. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِحْسَانِ. قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّك تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاك. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ السَّاعَةِ. قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قَالَ: أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ .ثُمَّ انْطَلَقَ ، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا ، ثُمَّ قَالَ: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ ؟قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: (فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ ، أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ".) رَوَاهُ مُسْلِمٌ

هذا الحديث كما سبق معنا، عرف عند العلماء بحديث جبريل الطويل وفيه السؤال عن مراتب الدين: الإسلام، والإيمان والإحسان؛ وفيه -أيضا- السؤال عن الساعة ،وهو يوم القيامة، وعن علاماتها أمراتها (علاماتها).

فهذا الحديث من أحادث الأصول عند أهل العلم لما اشتمل عليه من بيان مراتب الدين ،ولما اشتمل عليه من الفوائد والحكم العظيمة .

يقول عمر -رضي الله عنه-: (بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -)

لنأخذ أولا المعنى الإجمالي للحديث ،فالمعنى الإجمالي للحديث يخبر عمر– رضي الله عنه – أنهم كانوا جلوسا عند النبي – صلى الله عليه وسلم– ، فجاءهم رجل غريب لا يُعرف ، فجاءهم رجل غريب لا يعرف ، حتى جلس إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فسأله خمسة أسئلة .:

االسؤال الأول:– عن الإسلام

– والثاني: عن الإيمان

– والثالث: عن الإحسان

– والرابع: عن الساعة ، وهو يوم القيامة ومتى تقوم .

– والخامس: عن علامات الساعة وأماراتها

فهذا هو المعنى الإجمالي لهذا الحديث. فأخبره النبي – صلى الله عليه وسلم – جوابا عن السؤال الأول : أن أركان الإسلام خمسة: الشهادتان، والصلاة ، والصيام ، والزكاة والحج ؛ وأن أركان الإيمان ستة ، وهي: الإيمان بالله ، وملائكته ،وكتبه ،ورسله ، واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره سأله عن الإحسان ، فبين له أن الإحسان: أن تعبد الله –عز وجل– كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، وهي مراقبة الله – عز وجل– واستحضار علمه ، ورؤيته لخلقه وعبيده

–ثم لما سأله عن الساعة ، عن القيامة أخبره النبي صلى الله عليه وسلم: أن علمي وعلمك سواء فلست أعلمَ من متى الساعة ، فأنت لا تعلمها وأنا – يعني رسول الله

لا أعلمها .

– لمــــــــــاذا ؟

–لأن الساعة علمها عند الله ، ولا يعلم الغيب إلا الله –سبحانه وتعالى–

ثم ، عن أمارات الساعة : ذكر له النبي– صلى الله عليه وسلم– بعض الأمارات : أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة ، العالة ، رعاء االشاء ، يتطاولون في البنيان.

ثم بين النبي– صلى الله عليه وسلم– لعمر رضي الله عنه ، ولأصحابه ، أن هذا السائل هو جبريل وأن الغرض من هذه الأسئلة ؛ أن يعلم الصحابة ، وأن يعلم أمة محمد –صلى الله عليه وسلم –أمور دينها

إذن هذا هو المعنى الإجمالي للحديث .

ثم نقف مع هذا الحديث شيئا ما مما يتعلق بألفاظه وما فيه من الفوائد والحكم ،.

فعمر– رضي الله عنه – يقول: (بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ ،إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ)

في هذا الكلام من عمر –رضي الله عنه– وعن جميع صحابة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فائدة مهمة وجليلة، وهي: بيان حرص الصحابة –رضوان الله عليهم– على التعلم ، وأخذ العلم من النبي –صلى الله عليه وسلم– وعلى مجالسة النبي –صلى الله عليه وسلم– فهؤلاء الصحابة –رضوان الله عليهم– كانوا من أحرص الناس على هذا الأمر ،حتى كان الواحد ومنهم عمر– رضي الله عنه– إذا شغله أمر أو

ذهب في شغل أهله عندما يرجع في الليل ، يذهب إلى جاره الأنصاري ، الذي تناوب معه في الحضور إلى النبي– صلى الله عليه وسلم –، فيسأله :

– ماذا حصل ؟

– وماذا قال النبي – صلى الله عليه وسلم – في هذا اليوم ؟

فطلب العلم لا يشغل المسلم عن تحصيل رزقه وقوته، وتحصيل الرزق والقوت لا يشغل المسلم عن طلب العلم ؛ فهذا فيه –كما سبق– حرص الصحابة –رضوان الله عليهم– على مجالسة النبي وعلى تعلم العلم والازدياد من العلم النافع ليحصل لهم –بإذن الله– العمل الصالح .

وفيه فائدة لنا نحن معاشر المسلمين :

أن نحرص على سؤال العلماء ، وعلى مجالستهم ،وعلى الاستفادة منهم وأن لا نضيع أوقاتنا فيما لا خير فيه يقول عمر: (بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ) يعني : ثيابه بيضاء لا وسخ فيها ، ونظيفة وجديدة ،(شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ ،وشَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ) ليس بالرجل الكبير ، بل هو شاب ،(لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ) لأنهم لا يعرفونه، فلو كان مسافرا وأتى من مكان آخر لرؤي عليه أثر السفر

– وأثر السفر يظهر في وجوه منها :

–أن يكون هذا الرجل متعبا، ويظهر التعب على وجهه وعلى حاله .

–ومنها – أيضا– أن الشعر ونحوه في السفر؛ قد يعرض لنوع من عدم الاهتمام به.

–ومنها –أيضا– أن الثياب تكون مغبرة ، أو فيها شيء من الوسخ وأثر السفر.

لكن هذا الرجل: لا يعرفونه من قبل ، ولا يرى على ظاهره أنه أتى من مكان بعيد ، فعمر– رضي الله عنه – بين لنا هيئة هذا الرجل وهو جبريل –عليه الصلاة والسلام– في أول قدومه على النبي – صلى الله عليه وسلم –في هذه القصة .

ثم قال: (حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم . فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ،وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْه)

قال العلماء : يؤخذ من هذا فائدة في أدب طالب العلم ، وهو ؛أن يجلس عند العالم باحترام وبأدب .

وهنا لا مانع أن أبين فائدة –أيضا– أخرى تتعلق بآداب طالب العلم ، فأقول –بارك الله فيكم– آداب طالب العلم ينبغي أن تكون على السنة ، بمعنى أن ينظر إلى ما كان عليه النبي – صلى الله عليه وسلم– وأصحابه فيقتدي بهم.

ولعل قائلا يقول :

– ماذا تريد أن تنبه عليه ؟

فأقول –بارك الله فيكم – : أريد أن أنبه إلى أن هناك بعض كتب طلب العلم تذكر آداب لطالب العلم ليست على السنة ، بل هي على آداب الصوفية ، والمتصوفة ؛ فمثل هذه الآداب لا ينبغي مراعاتها ولا النظر فيها .

– لمـــــــــاذا ؟

- لأن المسلم السني السلفي الذي يتبع ما كان عليه النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه الكرام يبحث ويتابع السنة .

أما الآداب والأخلاق التي يذكرها الصوفية ، ومن دار في فلكهم فإن السني إن كانت هذه الآداب لا دليل عليها ؛ فإنه لا يلتفت إليها ، ولا يأمر بها ، ولذلك بعض أهل العلم ينبه على بعض كتب طلب العلم ككتاب تذكرة السامع لابن جماعة ، وأيضًا كتاب الزرنوجي في طلب العلم ، فإنهم ذكروا آداب تتعلق بآداب الصوفية ، لا بآداب طالب العلم السني المتبع فلذلك – بارك الله فيكم جميعًا – احذروا ، احذروا أن تقتدوا بآداب لا دليل، عليها وليست من آداب السلف ، لإن بعض هذه الآداب قد تصرف عن الحق ، وأقولها بوضوح ؛ بعض هذه الآداب قد تصرف عن الحق ، وقد تجعل طالب العلم لا يبحث عن الحجة ، وإنما يبحث عن رضا الشيخ ، ويبحث عن هذه الآداب التي ما أنزل الله بها من سلطان ، ولا شك ؛ أن السنة المتمثلة في ما كان عليه النبي – صلى الله عليه وسلم – أو الممثلة في ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه الكرام كافية وشافية في آداب طالب العلم ، ومن لم يقتدي بالسنة في ذلك ؛ فلا انتفع بآداب طالب العلم ؛ فلتسعنا جميعًا السنة في باب آداب طالب العلم ؛ جبريل – عليه السلام – أيضًا ملفت للنظر أنه أتى وجلس إلى لنبي – صلى الله عليه وسلم – ولم يسأل ويقول أين محمد أو من منكم محمد ، إنما جاء مجيء رجل يعلم من يسأل ، ومن يطلب قال : (حتى جلس للنبي – صلى الله عليه وسلم – فأسند ركبتيه إلى

ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه) ؛ يعني أقترب منه وجلس جلسة بأدب واحترام وأيضًا من باب يعني الإنتفاع لو أن كل طالب علم أمكنه أن يستخرج من الأحاديث الصحيحة آداب طالب العلم و، كذا ما جاء عن آثار السلف؛ آداب طالب العلم ، فهنا في هذا الحديث كما افاد العلماء كالشيخ صالح الفوزان ، والشيخ عبد المحسن العباد ، والشيخ العثيمين أيضًا – رحمة الله عليه –وحفظ الله الشيخين ، وغيرهم من أهل العلم ، وغيرهم من أهل العلم ،قد بينوا ما في هذا الحديث من آداب طالب العلم ، ثم قال : يا محمد ، ناداه باسمه – صلى الله عليه وسلم – فقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام أخبرني عن الإسلام هنا سأل جبريل – عليه الصلاة والسلام – النبي – صلى الله عليه وسلم أن يبين له ما هذا الإسلام الذي جئت به ؟ ما هو هذا الدين الذي جئت به ؟ فبين له النبي – صلى الله عليه وسلم – الإسلام بقوله : الإسلام ؛ أي الذي سألت عنه : أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ؛ يعني هذا الركن الأول ، وهو الشهادتان ، كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم – لمعاذ بن جبل حين أرسله إلى اليمن فقال : إنك تأتي قوما هم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

فهاتان الشهادتان من أتى بهما دخل الإسلام ، ولذلك قال له : الإسلام : أن تشهد أن لا إله الا الله ؛ لا معبود بحق إلا الله – عز وجل – المتفرد بالألوهية ، والربوبية

، والأسماء والصفات – سبحانه وتعالى – لا شريك له – سبحانه وتعالى – وكل إله معبود من ، من دونه إله باطل ، فهو الإله الحق سبحانه وتعالى–. –

وأن محمدا رسول الله : تشهد أن محمدا هو رسول من الله ، يُطاع فيما أمر ، ويُجتنب ما نهى عنه وزجر ، يُؤمَن ، ويُؤمَن ، ويُؤمِن العبد بما أتى به وبما أخبر – عليه الصلاة والسلام –

وفائدة إرسال الرسول – صلى الله عليه وسلم – أن يخبر عن –الله عز وجل – ما يأمر به العباد ، أو ينهى عنه العباد .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ ﴾ [1] ، وهنا أقف وقفة سريعة مع إخواني المسلمين والمسلمات ، مع أبنائنا ، وبناتنا جميعا :

أن نتأمل وأن نتدبر هذه القضية ، وهي أن الله – عز وجل – أرسل ، أرسل إلينا نبينا محمدا – صلى الله عليه وسلم – أرسل إلينا نبينا محمدا – صلى الله عليه وسلم – – **لمـــــاذا ؟**

– لنؤمن به ، ولنتبعه ، فهذا الرسول – عليه الصلاة والسلام – مصطفى ، ومختبر ، مصطفى ، ومختار من الله – عز وجل – فالواجب علينا جميعا أن نتبعه – صلى الله عليه وسلم – ولا نتبع فلانا وفلانا يعني من الناس ، إلا ما كان عليه النبي – صلى الله عليه وسلم – ، وأصحابه ، لأنه كما سبق وأن ذكرنا ، وتدارسنا في بعض الدروس ، هناك بعض الناس حملوا الناس على

---

[1]) سورة النساء (64)

أهوائهم ، حملوا الناس على آرائهم ؛ فهنا نقول لهؤلاء : رسولنا هو محمد – صلى الله عليه وسلم – وهو قدوتنا – عليه الصلاة والسلام –

وأما العماء الذين نتبعهم فهم الذين هم ورثة الأنبياء ، وأما أن يأتينا بعض الناس – وأن زعم أنه عالم – ويأتي بأمور من تلقاء نفسه ، وبآداء من تلقاء نفسه ، وباجتهادات من تلقاء نفسه ، فهنا ، فها هنا نقول : رسولنا هو محمد – صلى الله عليه وسلم – .

ولا نعظم العلماء ؛ فنقدم كلامهم على كلام رسول الله – صلى الله عليه وسلم– .

قال بن عباس – رضي الله عنهما – : " يوشك " وقد أفتاهم ، أفتى بعض الناس ، أفتى بعض الناس في مسائل ، فقال له : قال فلان ، قال أبو بكر وقال عمر كذا وكذا ، فابن عباس أفتاهم بحديث فقال ابن عباس لما أوردوا كلام بعض الصحابة فقال : " يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء ، أقول لكم قال رسول الله وتقولون قال أبو بكر وقال عمر " ، مع مكانة أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما – وعن جميع صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلا أن القاعدة المعلومة عند العلماء : " أن كل قول ، أن كل قول يخالف قول النبي – صلى الله عليه وسلم – فقول النبي – صلى الله عليه وسلم – مقدم " فما بالنا بأقوال غيرهم من ممن لم يبلغ شأنهم ، ولا حالهم ، فلا شك أن المسلم الحريص الغيور على دينه ؛ يحرص على تطبيق السنة ، وعلى تقديم السنة ، ولا يأتيك الشيطان ويقول :

هؤلاء العلماء علموا ، وأنت لم تعلم ، فنقول له : هذا رسول الله ارسله الله إلينا

اصطفاه واختاره لرسالته ، وجاءنا بالدين الحق ، فكل ما اخبر به النبي – صلى الله عليه وسلم – حق ، وهؤلاء العلماء قد يصيبون وقد يخطؤون ، فما اصابوا فيه الحق مما جاء به النبي – صلى الله عليه وسلم – نوافقهم ، ونتبعم ، وما اخطأوا فيه نحترمهم ، ولكن لا نقبله .

فبارك الله فيكم ، لابد من تدبر هذا الامر ، وأن يزن كل واحد منا موقفه من مثل هذه الأمور :

– هل يتابع النبي – صلى الله عليه وسلم– ويحرص على متابعته ؟

– أم يحرص على اتباع سيدي فلان وسيدي فلان ؟

ممن هم ليسوا بمعصومين ، وليسوا برسل من الله ، وإن كان فيهم شيئا من الخير أو العلم أو الصلاح ، ولكن النبي – صلى الله عليه وسلم – هو الذي أُمِرنا باتباعه والمسلم الحق كما يقول بن رجب : " وإن كان يعظم العلماء ويحترمهم ، إلا أنه يعظم الحق الذي جاء به النبي – صلى الله عليه وسلم – ومن تعظيمه للنبي – صلى الله عليه وسلم – ومن محبته للنبي –-صلى الله عليه وسلم – فإنه يقدم ما جاء به النبي – صلى الله عليه وسلم – على كل ما سواه " فهذه لفتة بارك الله فيكم ، تتعلق بالشهادة ، بشهادة أن محمدا رسول الله .

قال : (وتقيم الصلاة) : من أركان الإسلام : إقامة الصلاة ، الصلوات الخمس ؛ أن تصليها بشروطها ، وأركانها ، وواجباتها ، وأن تحرص على سننها ، كما صلاها النبي – صلى الله عليه وسلم – (صلوا كما رأيتموني أصلي) .

وتقيم الصلاة ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، إن كان عندك مال ، وبلغ النصاب ، وحال عليه الحول ، إن كان ممن ، إن كان مما يشترط له الحول ، أو حان حصاده ، أو كان مما أخرج من الأرض ، فإنك تخرج حق الله فيه ، فتأديه للأصناف الثمانية المذكورة في قوله تعالى :﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا ﴾[2] إلى آخر الآية ، وأن تحرص على إعطائها لمستحقيها ، إن كنت ذا مال .

ثم قال : (وتصوم رمضان) ، إن أتى عليك رمضان ، وكنت عاقلا ، بالغا ، مكلفا ، قادرا على الصيام ، لا يوجد بك سفر أو مرض ، أو المرأة في حيضها ، ونفاسها ، فلا ، فلا يوجد عندك عذر ، فإن الله – عز وجل – قد أمرنا بقوله :﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾[3] ، فيجب أن يصوم المسلم بشروطه هذا الشهر وكذا المسلمة .

ثم قال: (وتحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا) أيضا ؛ من أركان الإسلام الحج ، ومن شروطه أن تكون قادرا على مؤنته ، وكلفته ، وقادرا ، مستطيعا في بدنك للإتيان للحج ، فإن كنت غير قادر ، عاجز لعدم المال ، أو عاجز لمرض ، أو نحو ذلك ، فإنه لا يجب عليك ، فإن كان عندك مال ، فإنك توكل من يقوم بأن يحج عنك هذه أركان الإسلام الخمسة ، وهي المذكورة في حديث أيضا ابن عمر لما قال عبد الله بن عمر : سمعت النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول :(بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا) .

---

[2]) سورة التوبة (60)

[3]) سورة البقرة (185)

إذن هذه هي أركان الاسلام الخمس ، فليحرص المسلم على الإتيان بها ، فإن رجلا أتى النبي – صلى الله عليه وسلم – وسأله عن الشهادتين ، وعن الصلاة ، وعن الصيام ، وعن اركان ، وعن بعض أركان الإسلام ، فقال الرجل: « والله لا أزيد عليهن ولا أنقص » ، فلما ولى الرجل ، قال النبي – صلى الله عليه وسلم – (أفلح إن صدق) .

قال العلماء : " معناه أنه إن أتى بالأركان على وجهها يعني على سنة النبي – صلى الله عليه وسلم – فإنه على خير كثير "

قال العلماء معناه : " أنّه إن أتى على الأركان على وجهها – يعني على سنة النبي – صلى الله عليه وسلم– فإنه على خير كثير، ويدخل الجنة بإذن الله – تعالى– "

فهذه أركان الإسلام – بارك الله فيكم – : " الشهادتان : فلا نأتي بما يناقضهما ، ونقيم الصلاة ، ونصوم رمضان ، ونزكي أموالنا ، ونحج البيت إن استطعنا إليه سبيلا ".

–قال عمر – رضي الله عنه – : (فقال –أي جبريل – صدقت ، – قال للنبي صدقت – ، قال فعجبنا له يسأله ويصدقه) ، وجه العجب أن هذا الرجل لا يُعرف أنّه أسلم من قبل ، الظاهر أنّه أتى ليتعلم الإسلام هذا واحد .

الأمر الثاني : أن الرجل قال للنبّي – صلى الله عليه وسلم – " صدقت " ؛ يعني كلامك حق ، وأنا أعرفه ، فكيف يسأل ؟

-فوقع العجب من عدم معرفة الرجل ، ومن معرفة الرجل بما يقول النبي – صلى الله عليه وسلم – ومن حال هذا الرجل ، قبل أن يعرفوا وأن يعلموا أنه جبريل – عليه الصلاة والسلام –

قال : (فعجبنا له يسأله ويصدقه) ؛ يعني هو يسأله وهو يعلم ، (قال فأخبرني عن الإيمان) ، قال جبريل للنبي – صلى الله عليه وسلم – : (من مراتب هذا الدين الإيمان فما هو الإيمان) ، فأخبره النبي – صلى الله عليه وسلم – بأركان الإيمان ، فقال : (أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال : صدقت)

يعني ؛ يذكر عمر – رضي الله عنه – أنّ جبريل – عليه السلام – سأل عن الإيمان وأنّ النبي –صلى الله عليه وسلم – أخبره بأركان الإيمان ، فأول ركن : أن تؤمن بالله ربّا ، خالقا ، إلها ، رازقا ، بيده الأمور كلها – سبحانه وتعالى – ، فإذا كان ربّا ، إلاها ، خالقا ، رازقا ، بيده الأمور ،بيده الخلق والأمر – سبحانه وتعالى – فهو الذي يجب أن تعبده وأن تصرف له كل أنواع العبادة وأن تخشاه ، وأن تتوكل عليه ، وأن تدعوه ، وأن وأن كل الأمور لله – عز وجل–.

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ ﴿١٦٣﴾) [4]

---

[4]) سورة الأنعام (162- 163)

﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ [5] فإذا كان الله – عز وجل – هو الخالق ، الرازق ، المدبّر ، القادر على كل شيء ، فإنّ صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله عز وجل ؛ لا شك أنّه ظلم ، ﴿ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [6] ، أن تؤمن بالله ربّا ، وأيضا ؛ بأن تؤمن بأنّ لله أسماء وصفات ، تليق بجلاله – سبحانه وتعالى – ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [7] فنثبت لله الأسماء والصفات التي جاءت في القرآن والسنة على ما يليق به – سبحانه وتعالى – نؤمن بها ، وأنّ لها حقيقة ، وأنّها معلومة من لغة العرب ، معانيها معلومة من لغة العرب ، وأمّا كيفياتها ؛ فإنّ علمها عند الله – عز وجل – ولكن نؤمن بها ، وأنّها صفات لله –عز وجل – ثابتة بالكتاب والسنّة ، ولا نخوض في تحريفها ، أو تأويلها ، أو تعطيلها ، ولا ننفيها عن الله .

الله – عز وجل – أخبرنا – سبحانه وتعالى – أنّ له يد ، وله ساق ، وله وجه – سبحانه وتعالى – ، فنؤمن بها كما أخبر الله – عز وجل – في كتابه ، وكما أخبر النبي – صلى الله عليه وسلم – في سنّته ، فإن قيل لنا :

– كيف هذه الصفات ؟

–فنقول : " نحن نؤمن بهذه الصفات ؛ ولكن كيف هي ؟

– لا نستطيع أن نقول كيف ؟

– لمــــــاذا ؟

---

[5]) سورة الجن (18)
[6]) سورة لقمان (13)
[7]) سورة الشورى (11)

– لأننا لم نر الله في الدنيا " ، ونسأله – سبحانه وتعالى – أن يجعلنا جميعا ممن يراه في الآخرة ، فإنّ النظر إلى الله – عز وجل – هو الزيادة المذكورة في قوله – عز وجل – : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴿٢٦﴾﴾ [8] ، جاء في حديث النّبي – صلى الله عليه وسلم – أنّه ذكر الزيادة لذة النظر إلى الله – عز وجل– ، في الدنيا لا يُرى الله – عز وجل – ، فكما طلب موسى – عليه الصلاة والسلام – أن يرى الله – عز وجل – ، فأخبره – سبحانه وتعالى – أنّه لن يراه ؛ أي في الدنيا ؛ ولكن في الآخرة يراه المؤمنون ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [9]

فإذاً نحن لم نر الله في الدنيا ، حتى نقول صفته كذا وكذا وكذا ، ولكن نؤمن بأنّ هذه هي صفاته على ما يليق بجلاله ، فإن قلت " طيب " مثل مـــــاذا ؟

أقول لك : قال الله – تعالى –: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [10]

فالواجب على المسلم أن يؤمن بهذه الصفات على ما يليق بجلاله – سبحانه وتعالى –

أخبرنا النّبي – صلى الله عليه وسلم – أنّ ملك من الملائكة أُذن للنّبي – صلى الله عليه وسلم – أن يُخبر عنه (ما بين شحمة أذنه وعاتقه كما بين السماء والأرض) ، هذا ملك

---

[8] سورة يونس (26)
[9] سورة القيامة (22 – 23)
[10] سورة الشورى (11)

- **فكيف بالله –سبحانه وتعالى – ؟**

فالله أعظم ، وأكبر ، وأجّل – سبحانه وتعالى–

الملك عبد مخلوق ، والخالق هو الله – سبحانه وتعالى – ، فليس كمثله شيء ، يوم القيامة كما سبق نراه بإذن الله – تعالى – أن نكون ممن يرى الله – عز وجل – في الجنّة ؛ ولكن في الدنيا لا نرى الله – عز وجل – ، فالواجب علينا أن نؤمن بهذه الأسماء وهذه الصفات على ما يليق لجلاله ، فإن قال قائل " طيب أنا لو قلت أنّ لله يد أو لله وجه شبهته بخلقه " ، أقول له : " لا ، لم تشبهه بخلقه لأمرين ؛

- **أمّا الأمر الأول :** فلأنّ الذي أخبرنا أنّ له يدا ، وله وجها ، وله ساقا ، هو الله – عز وجل– وله عينين ، هو الله – عز وجل –

- **والأمر الثاني :** أنّ الله أخبرنا أنه ليس كمثله شيء ، فقولك أن فإثباتنا لهذه الصفات لله تشبيه للبشر كأنك ترد القرآن ، أو تُكذب القرآن ، فالله – عز وجل – يقول : ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾(١١)[11]

إذا أيضا تؤمن بالله وملائكته ،كما مر معنا في (الأصول الستة) ما يتعلق بالملائكة ، الإيمان بهم إجمالا وتفصيلا ، أما التفصيل فهم المذكورون في القرآن والسنة ، من جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وخازن النار ، وغيرهم من الملائكة المشهورين ، المذكورين في الكتاب والسنة ، وأمّا بالإجمال فإنّنا نؤمن بهم ، فإنّ النّبي – صلى الله عليه وسلم – أخبرنا (أنّ البيت المعمور مقابل للكعبة في السماء الدنيا ، وأنّه

[11]) سورة الشورى (11)

يدخله كل يومٍ سبعون ألف ملك ، لا يعودون إليه إلى أن تقوم الساعة) ؛ كل يوم سبعون ألف ملك ، يدخلون هذا البيت المعمور ، لا يعودون إليه إلى أن تقوم الساعة ، وأخبرنا النّبي –صلى الله عليه وسلم– (أن الملائكة يوم القدر تنزل وعددهم كعدد الحصى) – عدد الحجارة –، عدد كبير جدا ، فنؤمن بهم جميعا ، و(أنهم لا يعصون الله ما امرهم ، وأنهم يفعلون ما يؤمرون) ، قال : (وكتبه)، كذلك تؤمن بالكتب ، ايمانا إجماليا وإيمانا تفصيليا ، أما التفصيل ؛ فالمذكور من القرآن والسنة ، من الثوراة ، والإنجيل ، والزبور ومن صحف إبراهيم و موسى ، فنؤمن بها بأسمائها وأنها كتب أنزلها الله على الأنبياء قبل النبي –صلى الله عليه وسلم–.

وتؤمن أيضا بالقرآن، و أن هذا القرآن ناسخ لجميع الكتب السابقة، وأنه مهيمن عليها، وأنه يجب أن يُعمل بالقرآن فقط، وممّا أخبرنا الله –عزّ وجلّ– ، و أخبرنا رسول الله–صلى الله عليه وسلّم – أنّ التوراة و الإنجيل وغيرها قد حرفت، وبدلت، وأخبرنا النبي –صلى الله عليه وسلّم– وأخبرنا الله في كتابه أنّ الله حافظٌ هذا الكتاب ؛ القرآن من التبديل ، و التغيير، فهو محفوظ بحفظ الله –عزّ وجلّ – فيجب أن نؤمن بهذا القرآن العظيم و أنه ناسخُ لتلك الكتب السّابقة ولكن كونها منسوخة ؛ لا يعني تكذيبها أوردها ، و إنما ؛ يعني أننا نؤمن بها ولا نعمل بها،

– لمـــــــاذا لا نعمل بها ؟

– لأنها نُسخت ما لدّليل الدليل قوله عزّ وجل: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[12]

[12]) سورة آل عمران (85)

و قوله عز وجل: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ([13])

فبين – سبحانه وتعالى – ؛ أن الدين المقبول هو الإسلام وأن غير الإسلام من يهودية ، أو نصرانية ، أو غيرهما ، غير مقبول بل أخبر النبي –صلى الله عليه وسلم– أن موسى ابن عمران لو كان حيا ما وسعه إلا اتباع النبي –صلى الله عليه وسلم –بل أخبر النبي –صلى الله عليه وسلم – أنّ عيسى علي –الصلاة والسلام – حين ينزل اخر الزمان يكسر الصليب ، و يقتل الدجال ، المسيح الدجال ويضع الجزية ؛ إما الإسلام وإما القتل، فإن عيسى علي – الصلاة و السلام – حين ينزل آخر الزمان فإنه يحكم بشريعة النّبي –صلّى اللّه عليه وسلّم– ولا يحكم بشريعته، فهؤلاء الذين يقولون بوحدة الأديان، وبأن اليهودية أو النصرانية لا إكراه في الدين يمكن أن يعبد الله كل واحد منا بالدين الذي يراه، و أن هذا لا مانع منه ،هذا كله باطل من القول و ضلال من الرأي والهوى، وتكذيب ومخالفة للكتاب و السنة .

فلا تلتفتوا لهؤلاء بارك الله فيكم ، فإن هذه الأمور مضادة لما جاء في الكتاب و السنة عيسى يحكم بشريعة محمد –صلى الله عليه وسلم– وأنت تقول : لك أن تعبد الله باليهودية أو بالنصرانية ؟

أي ضلال هذا !!!

وأما قوله تعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ ([14])

ليس معناه أن كل واحد له حرية أن يعبد الله بما شاء وإنّما معناه من أراد أن يسلم

---

[13]) سورة آل عمران (85)

[14]) سورة البقرة (256)

فليسلم وله الجنة، ومن أراد فليكفر فليكفر وله النار، (من اهتدى فلنفسه ومن ضلّ فعليها) ولذلك هؤلاء الذين يستدلون بهذه الآية هم واقعون في قوله تعالى : –

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴿٨٥﴾﴾)[15] تتركون الأدّلة الصريحة ، ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾﴾)[16] فبين الله –سبحانه وتعالى– أن اليهود والنصارى كفّار وأنت تقول حرية الدين وان من عبد الله باليهودية وعبد الله بالنصرانية فانه سيدخل الجنة بعد بعثة النبي –صلى الله عليه وسلم – والله قد حكم عليهم بالكفر – فبارك الله فيكم – تنبهوا لهذا الأمر .

قال : ورسله ؛ أيضا نؤمن برسله المذكورين في الكتاب والسنة ، على التفصيل، وأيضا على الإجمال ﴿ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴿٧٨﴾﴾)[17]

وكذا اليوم الأخر وما فيه من أهوال و وقوف في العرصات، و الحشر، والصراط، وحوض النبي–صلّى اللّه عليه وسلّم –

وما فيه من موقف الحساب كل ما جاء في الكتاب و السنة نؤمن به، ونعتقده ،قال: وتؤمن بالقدر خيره وشره بمعنى ؛ أن تعلم ما أصابك لم يكن ليخطأك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وأن كل شيء بقدر، ومن القدر أن تعمل، وأن تأخذ بالأسباب و أن الله – عز وجل – قد جعل لنا إرادة ومشيئة نحاسب عليها ، إن اخترنا طريق الخير

---

[15]) سورة البقرة (85)
[16]) سورة البينة (1)
[17]) سورة غافر (78)

وأسأل الله أن يجعلنا في هذا الطريق وأن نموت عليه– فإن أهل طريق الخير في الجنة، وإن اخترنا طريق الشر –أسال الله أن يبعدني وإياكم عنه وعن أهله– فهو الكفر والتكذيب فان أهله في النار ﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ ﴾ ([18])، من اهتدى فلنفسه ومن ضل فعليها ، ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴿٣٠﴾ ﴾ ([19])

فهذا عملنا واختيارنا، وهو غير خارج عن أرادة الله عز وجل: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ ﴾ ([20])

ولا تعني أن مشيئتنا تحت مشيئة الله أننا مجبورون غير مخيرين لا هذا خطأ ، فإن الله –عزّ وجلّ – خيرنا وجعل لنا الاختيار والإرادة ، سنحاسب على هذا، ولكن لا يمكن أن يعمل العبد شيئا لم يرده الله –عزّ وجلّ – فإن الله كما أخبر النبي–صلّى اللّه عليه وسلّم– (لو أن الناس أولهم وآخرهم يعني ؛ أرادوا أن أن ينفعوا شخصا، لو أن الناس أولهم وآخرهم وانسهم وجنهم أرادوا أن ينفعوا شخصا ما نفعوه بشيء إلّا إن أراده اللّه وإن أرادوا أن يضرّوه لم يضروه إلا إن كتبه الله عليه) ولذلك كم تعرض النبي–صلّى اللّه عليه وسلّم– للقتل حتى جاءه ذاك الرّجل وهو نائم عليه –الصلاة والسلام – تحت ضلّ شجرة فوقف عليه الرجل رافعا سلاحه سيفه لينزل به على النبي – صلى اللّه عليه وسلم – وهو نائم ليقتله فتنبه النبي –صلّى اللّه عليه وسلّم– ورآه فقال الرجل " يا محمد يعني ؛ من ينقذك مني أو من يخلصك مني"

---

[18]) سورة التكوير(28)
[19]) سورة آل عمران (30)
[20]) سورة الإنسان (30)

فقال النبي –صلّى اللّه عليه وسلّم–بكل اطمئنان وأريحية : الله ، فسقط السيف من يده وما استطاع أن يحركها والله أخبرنا أن السحرة وأعوانهم لا يضروا الناس إلا إن أذن الله – عزّ وجلّ – إلا إن أذن الله –عز وجل – ﴿ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾(١٠٢) [21] و لذلك إخواني – بارك الله فيكم – احذروا هذا المقام إن تخاف من الناس خف من الله – عز وجل – وراقبه ولا تخف من الناس ولا يعني قولنا لا تخف من الناس بمعنى عاندهم وضاربهم لا وإنما معناه توكل على الله ، وخذ بالأسباب ولا تخف من الناس فإن الأمر كله بيد الله – عزّ وجلّ – اذا ؛ قال : (وأن تؤمن بالقدر خيره وشره) فالإيمان بالقدر امر مهم ، ويخلص كثيرا من الناس من الغموم والهموم ، ومن اليأس فهذه المرتبة وهذا الركن ركن مهم وجميع أركان الايمان مهمة ولكن كثير من الناس يعاني من هذا الأمر وأيضا يعاني من الإخلال في أمر الإيمان بالله – عز وجل – فلا يصلح العبادة لله ويعتقد في غير الله أنه قد ينفع أو يضر ، وأنه بيده شيء من رزقه ، وأمره، وشأنه لا ؛ علق قلبك بالله واعلم أن كل هؤلاء هم عبيد لله –عز وجل– وانه ليس بيدهم شيء وهذه أكان الايمان الستة كما سبق هي عظيمة اسأل الله – عز وجل – آن ينفعني وإياكم وبما قد سمعنا ، وأن يكون حجة لنا لا حجة علينا ، واكتفي بهذا القدر ونكمل – إن شاء الله – في اللقاء القادم وندخل – إن شاء الله – الآن في التجويد نظم تحفة الأطفال .

---

[21]) سورة البقرة (102)

الأربعون النووية

شرح فضيلة الشيخ

أحمد بن عمر بازمول
حفظه الله

الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى

- ١٤٣٧\ ١٤٣٦ هـ.

ضمن دروس معهد الميراث النبوي

-تفريغ فريق صيانه السلفي-

http://meerath.nabawee.net
https://www.facebook.com/meerath.nabawee/?ref=

الدرس الخامس من الأربعين النووية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمْ

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

أَلَا وإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامُ كَلَامُ الله وَخَيْرِ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدْ ، وَشَرِّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُها وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَة وَكُلَّ بِدْعَة ضَلَالَة وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ

أَمَّا بَعْدُ:

فقد توقفنا في شرح الأربعين النووية عند الحديث الثاني عند قول عمر–رضي الله عنه –في قول جبريل–عليه السلام –حين سأل النبي – النبي – صلى الله عليه وسلم – بعد أن سأله عن الإسلام والإيمان ثم قال له: (فأخبرني عن الإحسان ، فقال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)

جبريل –عليه السلام–سأل النبي–صلى الله عليه وسلم –عن الإحسان.

والإحسان: هي المرتبة الثالثة من مراتب هذا الدين، وهي أعلاها، وأهل هذه المرتبة –كما ذكر أهل العلم–أقل من أهل الإيمان، وأهل الإيمان أقل من أهل الإسلام.

فهذه المراتب الثلاث:

– المرتبة الأولى وهي الإسلام أهلها كثيرون.

– وأما الإيمان فهي مرتبة أعلى تحصل بالعمل الصالح إذا أتى العبد بالواجبات وترك المحرمات وأتى بالنوافل.

- ثم بعد ذلك الإحسان وهي مرتبة عظيمة جدا وأهلها قليلون، أخبر فيها النبي– صلى الله عليه وسلم–أن من أراد أن يحصل وأن يكون من أهل هذه المرتبة فعليه أن يعبد الله كأنه يراه، يعني: يراقب الله –عز وجل –.
كما قال ذاك الشاعر:

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا :: تقل خلوت ولكن قل علي رقيب

فالله –عز وجل – يرانا، ويعلم بحالنا، ومطلع – سبحانه وتعالى – على ما تخفي أنفسنا ، وعلى كل صغير وكبير، فهو– سبحانه وتعالى– يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ، يسمع سبحانه وتعالى دبيب هذه النملة يعني : صوت مشيها سبحانه وتعالى .

وعائشة رضي الله عنها قالت: لما نزل قوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ [1] فقالت: (سبحان الذي وسع سمعه كل شيء)

عائشة رضي الله عنها كانت حجرتها قريبة من هذه المرأة التي جاءت تشتكي للنبي –صلى الله عليه وسلم–وتسمع شيئا ويفوتها أشياء.

والله –عز وجل –من فوق سبع سماوات –سبحانه وتعالى – يقول ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ ﴾ أي أنه –سبحانه وتعالى–سمع كل ما قالته هذه المرأة ولم يخف عليه شيء من كلامها.

[1]) سورة المجادلة (1)

فإذًا هذه المرتبة بأن يصل إليها العبد بأن الله–عز وجل –ويعبده عبادة من وصفه بقوله: (تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) يعني: وإن لم يكن الواحد منا يرى الله –سبحانه وتعالى –في الدنيا من فوق سبع سماوات ولا يخفى عليه شيء من حاله وهذه المرتبة–كما سبق – أهلها قليلون ؛ ولذلك هذه المرتبة الإحسان هي مرتبة عالية – كما ذكر أهل العلم – مرتبة عظيمة ، يقول الله – عز وجل – : ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ (2)

فهذه المرتبة لهم من معية الله الخاصة –سبحانه وتعالى–: حفظه، ونصره، وما يحصل له من خير وأجر من الله –عز وجل –، فإن الله –عز وجل–كما قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾﴿٤﴾ (3) أي: بعلمه كما قاله ابن عباس وغيره من السلف.

ولكن هناك معية خاصة لأهل الإيمان وأهل الإحسان قال: (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) ومن عجيب فتوى بعض أهل العلم في هذا لما جاءه أحد العصاة وقال له : " أريد أن أعصي الله ، قال: " نعم لا مانع من ذلك ، ولكن اعصه حيث لا يراك " يعني : اذهب إلى مكان،–أي مكان تختاره – اذهب إلى هذا المكان واعص الله–عز وجل–بشرط : أن لا يراك الله–عز وجل–فقال: و أين لا يراني وهو يراني في كل مكان يراني–سبحانه وتعالى–من فوق سبع سماوات، فقال: "يا عدو نفسه أتعلم أن الله يراك وينظر إليك وتعصيه؟ ! "

ولذلك يذكر العلماء للتائبين ابتلي بالذنوب أن يستحضر أن الله يراه ومطلع عليه ويعلم حاله–سبحانه وتعالى–.

---

[2]) سورة النحل (١٢٨)

[3]) سورة الحديد (4)

ثم قال جبريل–عليه السلام–للنبي–صلى الله عليه وسلم–: (فأخبرني عن الساعة؟، فقال النبي–صلى الله عليه وسلم –: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل)

جبريل سأل النبي–صلى الله عليه وسلم–عن وقت القيامة متى هو؟ في أي زمان يكون؟ فأخبره النبي–صلى الله عليه وسلم–أن علمي وعلمك سواء ؛ أي أننا لا نعلم متى الساعة. كما قال الله –عز وجل–: ﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ (4) ، وكما قال –عز وجل–:﴿يسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (5)

فبين النبي–صلى الله عليه وسلم–أنه هو وهو رسول الله–صلى الله عليه وسلم–وأنت أيها السائل وهو يعني جبريل–عليه الصلاة والسلام–لا يعلمان متى تكون الساعة – – لمـــــــاذا ؟

- لأن الله استأثر بعلم الساعة، لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى.

مما أراد الله عز وجل ؛ أن يكون وقت الساعة في زمن محدود لا يعلمه الناس.

لذلك–بارك الله فيكم–في هذا دليل على مسألة مهمة وخطيرة قد يضطرب فيها بعض الناس وقد يشك فيها بعض الناس وهو: أننا قد نسمع من بعض الجهال ومن بعض المتعالمين ومن بعض من يتكلم في دين الله بجهل أن هذا الزمان وأن الدنيا ستنتهي في العام الفلاني ؛ عام كذا وكذا ولا شك أن هذا خطأ ، يجب علينا جميعا

---

[4]) سورة الأحزاب (63)
[5]) سورة الأعراف (187)

أن نعلم أن هذا كذب من القول وباطل من القول .

- لمـــــــــاذا ؟

- لأن الله–عز وجل–أخبرنا: أنه هو–سبحانه وتعالى– الذي يعلم متى تكون الساعة، والنبي–صلى الله عليه وسلم– أخبرنا كما في هذا الحديث–أنه لا يعلم متى الساعة، وجبريل –عليه السلام–لما أخبره النبي–صلى الله عليه وسلم–وقال له: (ما المسؤول عنها بأعلم من السائل)لم يقل: لا ، أنا أعلمها! وإنما أقره بمعنى: أني أنا وأنت لا نعلم متى الساعة.

- **فكيف يأتينا قائل ويزعم أن الزمان سينتهي في العام الفلاني ؟!**

فلاشك أيها الإخوة والأخوات–بارك الله فيكم–علينا أن نتنبه لمثل هذه الأقوال الباطلة التي نبه العلماء على بطلانها فهذا حديث مشهور ومعلوم عند كثير من المسلمين (أخبرني عن الساعة، ما المسؤول عنها بأعلم من السائل).

لذلك من أتى وقال: 'القيامة ستكون والدنيا ستنتهي في الزمان الفلاني'، نقول له: 'لا يعلم وقت انتهاء الدنيا وقيام الساعة إلا الله –عز وجل–'.

ثم قال :(فأخبرني عن أماراتها): قال جبريل للنبي–صلى الله عليه وسلم–أخبرني عن علامات الساعة.

وعلامات الساعة قد أخبر الله–عز وجل–أن للساعة علامات كما قال–عز وجل–:

(فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ

ذِكْرَاهُمْ ﴿١٨﴾ [6]) ، ومعنى أشراطها أي أماراتها وعلاماتها وأشراط الساعة ؛ هناك أشراط الساعة الكبرى وأشراط الساعة الصغرى.

وأشراط الساعة الكبرى هي التي تقع قبل قيام الساعة من نزول عيسى–عليه السلام–وخروج الدابة، وظهور الدجال، وغير ذلك من العلامات، كطلوع الشمس من مغربها.

لكن هنا في هذا الحديث ذكر النبي–صلى الله عليه وسلم–علامتين:

قال لما سأله عن أماراتها قال: (أن تلد الأمة ربتها) يعني إشارة إلى أنه في آخر الزمان يكثر الجواري والإماء ؛ فالرجل إذا وطيء وجامع أمته فحملت وأنجبت ولدا ذكرا أو بنتا فإن هذا الولد الذكر أو الأنثى البنت ؛ فإنه يكون حرا لأنه يتبع أباه في الحرية .

ولكن هذه المرأة التي هي الأمة ؛ أم هذا الابن أو أم هذه البنت لا تزال أمة مملوكة لهذا الرجل وتسمى عند العلماء بأم الولد ، إذا مات تصبح حرة إذا مات سيدها تصبح حرة، فيكون من علامات الساعة كثرة الجواري والإماء ؛ هذا معنى.

وهناك معنى آخر ذكره بعض العلماء وهو إشارة إلى أن في آخر الزمان من العقوق الذي يحصل من الأبناء والبنات لأمهاتهم. أنهم يعاملون أمهاتهم الأحرار معاملة الإماء فالأم تخدم وتعمل والبنت أو الابن يصرخ عليها ولا يحترمها ولا يقدرها ولا يحزن عليها ولا يهتم بحالها ولا يشفق عليها وكأنها غريبة عنه وكأنها لم تحمل به وكأنها لم ترضعه كأنها لم تلده وكأنها وكأنها... ؛ فهذا إشارة إلى العقوق وإشارة إلى

---

[6]) سورة محمد (18)

قسوة قلب الأبناء والبنات على الأمهات. (أن تلد الأمة ربتها) فهذا معنى وذاك معنى.

وإن كان أكثر العلماء على المعنى الأول فهو إشارة إلى كثرة الجواري والإماء في آخر الزمان.

ثم قال: (وأن ترى الحفاة) يعني الذين يمشون على أقدامهم بلا أحذية وبلا شيء يلبسونه على أقدامهم.

(العراة): الذين يسترون عورتهم ويكون كثير من جسمهم مكشوفا.

(العالة): يعني الفقراء.

(رعاء الشاة): أي الذين يقومون على رعاية الغنم والبقر والإبل.

(يتطاولون في البنيان): قال العلماء يعني: تتغير أحوالهم وتتبدل فيصبحوا أغنياء ويمتلكون البيوت والبنيان وينتقلون من البادية والبدو إلى المدن فهذا من علامات الساعة.

قال العلماء: قد وقعت هاتان العلامتان.

وقال بعضهم: الأولى قد تكون في آخر الزمان والثانية قد وقعت فإننا نرى أن الفقراء وأهل البادية قد استوطنوا المدن وأصبحوا يمتلكون البيوت العالية.

ثم قال: (ثم انطلق).

قبل أن ندخل في هذا (ثم انطلق) أقول:

- ما فائدة معرفة علامات الساعة ؟

– فائدة معرفة علامات الساعة :

1– أن العبد يجتهد في طاعة الله وأن يحذر أن تأتي عليه منيته وهو في غير مرضات الله.

2–وأيضا هذه العلامات هي دلائل على صدق نبوة النبي–صلى الله عليه وسلم–فإن النبي–صلى الله عليه وسلم–أخبرنا عن أمور غيبية مستقبلية ، لم تقع في زمنه–عليه الصلاة والسلام–. بعض العلامات وقعت في زمنه ؛ ولكن هناك علامات لم تقع إلا بعد موته–عليه الصلاة والسلام– وبعضها ما وقعت إلى الآن وستقع بإذن الله لأنه كما وصفه الله عز وجل: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾[7]

فليس المراد بعلامات الساعة فقط تعدادها وذكرها دون أن يكون الإنسان خائفا خاشعا لله–عز وجل– ولقد كان النبي –صلى الله عليه وسلم– يحذر الصحابة من الدجال وكأنه بين ظهرانيهم ؛ يعني كأنه في مكان قريب سيخرج عليهم. كان –صلى الله عليه وسلم– إذا رأى السحب خاف ورُئي الخوف على وجهه –عليه الصلاة والسلام– يخاف أن يحصل أو ينزل معها عذاب وهو رسول الله –صلى الله عليه وسلم– مما يدل على أن المؤمن عليه أن يراقب الله وأن يخافه ويخشاه وأن يعلم أنه في هذه الدنيا ؛ دار فناء وأنه مهما عاش فيها فإنه سيفارقها. كما جاء في الحديث الذي صححه الألباني رحمه الله تعالى– في السلسلة الصحيحة : (أن جبريل–عليه السلام–أتى للنبي–صلى الله عليه وسلم–وقال: "يا محمد عش ما شئت فإنك ميت

[7] سورة النجم (3 - 4)

وأحبب من شئت فإنك مفارقه واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل وعزه استغناءه عن الناس") أو كما قال–عليه الصلاة والسلام–.

قال عمر–رضي الله عنه–:(ثم انطلق) ؛ أي هذا الرجل السائل ذهب.

قال: (فلبثت مليا) يعني وقتا ؛ جاء في بعض الروايات ثلاثة أيام وذكر أهل العلم أن عمر–رضي الله عنه– ذهب للبحث عنه ،ثم لما رجع انفض المجلس ثم لقي النبي –صلى الله عليه وسلم– بعد ثلاثة أيام.

قال: (ثم انطلق فلبثت مليا) يعني وقتا.

ثم قال الرسول –صلى الله عليه وسلم– حين لقي عمر أو لقاه عمر: (يا عمر أتدري من السائل؟) هذا الذي جاء سأل عن الإسلام والإيمان والإحسان وعن الساعة وعلاماتها ، هل تدري من السائل هذا ؟ قال: (قلت: الله ورسوله أعلم) يعني أنا ما أعلم ، هذا الرجل لا نعرفه ولا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه أحد منا ؛ فأنا ما أعرف لا أعلم هذا الأمر.

فقال–صلى الله عليه وسلم–: (فإنه جبريل) هذا السائل جبريل تصور في صورة رجل.

(أتاكم يعلكم دينكم) يعني جبريل–عليه السلام–أتى ليعلم الصحابة ويعلمنا من بعدهم–رضي الله عنهم أجمعين–أمور الدين.

وفي هذا الكلام فوائد منها :

1–أن هذا هو الدين ؛ الإسلام والإيمان والإحسان وما يتعلق بالساعة وأشراطها.

2–ومنها أيضا أن أسلوب السؤال والجواب أسلوب نافع لتعليم الناس.

3–ومنها أيضا قول عمر –رضي الله عنه– :"الله ورسوله أعلم" في حياته –عليه الصلاة والسلام–أما بعد موته فإنا نقول: الله أعلم ؛ ولا نقول بعد موته: الله ورسوله أعلم.

وأيضا من فوائد هذا الحديث: ما فيه من بيان مراتب الدين وأنها ثلاثة ؛ مراتب الدين ثلاثة الإسلام وأهلها كثيرون ولذلك قال الله–عز وجل:﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾[8] يعني أنتم الآن في مرتبة الإسلام لم تصلو إلى مرتبة الايمان. فإذا عملوا الصالحات وازدادوا من الخير والسنة انتقلوا إلى مرتبة الإيمان وأهلها أقل من مرتبة الإسلام.

فإن كانوا مع العمل الصالح والتقرب إلى الله كانوا كمن يعبد الله كأنه يراه انتقلوا إلى مرتبة الاحسان ، وأهل الايمان أقل من أهل الإسلام وهم أكثر من أهل الإحسان.

وأهل الإحسان هم أقل من أهل الإيمان.

وهنا أختم كلامي مما يتعلق بهذا الحديث ببيان فائدة مهمة وهي: أن بعض الناس قد يستدل بحديث جبريل هذا وحديث الأقرع والأبرص لما جاءهم ملك متمثلا في صورة رجل ، بعض الجماعات المخالفة والفرق الضالة تستدل بهذه الأحاديث على جواز التمثيل.

والرد على هذا الاستدلال من وجوه :

---

[8]) سورة الحجرات (14)

-الوجه الأول : أن ما يتعلق بعالم الملائكة عالم غيبي فلا يقاس على عالم الإنس المشاهد.

-الوجه الثاني : أن هذا الحديث وغيره من الأحاديث لم يقل أحد من العلماء ولا السلف ولا الأئمة أن فيه جواز التمثيل.

-الوجه الثالث : أن التمثيل لم يعرف إلا من النصارى ومن البوذية ومن أهل البدع لا يعرف في الإسلام.

- الوجه الرابع : أن التمثيل كذب فكيف يقاس هذا على هذا.

-الوجه الخامس : أن الملائكة هؤلاء قد أرسلهم الله-عز وجل-للناس والناس لا يستطيعون أو لا تتحمل قلوبهم وعقولهم رؤية الملك على صورته الحقيقية ؛ فمن رحمة الله أن أرسل ملكا متمثلا في صورة رجل.

وقد رد العلامة حمود التويجري-رحمه الله تعالى-على هذه الفرية في كتابه في "أحكام التمثيل " جزاه الله خيرا ورحمه الله تعالى.

هذا وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين

الأربعون النووية

شرح فضيلة الشيخ

أحمد بن عمر بازمول

حفظه الله

الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى

-١٤٣٧\١٤٣٦ هـ-

ضمن دروس معهد الميراث النبوي

-تفريغ فريق صيانه السلفي-

http://meerath.nabawee.net
https://www.facebook.com/meerath.nabawee/?ref=

الدرس السادس من الأربعين النووية

بِسْمِ اِللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمْ

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

أَلَا وإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ الله وَخَيْرِ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدْ ، وَشَرِّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُها وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَة وَكُلَّ بِدْعَة ضَلَالَة وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ

أَمَّا بَعْدُ:

فقد انتهى بنا الكلام في اللّقاء السّابق في شرح " الأربعين النّوويّة " ، ما يتعلّق بحديث جبريل الطّويل ، واليوم بإذن الله تعالى نكمل بعض الفوائد المتعلّقة بهذا الحديث.

فأقول مستعينًا بالله تعالى :

هذا الحديث فيه فائدة ذكرها العلماء وهي أنّ النبي –صلّى الله عليه وسلّم– بيّن أنّ الإسلام هو الشّهادتان ، والصّلاة ، والصّيام ، والزّكاة ، والحجّ ، وهذه هي الأعمال الظّاهرة.

وأنّ الإيمان هو أن يؤمن العبد بالله ، وملائكته ، ورسله ، وكتبه ، واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشرّه وهذه –أي الأركان– هي الأعمال الباطنة ولذلك قال العلماء :

" الإسلام والإيمان كلمتان إذا جاءتا في دليل واحد فُسّر الإسلام بمعنى الأعمال الظّاهرة ، وفُسّر الإيمان بمعنى الأعمال الباطنة ، مثل هذا الحديث "حديث جبريل" ، فقد اجتمع في الحديث كلمة الإسلام وكلمة الإيمان "

ثمّ قال العلماء : " إذا جاءت في الدّليل كلمة الإيمان بمفردها ، أو كلمة الإسلام بمفردها شملت أعمال الإسلام الظّاهرة والباطنة "

مثال : مثلا قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [1] ، فإنّه يشمل الإسلام الأعمال الظّاهرة من الشّهادتين ، والصّلاة ، والصّيام ، والزّكاة ، والحجّ ، ومن الأعمال الباطنة

كالأركان السّتة : الإيمان بالله ، وملائكته ، ورسله ، وكتبه، واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشرّه

وأيضا مثلا قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ فهذا خطاب لكلّ مسلم ومؤمن.

فإذًا قال العلماء قاعدة : " إنّ الإسلام والإيمان إذا اجتمعا في دليلٍ واحدٍ فُسّر الإسلام بالأعمال الظّاهرة وفُسّر الإيمان بالأعمال الباطنة ، وإذا جاءت كلمة الإسلام بمفردها في الدّليل ، أو كلمة الإيمان بمفردها في الدّليل فإنّها تشمل المعنى الظاهر والمعنى الباطن. "

مثال آخر اجتمعت فيه كلمة الإسلام والإيمان قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [2] ، فهنا المؤمنون والمسلمون.

مثال آخر ما مرّ معنا من قوله تعالى : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ [3] ، ففرّق بين الإسلام والإيمان إذا اجتمعا في الدّليل.

أيضا من فوائد هذا الحديث ما ذكره أهل العلم عند قوله– صلى الله عليه وسلّم– :

---

[1]) سورة آل عمران(19)
[2]) سورة الأحزاب(35)
[3]) سورة الحجرات(14)

(وأن تؤمن بالقدر خيره وشرّه) ، فإنّ أهل العلم بيّنوا أنّ القدر ليس فيه شرّ وإنّما الشّرّ في المقدور ، ففعل الله –عزّ وجلّ– كلّه خير كما قال –صلى الله عليه وسلم– (والشّرّ ليس إليك) كما أخرجه مسلم ؛ أي لا ينسبُ إليك الشّرّ.

فقضاء الله –عزّ وجلّ– ليس فيه شرّ أبدًا ، لأنّه صادر عن رحمة والحكمة ؛ لأنّ الشّرّ المحض لا يقع إلّا من الشرّير والله –تعالى– خير وأبقى ، كما قال الإمام العثيمين –رحمه الله تعالى– قال: " ثمّ كيف نوجه قوله –صلّى الله عليه وسلّم– : (وتؤمن بالقدر خيره وشرّه) ، فأجاب بجواب خلاصته أنّ : قدر الله –عزّ وجلّ– الذي ظاهره أنّ فيه شرّ، ليس فيه شرًّا محضًا ، إنّما هو شرّ من وجه وفيه خير من وجه آخر ، فقال –رحمه الله تعالى– : (هذه يعني المصائب ؛ أي من جدب الأرض ، ومرض ، أو فقر ؛ لكن مآلها إلى خير ، فصار الشّرّ لا يضاف إلى الرّبّ ؛ لكن يضاف إلى المفعولات والمخلوقات مع أنّها شرّ من وجه وخير من وجه آخر ، فتكون شرًّا بالنّظر إلى ما يحصل منها من الأذيّة ؛ ولكنّها خير بما يحصل منها من العاقبة الحميدة كما قال تعالى : ﴿ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[4])

– قال : فإن قال قائل لماذا قدّر الله الشّرّ ؟

– قال فالجواب :

– أوّلا : ليعرف به الخير

– وثانيًا : من أجل أن يلجأ النّاس إلى الله –عزّ وجلّ–

– وثالثًا : من أجل أن يتوبوا إلى الله

فكم من إنسانٍ لا يحمله على الوِرد ليلا أو نهارًا إلّا مخافة شرور الخلق فتجده يحافظ على الأوراد ؛ أي الأذكار لتحفظه من الشّرور ، فهذه الشّرور في المخلوقات

[4] (سورة الرّوم (41)

لتحمل الإنسان على الأذكار والأوراد وما أشبهها فهي خير ، قال : ولنضرب مثلا في رجل له ابن مشفقٍ عليه تمامًا وأصيب الابن بمرضٍ وكان من المقرّر أن يكوى هذا الابن بالنّار، ولا شكّ أنّ النّار مؤلمة للابن ؛ لكن الأب يكويه لما يرجو من المصلحة بهذا الكيّ مع أنّ الكيّ في نفسه شرّ ؛ لكن نتيجته خير " إلى آخر كلام الإمام العثيمين –رحمه الله تعالى–.

أيضا من فوائد هذا الحديث عند أهل العلم ، بيان اختلاف أحوال النّاس ، فمنهم المسلم ، ومنهم المؤمن ، ومنهم المحسن ، وكلّ يعمل من الأعمال ما تُنزّله لدرجته ، فإذًا كما قال الحسن البصري : " ليس الإيمان بالتّمنّي ولا بالتّحلّي ؛ ولكن ما وقر في القلب وصدّقه العمل ، فمن قال خيرًا وعمل خيرًا قُبل منه ، ومن قال خيرًا ولم يعمل خيرًا لم يُقبل منه " .

فبعض النّاس لا يعمل الأعمال الصّالحة ويكثر منها ويريد أن يشعر بلذّة الإيمان وأن يبلغ درجة الإيمان أو الإحسان وهو لم يعمل من الصّالحات ، ولم يترك من المحرّمات التّي توصله وتبلغه –بإذن الله تعالى– إلى هذه المرتبة ، فهذه المراتب ، الإسلام والإيمان لابدّ فيها –بارك الله فيكم– من العمل والإتيان بما تتطلّبه من الأعمال ، فمن قال : " أنا مؤمن" وهو لا يعمل صالحًا ويقع في المحرّمات فهذا بلا شكّ لم يأتِ بدرجة الإيمان

– لأنّ الإيمان عند أهل السّنّة والجماعة من السّلف الصالح تعريفه أنّه : اعتقاد بالقلب ، وقول باللّسان ، وعمل بالجوارح والأركان

–الإيمان لابدّ فيه من اجتماع هذه الأمور الثّلاثة :

–اعتقاد القلب

–ونطق اللّسان بالشّهادتين

–وأن تعمل الجوارِح بما أمرها الله وكُلفت به من العبادة ، وتترك ما نهاها عنه.

والعمل من الإيمان ، العمل من الإيمان كما قال السلف الصالح : " لا إيمان إلا بنيّة –يعني اعتقاد – وقولٍ –يعني قول اللسان –، وعمل ، والعمل من الإيمان "

وهنا أنبِّه إلى ما نبّه عليه الشيخ العلامة ربيع المدخلي –حفظه الله تعالى– من أنّنا نقف كما وقف السلف ، أو نقول كما وقف السلف أو نقول كما قال السلف ونقف حيث وقفوا ، فهم قالوا : "الإيمان اِعتقادٌ وقولٌ وعمل ، والعمل من الإيمان " ؛

لكن بعض النّاس يخوض فيقول مثلا : " العمل شرط كمال أو شرط صحة "

فإنّ الشيخ ربيع وغيره من أهل العلم نبّهوا إلى أنّنا لا نخوض في هذا الأمر وأنّنا نقول كما قال السلف : " اعتقادٌ و قولٌ وعمل ، والعمل من الإيمان " ، وهذا خلاف ما يثيره الحدادية ويثيره بعض النّاس حين يسأل :

– هل العمل شرط كمال أم شرط صحة ؟

فاحذروا –بارك الله فيكم– هذه الأسئلة ، فإنّ السلف بينوا ما هو الإيمان ، ولم يقولوا هل العمل شرط صحة أم شرط كمال ؟

ونحن نقف حيث وقف السلف ؛ فالإيمان أيضا عند السلف يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .

لذا ينصح العلماء من أراد أن يبلغ درجة الإيمان أن يكثر العبد من العمل الصالح من الطاعة .

وإذا قلنا أن يكثر من العمل الصالح ؛ فالمراد أن يكثر وأن يعمل العمل الموافق لسنّة النّبي –صلى الله عليه وسلم– مع الإخلاص لله –عز وجل– لأنّ بعض النّاس نجده يكثر من العبادة وإذا جئت نظرت تجد أنّ هذه العبادات التي يعمل بها ليست على السنّة .

فهنا نقول : " هذه العبادات لا تنفعك " ، كما سيأتينا إن شاء الله في حديث عائشة –رضي الله عنها– : (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)

مثلا النصف من شعبان ، ليلة النصف من الشعبان ، ليلة النصف من شهر شعبان ، فبعض النّاس يأتي بعبادة في هذه الليلة بأن يحييها بالصلاة ؛ فيصلي عشرات الركعات إنْ لم تبلغ مئات الركعات ، "طيب " نأتي وننظر

– هل ثبت عن النّبي –صلى الله عليه وسلم– أنّه صلّى وأحيا ليلة النصف من شعبان ؟

الجواب : لا

والأحاديث التي يتناقلها بعض النّاس أنّ النّبي –صلى الله عليه وسلم– قال "من صلّى ليلة النصف من شعبان كذا وكذا من الركعات وقرأ قل هو الله أحد مائة مرة وكذا وكذا " فهذا حديث مكذوبٌ على النّبي –صلى الله عليه وسلم –

وكذا قال العلماء : لم يثبت في ليلة النصف من شعبان فضلٌ إلّا حديثا واحدًا صحّحه بعض العلماء كالألباني –رحمه الله تعالى– وهو: (أن الله يطّلع ليلة النصف من شعبان على العباد فيغفر لكل أحدٍ إلّا لمشركٍ أو مشاحن)

فهنا هذا الحديث هو الصحيح ولم يأتِ فيه أن صلّوا في ليلة النصف من شعبان ، أو اعملوا بعض الأفعال ، أو قولوا بعض الأذكار والأدعية في ليلة النصف من شعبان النّبي –صلى الله عليه وسلم – أخبرنا أنّ الله يغفر ليلة النصف من شعبان ، وهذا من فضله ورحمته وكرمه –سبحانه وتعالى –

فالإنسان يبتعد عن الشرك ووسائله ، ويصلح ما بينه وبين النّاس ممن بينه وبينه خصومات دنيوية إلّا بالحق الشرعي ؛ كأن يكون الإنسان مثلا مبتدع ، أو يكون الإنسان منحرف عنده فجور وفسق ، فالواحد يبتعد عن مثل هؤلاء ويهجرهم في الله ، ومثل هؤلاء لا يصالحَون إلّا إذا تابوا وعادوا إلى الله– عز وجل – ، أهل البدع والضّلالات وأهل الفجور والفسوق هؤلاء لا يخالطون ، إنّما يناصحهم ؛ يناصح أهل الفجور المسلم قدر إمكانه ، فإن كان مصِرًّا على فجوره وفسقه له أن يبتعد عنه .

وأما حديث ، وأما الحديث الذي ورد أنّه " لا يحق للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثِ ليالٍ " فهذا محمول على حظوظ النفس والخصومات الدنيوية ، وأمّا إن كان لحفظ الدّين وإن كان لله –عز وجل – فإنّ هذا لا يدخل في مثل هذه الأحاديث ،كما ذكر ذلك البغوي وغيره من أهل العلم.

فإذًا –بارك الله فيكم –لم يثبت عن النّبي –صلى الله عليه وسلم– أنّه قام ليلة النصف من شعبان "طيب" هل الصحابة لما سمعوا النّبي –صلى الله عليه وسلم – يذكر أنّه : (يُغفر ليلة النصف من شعبان لكل مسلمٍ إلا مشركٍ أو مشاحن)

– هل قام الصحابة وصلّوا ليلة النصف من شعبان ؟

–الجواب : لا

لم يثبت عنهم –رضوان الله عليهم جميعا – أنّهم أحيوا ليلة النصف من شعبان

فإذًا –بارك الله فيكم – **أنا أنبه على هذا** ، لأنّ بعض النّاس يظنّ أنّ كل عملٍ يتقرب به إلى الله فهو خير ويُقبل منه ، وهذا خطأ

والجواب : أن الله لا يقبل من العمل إلا ما توفر فيه شرطان :

–**الأول** : الإخلاص لله

–**والثاني** : المتابعة والموافقة والتطبيق لسنّة الرسول –صلى الله عليه وسلم –

فأيّ عملٍ لم يأتِ به النّبي –صلى الله عليه وسلم – ولم يكن عليه أصحابه الكرام فإنّه كما بيّن السلف الصالح ؛ فهو مردودٌ غير مقبولٍ ، وسيأتينا إن شاء الله

الحديث الخامس عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا– ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– : (مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدّ) . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:2697] ، وَمُسْلِمٌ [رقم:1718] .

وَفِي رِوَايَةٍ:(مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَد) . وسيأتي هذا الحديث –بإذن الله تعالى–

ثم ذكر النووي –رحمه الله تعالى – : الحديث الثالث ؛ قال : عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– قَالَ : سَمِعْت النّبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَقُولُ : (بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ) . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:8] ، وَمُسْلِمٌ [رقم:16] .

فهذا دليل على أنّ الإسلام له خمسة أركان ، فبُني الإسلام على خمس ؛ دلّ على أنّ أركان الإسلام خمسة ، وهي المذكورة في هذا الحديث : الشهادتان ، وإقام الصلاة ، وصوم رمضان ، وإيتاء الزكاة ، وحجّ البيت ، فهذه هي أركان الإسلام الخمسة .

وهذا من رحمة الله –عز وجل – أن نوّع في العبادات وجعل عليها من الأجر والثواب الكبير

وهذا الحديث ما يتعلق به قد مرّ معنا في شرح حديث "جبريل الطويل " لما سأله عن الإسلام

فقال له : (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا).

وفي هذا القدر كفاية ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

الأربعون النووية

شرح فضيلة الشيخ

أحمد بن عمر بازمول

حفظه الله

الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى

- ١٤٣٧\ ١٤٣٦ هـ-

ضمن دروس معهد الميراث النبوي

-تفريغ فريق صيانه السلفي-

http://meerath.nabawee.net
https://www.facebook.com/meerath.nabawee/?ref=

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمْ

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

أَلَا وإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامُ كَلَامُ اللهِ وَخَيْرِ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدْ ، وَشَرِّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُها وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَة وَكُلَّ بِدْعَة ضَلَالَة وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ

أَمَّا بَعْدُ:

فقد توقفنا في الأربعين النووية عند الحديث الرابع ؛ وهو ما رواه عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال حدثنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم – وهو الصادق المصدوق : "إِنَّ أَحدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً ، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ ، وَعَمَلِهِ ، وَشَقِيٍّ أَو سَعِيدٍ ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا. وَإِنَّ أَحدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا ."

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:3208]، وَمُسْلِمٌ [رقم:2643].

هذا الحديث الرابع من الأحاديث العظيمة التي يخبر فيها النبي – صلى الله عليه وسلم – عن أمر غيبي ، عن أمر غيبي ، لذى قال ابن مسعود – رضي الله عنه – حدثنا رسول الله وهو الصادق ؛ يعني أنّه – صلى الله عليه وسلم – معروف بالصدق فيما أخبر به ، والمصدوق ؛ أي الذي يُصدَّق – عليه الصلاة والسلام – فيما أَخبَر وفيما أُخبِر به – عليه الصلاة والسلام–

– لماذا قال ابن مسعود وهو الصادق المصدوق ؟

يعني أن كلامه – صلى الله عليه وسلم– صِدق وحق لا شك فيه ، صِدق وحق لا شك فيه

– لمـــــــاذا ؟

لأنّه – صلى الله عليه وسلم – لا ينطق عن الهوى ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [1] ؛ فهو – عليه الصلاة والسلام – كما وصفه الله لا ينطق عن الهوى ، إنما يُخبر عن الله – عز وجل– عن طريق الوحي ، وهذه الكلمة من ابن مسعود لابد لكل مسلم ومسلمة أن يضعها نَصب عينيه ، أمام عينيه , خاصة في هذه الأيام ، وهذه السنوات الأخيرة التي ظهر فيها ما يعرف بالتقدم التكنولوجي , وما يعرف بالتقدم الطبي , والتقدم في أمور الفلك , والأمور هذه التي يقولون فيها العلمية الطبيعية ؛ لأن بعض النّاس قد يقف على بعض الاكتشافات فيظن أنّ هذه الاكتشافات تتصادم مع قول النبي – صلى الله

[1]) سورة النجم (4)

عليه وسلم– أو تتصادم وتتعارض مع القرآن ، ولا شك أن المسلم يقدم ما جاء في الكتاب والسنة على كل شيء ويؤمن بهما

– لمـــــاذا ؟

لأن القرآن حق , والسنة حق ، القرآن كلام الله ، أوحاه إلى نبينا – صلى الله عليه وسلم – عن طريق جبريل – عليه السلام – والسنة أيضا حق نزل بها جبريل على النبي – صلى الله عليه وسلم – ، كما مر معنا من قول حسان ابن عطية : " كنا نرى أن جبريل ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن "

فإذا لا ينبغي لنا أن نشك ، أو أن نرتاب ، أو أن نقارن ، أو أن نوازن ، أو أن نقول ننظر

– هل السنة تثبت بالتجربة أم لا ؟

لا هذا خطأ ؛ خطأ كبير ، ولذلك من الأخطاء التي وقع فيها للأسف حتى بعض الناس الذين لهم – يعني – تعلق بالعلم الشرعي ، أنهم يقدمون أقوال الأطباء على أقول النبي – صلى الله عليه وسلم– ، فهذا بلا شك لا يفعله العوام ، فإن العوام يؤمنون بما جاء في الكتاب والسنة ، ويوقنون بذلك ، فكيف بمن ينتسب للعلم الشرعي أن يقدّم كلام الأطباء على كلام النبي – صلى الله عليه وسلم – ، لذلك هذه قاعدة عظيمة في كل أبواب الدين وفي كل الأمور ، أخبرنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم– ، حدثنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو الصادق المصدوق .

- لمـــــــاذا ؟

لأن ما جاء به النبي –صلى الله عليه وسلم– وحي من الله ، يقين ، وأما دراسات الناس ، وأبحاثهم ، وما يفعلونه بالتجربة فهذه كلها مبنية

- على مـــــــاذا ؟

على الظن ، على الظن ، ليست باليقين ، وأنا أضرب لكم مثالا سريعا على هذا ؛ لخطورة هذه المسألة ولضرورة فهمها ، أضرب لكم مثالا على هذا ؛ وبيان أن العلم الحديث يُخطئ ومبني على الظن في بعض أبحاثه وفي بعض اختراعاته واكتشافاته .

صح عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال : (إذا سقط الذباب في إناء أحدكم فليغمسه فإن في أحد جناحيه داء – مرض – وفي الآخر دواء) علاج لهذا المرض وهذه الجراثيم والبكتيريا – صح عن النبي – صلى الله عليه وسلم – والعلماء آمنوا بهذا الحديث وقالو هذا حق فإذا سقط الذباب نغمسه ثم نخرجه ونلقيه خارج الإناء ، ونشرب الإناء ولا ضرر فيه بإذن – الله تعالى– ، لكن العلم الحديث قبل عشرات السنين ، ربما قبل ثلاثين سنة تقريبا أو أكثر أو أقل كما ذكر بعض الباحثين ، اكتشف أن الذباب – في العلم الحديث – أن الذباب في الجناحين يوجد فيهما جراثيم ولا يوجد في أحد الجناحين دواء – طيب – هذا يعارض قول النبي – صلى الله عليه وسلم – ، وقول النبي أخبر به عن الله – عز وجل – فبعض العلماء أو بعض الباحثين ممن له تعلق بالعلم الشرعي قال لا هذا الحديث لا يصح ، والطب

الحديث ، هذا الحديث عن النبي – صلى الله عليه وسلم – لا يصح ، والطب الحديث دلنا على أن كلا جناحي الذباب فيه مرض ، فإذا لا نغمسه ولا نشربه ، فهنا ردوا حديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – ، هؤلاء ردوا حديث الرسول– صلى الله عليه وسلم– ، وقدموا أقوال الطب الحديث ، ثم بعد سنوات توصل الباحثون في مجال الطب إلى المعلومة التالية :" قالوا الذباب إذا وقع في الإناء فإنه يقع على الجناح الذي فيه الداء "؛ المرض ما يقع على الجناح الذي فيه الدواء ، فإذا وقع الذّباب في الإناء الذي فيه هذا الماء ، أو الشّراب فإنّه يسقط على الجناح الذي فيه المرض ، فيخرج من هذا الجناح جراثيم وبكتيريا لا تُرى بالعين إلاّ تحت المِجهر المكبّر جدّا جدّا لهذه الأمور، ثم قالوا : " فإذا غمس الذباب في داخل الماء انفجر من الجناح الثاني مادة تقتل هذه الجراثيم والبكتريا ".

نحن لسنا بحاجة إلى أن نُخضع وأن نضَع حديث الرسول – صلى الله عليه وسلم– لتجربة الأطباء ، يصحّ أو لا يصحّ ، لأنّنا نحن نؤمن يقينا أن قوله – صلى الله عليه وسلم – كلّه حقّ ، فانظروا – بارك الله فيكم – ،كيف أن الطّب الحديث مرة أنكر ، ومرة أثبت – كما في الحديث– فإذا كان هذا في الطب الحديث المتقدم وهو قابل للخطأ وللصواب ، وقول النبي – صلّى الله عليه وسلّم – كلّه صواب

– فكيف نُخضع الصواب لأمر مُحتمل للخطأ والصواب ؟

فلا شكّ أنّنا لا نلتفت لهؤلاء ، ولذلك هنا ننبه على أمر أيضا ، وهو مهمّ ؛ أنّ بعض النّاس لا يؤمن بالأحاديث حتى يشوف الطب الحديث والعلم الحديث

- ماذا يقول عنه ؟

ولا يستسلم قلبه للحديث حتّى يرى ماذا قال الطبّ ، هذا خطأ ، خطأ كبير فالمؤمن والمؤمنة قولهما إذا دعوا إلى الله ورسوله أن يقولوا : "سمعنا وأطعنا و آمنا"

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ [2]

هذا شأن المؤمن الإيمان ، وهذا شأن المسلم الاستسلام للدليل الشرعي ، لذلك - بارك الله فيكم - كلّ الأحاديث الصحّيحة الثّابتة عن النّبي - صلى الله عليه وسلم- موقفنا منها ؛ الإيمان ، والتسليم ، وعدم المعارضة ، وعدم الجدال ،كما مرّ معنا في أصول السنّة للإمام أحمد- رحمه الله تعالى- لذا هنا قال ابن مسعود : " وهو الصّادق المصدوق" ، ثمّ قال : أي قال النبي- -صلى الله عليه وسلم- : (إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً) ، يعني ؛ إذا جامع الزّوج زوجته وقذف في رحمها المني ، فإنّ الله - عزّ وجلّ - إذا قضى بينهما الولد ، فإنّ الله -عز وجل- ، يُقدّر أن يجُمع من

[2] سورة البقرة (285)

ماء الرّجل ، ومن ماء المرأة ، ومما شاءه الله ، يجْمع خَلق الإنسان يُجمع فيه مبدأ خَلق الإنسان ، وخَلق الإنسان ، يمر بهذه المراحل ، ففي خلال الأربعين يوما الشّهر و عشر أيام تقريباً أربعين يوما يُجمع ، يكون نُطفة ، يكون نطفة ، و النّطفة قالوا :" هي القَطرة من المنّي " والرّجل يخرج منه المني ، و المرأة يخرج منها المني ، كما جاء عن النّبي – صلى الله عليه وسلم– أنه (إذا عَلَى ماءَ الرّجل ماءَ المرأة أَشبهَ الوَلدُ أباهُ , و إذا عَلَى ماءَ المرأة ماءَ الرّجل أَشبهَ الولد أُمه)

فالمرأة يخرج منها ما يخرج من الرجل ، فهذا المرحلة الأولى ؛ أن يكون نُطفة قال –صلى الله عليه وسلم– : (ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ) ، أي ؛ يكون – المرحلة الثّانية– ؛ أن يكون علقة قالوا : " العَلَقة قطعة , قطعة الّدم الغليظة "

قالوا: " والعلقة في لغة العرب دودة معروفة تُرى في المياه الراكدة " فالجنين ، فالإنسان في بطن أمّه بعد أن يكون نُطفة ، يكون عَلَقة

– لماذا قيل له علقة ؟

قالوا :" لأنّه يكون معلّقا " ، هكذا ذكر بعض الباحثين ، يكون عَلَقة ؛ أي معلّقا في الرّحم ، وهذا أيضا معروف عند الأطباء ؛ أنّ هذه المدّة ، وهذه الشهور الأولى ، يكون الجنين معرضا للسّقوط ، لأنّه غير ثابت في الرّحم ،

لذلك قال النبي – صلى الله عليه وسلم– : (ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ) يعني خلال أربعين يوم .

قال :(ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ) أي أربعين يوما ، وهذه المرحلة الثّالثة ، أن يكون مُضغة والمُضغة قالوا : "هي قطعة اللّحم بقدر ما يمضغه الإنسان في فمه" ، و المراد أن المرحلة الأولى ، النّطفة في أثناء الأربعين يُجمع فيها ، ثمّ المرحلة الثّانية العَلَقة ، في أثناء الأربعين يتكون فيها ، ثمّ المضُغة في أثناء الأربعين ، يتكون فيها ، فهذه أربعون , وأربعون , وأربعون، مائة وعشرون يوما ، مائة وعشرون يوما ، أي ما يقارب ؛ أربعة شهور ، أربعة شهور

قال– صلّى الله عليه وسلّم – (ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ) ؛ يعني بعد هذه المراحل الثّلاثة ومُضّي مائة وعشرون يوما ، يأتي الملَك إلى هذه المضغة فيَنفُخ فيه الروح ، يَنفُخ فيه الروح ، فتكون حينها مُخلّقة ، ونَسَمَة ، ويُعتبر ، ويأخذ حُكم الحيّ ، أمّا إن سقط قبل هذه المدّة ؛ فإنّه لا يُعتبر حيّا ؛ بل يُعتبر دَما فاسدا ، أو دما ولحما ساقطا ، لا يُعامل كمعاملة الحيّ ، لا يُعامل كمعاملة الحيّ ، قال: (ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ) ، يعني ؛ بكتابة أربع كلمات :

– الكلمة الأولى ما هي ؟

1– بكتابة رزقه

2– و الثّانية أجله

3– والثّالثة عَمله

4- والرّابعة شقيّ أو سعيد

فالرّزق هنا كل ما يَنتفع به الإنسان ، سواء كان في بدنه ، كالأكل ، والشّرب ، واللّباس ، والمسكن ، أو ما كان في دينه ؛ كالعلم ، والإيمان ، قال الشّيخ العثيمين: " وكلاهما مراد بهذا الحديث " أي الرّزق المتعلّق بالبدن ، والرّزق المتعلّق بالدّين ، فيُؤمر الملَك بكتابة رزقه ، هذا الأوّل ، ثمّ أيضا بكتابة أجله ؛ أي مدّة بقاءه في هذه الدنيا ،كم سنة ، وكم شهرا ، وكم أسبوعا ، وكم يوما ، وكم ساعة ، وكم ثانية ، لا ينقص ولا يزيد ، ولذلك هذا من الأمور التّي تُعين على الصّبر عند حُصول المصائب بالموت ، بفقدان قريب ، أو حبيب ، أن نعلم أنّ هذا أجله أنّ هذا أجله لن يستقدم ، ولن يتأخر لحظة ، لا قبل ، ولا بعد ، فإذا مات الولد ، أو مات شخص قريب ، المؤمن يعلم أنّ هذا أجله مكتوب عند الله .

مهما حاول أهل الدنيا كلهم أن يمدوا في عمره ما استطاعوا ، ومهما حاول أهل الدنيا كلهم أن ينقصوا من عمره فيقتلوه قبل أجله ما استطاعوا .

لذلك إبراهيم – عليه الصلاة والسلام– لما أرادوا أن يقتلوه فألقوه في النّار ، ولم يكن حينئذ ساعة موته ، أمر الله أن تكون النّار بردا وسلاما على نبينا ، على إمام الحنفاء إبراهيم – عليه الصلاة والسلام– ، ونبينا محمد –صلى الله عليه وسلم– كم حاولت قريش أن تقتله وتفتك به ، وكم حاولت اليهود أن تقتله وتفتك به ، ولكن الله نجاه منهم .

فلذلك هذا أمرا مهم أن نعلمه وأن نتيقنه .

أن الإنسان إذا حضر أجله لن يتأخر ، ولن يستطيع أحدا أن يميته قبل وقته ، كل بقدر .

ولذلك كم من إنسان كما ذكر العلماء ، كم من إنسان صحيح ، صحيح البدن مات من غير علة جاءوا وجدوه ميت كان واقفا فسقط فمات ما تُعرف له علَّة ، وكم من إنسان جسمه كله أمراض فيعيش حينا من الدهر – يُطَوِّل– فإذًا الموت يأتي فجأة وله أجلٌ محدود ،

فإذًا هذا الأمر الثاني الذي يكتبه الملك.

ثم أيضا يكتب الملك عمل الإنسان ، يعني ما يكتسبه من الأقوال القولية والفعلية والقلبية هي مكتوبة على الإنسان ، وعمله .

ثم الأمر الرابع ؛ يكتب أشقي هو أو سعيد ؛ يعني

– هل هو من أهل الجنّة ؟

– فيسعد .

– أم هو من أهل النار ؟

– فيكون شقيا.

فإن هذا هو الشقاء ، كما جاء في الحديث عن النبي –صلى الله عليه وسلم– : (يؤتى يوم القيامة بأنعم رجل في الدنيا فيغمس في النّار غمسا فيقال له :هل رأيت نعيما قط؟ .فيقول : لا ما رأيت نعيما قط)

هذا رجل كان من أسعد , وأغنى , وأنعم أهل الدنيا ، فيغمس في النّار يوم القيامة غمسة ؛ يعني يُدخل في النار فيُخرج ، فيقال له :

– هل رأيت نعيما قط ؟

فيقول لا ما رأيت أبدا فعذاب النّار , ولهيبها , ونارها , وحرها , وسمومها أنسوه كل نعيم رآه قبل ذلك.

ويؤتى بأبأس رجل في الدنيا فقير ، مسكين ، مريض ، مبتلى بأمور كثيرة لكنه يخاف الله فيدخل الجنة فيقال له :

– هل رأيت بؤساً قط ؟

فيقول لا ما رأيت بؤسا قط.

لأن نعيم الجنة ينسيه كل همٍّ وغمٍّ وبؤسٍ سابق .

قال الله عز وجل : ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ [3]

[3] سورة هود (105 – 108)

والسؤال هنا : الذي قد يتبادر في الذهن إذا كان الملك يكتب هذه الأمور ففيما العمل ؟

كما سأل الصحابة النبي –صلى الله عليه وسلم– ، فقال عليه الصلاة والسلام (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) ، بمعنى أن عليك العمل والأخذ بالأسباب ، فإن قيل :

–ما معنى أن الملك يكتب هذه الأمور ؟

أما الرزق فهذا من عند الله هو الذي يقدره وكذا الأجل ، وأما العمل والشقي فهذا بعد إرادة الله قد جعل الله –عز وجل– لنا إرادة واختيار ، فنحن نعمل مخيرين بأن نختار طريق الخير فنفوز ، أو أن يختار الواحد طريق الشر فيخسر ،﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴿٤١﴾﴾[4]

﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾[5] قالوا طريق الخير وطريق الشر ؛ ومعنى ﴿ وَهَدَيْنَاهُ ﴾ أي بَينا له طريق الخير ، وأن هذا طريق الجنّة , وأنك إذا سلكت هذا الطريق تكون في الجنّة منعماً خالداً فيها ، وأن هذا طريق النار , وأنك إذا سلكته فوقعت في الأمور التي توجب النّار من كفر ، وشرك ، وإلحاد فإنّك تكون خالدًا مخلدًا في النّار .

ثم بين له أيضا الأمور التي هي باب الذنوب والمعاصي وهي تحت المشيئة .

---

[4]) سورة الزمر(41)

[5]) سورة البلد (10)

فإذًا معنى الحديث أنّ هذا الملك يكتب عمل الإنسان ، وشقي هو ، وسعيد بما أمره الله –عز وجل– مما علمه الله –عز وجل– ، من إن هذا الإنسان سيعمل كذا وكذا وسيكون حاله كذا وكذا باختيار هذا الإنسان ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ هذا تخيير للعبد.

﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾[6] مشيئة العبد تحت مشيئة الله – عز وجل– ولا يلزم من مشيئة الله ، أن الله –عز وجل– يجبر العبد على فعل شيء معين ، فإن العبد يفعل الشيء باختياره ، ولكن ليس للعبد أن يفعل شيء متحديا لله في ملكه .

فإذا أذن الله كان الشيء وإذا لم يأذن لم يكن ، ولذلك يجب أن نؤمن بهذا الأمر ، كما مر معنا في الأصول الثلاثة ، وأن نؤمن بالقدر خيره وشره ، ومراتب القدر من العلم والكتابة والخلق والمشيئة .

فالله –عز وجل– عالمٌ بكل شيء عالمٌ بما كان في الزمن الماضي ، وعالمٌ بما سيكون في الزمن الحاضر ، وعالمٌ بما سيكون في الزمن المستقبل ، بل –سبحانه وتعالى– وهذا من علمه –سبحانه وتعالى– وهو الرب العظيم الخالق –سبحانه وتعالى– الذي لا يعزب ، ولا يخفى عنه شيء في الأرض ولا في السماء ، هو –سبحانه وتعالى– يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ، وهو –سبحانه وتعالى– يعلم بما لم يكن لو كان كيف يكون ، وهذه عقيدة عند أهل السنة .

---

[6])سورة التكوير (28- 29)

أنظروا إلى قصة الخضر – عليه السلام– لما قتل الغلام وسأله موسى :" كيف تقتل هذه النفس ؟ " فبين له الخضر بعد ذلك أن الله علم أن هذا الصبي إذا كبر فإنّه سيكون عاقا لوالديه ووالداه رجلان صالحان .

فمن رحمة الله لهاذين الأبوين قدَّر على هذا الطفل أن يموت ، حيث قتله الخضر ، فالله يعلم أن هذا الطفل لو عاش سيكون عاقاً لوالديه وهذا من علم الله – عز وجل– وعلمه كامل شامل – سبحانه وتعالى–.

فلذلك لا يظن الظان من هذا الحديث أننا – يعني– لا نحتاج أن نعمل لأن كله مكتوب ؛ نقول : نعم. الله – عز وجل– كتب في اللوح المحفوظ وأمر الملك أن يكتب بما علم أنّك ستعمله يا عبدالله.

وإلا مثلا : أنا أضرب لكم مثالا :لو جئت أنا – مثلا – وأخذت من جيبك مائة ريال وقلت خلاص مكتوب في اللوح المحفوظ إني آخذ من جيبك مائة ريال

– ماذا ستقول ؟

ستقول : لا ، هذه مائتي , وتضاربني، وتأخذها مني .

– إذا لماذا لم تقل ؟

هذا مكتوب في اللوح المحفوظ إنك تأخذ مني مائة ريال ، وهذا مكتوب أنه ينقص من رزقي مائة ريال ، فأنت تسعى وتعمل للحصول على المائة هذه .

– فلماذا لا تسعى وتحصل على العمل الصالح ، وتبتعد وتترك العمل الفاسد ؟

لذلك يجب أن نفهم هذا الأمر فهما جيدا ، ولا يلبس علينا الشيطان ولا أعوانه في هذا الباب –بارك الله فيكم– .

ثم قال –صلى الله عليه وسلم – : (فَوَاَللَّهِ الَّذِي لَا إلَهَ غَيْرُهُ) يعني أقسم النبي – صلى الله عليه وسلم – بالله على أمر .

– ما هو هذا الأمر ؟

هو قوله : (إنَّ أَحدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا وَإِنَّ أَحدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا)

أقسم النبي – صلى الله عليه وسلم – أن بعض الناس يعمل بعمل أهل الجنة من الصالحات حتى ما يكون بينه وبين أن يدخل الجنّة إلا أن يموت ، يكون قريبا منها ، إلاّ ذراع ، قريب منها – كما ذكر الشيخ العثيمين وغيره من أهل العلم – ولكن قبل أن يموت يعمل بعمل أهل النّار فيدخل النّار ، وإنّ الرجل ليعمل بعمل أهل النّار حتى ما يكون بينه وبين النّار إلا أن يموت ، يكون قريبا منها ، يكون بينه وبين النّار ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل الجنّة فيدخل الجنّة .

هذا الحديث ، هذا الحديث معناه عند أهل العلم ما جاء في رواية أخرى فيها زيادة هذه الزيادة توضح معنى الحديث ، وإلا معنى الحديث قد يكون مخيفا ، يعني : أنا أعمل الصالحات ، وأتقرب إلى الله – عز وجل – ثم قبل أن أموت أعمل بعمل أهل النّار فدخل النّار! ؟ ! ؟

وذاك فاسق فاجر وربما يكون كافر فما يكون بينه وبين النّار إلا أن يموت فيعمل بعمل أهل الجنّة فيدخل الجنّة ! ؟ ! ؟

مخيف ؛ معنى مخيف ، لكن جاءت رواية كما قال العلماء تذهب هذا الخوف ، و تدفع ذلك الإشكال .

– ما هي الرواية ؟

هي قوله – عليه الصلاة والسلام – (إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ – فِيمَا يظهر للناس) ؛ يعني في الظاهر أنّه :جواد ، منفق ، مجاهد ، مصّل ، خاشع ، مصدق – يعني يصدق أمواله يفعل يفعل – ولكن في باطنه ربما يكون مراء ، في باطنه ربما يكون غير صادق ، في باطنه قد يكون طالبا لأمر دنيوي .

فإذا ليس معناه الرجل الصالح التّقي النّقي ، إنما معناه أمثال هؤلاء ، وقد ذكر الشيخ العثيمين – رحمه الله تعالى – حديث ذاك الرجل الذي كان يقاتل مع الصحابة فأثنوا عليه أمام الرسول – صلى الله عليه وسلم – وقالوا ما رأينا مثل فلان ، فإنّه أبلى بلاء حسنا ؛ يعني كان يقتّل في المشركين والكافرين ، فقال –صلى الله عليه وسلم– : (أما إنّه من أهل النّار) فتبعه بعض الصحابة ،

فرآه !!!!

– ماذا يعمل ؟

ففي إحدى المرات هذا الرجل أصابه سهم من المشركين ، فأخذ سيفه ، ذؤابة سيفه ووضعها على بطنه ، فحمل نفسه عليها وقتل نفسه .

هذا الذي قتل المشركين ويقاتل ، ويقاتل ، انتحر، قتل نفسه ، فجاء الرجل إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – وقال : (أشهد إنّك لرسول الله ، قال : وما ذاك ؟ فأخبره الخبر) .

فإذا هذا فيما يظهر للناس ، وكذا في الرجل الفاسق الفاجر، قد يكون الإنسان عنده فجور، عنده فسق ، ولكن قد يكون فيه حب لله ، قد يكون فيه رغبة في الخير ، قد يكون فيه ندم على حاله ، ولكنه مبتلى بذنوب ، فمن رحمة الله به أن يوفقه للتوبة قبل أن يموت ، مثل ذاك الرجل الذي قتل تسعا وتسعين نفسا ممن كان قبلنا ، فسأل عن عالم ، فدُل على راهب ، ليس بعالم ، راهب ، فقال له فعلت وفعلت يا عدو الله ، فقتله كمل به المائة ، ثم بعد ذلك ندم وأراد التوبة ، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدلوه على عالم ، فدله العالم على التوبة ، وأمره أن يخرج من أرضه ، من بلده إلى بلد أخرى ، فإن بلده فيها ناس ؛ يعني أهل فسق وفجور ، وأمره أن يذهب إلى أرض بها عباد صالحون ، وفي طريقه إلى البلد الطيبة مات ، قبل أن يصل إلى البلد الطيبة ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، ملائكة العذاب تقول : هذا يعني ما تاب ، وكان فعل ، وفعل ، وفعل من الذنوب والسيئات ،

وملائكة الرحمة تقول : هذا جاء تائبا ، فنزل ملك وقال : قيسوا بين الأرضين ، فإذا كان قريب إلى الأرض الطيبة تقبضه ملائكة الرحمة ، وإذا كان قريبا من الأرض التي كان فيها تقبضه ملائكة العذاب ، جاء في بعض الروايات ، وذكر بعض الصحابة : (أن الله زوى الأرض من تحته – أي : قربه إلى الأرض الطيبة) فقبضته ملائكة الرحمة ، وهذا من سعة رحمة الله – عز وجل – ومن فضله –سبحانه وتعالى– أن هيأ له التوبة قبل مماته ، و لذلك هذا هو معنى الحديث .

أن ذاك الرجل الفاجر الفاسق في قلبه حب لله ، في قلبه ميل للخير وإرادة للخير ، ولكن ابتلي بهذه الذنوب والمعاصي ، فمن رحمة الله به أن لطف به ، وقبل أن يموت فقبضته ملائكة الرحمة.

هذا هو معنى الحديث – بارك الله فيكم –

وأيضا من فوائد هذا الحديث فائدة عظيمة جدا ، ينبغي أن نتنبه لها وهي : أن الإنسان لا يغتر بعمله ، لا يقول : أنا أصلي ، وأصوم ، وأزكي ، فيرى نفسه فوق النّاس وأن النّاس هؤلاء عصاة فجرة لا خير فيهم ، هذا خطأ ، خطأ عظيم ؛ لأنّك لا تدري يا عبد الله :

– أقبل الله عملك أم لا ؟

وإذا قبل الله منك العمل لا بد أن تحافظ عليه ، كما قال ابن قيم الجوزية – رحمه الله

تعالى – في كلام له قال : " على العبد أن يحرص على العمل في ثلاثة مقامات :

المقام الأول : قبل العمل ، فيحرص فيه على الإخلاص وعلى الإتيان بالعمل على السنة .

المقام الثاني : أثناء العمل ، فيحرص فيه أيضا – مع ما سبق – على عدم الرياء وعدم إفساده وإبطاله .

المقام الثالث : بعد العمل ، فيحفظه من الرياء ، ومن أي أمر يبطله من شرك أو رياء أو سمعة أو نحو ذلك ، ولذلك الأمر خطير ، ولذلك كان السلف يخافون ويجلون ألا تقبل أعمالهم ، أو أن ترد بعمل آخر ، فالذين وصفهم الله – عز وجل – أنهم وجلون وخائفون ، سألت عائشة – رضي الله عنها – النبي – صلى الله عليه وسلم – " هل هؤلاء هم العصاة ؟ فقال النبي – صلى الله عليه وسلم : لا ، ولكنهم الذين يصلون ويصومون وكذا ... ويخافون ألا يتقبل الله منهم " أو كما قال –عليه الصلاة والسلام– , فهذا الحديث يدل على هذا الأمر .

وكلنا يعرف أو مر عليه الحديث الذي ذكر فيه النبي – صلى الله عليه وسلم – رجلين ممن كان قبلنا ، أحدهما : صاحب طاعة ، والثاني : صاحب معصية ، فكان صاحب الطاعة إذا مر على صاحب المعصية ، ينصحه وصاحب المعصية ، وصاحب المعصية لا يستجيب .

وفي إحدى المرات قال صاحب الطاعة لصاحب المعصية وقد رأه على

المعصية ولم يستجب للطاعة قال والله لا يغفر الله لك فقال الله –عز وجل – (من ذا الذي يتألى) ؛ أي من ذا الذي يحلف (من ذا الذي يتألى علي فقد غفرت) ؛ أي صاحب المعصية ، (وأحبطت عملك) أي صاحب الطاعة .

ولذلك – بارك الله فيكم – ، يجب أن نعلم هذه الأمور ، وأن لا نغتر بعملنا ، وأن لا نستحقر الناس ، نعم نبغض المعصية ، ونبغض أصحابها ، ولكن نحمدالله على الطاعة ، ونرحمهم لحالهم ، ونقول نسأل الله – عز وجل – أن يتوب عليهم ، ولا نترفع عليهم ولا نأمن على أنفسنا أن نقع في المعصية .

هذا وفي هذا القدر كفاية في شرح هذا الحديث وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه أجمعين .

الأربعون النووية

شرح فضيلة الشيخ

أحمد بن عمر بازمول

حفظه الله

الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى

- ١٤٣٧\ ١٤٣٦ هـ.

ضمن دروس معهد الميراث النبوي

-تفريغ فريق صيانة السلفي-

الدرس الثامن من الأربعين النووية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمْ

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

أَلَا وإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامُ كَلَامُ الله وَخيْرِ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدْ ، وَشَرِّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُها وَكُلّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَة وَكُلَّ بِدْعَة ضَلَالَة وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ

أَمَّا بَعْدُ:

فقد توقّفنا في شرح الأربعين النّووية عند حديث أمّ المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– قالت : (قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– من أَحدَث في أمرنا هذا ماَ ليس مِنه فهُو ردّ)[1] وفي رواية لمسلم : (من عَمِل عملا ليس عَليهِ أمرُنا فهوَ رَدّ)، هذا الحديث ؛ روتهُ أمّ المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– و تُكنّى ؛بأمّ عبد الله– وذلك لحبّها لعبد الله ابن الزّبير وهو ابن أختها، فهي خالته، فكانت تُكنّى؛ بأم عبد

[1]) [رواه البخاري –و مسلم]

الله– وهذا كما قال العلماء ،فيه دليل على جواز أن يَتكنّى الرّجل أو المرأة وإن لم يكن لهم ولد، فكانت تُكنَّى عائشة –رضي الله عنها –، بأمّ عبد الله– قالت : قال رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– (من أَحدَث)، و أحدث؛ الإحدَاث المراد به أن يعمل عملا لم يكن من قبل، فهو محدث ؛ أي جديد ، من أحدث في أمرنا هذا ؛ أي في ديننا ، وفي التعبّد لله –عزّ وجلّ– ما ليس منه ، يعني ؛ أحدث وابتدع واخترع ، وأتى بأمر جديد لا دليل عليه من الكتاب والسنّة ، ولا ما كان عليه سلف الأمّة، فهو رَدّ ؛ أي ، فهو مردود غير مقبول، و إن زعم صاحبه أنّه يَتقرّب إلى الله ، فإنّه لا يُقبل منه ، حتّى يكون ممّا جاء به النّبي –صلّى الله عليه وسلّم – وحتّى يكون من أمر هذا الدّين .

قال العلماء : في قوله –صلّى الله عليه وسلّم– (من أحدَثَ في أمرِنا) خرج ما يتعلق بالأمور الدنيوية ، فالسيّارات ، وأنواع الألبسة غير المحرّمة ، لا مانع من لبسها ، ولا تدخل في باب البدع ، إلاّ من جهةٍ أخرى ، وإلاّ ؛ فالأصل في المعاملات الإباحة .

ولذلك بعض النّاس لمّا يُنكَر عليه أن هذه الصّلاة ، أو هذا الفعل بدعة ، يقول :

– يعني السيّارات بدعة ؟

– يعني مثلا اللّباس الفلاني بدعة ؟

نقول له : لا يا أخي ، هذه أمور دنيا ، من يفعلها ، يفعلها متمتّعا بما أحلّه الله له ، وأباحه ، لا مانع من ذلك ، فلا يلتبس الأمر عليكم – بارك الله فيكم –.

لذلك النّبي –صلّى الله عليه وسلّم– قال: (من أحدَثَ في أمرِنا هذا) ؛ يعني ، في

الدّين ، أمّا الدنيا ، فلا مانع من الاختراعات مالم يكن فيها محذور شَرعي ، وهنا أيضا ننّبه على أمرٍ فأحيانا بعض النّاس ؛ قد يتّخِذ أمرًا دُنيويًا عبادة لله ، فقد يتخذ مثلا ؛ هيئة معيّنة أو لباسا معينا ، يعتقد أن هذا اللّباس يَتقرب به إلى الله فنحن نقول الأصل في اللّباس الإباحة ، مالم يَكن ممّا نهىَ عنه الشّرع ، كالإسبال ، أو الحرير للرّجال ونحو ذلك .

لكن إن نوَى بهذا الأمر التقرّب إلى الله، فهنا ، نقول له: قِف .

– ما الّدليـــــــــــل ؟

مثل ذاك الّذي وقف بين الظلّ والشّمس، فنهاه النّبي –صلّى الله عليه وسلّم– ومثل تلك المرأة التّي لا تتكلّم، فأمسكت عن الكلام،

– فلماذا تمسك عن الكلام ؟

هكذا، تعتقد التقرّب إلى الله– عزّ وجلّ– فنُهيت عن ذلك، وبيّن لها النّبي –صلّى الله عليه وسلّم– أن تتكلّم بخير ، أو تأمر بمعروف ، خيرٌ لها ، أو كما جاء عنه– صلّى الله عليه وسلّم– فهنا ، لابدّ أن نتنبه لهذا الأمر، ثمّ قال النّووي: " وفي رواية لمسلم: (من عَمِل عملاً ليس عليهِ أمرُنا فهو رَدّ) ،العمل هنا، يشمَل الأقوال، والأفعال، يشمَل الأقوال والأفعال، بل حتىّ أيضا الاعتقادات التيّ ليس عليها أمر النّبي –صلّى الله عليه وسلّم– فهو مردود فمذهب الخوارج مردود ، ومذهب المرجئة مردود ، ومذهب الأشاعرة وكل فرقة وجماعة مخالفة لما جاء به النبي – صلى الله عليه وسلم – اعتقادا أو قولا أو عملا فهو مردود غير مقبول ، قال: (فهو رد) قال

العلماء رد ؛ بمعنى مردود ، قال العلماء رد بمعنى مردود ، وهذا ينبهنا إلى مسألة مهمة وهي : أن العمل الصالح لا بد فيه من شرطين :

ـ الأول أن يكون خالصا لله ، (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) ، ﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ [2] .

ـ والثاني ، الشرط الثاني لقبول العمل ولكي يكون العمل صالحا ؛ أن يكون على سنة النبي – صلى الله عليه وسلم – وما كان عليه الصحابة الكرام ، وذلك كما في قوله تعالى في سورة الملك : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ [3] ، ﴿ ليبلوكم ﴾ ليختبركم ، ﴿ أيكم أحسن عملا ﴾ ؛ سئل الفضيل بن عياض عن هذه الآية فقال : " العمل إذا كان خالصا لله موافقا لسنة رسول الله قُبِل ، وإذا كان العمل غير خالص لله وإن كان موافقا للسنة لا يقبل ، وإن كان خالصا لله وغير موافق للسنة لا يقبل " فإذا ؛ لا يقبل العمل إن فقد شرط الإخلاص أو فقد شرط المتابعة لسنة النبي – صلى الله عليه وسلم – .

بعض الناس قد يكثر من الأعمال الصالحات في الظاهر ، فتأتي وتنظر لهذه الأعمال فتجد أنها من البدع والمحدثات ، وممّا لم يأت به النبي – صلى الله عليه وسلم – ، فهؤلاء نقول لهم : عملكم مردود ؛ غير مقبول ؛ هذا إن كانوا يعملون

---

[2]) سورة الكهف (110)
[3]) سورة الملك(1-2)

أعمالا يظنون أنفسهم أنهم يتقربون إلى الله ؛ فعملهم غير مقبول ، فإن كانوا يعلمون أنهم بعمل هذه الأعمال التي لم يأت بها النبي – صلى الله عليه وسلم – و يعملون وهم يعلمون ذلك ؛ فعملهم غير مقبول وآثمون أيضا ، أما كونه غير مقبول فلهذا الحديث ، (فهو رد) ؛ أي مردود ، أما لكونهم آثمون فلقوله – صلى الله عليه وسلم مكررا في مجالسه وخطبه : (ألا وإن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة) – تأملوا الآن – (وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار) ، فهذا يدل على أن البدع ذنوب وآثام على أصحابها الذين يعلمون أنهم مبتدعة ، وأيضا جاء في حديث العرباض بن سارية قال– صلى الله عليه وسلم –: (فعليكم بسنتي – الزموا سنتي – وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة) فإذًا – بارك الله فيكم – لابد أن نفقه وأن نفهم هذا الأمر ؛ فمن وقع في بدعة وهو لا يعلم لا يقبل منه العمل ؛ فإن كان يعلم أن هذا الأمر بدعة ويعلم أن العلماء يقولون لا دليل عليها ، ويقول أنا أتقرب بها إلى الله فهو آثم .

وأذكر على هذا الأمر عدة أدلة من ذلك ما جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص : (أن ثلاثة نفر سألوا عن عبادة النبي – صلى الله عليه وسلم – فكأنهم تقالّوها – أي رأوها قليلة – فقالوا الرسول قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فأحدهم قال : " أنا أقوم الليل ولا أنام " والثاني قال: " أنا أصوم الدهر ولا أفطر " والثالث قال : " أنا لا أتزوج النساء " ، يعني يتفرغ للعبادة ، هم هؤلاء – رضي الله

عنهم – ظنوا أن عمل النبي – صلى الله عليه وسلم – قليلا ، وأنه لم يعمل كثيرا لأن الله قد غفر له ، فلما علم النبي – صلى الله عليه وسلم – بكلامهم قال مبينًا أنه غير الصواب ، قال : (أما إني أعلمكم بالله وأخشاكم له وأتقاكم له) ، فهو – صلى الله عليه وسلم – يعلم ما أمر الله به ، ويخشى الله ، ويخافه ، ويتقي الله – عز وجل – لم يقصر عليه – الصلاة والسلام–

فقد قام – صلى الله عليه وسلم – حتى تفطرت قدماه ؛ أي تشققت ، فقيل له في ذلك ؛ أي خفف عن نفسك فقال : (أفلا أكون عبدًا شكورًا) – صلى الله عليه وسلم – ثم قال – صلى الله عليه وسلم – و هذا تأملوا في قوله – عليه الصلاة والسلام – : (أما إني أقوم وأنام – أقوم من الليل وأنام – وأصوم وأفطر) ، كما قال أنس أو كما جاء عن عائشة – رضي الله عنهم أجمعين – " كنا نرى النبي – صلى الله عليه وسلم – يصوم حتى نقول لا يفطر وكنا نراه يفطر حتى نقول لا يصوم " ، فكان يصوم ويفطر– عليه الصلاة والسلام – (وأصوم وأفطر وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني) تأملوا من رغب عن سنتي ؛ يعني من لم يعمل بسنتي ، من ترك سنتي ، من أتى بأمر لم آتِ به.

فمن أراد أن يقوم الليل كله يصلي هذا الأمر لم يشرعه الرسول – صلى الله عليه وسلم – فمن فعله كما يفعل الصوفية أنهم يصلون عشرات ، ومئات ، وبعضهم يزعمون الآف الركعات ، هذا ليس على السنة فمن أحيا الليل كله ليس على السنة من أحيا الليل كله بالقيام ليس على السنة ؛ كان – صلى الله عليه وسلم – ينام من أول الليل ثم يقوم في أوسطه ، أو ثلثه ثم ينام ، ثم يقوم – عليه الصلاة والسلام –

وكان لا يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة ، وكذا الصيام كان يصوم ويفطر فمن صام الدهر ؛ من صام كل يومٍ هذا أتى بأمرٍ لم يعمله النبي – صلى الله عليه وسلم – ولم يقله ولم يشرعه – عليه الصلاة والسلام – فهذا لا يُقبل منه ولو صام الدهر كله ، وكذا من ترك النساء من باب التفرغ للعبادة والترهب ، والتبتل ؛ والتبتل معناه الانقطاع للعبادة ، المتبتل المنقطع للعبادة فإن هذا لا يُقبل منه.

– لمـــاذا ؟

– هل هو أفضل من النبي – صلى الله عليه وسلم – ؟

– هل النبي – صلى الله عليه وسلم – لم يتزوج النساء ؟

بل تزوج ، بل قال الله – عز وجل – :﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ ، فهذا هدي الرسل والأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – أن كان لهم أزواجًا وذرية !!!!

– فلما ترك النكاح ؟

وهو أمر قد شرعه الله –عز وجل– فالذي يترك النكاح من باب التفرغ للعبادة ، وحتى لا يُشغل عن طاعة الله ، نقول له : هذا أمر غير مشروع ، نعم قد لا يتزوج الإنسان لعدم النفقة أو لإصابته بمرض أو لأمر آخر ما يستطيع على النكاح هذه قضية أخرى هذا له أن يترك النكاح ولكن أن يترك النكاح بنية التقرب إلى الله بترك النكاح فهذا غير مشروع.

أنظروا – بارك الله فيكم – قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : (فمن رغب عن سنتي فليس مني) هذا الذي يقيم الليل كله ، وذاك الذي يصوم ولا يفطر وذاك الذي لا يتزوج النساء ليس على سنة النبي – صلى الله عليه وسلم – فليس على هديه – عليه الصلاة والسلام –

– أليس قيام الليل خير كله ؟

– أليست صيام الدهر خير كله ؟

– أليس التفــرغ للعبادة وترك النساء خير كله ؟

في الظاهر عند من لم يفقه سنة النبي – صلى الله عليه وسلم – نعم ، يقول : خير ، ولكن في حقيقة الأمر ، لا، ليس بخير.

– لمـــــاذا ؟

لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – لم يشرعه فهو مخالفٌ لسنة النبي – صلى الله عليه وسلم – ولأن فعله فليس من سنة النبي – صلى الله عليه وسلم – فليس فيه خيرٌ .

ولذلك لما يأتي من ينكر على من يفعل أمرًا غير مشروع مثلًا : مثل الذين يحيون ليلة النصف من شعبان ، أو مثل الذين يعملون الموالد ؛ مولد النبي – صلى الله عليه وسلم –

– تأتي تنكر عليه ماذا يقول ؟

يا أخي تُنكر الصلاة ، يا أخي نحن نُصلي على النبي – صلى الله عليه وسلم –

– أنت تنكر الصلاة على النبي ؟

لا نحن لا ننكر الصلاة على النبي ، ولا نُنكر الصلاة والتقرب إلى الله ؛ ولكن نُنكر أن تعمل عملًا ليس على هدي النبي – صلى الله عليه وسلم – هذا هو المنكر.

– وهل النبي – صلى الله عليه وسلم – حين أنكر على من أراد أن يقوم الليل كله ؛ أنكر الصلاة ؟

– وهل النبي – صلى الله عليه وسلم – عندما أنكر على من أراد أن يصوم الدهر كله ؛ أنكر الصيام ؟

– وهل النبي – صلى الله عليه وسلم – حينما أنكر على من أراد التفــرغ وعدم النكاح ؛ أنكر التفــرغ لعبادة الله ؟

لا ، وإنما أنكر الأمور المخالفة لهديه – عليه الصلاة والسلام.–

– لمـــاذا ؟

لأن هديه – صلى الله عليه وسلم – هو الدين الكامل الذي قال الله –عز وجل – عنه :﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾[4] .

هذا هو الدين وغيره ليس بدين ، هل أنت حينما تأتي بعمل تتقرب به إلى الله ولم يشرعه النبي – صلى الله عليه وسلم – ، ولم يكن عليه عمل الصحابة – رضي

[4]) سورة البقرة (3)

الله عنهم – **هل أنت حين تعمل هذا ؟**

– هل أنت أفضل من النبي – صلى الله عليه وسلم – ؟

– هل الله أرسلك بهذا ؟

ولذلك لا يوسوس لنا الشيطان ولا يخدعنا ولا يفتننا ولا نغتر بأن فلانا وفلانا من الناس ممن هم ظاهرهم صلاح أو قد يكون عندهم شيء من العلم أنهم قالوا بذلك أو أفتوا فإن الحجة في كتاب الله وهدي النبي –صلى الله عليه وسلم– وما كان عليه أصحابه الكرام .

نأخذ مثالا آخر أو دليلا آخر يبين هذا الأمر وهو يؤكد ما سبق ، ابن عمر – رضي الله عنه – " عطس رجل بجانبه فقال الرجل الحمد لله – والصلاة والسلام – على رسول الله ، فقال ابن عمر يرحمك الله يأبن أخي كلنا نقول – الصلاة والسلام – على رسول ولكن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لم يعلمنا إذا عطسنا أن نقول – والصلاة والسلام – على رسول الله وإنما علمنا أن نقول الحمد لله " فابن عمر –رضي الله عنه– أنكر على هذا الرجل هذا الأمر المحدث الذي لم يُعلِّمناه النبي –صلى الله عليه وسلم–

– هل ابن عمر حين أنكر على هذا الرجل أنكر الصلاة على النبي –صلى الله عليه وسلم– ؟

كما يقول بعض الناس حين تنكر عليه الموالد يقول يا أخي أنت تنكر الصلاة على النبي حتى قال بعض الناس الوهابية ما يحبون النبي !!!

– لمـــــــاذا ؟

يقول لك ينكرون الصلاة على النبي ؛ لا هذا ليس بصحيح بل أهل الحديث والإمام محمد بن عبد الوهاب وأتباع الإمام محمد عبد الوهاب هم من أكثر الناس صلاة على النبي –صلى الله عليه وسلم– ومن أكثر الناس اتباعا لسنة النبي –صلى الله عليه وسلم–ولكنهم لا يبتدعون في دين الله ولا يخترعون ولا يُحدثون في دين الله –عز وجل– وإنما أنكروا كما أنكر ابن عمر الابتداع والإحداث في دين الله –عز وجل– فقالوا الموالد بدعة ، والرسول لم يفعلها والصحابة لم يفعلوها وإنما الذي اخترع الموالد وابتدعها هم العبيديون الفاطميون الروافض الباطنية – قبحهم الله – ولم يقل بها أحد من العلماء المعتبرين عند أهل العلم بل أنكروها بفضل الله –عز وجل– وبينوا أن هذا أمر غير مشروع .

فابن عمر –رضي الله عنه –لم ينكر الصلاة على النبي وإنما أنكر الصلاة في هذه الصورة وتخصيصها ؛ أن إذا عطست تقول الحمد لله – والصلاة والسلام– على رسول الله – فبارك الله فيكم – تأملوا هذا الأمر .

وأنا أضرب لكم أمثلة أخرى يقع فيها بعض الناس فبعض الناس إذا كرّع أو كما يقول بعضهم ترّع ؛ وهو خروج الصوت عن طريق الفم من الشبع ونحوه وامتلاء البطن فإذا كرع قال – الحمد لله – فنحن نقول تعال تقول –الحمد لله– هاهنا !!!

- ما الدليـــــــل ؟

- هل الرسول أمرنا بذلك ؟

- هل فعله الرسول –صلى الله عليه وسلم – ؟

- هل الصحابة نقلوه عن النبي –صلى الله عليه وسلم – ؟

–الجواب لا إذا نقول له غير مشروع إذا كرَّعت أو ترَّعت ؛ إذا خرج منك الصوت لامتلاء البطن وتجشّأت ؛ غير مشروع لك أن تقول –الحمد لله –

- طيب إذا عطست تقول الحمد لله وردت بهذا السنة لم ترد السنة في التَّكريعة والتَّتريعة لامتلاء البطن والتّجشّوء ؛ لم ترد السنة بأن يقول الإنسان – الحمد لله – ،

مثال آخر بعض الناس إذا رفع من الركوع يقول – ربنا لك الحمد والشكر– نقول نعم الرسول ورد عنه أنه قال –ربنا لك الحمد– لكن لم يرد عنه أنه قال والشكر هذه الشكر زيادة " سئل عنها الشيخ ابن باز –رحمة الله عليه– وقال بدعة محدثة "

- طيب الله يقول : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[5] نقول نعم قال الله :﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾[6] والشكر يحبه الله –عز وجل – فنحن نشكر الله ولكن الرسول –صلى الله عليه وسلم–لم يعلمنا بعد الرفع من الركوع أن نقول – ربنا لك الحمد والشكر–

---

[5]) سورة إبراهيم (7)
[6]) سورة سبأ (13)

الألباني –رحمه الله تعالى– في صفة صلاة النبي –صلى الله عليه وسلم– لما جمع السنن الواردة بعد الرفع من الركوعِ كانت كالتالي– ربنا لك الحمد – صيغة– ربنا ولك الحمد – صيغة ثانية – اللهم ربنا لك الحمد– صيغة ثالثة – اللهم ربنا ولك الحمد– صيغة رابعة كلها وردت عن النبي –صلى الله عليه وسلم– فمن قال هذه أو هذه أو تلك أو هذه فلا مانع من ذلك و لكن من قال والشكر نقول له قف عند حدِّك الرسول –صلى الله عليه وسلم– لم يأمرنا ولم يحثنا على قول هذا الأمر ولم يفعله –عليه الصلاة والسلام–

أيضا سعيد ابن المسيب وهو من أئمة التابعين " دخل مرة المسجد في صلاة الفجر فرأى رجلا صلى ركعتين ثم قام فصلى ركعتين ثم قام فصلى ركعتين فأخذ سعيد حجارة فرمى بها الرجل فلما انتهى الرجل من صلاته أتى إلى سعيد بن المسيب وقال له يا سعيد أيعذبني الله على صلاة ركعتين– شوف السؤال كيف مثل قول بعضهم–

– هل تنكر الصلاة على النبي –صلى الله عليه وسلم– ؟

– هل تنكر أننا نصلي لله ؟

– فقال الرجل أيعذبني الله على صلاة ركعتين ؟

الرسول –صلى الله عليه وسلم– قال في صلاة الفجر إذا أذن المؤذن فلا صلاة إلا ركعتين هذا الرجل صلى ركعتين وركعتين وركعتين إذا خالف السنة ولم يوافق السنة " فقال له سعيد لا لا يعذبك الله على صلاة ركعتين "

وانظر الآن إلى الجواب الدقيق " قال ولكن يعذبك الله على خلافك للسنة "
.

فتأملوا – بارك الله فيكم – كيف أن سعيد رضي الله عنه بين له أنك تعذب ، وهذا دليل على ما سبق أن من أحدث أمرا وابتدع لا يقبل منه العمل ، وإذا كان يعلم فهو آثم ، قال إذا علمت وتخالف السنة فإن الله يعذبك على ذلك ، هذا مراده ، وللألباني – رحمه الله تعالى – تعليق لطيف على هذا الأثر ، بين فيه أن مخالفة السنة أمر غير مقبول ، وأن هذا جواب دقيق ينبغي أن يحفظه كل واحد منا يحفظ هذه القصة وهذا الجواب ؛ حتى يرد بها البدع ، ويبين لعامة الناس السنة من غيرها .

إذا هذه الأمور كلها تبين لنا معنى هذا الحديث الدقيق ، ولعلي أختم الكلام على هذا الحديث بذكر قضيتين :

- **القضية الأولى :** هي أن العلماء قالوا قاعدة : " الأصل في العبادات المنع إلا لدليل " يعني : لا يجوز لك أن تتعبد الله بأي عبادة حتى تعلم أنها مشروعة ، وأن النبي – صلى الله عليه وسلم – شرعها .

إذا الأصل في العبادات المنع ، وبعضهم يقول : التوقف ، يعني : لا يشرع لك فعلها ولا عملها ولا قولها ولا اعتقادها إلا بدليل .

الأصل في العبادات المنع ، أو أن تقول : الأصل في العبادات التوقف إلا بدليل ، فلا تتقرب إلى الله إلا إذا علمت أن هذا الأمر قد شرعه النبي – صلى الله عليه وسلم – .

ثم قالوا – أيضا – **قاعدة أخرى :**

– الأصل في المعاملات الإباحة ؛ المعاملات الدنيوية الأصل فيها الإباحة إلا بدليل ، وهذا – أيضا –

فيه فائدة لنا : فبعض الناس قد يحرم بعض الأعمال ! طيب لماذا تحرمها ؟

– ما الدليـــــــل ؟

يقول : حرام ، بس كده حرام أنا أرى أنها حرام ! لا ؛ لا يجوز لك أن تحرمها إلا إن ثبت دليل على ذلك .

فالأصل في المعاملات الإباحة والإذن في فعلها أو تركها ، هذا الأصل ، لا مانع من ذلك إلا إن جاء دليل يمنع ، مثلا :

لباس الحرير يحرم على الرجال ، لبس الذهب يحرم على الرجال

– ما الدليـــــــل ؟

النبي – صلى الله عليه وسلم –حين جاء معه ذهب وحرير قال : (هذان حرام على ذكور أمتي ، حل لإناثها) أو كما قال – عليه الصلاة والسلام –

فهذا دليل : أباح الذهب للنساء ، وحرم الذهب على الرجال .

هذا الأمر الأول الذي أريد أن أنبه عليه .

- **الأمر الثاني :** هناك أمور تستجد ، وأمور لم تكن في عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – فيجتمع العلماء الربانيون المجتهدون فينظرون في هذا الأمر ويحكمون بما يناسبه

فحينها لا يقال في هذا الأمر : إنه محدث أو بدع ؛ لأن هذا الأمر لم يكن في عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – وهناك حاجة لفعله ، ونصوص الشريعة تدل عليه.

أعطيكم مثال : النبي – صلى الله عليه وسلم – كان لما ينزل عليه الوحي يكتبه كتاب الوحي وبعض الصحابة ، وكان يحفظ من يحفظ من الصحابة القرآن ، ولكن النبي – صلى الله عليه وسلم – مات حين مات ولم يكن القرآن مجموعا في كتاب واحد ، بل كان مفرقا بين الصحابة في صحف ونحوها ، وكان بعضهم يحفظها ؛ يحفظ القرآن ، فلما مات القراء في عهد أبي بكر ، القراء الذين هم حفظة القرآن ، لما ماتوا وكثر فيهم القتل ، مات أكثر من سبعين قارئا أو سبعين قارئ

رأى عمر – رضي الله عنه – أن يجمع القرآن ، فذهب إلى أبي بكر ؛ لأنه هو الخليفة وأشار عليه ، فانظروا إلى جواب أبي بكر ، قال أبو بكر : لا !!!

–كيف أفعل أمرا لم يفعله النبي – صلى الله عليه وسلم – ؟

فما رضي أبو بكر في أول الأمر أن يجمع القرآن ، فما زال عمر يراده ويراجعه ويبين له أهمية جمع القرآن ، وأنه يخشى لو مات الحفظة أن يضيع شيء من القرآن ، وأن جمع القرآن في كتاب واحد هو موافق للأدلة الشرعية ، النبي –

صلى الله عليه وسلم – لم يجمع القرآن ؛ لعدم الحاجة لجمعه في كتاب واحد ، ولكن لما مات القراء في عهد أبي بكر خشي عمر من ضياعه ونسيانه ، فما زال عمر – رضي الله عنه – يراجع أبا بكر – رضي الله عنه – حتى شرح الله صدر أبي بكر لجمعه ، فجمعه .

فهنا لا يقال : جمع القرآن محدث أو بدعة ، لا ، لا يقال هذا ،

– لمـــــــاذا ؟

– لأن السبب لجمع القرآن لم يكن موجودا في عهد النبي – صلى الله عليه وسلم –

فهذا كما قال العلماء : لا يقاس عليه باب البدع ، هذا من باب المصلحة المرسلة كما يقول الفقهاء والعلماء ، فينبغي أن نتنبه لهذا الأمر وهذا مرجعه – أيضا – للعلماء ، ليس كل واحد يقول : هذا صالح وخير للناس ، إنما هذا مرجعه للعلماء الربانيون – بارك الله فيكم – لابد من الانتباه لهذا الأمر .

العلماء – أيضا – بينوا مسألة مهمة مسألة أخرى أختم بها – أيضا – كلامي هي : أن البدعة تدخل أو يكون سببها تحديد شيء لم يحدده الشرع :

إما في الزمان ، فمثلا واحد يصلي ركعتين في وقت معين ليس من الأوقات التي جاء عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه تنفل فيها أو حث على الصلاة فيها ، فإذا حدد زمانا فهذا يدخل باب البدعة ، أو المكان إذا أعتقد أنه لا بد أن يفعل العبادة في المكان الفلاني ويفعله دائما هذا يدخل في باب البدعة ، إذا الزمان والمكان ، أو العدد ، يخصص عددا معينا ، كما يفعل بعضهم أنك تقول

مثلا ذكر معين خمسين مرة ، مائتين مرة ، ألف مرة ، إذا لم يرد في الشرع كثلاثة وثلاثين أو مائة مرة ، إذا لم يرد في الشرع العدد فليس بمشروع .

إذا الزمان والمكان والعدد والهيئة ، هيئة معينة يفعلها فتراه يتحرك بعض الحركات أو يفعل بعض الأشياء على هيئة معينة لم يفعلها النبي – صلى الله عليه – فهذا يدخل في باب البدع أيضا إلى غير ذلك مما نبه عليه العلماء من جهات البدعة الستة.

وأكتفي بهذا القدر، وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

الأربعون النووية

شرح فضيلة الشيخ

أحمد بن عمر بازمول

حفظه الله

الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى

- ١٤٣٧\ ١٤٣٦ هـ-

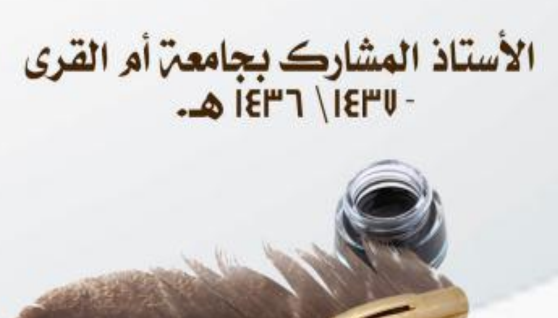

ضمن دروس معهد الميراث النبوي

-تفريغ فريق صيانه السلفي-

http://meerath.nabawee.net
https://www.facebook.com/meerath.nabawee/?ref=

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمْ

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

أَلَا وإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامُ كَلَامُ الله وَخَيْرِ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدْ ، وَشَرِّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُها وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَة وَكُلَّ بِدْعَة ضَلَالَة وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ

أَمَّا بَعْدُ:

فقدْ توقفنا في شَرحِ "الأربعون النّووية" عندَ الحدِيث السادِس:

وهُو ما رواهُ أبو عبد الله النُّعمان بنُ بَشير–رضيَ الله عنهما–قال: سَمعتُ رسُول الله صلى الله عليه وسلّم يَقُول: "إنَّ الحلالَ بيِّن وإنَّ الحرامَ بيِّن وَبيْنَهُما أُمورٌ مُشْتَبِهَات، لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثيرٌ مِنَ النّاس ،فَمن اتقى الشُبُهات فلقَد استبْرأ لِدينِهِ وَعِرْضِه، ومَنْ وَقَعَ في الشُبُهات وَقَع في الحَرَام، كَالرَّاعِي يَرْعى حَوْل الحِمَى يُوشِكُ أنْ يَقع فيه، ألاَ وإنَّ لِكُل مَلِكٍ حِمَى، ألا وَإنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُه، ألا وَإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَة إذَا صَلَحَت صَلَح الجَسَدُ كُلِّه، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّه، أَلا وَهِيَّ القَلْب "[1]

[1]) رواه البُخارِي ومُسلِم.

هَذَا الحَدِيث مِن الأَحَادِيث التي عَليهَا مَدَارُ الإسْلام، ومَدَارُ الفِقهُ الإسْلامِي كَما مَرّ مَعَنا عِندَ حَدِيث: (إنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِيَّات) وَهُو حَدِيثٌ عَظِيم، وَأصْلٌ في الأَحْكَامِ، وأَصْلٌ فِي بَابِ الوَرَعْ. فَقولُهُ–صَلّى الله عَليهِ وَسلّم–: (إِنَّ الحَلاَلَ بَيِّنٌ وإِنَّ الحَرامَ بيِّنٌ وبَيْنَهُما أُمُورٌ مُشْتَبِهَات).

(بيِّنٌ): أَي وَاضِحٌ ظَاهِر لا إِشْكَال فيه، فلا إَشْكَال مَثلا : فِي حِلِّ التَّمر والبُرّ، ولا إِشكَال فِي حِلِّ اللِّبَاس التِي لمْ يُحرِّمها الشَّرع.

(والحَرامُ بيِّن): أيْ واَضِحٌ لا إشكَال فِيه، فَلا إشْكَال في تَحْريمِ الزِّناَ، وشُرْبِ الخَمرِ، والسَّرِقة ، والغِناء.

(وبينَهُما) : أَي بَينَ الحَلالِ والحَرامْ.

(أُمُورٌ مُشْتَبِهَات) : أَي أُمورٌ لاَ يَعلمُ

– هَلْ هِيَّ حَلالٌ فَتُفْعَلْ ؟

– أَم حَرَامٌ فتُتْرك ؟

فهِيَّ تَشْتَبِه:

–إمَّا مِن الشَّبه بِمعنى أَنَّها قَد تشْبِهُ الحَلالَ أَو تُشبِهُ الحَرَام.

–وإِمَّا مِنْ اللَّبْس والاشتباه لِعدَمِ التَّمْيِيز بَينهَا.

فالنَّبي–صلّى الله عليهِ وسلَّم–في هَذَا الحَدِيث قسَّمَ الأحكَام إِلى ثَلاثةِ أَقْسام:

الأَول : (حَلالٌ بيِّن) : ظَاهِرٌ واضِح.

والثاني : (حرَامٌ بيِّن) : ظَاهِرٌ وَاضِح في كَونه حرام.

والثالث: مُشْتَبه لا يُعرَف **هل هُوَ حَلالٌ أَم حَرَام ؟**

فأَمَّا الحلال فيُفْعل، وأَمَّا الحَرام فيُترك، وأَمَّا المُشْتَبَه فَهذَا هُوِ الذِي سيأْتِي بَيَانُ مَا يَتعلَّقُ بِه .

وإنَّمَا يَشْتَبِهُ الأمر إمَّا لِخفاءِ الدّلِيل عَدم مَعرِفَتِه ، أَو خَفاءِ مَعناه ، أَو عَدم معرِفة انْطِبَاقِ الحُكم على هَذَا الدّليل .

فَأَحْيَانا لاَ يَعْلم العَالِم !!!

– هل هَذا الحدِيثُ صَحّ أَو لم يصِّح ؟

– ولا يَعلم هَل يَدُلُّ هذا الحَدِيث على حُكم أَو لا يَدُلّ ؟

فَهُنا يَقعُ الاشتباه، ويقَعُ الإشكَال ومعَ كوْنِها مُشْتَبِهة إلا أَنَّ مِن رَحمةِ الله–عزَّ وجلّ–ليست مُشْتَبِهة على كُلِّ النَّاس، لِذلِك قال النَّبيُّ–صلَّى الله عليهِ وسلَّم–: (لا يَعْلَمُهُنَّ كثيرٌ من النَّاس) :

فكثيرٌ مِن النَّاس يشْتَبِهُ عليْهِم الحُكم ، وهذَا يُفهَم مِنه أنَّهُ يُوجَدُ من أَهلِ العِلمِ من يظْهرُ لهُ الحُكم، ويسْتطيعُ التوصُّل إلى الحُكم، فلا يشْتَبِهُ عليه، فيعْرفُ حُكمَ هذه المسْألة

– هل هُو حرام أَم حَلال ؟

(وبينهُما أُمُورٌ مُشْتَبِهاتٌ لا يَعلَمُهُنَّ كَثيرٌ مِن النَّاس) : وهذِه فيها فائِدة عظِيمة لنا أَنَّ الأَحكام التي تحتاجُ إلى اجتِهادٍ ، وفِقهٍ دقِيقٍ ، واستِنْباط ، وتحتاجُ إلى نَظَرٍ واستِدْلال ، لا يُرجع فيها لِكُلّ أحد ، وإنّما يُرجَعُ فيها لأَهْلِها المُخْتصيِّن بِها ، فمِن الخطأ أن نظُنّ أنّ كلَّ عاَلِمٍ يُفتي في كُلِّ مسألةٍ .

فهُنا النَّبيُّ–صلَّى الله عليه وسلّم–يقُول: (لا يعلمُهُنَّ كثيرٌ من النّاس).

- ما العمَل ؟

- وما المخْرَج ؟

المخْرج هُو قولهُ–عليه الصلاةُ والسّلام–: عِند الاشتباه، وعِند عدم المعرِفة أن يتّقيَها الإنسان، أن يتّقِي هذه الشُبُهات.

لقوله: (فمن اتَّقى الشُّبُهات فقد استبرأ لدينهِ وعِرضه) أي فمن تجنّبها ولم يقع فيه.

(فقد استبرأ) : اسْتبْرأَ أي طلب البراءة لِدينه فيما بينهُ وبين الله–عزّ وجلّ–.

(وعِرضِه) : فيماَ بينه وبين النّاس، فلا يتكلّمون فيه ولا يأخذونهُ بما فعل أو لا يأخذون، فلا يتكلمون فيه ولا يأخذونه بما فعل .

(فمن اتقى الشبهات): المسائل التي اشتبهت وحصل فيها اللبس حصلت له البراءة في دينه وعرضه .

قال : (وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ) : أي المعنى ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام .

قال العلماء: هذه الجملة تحتمل أحد المعنيين:

الأول : أن الوقوع في الشبهات سببٌ وطريقٌ للوقوع في المحرمات.

المعنى الثاني : إن (من وقع في الشبهات وقع في الحرام) من حيث يظن أنه ليس بحرام ، فهذا معنى قوله – عليه الصلاة والسلام –: (وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ)؛ أي ارتكبها وفعلها.

(وَقَعَ فِي الْحَرَامِ) : **أحد المعنيين** :

-إما بمعنى قارب وأوشك أن يقع في الحرام .

-وإما بمعنى إنه وقع في الحرام .

ثم ضرب النبي – صلى الله عليه وسلم – مثالًا يبين حال الشبهات وحال من يقع فيها ومن يجتنبها :

بالراعي الذي يرعى الغنم يرعى الغنم حول حمى ملك .

وحمى الملك : المكان المحمي الذي يمنع الملك الناس من الدخول فيه.

فالراعي الذي يرعى حول حمى الملك يرعى معه الغنم لا يأمن أن تهرب أو أن تخرج إحدى هذه الغنمات إلى ذلك الحمى فتدخله .

ولذلك قال النبي– صلى الله عليه سلم –: (كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يوشك) ؛ أي يقرب ويكاد أن يقع فيه.

- كيف يقع فيه ؟

بأن لا ينتبه لإحدى هذه الدواب فتدخل في أرض وحمى الملك فيحل، أو يستحق العقوبة. فإذًا الملك قد يتخذ مكانًا يجعله له خاصًا به فيُسمى 'حمى الملك'.

وفي هذا الحديث دلالة على أن المرء لا يأمن نفسه عند الشبهات أن تسلم من وقوع في المحرمات، كذلك الأمور المشتبهة إذا قرب منها العبد يصعب عليه أن يمنع نفسه منها .

قال – صلى الله عليه وسلم –: (كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى) كما جرت به عادة الملوك أن تكون لهم محميات لا يدخلها أي أحدٌ من الناس.

(أَلَّا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ): أي إن الله –عز وجل– منع من الوقوع في المحرمات، فحمى الله الأمور المحرمة، حرمها على العباد أن يقعوا فيها؛ فالأمور المحرمة وما يقرب منها على العبد أن يبتعد عنها وأن يجتنبها حتى لا يقع فيها.

ثم قال– صلى الله عليه وسلم– مبينًا أهمية القلب، وأثره في صلاح العبد أو فساده بقوله :

(أَلَّا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً): القلب قطعة لحمٍ صغيرة وقيل له مُضغة لأنه أشبه باللحمة التي تُمضغ في الفم .

(ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت) : أي هذه المضغة.

(صلح الجسد كله) : يعني استقام على أوامر الله واجتنب نواهيه وابتعد عما يحرمه الله – عز وجل – .

(وإذا فسدت) : أي فسدت هذه المضغة بأن تميل إلى المحرمات وأن تقع في المشتبهات دون ورعٍ وتقوى ودون مراقبة لله –عز وجل–فسد الجسد كله ألا وهي القلب .

فهذا الحديث يبين لنا أن القلب التقي النقي السليم الخالي من الغش والحقد والحسد والبغضاء والخالي من الهوى يستقيم معه جسد الإنسان ولو كان عليلا بالأمراض البدنية ولكنه قوي الإيمان صحيح الاعتقاد سليم المنهج والأخلاق، سالكا الهدي النبوي فإنه صحيح البدن صحيح الجسد قائم بأمر الله مجتنب لما حرمه الله –عز وجل –.

وأما إذا كان القلب فاسدا ولو كان الجسد صحيحا سليما معافا قويا في الدنيا إلا أنه

في حقيقة أمره عليلا مريضا.

لذلك نجد بعض الأصحاء إذا حضرت الصلاة لا يستطيع أن يخرج من بيته وهو سليما معافى .

ونجد الآخر مريضا وربما يكون مُقعدا أو كفيف البصر نجده يخرج من بيته إلى الصلاة ولا يتهاون في أمرها.

– من الذي أخرج هذا وما الذي أقعد هذا بعد أمر الله – عز وجل – ؟

إنه سلامة القلب وعمارته بالإيمان والتقوى فيخرج للصلاة ، وأما الآخر فخراب القلب بما فيه من معاصي وهوى ومحرمات وأمور مشتبهات لا يتقيها فيقع في التخلف عن الصلاة .

وهذا الحديث يدل على أهمية الاعتناء بالقلب وأن المرء يخلصه من الشوائب ، وأن المرء يحرص على عدم إفساد قلبه ، فيجتنب الكبر والحسد ، ويجتنب البغضاء والغل والحقد ويعلق قلبه بالله – عز وجل – وبأوامر الله –عز وجل – ويبغض ما يكره الله –عز وجل –ولا تلتفت نفسه إليه.

ذكر العلماء –رحمهم الله تعالى – أن سبب الاشتباه في الأحكام قلة العلم وقلة الفهم وعدم التدبر وسوء القصد فيحصل للإنسان الاشتباه فيظن الحرام حلالا أو الحلال حراما .

– فإن قيل: ما الحكمة في وقـوع الأمور المشتبهة ؟

– لماذا لم تكن الأحكام كلها بينة ظاهرة ؟

– فالجواب:

السبب في ذاك الابتلاء والاختبار وليتميز الصادق من غيره فالمؤمن الصادق يميل للحق ويذهب إليه ويبتعد عن الحرام ، وأما من في قلبه هوى وفساد فإنه يتخذ الأمور المشتبهة سبيلا للوقوع في الحرام وعذرا له في الوقوع في الحرام بسبب في القصد أو سوء النية أو قلة الفهم أو التقصير في التدبر.

فهذا باب عظيم ولذلك كما في الحديث: (كالرّاعي يرعَى حَول الحِمى يُوشِك أن يَقع فيه ألا وإن لكل مَلِكٍ حمى ألا وإن حمى الله محارمه) فهذا كما سبق من باب الابتلاء والاختبار .

ولذلك كان السلف يتركون أحيانا بعض الأمور المشتبهة مما لا بأس بها ؛ خوفا من الوقوع مما فيه بأس .

وفي هذا الحديث أيضا كما سبق معنا الحث على اتقاء الشبهات والبعد عنها والحذر منها.

ولكن هنا ننبه على مسألة مهمة وهي :

أنه إذا كان الحكم واضحا بينا ولا حرج فيه وليس فيه إشكال فلا ينبغي للمرء تركه من باب الاحتياط ؛ فإن هذا كما يقول ابن قيم الجوزية –رحمه الله تعالى –: " هو من باب الوسوسة ".

فالأمر الذي ظهر حله واستبان جوازه بدليل الشرع فتركه لغير مقصد شرعي وسوسة ، وليس هذا من باب الاحتياط ولذلك قال العلماء: "أن باب الاحتياط فيما لم يظهر فيه الدليل " فلسنا بأورع من السلف الصالح فالنبي–صلى الله عليه وسلم–مثلا كما في حديث عائشة–رضي الله عنها–في صحيح البخاري قالت :(أن قوما أتوا إلى

النبي–صلى الله عليه وسلم–وقالوا: يا رسول الله إن قوما يأتوننا باللحم لا ندري أذكروا اسم الله عليه أم لا. فقال: سمو أنتم وكلوا).

- فهنا هل يترك أكل هذا اللحم لأنه لم يذكر اسم الله عليه ؟

فهنا الجواب : لا.

- لمـــــــــاذا ؟

لأنه قال لنا النبي–صلى الله عليه وسلم–: (سمو أنتم وكلوا).

وفي هذا الحديث أيضا من الفوائد :

حسن تعليم النبي–صلى الله عليه وسلم–وذلك بضرب الأمثال المحسوسة لتتبين بها المعاني المعقولة كما يقول الشيخ العثيمين –رحمه الله تعالى–حيث قال: "وهذه هي طريقة القران الكريم" قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ فمن حسن التعليم أن المعلم يقرب الأشياء المعقولة بالأشياء المحسوسة، لقوله–صلى الله عليه وسلم– : (كالرّاعي يرعَى حَول الحِمى يُوشِك أن يَقع فيه).

وأيضا من فوائد هذا الحديث : أن كل سبب ووسيلة توصل إلى أمر محرم فإنه يجب أن يبتعد عنها العبد وألا يقع فيها، لئلا يقع في الحرام؛ وهذه قاعدة عظيمة وهي قاعدة **" سد الذرائع "** لئلا يتوصل بهذه السبل أو الطرق أو بهذه الأمور إلى الوقوع في الحرام .

أيضا في هذا الحديث من الفوائد :

أن المدار في الصلاح والفساد على صلاح القلب فعلى العبد أن يُطهر قلبه من الشرك والمعاصي والكبائر والذنوب.

وهنا لابد أن أقف وقفة سريعة وهي مهمة جدا :

ليس معنى الحديث ؛ كما يقوله بعض النّاس: " أن أهم شيء قلبي سليم" ، مادام قلبي سليم خلاص ما يهم ، ممكن أسمع أغاني ، ممكن أشرب دخان ، ممكن أحلق لحيتي، ممكن أفعل المحرمات ، هنا في القلب أبيض ؛ أنا قلبي أبيض نقول له : تعال وانظر إلى قول النبي –صلّى الله عليه وسلّم–(ألاَ وإن في الجسد مُضغة إذا صَلُحت صَلُح الجسد كله) ؛ يعني :
إن صلاح القلب له أثر في صلاح الجسد، وله أثر في صلاح الأعمال، فإذا كان قلبك أبيض وعملك أسود أو غير أبيض !!!!

– فكيف تقول أنا قلبي أبيض ؟

– لأن لو كان قلبك أبيض صادق سليما ، لصلُحت الأعمال ، ولكن هذه الأعمال السيئة دليل على وجود فساد في القلب ؛ لا يعني التكفير هذا وإنما يعني أن هذا القلب وقع فيه فساد بوقوعه في الحرام .

أيضا قول النبي – صلّى الله عليه وسلّم –: (إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم) هذا الحديث معناه كهذا الحديث ؛ أن القلب إذا كان صالحا صلحت الأعمال وإذا كان فيه فسادا تأثرت الأعمال .
بدليل قول النبي– صلّى الله عليه وسلّم –في نفس هذا الحديث في رواية في لفظ في زيادة أخرى وفيها : (ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) فلا بد من العمل والعمل من الإيمان كما هو تعريف أهل السنة والجماعة السلف الصالح: " أن

الإيمان؛ اعتقاد، وقول، وعمل" فلا بد من العمل الذي يدل ويبرهن على صدق هذا الإيمان، فإذا – بارك الله فيكم – ينبغي أن نحذر من هذه المقولة التي تقول إذا كان قلبك أبيض ، أو كان قلبك صافيا فاعمل ما شئت، هذا خطأ ؛ لأن هذه الذنوب تؤثر على صاحبها .

كما قال الله –عزّ وجلّ–:﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

﴿ رَانَ ﴾: بمعنى غطّى على قلوبهم.

﴿ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾: أي؛ ما كانوا يعملون.

وكما في الحديث ، عن النّبي – صلّى الله عليه وسلّم –: (أن العبد إذا أذنب نُكِت في قلبه نُكتة سوداء، – فإن تاب صُقِلت، وإن عاد نُكِت في قلبه نُكتة سوداء – ولا يزال يذنب حتى يُصبح قلبه أسودا، كالكوز مجخيا، لا يعرف معروف ولا يُنكر مُنكرا) أو كما قال عليه الصّلاة والسّلام.

وفي هذا القدر كفاية – وصلى الله وسلّم – على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم أجمعين.

نأخذ بعض الأسئلة المتعلقة بالصيام :

السؤال الأول : هذه السائلة تقول لي بنت عمرها ثلاث شهور أرضعها كيف لي أن أعرف أن صيامي ينقص الحليب أو كيف يكون صيامي ضررا على إرضاع ابنتي أو أصوم وأرضعها بالحليب الصناعي مع العلم أنني أخشى أن إذا تعودت على الحليب الصناعي تترك الرضاع الطبيعي ؟

-الجواب : عن هذا سهل وواضح فالمرأة تعلم من رضيعها إذا لم يشبع من الحليب يبكي ويتضور جوعا ؛ فتعلم حينها أنها لا تخرج من الحليب ما يكفيه ، أما إن كان يرضع وينام ويطمئن في رضاعه ، فهذا معناه أنه قد اكتفى بحليبها ولم يؤثر عليه أو عليها ؛ أي على هذه البنت صوم أمها ، وأما إن كانت تخشى على نفسها بأن تصاب الأم أي يصيبها دوار أو ما يعرف بالدوخة ولا تستطيع القيام بسبب الإرضاع فلها أن تفطر، وكذا إذا خشيت على هذا الرضيع من عدم وجود الحليب الكافي لإرضاعه فلها أن تفطر والله أعلم .

السؤال الثاني : يقول أسأل عن حكم الصّدقة في رمضان لمن عليه دَيْن ونحن في هذا الشّهر المبارك وفضل الصّدقة في رمضان أفضل منها في غيره.

الجواب: إن كان هذا الدّين له أجل بعد شهر رمضان فلا مانع من الصدقة لأنّ أجله وموعده بعد شهر رمضان ، فلا مانع من الصّدقة في رمضان ، وأمّا إن كان هذا الدّين موعده في رمضان أو كان صاحبه يطالب به فلا شكّ أنّ أداء الدّين واجب وأنّ الصّدقة مستحبّة ، فتقديم الواجب أولى من فعل الأمر المستحب.

ويمكن أن يستأذن الإنسان من صاحب الدّين بأن يقول له لك عليا دين كذا وكذا وسأوافيك به – إن شاء الله – ولكن أريد أن أتصدّق بالمال، فذكر بعض أهل العلم أنّه إذا استأذن صاحب الدّين في ذلك فله ذلك ، وبهذا يحصل له الأمران – بإذن الله تعالى– : أعني الصّدقة في رمضان وعدم إضرار صاحب الدّين.

السؤال الثالث : هذه تسأل عن القضاء من رمضان الماضي ثمّ حصلت لها أمور منعتها من القضاء.

الجواب : يعني هي أفطرت في رمضان العام الماضي عدة أيام ثمّ حصلت لها أمور من مرض وحمل ونفاس حتّى دخل عليها رمضان هذا **فما حكمها ؟**

حكمها عند أهل العلم أنّها تصوم رمضان هذا ثمّ تقضي الأيّام التي أفطرتها من العام الماضي والأيّام التي أفطرتها من هذا العام ولا شيء عليها، لا يلزمها الإطعام عند أهل العلم مادامت معذورة .

السؤال الرابع : هذه تسأل أنّها تسكن في دولة يعني دولة علمانية لا تحكّم شريعة الله –عزّ وجلّ– وأنّهم قد صاموا بإعلام الصّيام في الدّول المجاورة لهم ، فهل يصحّ صيامنا؟

الجواب : نعم. يصحّ الصّيام مع صيام الدّول المجاورة لأنّها تأخذ نفس الحكم عند أهل العلم.

السؤال الخامس : هذا سائل يسأل حول الفطر في الدّول التي تؤخّر الآذان ؛ يعني آذان المغرب بحيث تغرب الشّمس ولا يؤذّن المؤذّن إلّا بعد ربع ساعة.

الجواب : فالجواب عند أهل العلم التّالي :

إن ثبت يقينا أنّهم يؤخّرون الآذان عن وقته مدّةً ورأى الصّائم غروب الشّمس وتحقّق ذلك فله أن يُفطر ؛ ولكن هذا كما سبق عند أهل العلم لمن تيقّن ذلك .

– ولكن مَن كان في بلدٍ إسلاميّة ويشكّ هل أخّروا أو ما أخّروا ؟

فهذا يفطر بفطرهم ولا يحكم بنفسه أو يحكم بقول بعض من حوله أنّ الآذان يؤخّر أو يقدّم ؛ فإنّ الأصل أنّ المسلم يفطر مع إخوانه ويصوم مع إخوانه ، فمادام أنّه غير متيقّن فيعمل بالأصل هذا ، لأنّنا نجد اضطرابات في بعض الدّول الإسلاميّة عند بعض الشّباب ، فبعضهم يزعم أنّ الآذان يؤخّر وبعضهم يزعم أنّ الآذان على الوقت وبعضهم يزعم غير ذلك ، فنقول لهؤلاء الإخوة جميعًا :

إذا كنتم غير متيقّنين فالأصل أن تعملوا بما هو معمول عندكم والأصل أنّ الحاكم الشّرعي هو الذّي يحدّد وقت الإفطار ووقت الصّيام على حسب رؤية الفجر وغروب الشّمس وهذا من مهماته التّي يقوم بها عن طريق من يوكّل إليه الأمر في ذلك ، فلندع الفوضى ولندع التّدخّلات في هذه الأمور لولاة الأمر.

وأمّا مَن كان مثلا في الصّحراء وبعيدًا عن المدينة ورأى غروب الشّمس بعينه فهذا كما يقول الألباني وغيره من أهل العلم فله أن يفطر.

هذا – وصلّى الله وسلّم – على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الأربعون النووية

شرح فضيلة الشيخ

أحمد بن عمر بازمول

حفظه الله

الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى

- ١٤٣٧\ ١٤٣٦ هـ.

ضمن دروس معهد الميراث النبوي

-تفريغ فريق صيانه السلفي-

http://meerath.nabawee.net
https://www.facebook.com/meerath.nabawee/?ref=

الدرس العاشر من الأربعين النووية

بِسْمِ اِللهِ اِلرَّحْمَنِ اِلرَّحِيمِ

إِنَ الحَمَدَ للهِ نَحمدُهُ ونَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا مِنْ سَيِئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللهَ فَلاَ مُضِلَ لَهُ ، وَمَنْ يُضّلل فَلاَ هَادِيَ لَه ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهِ إِلاَّ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَ مُحَمَدًا عَبْدَهُ وَرَسُولُهُ

أَلاَ وَإِنَ أَصْدَقَ الْكَلَام كَلَامُ اللهِ وَخَيرَ الهُدَى هُدَى مُحمَّد وَشرَ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٍ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٍ وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أمَّا بعد :

فقد وقفنا في مدارسة ومذاكرة متن الأربعين النووية عند الحديث السابع ، وهو ما رواه أَبو رُقَيَّةَ تَمِيمِ بْنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ –رضي الله عنه– عن النَّبِيَّ –صلى الله عليه وسلم– أنه قال :

(الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنَا: لِمَنْ يا رَسُولُ الله ؟ قَالَ لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ) [1]

هذا الحديث العظيم ؛ حديثٌ مهم ، يحتاج إليه جميع المسلمين ؛ لما فيه من الحكم البالغة والفوائد العظيمة ، فإن النبي – صلى الله عليه وسلم – بيَّن أنَّ : (الدِّينُ النَّصِيحَةُ)

---

[1] رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم: 55].

يعني : أنَّ من أهم خصال هذا الدين النصيحة ، أنَّ من أهم خصال هذا الدين النصيحة ؛ لما للنصيحة من فوائد عظيمة في تحقيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لما في النصيحة من تحقيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

–والنصيحة معناها : الخلوص .

يُقال شيءٌ ناصح : يعني خالصٌ من الغش .

ويُقال عسلٌ ناصح ولبنٌ ناصح : يعني خالصٌ من الغش والأخلاط الرديئة ، كذا النَّاصح إذا نصح يكون مقصوده بالنصيحة حصول الفائدة ودفع المضرَّة ؛ لذا كانت هذه الكلمة (الدِّينُ النَّصِيحَةُ) كلمةٌ جامعة تدلُّ على أن النصيحة لها مكانةٌ في الدين .

والإسلام دينٌ خالص من كل باطلٍ ، وهو دينٌ صافي ، كذلك المسلم في نصيحته ينبغي له أن يخلِّصها من شوائب الحسد والمكر والخديعة ، فيتظاهر بالنصيحة وهو يريد أمرًا آخر ؛ فالمسلم يُخلِّص نصيحته من الأغراض الفاسدة .

فلمّا بيّن النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – (الدِّينُ النَّصِيحَةُ) ، وفي بعض الروايات أنه كررها ثلاثًا : (الدِّينُ النَّصِيحَةُ ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ) .

حينها سأله الصحابة : (لِمَنْ يا رَسُولُ الله ؟) ؛ لأن النصيحة إفادةٌ للغير

– فمن هذا الغير الذي يُنصح ويستحق النصيحة ؟

فبيَّن لهم النبي –صلى الله عليه وسلم– أنَّ النصيحة تكونُ لله ، وتكونُ لكتابه ، وتكونُ لرسوله – صلّى الله عليه وسلّم– ، وتكونُ لأئمّة المسلمين ، وتكونُ لعوام المسلمين .

–وأمّا النصيحة لله – عزَّ وجل – كيف تكـون ؟

النّصيحة لله –عزّ وجل– تكون : بإخلاص العمل لله –عزَّ وجل– ، وأن لا يشوبها بشركٍ ولا كفرٍ ؛ فتكون العبادة خالصةً لله – عزَّ وجل– .

أيضًا النّصيحة لله –عزَّ وجل– تكون : بأن تشهد وتؤمن بالله – عزَّ وجل – ، باستحقاقه للوحدانية ، في ربوبيته ، وفي ألوهيته ، وفي الأسماء والصّفات ؛ هذه هي النصيحة لله – عزَّ وجل – فتؤدي ما أمرك الله به خالصًا مُتّبعًا لسنّة النّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – .

–وأمّا النّصيحة لكتابه :

فهي أن تُؤمنَ بما في القرآن ، وأن تُصدِّق بما فيه من الأخبار والوعيد تصديقًا جازمًا لا مرية فيه ، ومن النّصيحة لكتابه : أن تمتثل ما فيه من الأوامر ، وأن تجتنب ما فيه من النّواهي .

ومن النّصيحة لكتابه : أن تُؤمنَ وتوقن بأنَّ ما فيه من الأحكام هي خير الأحكام ، وتُؤمن بأنَّ هذا القرآن كلام الله ، تكلَّم به – سبحانه وتعالى– على الحقيقة ، وتلقّاه منه جبريل ، ونزل به على نبيّنا محمد – صلّى الله عليه وسلّم– .

أيضًا من النّصيحة لكتابه ممّن عنده القدرة على ذلك : الذّبْ عن هذا القرآن ، والدّفاع عنه ممّن يشكّك فيه أو يطعن فيه ؛ فهذه النصيحة لكتاب الله – عزّ وجلّ –.

–وأمّا النّصيحة لرسوله – صلّى الله عليه وسلّم – فتكون أيضًا بأمور ، منها :

أن تؤمن بأنّه رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – ، وأنّه لم يأتِ بشيءٍ من تلقاء نفسه ، إنّما أخبرنا بما أُوحِيَ إليه –عليه الصّلاة والسّلام– .

ومن النصيحة للرسول – صلّى الله عليه وسلّم – : أن تؤمن بكل ما أخبر به من الأخبار الماضية والحاضرة والمُستقبلة ، وأيضًا أن تتبعه –صلّى الله عليه وسلّم– وتُجرِّد المتابعة له ولا تتبع غيره ؛ فهو –صلَّى الله عليه وسلَّم– رسولٌ من الله أُرسل إلينا ليُبلِّغ دين الله فنتبعه ؛ فلا تُقدِّم قول أحد على قوله – صلّى الله عليه وسلّم– كائنًا من كان ، فلابدَّ من تجريد المتابعة له –صلّى الله عليه وسلّم–.

أيضًا من النّصيحة للرسول –صلّى الله عليه وسلّم– : أن تمتثل أوامره وأن تجتنب نواهيه ، قال – صلّى الله عليه وسلّم – : (مَن أطاعني فقد أطاع الله ومَن عصاني فقد عصى الله)

أيضًا من النّصيحة له – صلّى الله عليه وسلّم –: محبّته ونصرته – صلّى الله عليه وسلّم – والذّبّ عنه وعن هذا الدّين الذّي جاء به من عند الله – عزَّ وجل – .

–وأما النصيحة لأئمة المسلمين :

والمُراد بهم في هذا الحديث : الحكام والعلماء ، كما قال الشيخ ابن العثيمين – رحمه الله تعالى–

– فكيف تكون النصيحة للعلماء ؟

أولًا : تكون النصيحة للعلماء بمحبَّتهم لأنهم ورثة الأنبياء ، ولأنهم يدلُّونك على الخير ، ولأنهم –أي العلماء العاملون السلفيون– لأنهم أولياء الله – عزَّ وجل – .

وأيضًا من نصيحة العلماء : معونتهم ومساعدتهم في بيان الحق .

وأيضًا من النصيحة للعلماء : الذب عن أعراضهم ، إذا نُسِبَ إلى أحد من العلماء شيء باطلٌ فالمسلم يذب عن العالم .

والشيء بالشيء يُذكر ، فما نُسِبَ لشيخنا الإمام ربيع بن هادي المدخلي – حفظه الله تعالى – من أنه يدعو إلى الثورة ، ومن أنه من غلاة التبديع والتجريح ، هذا كلام باطلٌ عاطل ؛ فالشيخ ربيع –حفظه الله تعالى– معروف بمحاربته للثورات ، والانقلابات ، والمظاهرات ، والاغتيالات ، والإضرابات ، والاعتصامات ، يُحرّمها ويُبيِّن ضررها وأنها ليست من الإسلام في شيء ، ويدعو إلى الصبر وعدم الخروج .

فهؤلاء الذين نسبوا لهذا الإمام هذه الفرية كذبوا والله فيما نسبوه إليه ، وكفى بشهادة العلماء لهذا الإمام في علمه وورعه وتقواه ردًا على أُولئك المفترين ، الذين ينسبون إليه هذه الفرية الذي هو براء منها – حفظه الله تعالى – .

وما دعا أبدًا للثورات ولا للإضرابات والانقلابات ؛ بل دعا إلى السنّة ومنهج السلف الصالح من الصبر وعدم الخروج ، والكف في زمن الفتنة ، ولا يَعُدُّ الدفاع عن النفس ثورة إلا من طُمست بصيرته ، وغطَّى الجهل على عينيه ، وتحكَّم فيه هواه ؛ فشيخنا الإمام ربيع المدخلي – حفظه الله تعالى – عالم سُنَّة ، نعم نحن نقول : يُصيب ويُخطئ ، ولكن ليس ذلك سبيلًا إلى أن يُطعن فيه بالافتراء والكذب .

وعلى فرض أن الشيخ – حفظه الله تعالى – أخطأ في مسألة ، فلا يلزم منها نسبته إلى الثورة ، ونسبته إلى الخروج والانقلابات ، حاشاه – حفظه الله تعالى – من ذاك المنهج التكفيري الخارجي الذي عاش عمره يهدم فيه ، ويُبيِّن ضلاله وانحرافه وضرره على الأمة ، فهنا نذب عن العالم ، وعجبًا لأُولئك الذين نشبوا أنيابهم وأظافرهم في ذاك العالم الإمام البصير القدوة ربيع المدخلي ، وانطرحوا وتمايلوا وتباكوا ، وكانوا كالذَرِّ وكالخنافيس مع أئمة الضّلال الذين يدعون إلى الثورات ، ويدعون إلى الانقلابات ، ويدعون إلى الخروج ، يعدُّونهم أئمة وشهداء ، ويشيدون

بهم ، ولا يرضون فيهم كلمة ، وهم أئمةِ بدعٍ وضلال ، وأئمةِ انحرافٍ عن الحق ؛ فلا إله إلا الله

– كيف يلعب الهوى بأصحابه ؟!

فيكون صاحب الحق مُضلًا عندهم ، ويكون الضَّال صاحب حق عندهم ، وكفى بهذا دِلالةً على قلب الموازين ، وعلى انطماس البصائر ، نسأل الله السلامة والعافية .

فالذَّب عن العالم لا شك أنه أمرٌ مهم ؛ لأن العالم من ورثة الأنبياء ، وهذا من النصح للعلماء ، وهذا من باب النصح للعلماء .

نعم ، ليس من باب التَّعصب ولا من باب رد الحق ؛ فالعالم إذا أخطأ –كما سيأتينا إن شاء الله– نقول له : أخطأت ، ولكن أن يُفترى على العالم ، وأن تتكالب عليه الضباع من كل جهة ، عجبًا والله لحال هؤلاء !

فنسأل الله – عزَّ وجل – أن يرفع درجة شيخنا الإمام ربيع المدخلي ، وأن تكون هذه الافتراءات رفعةً له لأنه مظلوم ، ولكن ما عند الله أبقى وخيرٌ له – بإذن الله تعالى – ، وأهل العلم وأهل الإنصاف كلّهم – بحمد الله تعالى – مع هذا الإمام ، ولم يتكلم فيه إلا الأراذل .

–أيضًا من النصيحة للعالم : كما يقول الإمام العثيمين – رحمه الله تعالى – :

" أنك إذا رأيت منه خطأً فلا تسكت وتقول هذا أعلم مني ، بل تناقش بأدب واحترام ؛ لأنه أحيانًا يخفى على الإنسان الحكم فيُنَبِّهَهُ من هو دونه في العلم فيتنبّه ، وهذا من النصيحة للعلماء "

– هذا كـلام مــن ؟

–كلام الإمام العثيمين – رحمه الله تعالى – ، وفيه تعليم لنا أن لا نتعصب إن تبيَّن لنا خطأ العالم نقول له أخطأت ، إذا أخطأ العالم نقول له أخطأت ، ولا نتعصب له ، ولا نُقدِّم قوله على الحق لأننا حينها لم نكن ناصحين ، لسنا بناصحين له .

–أيضًا من النصيحة للعلماء : أن تدلُّهم على خير ما يكون في دعوة الناس ، كأن مثلًا كما مثَّل الشيخ العثيمين – رحمه الله – إذا كان العالم يطيل في درسه أن تنصحه بألا يطيل في درسه.

–وأما النصيحة للأمراء والحكام فإنها تكون :

أولًا : باعتقاد أنهم أهل إمرةٍ ، وأنهم أئمةٌ لهم في عنقك بيعة .

–وأيضًا من النصيحة لهم : أن تنشر محاسنهم في الرعية ؛ لأن ذلك يؤدي إلى محبة الناس كما يقول الشيخ العثيمين – رحمه الله تعالى– .

–وأيضًا من النصيحة للحكام والأمراء : أن تسمع وتُطع لهم في غير معصية الله – عزّ وجل – ؛ فإن أمروك بمعصية فلا طاعة لهم في تلك المعصية خاصة ويبقى لهم السمع والطاعة في بقية الأمور .

وهنا نُنبِّه على مسألةٍ وهي :

أن السمع الذي أُمرنا به معناه :

أن تكون يا عبد الله مُلقيًا للسمع لأوامر هذا الحاكم ؛ لأن في المجتمع قد يوجد من يتكلم بخلاف ما يقوله الحاكم .

– فلمـن نســتـمع للحاكم ؟

– أم لهؤلاء الذين يخالفونه ؟

– الجـــواب :

–الواجب شرعًا أن تسمع لهذا الحاكم في غير معصية الله – عزّ وجل – ، تسمع وتطيع في غير معصية الله – عز وجل – ، كما نبَّه على ذلك شيخنا الشيخ محمد بازمول – حفظه الله تعالى – ، فبيَّن أن معنى السمع للأمراء أنك لا تلتفت لوسائل الأخبار ، أو التويتر ، أو وسائل الاتصالات المختلفة إذا قالت شيئًا خلاف ما يقوله الحاكم .

لأن تلك المصادر لست مأمورًا يا عبد الله بالاستماع لها ، ولأنها مشبوهة ، قد تريد الانقلاب ، وتريد زعزعة المجتمع ونشر الفوضى ، ولذلك من يستمع لهؤلاء يقع في المزالق .

–أيضًا من نصيحة ولاة الأمر : أن تستر معايبهم ، وأن تنصحهم سرًا .

–وأيضًا من النصيحة لولاة الأمر : عدم الخروج عليهم ، وأن تصبر كما في صحيح البخاري عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – أنهم جاؤوه يشكون الحجَّاج ، فقال لهم : " اصبروا ؛ فما من عام إلا والذي بعده شر منه " .

فتأمَّلوا عباد الله ، ما قال لهم أنس – رضي الله عنه – : اعملوا اضرابات ، اعملوا انقلابات ، اخرجوا في الشارع بالهتافات ، افعلوا الاعتصامات ، افعلوا الثورات ، لا ، قال لهم :

"اصبروا " ، قال لهم –رضي الله عنهم – : " اصبـروا " .

-علـى من يـصـبـروا ؟

-على الحجَّاج ، المعروف بإراقة الدم – غفر الله لنا وله – .

فقال لهم : " اصبروا " ؛ فهذا أنس بن مالك –رضي الله عنه – يأمر بالصبر على ولي الأمر.

قال الإمام أحمد – رحمه الله تعالى- :

" الإمساك في الفتنة سنة ماضية واجبٌ لزومها ، فإن ابتليت فقدم نفسك دون دينك" .

الإمام أحمد – رحمه الله تعالى – في فتنة خلق القرآن سُجِن وضُرِب وطيف به على الحمار ، فجاءه أهل بغداد وغيرهم وقالوا له : أشر بأصبعك ليخرج هؤلاء كلهم على الحاكم ، فقال : " لا ، الدماء الدماء " .

فقالوا له : نخشى على أبنائنا وأن يُدرس هذا الدين ، فقال : " إن لهذا الدين ربًا يحميه".

فانظروا كيف هذا الإمام صبر وقدَّم نفسه ، وقد سُجِن وضُرِب ، ولم يقل لهم :

اخرجوا انقذوني ، افعلوا كذا وكذا ؛ صبر الإمام أحمد ، صبر على الحاكم وعلى ظلمه وعلى جوره في فتنة عظيمة ؛ فتنة خلق القرآن وأمرهم بالصبر .

وهنا يقول : " فقدِّم نفسك دون دينك ، ولا تعن على فتنة بيد ، ولا لسان " ، لا تعن بسلاح ، ولا بكلام ، ولا بتويتر تشعل الفتنة ، تؤجج الفتنة في العوام ، تتكلم بكلام تثير العوام على الحكام ، فإن هذا من فعل أهل الفتنة وأهل الأهواء ؛ بل أمسك واقصر ولا تخض في الفتنة .

قال : " ولا تعن على فتنة بيدٍ ولا لسان ، ولكن أكفف يدك ولسانك وهواك والله المعين "[2]

[2]) كما في طبقات الحنابلة الجزء الأول الصفحة عشرة .

وهو كلامٌ عظيم ، وهذا مصداق لقول النبي –صلى الله عليه وسلم – : (تكون فتنٌ القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ، من وجد ملجأً أو معاذًا فليعذ به)[3]

المسلم يجتنب الفتن ؛ لذا رأينا المشايخ –جزاهم الله خيرا– ، الشيخ الفاضل المُرَّبِي شيخنا محمد العنجري ، والشيخ الفاضل المُرَّبِي شيخنا الشيخ أحمد السبيعي –حفظه الله تعالى– ، وغيرهما من المشايخ أنكروا هذه الأحداث الأخيرة التي حصلت في تركيا من الانقلاب على الحاكم القائم – أردوغان– حاكم تركيا ، وقالوا هذا لا يقرُّه الإسلام ، والسُنَّة الصبر وعدم الخروج عليه وعدم الخوض في الفتن ، نقول هذا تديُّنًا لله –عزَّ وجل– ؛ لأن هذا هو منهج السلف ، وهذه هي السنّة ، الصبر والإمساك وعدم الخوض في الفتن ، سواء كان أردوغان أو كان السيسي أو كان غيرهما من الحُكَّام القائمين .

ليست القضية أن إذا كان الحاكم نواليه فندافع عنه ، وإذا كان الحاكم نبغضه فنؤجج الناس والنار عليه ، هذا منهج الإخوان ، ومنهج الضُلاّل ، منهجٌ فاسد ، أما المنهج السلفي ؛ فمنهجٌ واحدٌ مستقيم ؛ (الصبر برًا كان أو فاجرًا) ، هذا تعلَّمناه

– فمتى نطبقه ؟

لابد أن نطبقه ولابد أن تجتنب الفتن ما ظهر منها وما بطن .

– فمن النصيحة للحاكم : عدم الخروج عليه ، وعدم إثارة الفتن .

---

3) متفق عليه

-وأمَّا النصيحة لعوام الناس : فإرشادهم للخير وإبعادهم عن الشر، ودلالتهم على ما فيه منفعة ، وإبداء المحبة ، وإلقاء السلام ، وجلب المصالح لهم ، ودفع المفاسد .

فهذا الحديث كما يقول الشيخ العثيمين -رحمه الله تعالى- : "على اختصاره جامع لمصالح الدنيا والآخرة " ، (الدين النصيحة ، الدين النصيحة ، الدين النصيحة) [4] لو عملوا الناس بهذا الحديث لقلَّت الفتن ، ولظهرت السنة ، وظهر الخير.

الفتن تظهر إذا قلَّ العلم وظهر الجهل ، الفتن تظهر وتحل إذا ترك الناس العمل كما في بعض روايات البخاري : (إذا قلَّ العمل) ، وفي بعض الروايات : (إذا قلَّ العلم).

فالنصيحة ؛ بابٌ عظيم من أبواب هذا الدين يحصل بها الخير -بإذن الله تعالى- للفرد والمجتمع ، للحاكم والمحكوم .

فأسأل الله -عز و جل- أن يُجنبني وإياكم الفتن ما ظهر منها وما بطن ، وأسأله -سبحانه وتعالى- أن يحفظنا بحفظه وأن يحفظ الإسلام والمسلمين في كل مكان ، وأن يحفظ علينا بلاد الحرمين - المملكة العربية السعودية - أن يحفظها من كل سوء ، وأن يوفق ولاّة أمرها لما يحبه ويرضاه ، وأن يعينهم على القضاء على شر المفسدين المخرّبين ، الخوارج ، الدواعش ، الإرهابيين ، وكل من تسوّل نفسه للفساد والإفساد في هذا البلد الذي نسأل الله - عزَّ وجل - أن يحفظ حُكَّامه من كل سوء ، وأن يؤيدهم بنصره وتأييده ، وأن يديم علينا نعمة الأمن والإيمان ، ونعمة التوحيد والسنة التي ننعم بها بفضل الله أولًا وأخرًا ، ثم بفضل هذه الحكومة التي حكَّمت شريعة الله ، ونصرت السنة والتوحيد ، وقمعت البدعة والشرك والضلالات ، فجزاها الله خيرا وحفظها من كل سوء ، وحفظ الإسلام والمسلمين في كل مكان من كل سوء .

---

4) رواه مسلم

و صلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وإن كنت أريد أن أنبّه على مسألة فاتتني نبَّه عليها ابن رجب في شرح الأربعين النووية وهي : أن الذين يغشون الحكام ، فهذا هو دأب وحالهم حال الروافض ، وحال أهل البدع والأهواء الذين يغشون الحكام ، وكان السلف يعتبرون الذين يغشون الحكام أن هذا من فعل المنافقين .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الأربعون النووية

شرح فضيلة الشيخ

أحمد بن عمر بازمول

حفظه الله

الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى
- ١٤٣٧\ ١٤٣٦ هـ.

ضمن دروس معهد الميراث النبوي
-تفريغ فريق صيانه السلفي-

http://meerath.nabawee.net
https://www.facebook.com/meerath.nabawee/?ref=

بِسْمِ اِللهِ اِلرَّحْمَنِ اِلرَّحِيمِ

إِنَ الحَمَدَ للهِ نَحمدُهُ ونَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا مِنْ سَيِئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللهَ فَلاَ مُضِلَ لَهُ ، وَمَنْ يُضِّلْل فَلاَ هَادِيَ لَه ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهِ إِلاَّ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَ مُحَمَدًا عَبْدَهُ وَرَسُولُهُ

أَلاَ وَإِنَ أَصْدَقَ الْكَلَام كَلَامُ اللهِ وَخَيرَ الهُدَى هُدَى مُحمَّد وَشَرَ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٍ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٍ وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أمَّا بعد :

فقد توقفنا في الأربعين النووية عند الحديث الثامن ، وهو ما رواه ابْنِ عُمَرَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه – صلى الله عليه وسلم – قال :

(أُمِرْت أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ،

وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ؛ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى) [1]

هذا الحديث من الأحاديث الجامعة ، التي يُبيِّن فيها النّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – ما أمره الله – عزَّ وجل – به ، إذ قوله – عليه الصلاة والسلام – :

(أُمِرْتُ) : أي أن الله أمره ؛ فالآمر له : هو الله – عزَّ وجل – ، ورسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴿3﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴿4﴾﴾ [2].

(أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ) ، ومعنى أُقاتل الناس : أي أجاهدهم ، والناس المُراد بهم : الكُفَّار .

(أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ) ، وهذا جهاد الطلب ، إذ الجهاد عند العلماء : جهاد الطلب ، وجهاد الدفع .

أمَّا جهاد الطلب : فهو أن يقوم وليُّ الامر بدعوة الكفار إلى الإسلام .

وأمّا جهاد الدفع : فهو أن يقوم وليُّ الأمر بصدِّ العدو عن المسلمين وعن البلاد .

فقوله : (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ) أي : أجاهدهم ؛ أي أجاهد الكفار .

وهنا لابد من بيان أمرٍ :

---

[1]) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:25]، وَمُسْلِمٌ [رقم:22]
[2]) سورة النجم ، الآية 4

وهو أن الله – عزَّ وجل – أمر النّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – بالجهاد والقتال للمشركين من باب مصلحةِ هؤلاء المشركين أن يدخلوا في دين الله – عزَّ وجل– وأن يُسلموا .

وليس المُراد بالقتال والجهاد مُجرَّد القتل والانتقام وسفك الدماء ؛ وإنّما المُراد به أن تعلو كلمة الله – عزَّ وجل – ، وأن يدخل النّاس في دين الله – عزَّ وجل – .

أمّا قتال الكُفّار أو ما يقع من المشركين وما يقع من بعض الكفار من حروب وقتال لغيرهم فإنَّ هؤلاء يقاتلون لطلب الرئاسة ، ولطلب الأموال ، ولطلب الدنيا ، وقد يقاتلون انتقامًا من غيرهم ، وسفكًا للدماء عبثًا ولهوا ؛ **فهذا هو الفرق بين الجهاد في سبيل الله – عزَّ وجل – وبين القتال الذي يقع من المشركين** ، أو القتال الذي يقع من أهل البدع والأهواء لنصرة بدعتهم ولنصرة هواهم كداعش ونحوها من فرق الخوارجِ

فإنّ هؤلاء لا يقاتلون في سبيل الله ، إنّما يقاتلون في سبيل الشّيطان ؛ لأنّ الذي يقاتل في سبيل الله ينبغي أن يسلك السَّبيل الشرعي في الجهاد ، وأن يكون الجهاد والقتال لإعلاء كلمة الله – عزَّ وجل – .

–كيف تكون داعش تجاهدُ في سبيل الله وهي تخالف أوامر الله – عزَّ وجل – ؟

– كيف تكون داعش تقاتلُ في سبيل الله وهي تقتل المسلمين أطفالًا ونساءًا ورجالًا ؟

-كيف تكون داعش تدعو وتجاهدُ في سبيل الله وهي تُكفِّر المسلمين حُكّامًا ومحكومين ؟

-كيف تكون داعش تجاهدُ في سبيل الله وقائدهم وجنودهم إنّما يتّبعون أهواءهم وشياطينهم ولا يتَّبعون ما أمر الله – عزَّ وجل – به ؟

فإذًا النبي – صلّى الله عليه وسلّم – قال : (أُمِرْت أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ) ، أي : لإعلاء كلمة الله – عزَّ وجل – ، وليدخل النّاس في دين الله – عزَّ وجل – .

وهنا أيضًا ننبّه على أمرٍ مهم :

وهو أنّ هذا الجهاد وهذا القتال إنّما يكون لوليِّ الأمر ؛ هو الذّي يرفع رايته ، وهو الذّي يدعو إليه ، أمّا أن يأتي بعض النّاس ويدعو للجهاد ويثوّر النّاس فهذا خطأٌ شنيع ، مخالفٌ للأوامر الشرعية ولمنهج السّلف الصّالح في هذا الباب ، فاحذروا – بارك الله فيكم – من أولئك الذّين يعلنون الجهاد دون إذن وليِّ الأمر ؛ فإنّ هؤلاء دُعاة سوءٍ ودُعاة بدعةٍ وضلالة ، ليسوا على السُنّة .

إنّما السُنّة أن نقاتل من وراء الإمام لا أن نتقدّم على الإمام وندعو للجهاد ؛ فالنّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – أمره ربُّه – سبحانه وتعالى – بالجهاد ؛ فنادى بالجهاد ، ثمّ من بعده يكون الحكّام والأمراء هم الذّين ينادون بالجهاد .

قال – صلّى الله عليه وسلّم – : ﴿أُمِرْت أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ)

المعنى أنني أُمِرت بذلك –أي بقتال المشركين– حتى يؤمنوا بالله – عزَّ وجل – ، حتى يُسْلِموا ، أن ينطقوا بالشهادتين ؛ ولذلك جاء في بعض الروايات حتى يقولوا : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ، كما ذكر ابن رجبٍ – رحمه الله تعالى – في شرح الأربعين .

وأيضًا : ﴿أُمِرْت أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ﴾ حتى بعد أن ينطقوا بالشهادتين يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، كما في حديث معاذ بن جبل ، حين بعثه النّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – إلى اليمن ، فقال له : (إنك ستأتي قومًا هم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، فإن هم أطاعوك لذلك ، فأعلمهم بالصلاة)

ولقد نبَّه الحافظ بن رجب – رحمه الله تعالى – على مسألةٍ مهمة وهي :

أنه ليس المُراد بالحديث أنهم لا يؤمنوا أو لا يدخلوا في الإسلام حتى يقولوا الشهادتين ويصلُّوا ويزكوا ؛ وإنما كما في سيرة النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – أن الكافر يدخل في الإسلام بالنطق بالشهادتين ، ثم بعد نطقه بالشهادتين ، فإنه تجب عليه الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، وغيرها .

وقد مرَّ معنا حديث معاذ بن جبل ، لمَّا ذكر له النّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – أنه أول ما يدعوهم إلى الشهادتين ، (فإن هم أطاعوك فأعلمهم بالصلاة) .

فلم يقل له النّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – : ادعهم إلى الشهادتين ، والصلاة ، والزكاة ، والصيام معًا ، لا

الأساس الأول : الشهادتان ، فإذا نطقوا بها ، وأقرُّوا بها دخلوا في الإسلام ، ثم تجب عليهم بعد ذلك الأحكام الشرعية .

والشهادتان لا إله إلا الله : لا معبود بحق إلا الله ؛ فلا تُصرف العبادة إلا لله – عزَّ وجل – ، وأن ما عُبد من دون الله هو باطل ، وأن الإله الحق هو الله المُستحق للعبادة ؛ لأنه –سبحانه وتعالى– هو الذي خلقنا وأوجدنا من العدم ، وخلقنا لعبادته ، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[3]

وأن محمدًا رسول الله : خلقنا الله – سبحانه وتعالى – ولم يتركنا هملًا بل أرسل إلينا رسولًا كريمًا – صلَّى الله عليه وسلَّم – ، واصطفاه – عليه الصلاة والسلام – لهذه الأمة ليكون آخر الأنبياء والرسل – صلَّى الله عليه وسلم – ، فلا نبيَّ بعده ولا رسول .

وفائدة إرسال الرسول – صلَّى الله عليه وسلَّم – : أن يبلغ عن الله أوامره ، ونواهيه ، وأخباره ، وأن يُطاع – صلَّى الله عليه وسلَّم – .

ثم إذا نطقنا ونطق العبد بالشهادتين فإنه أقرَّ بذلك الأمر ؛ فالواجب عليه أن يمتثل أوامر الله .

ومن أهمها بعد الشهادتين : إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، فيتعلم الصلاة وأحكامها من

---

[3] سورة الذاريات [الآية 56] .

وضوء ، ونواقض ، ونحو ذلك ، ويتعلم الصلاة ، كيف صلَّى النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – .

فيقيمُ الصلاة بأركانها وشروطها وواجباتها وسننها ، ويؤتي الزكاة إن ملك مالًا ، وتوفرَّت فيه الشروط الواجبة ، فإنه يؤتي الزكاة ، ولا يمنع المال .

فالصلاة عبادةٌ بدنية ، والزكاة عبادةٌ مالية ؛ لذلك ذكرها النّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – .

وكما في حديث ابن عمر وغيره لمَّا ذكر أركان الإسلام ، وكما في حديث جبريل الطويل ما الإسلام ، قال : (شهادة أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقامة الصَّلَاةَ ، وَإِيتاء الزَّكَاةَ ، وَصُوم رَمَضَانَ ، وَحجُّ الْبَيْتَ من اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) [4]

قال –صلَّى الله عليه وسلَّم– : (فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ)

يعني : أولًا : أتوا بالشهادتين .

ثمَّ ثانيًا : امتثلوا أوامر الله من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة .

(عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ) ، عصموا : بمعنى حفظوا ، بمعنى : حفظوا دماءهم وأموالهم ؛ فتكون أموالهم ودماؤهم محترمةٌ ، يُحرم إراقة دمهم وأخذ أموالهم ؛ لأنهم

---

[4]) .رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم:8]

يصبحوا مسلمين ، فلهم ما للمسلمين من أحكام ، كما قال –صلَّى الله عليه وسلَّم– :

(كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه) .

(عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ) ، إذًا الكافر والمشرك حلال الدم ، ولكن يجب أن نعلم أن المُراد بالكافر المشرك الذي هو حلال الدم حين الجهاد والقتال ، ليس مُطلقًا

بمعنى : ليس لإنسانٍ مسلم أن يذهب ويقتل الكُفَّار من غير جهاد ولا قتال ويقول هؤلاء كفار حلال الدم ؛ هذا مذهب الخوارج ، هذا مذهب تنظيم القاعدة ، والدواعش ، الذين يستبيحون الدماء .

فبعضهم يرى هذا الرأي ، حتى قال بعضهم لطلابه ، قال : الأصل في الكافر القتل .

فنقول له : خبت وخسرت ، هذا قولٌ باطلٌ ، عاطلٌ ، مخالفٌ للأدلة الشرعية ، ومخالفٌ للسيرة النبوية ؛ فالكافر الذي يُقتل ويُباح دمه هو الكافر الحربي ، ولذلك منهم –أي الكفار– أهل الذمة ، والمستأمنين ، والمعاهدين ؛ حتى قال النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (من قتل ذميًا أو معاهدًا لم يرح رائحة الجنة) ، أو كما قال – عليه الصلاة والسلام– .

ولمَّا رأى امرأةً مقتولة وطفلًا مقتولًا غضب ، غضب –صلَّى الله عليه وسلَّم– ، رأى امرأة مشركة مقتولة ، ورأى طفلًا من أولاد المشركين مقتولًا غضب ، وقال : (من قتل هؤلاء ، ما كان لهؤلاء أن يقاتلوا) .

فدلَّت هذه الأحاديث وهذه الأدلة على أن ليس كل كافر يقتل ، وليس كل كافرٍ مُباح الدم ، وإنما الكافر الذي هو الحربي ، الذي بيننا وبينه حرب مع القتال مع وليِّ الأمر ؛ فتنبهوا لهذا الأمر –بارك الله فيكم– .

قال : (إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ) يعني : إذا أسلم الكافر عُصِمَ ماله ودمه ، فلا يجوز الاعتداء عليه لا في مال ولا في دم .

(إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ) : أي إلا إذا ارتكب أمرًا أوجب الإسلام حينها أخذ ماله ، أو سفك دمه ، قتل دمه .

وقد جاء عن أنس أنه قال في قوله –عليه الصلاة والسلام – : (إلا في بحقها) ، قال : (زنا بعد إحصان) ؛ فالزاني إذا كان مُحصنًا فإنه يُرجم حتى الموت .

قال : (زنًا بعد احصان ، وكفر بعد إيمان) ؛ فالمرتد يقتل كما قال – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (من بدل دينه فاقتلوه) ، وقتل نفسٍ ؛ فمن قتل نفسًا , وطالب أهل النفس بإقامة القصاص عليه فإنه يُقتل ، والنفس بالنفس ، النفس بالنفس .

وكذا إذا فعل أمرًا يستوجب القتل ، فهذا معنى قوله – عليه الصلاة والسلام – : (إلا بحقها).

وكلنا يذكر قصة أبي بكر – رضي الله عنه – مع المرتدين ومع مانعي الزكاة ، وأن عمر – رضي الله عنه– في البداية قال لأبي بكر : " كيف تقاتل من يقول لا إله إلا الله وإن منع الزكاة ؟ ، المرتدون يقاتلون ؛ لأنهم وقعوا في الردة والكفر" .

–أمَّا من منع الزكاة وهو يقول لا إله إلا الله فكيف نقاتله ؟

فقال أبو بكر – رضي الله عنه – : " إن رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال :

(أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يقولوا – وفي رواية – حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، فإن هم قالوها عصموا مني دماءهم وأمولهم إلا بحقها , أو إلا بحق الإسلام)

وإنَّ الزكاة من حق الإسلام ، فأنا أقاتلهم " .

فكان أبو بكر – رضي الله عنه – أصاب الحق ووافق هذا الحديث الذي معنا ، الذي رواه ابن عمر حين قال : (ويقيموا الصلاة , ويؤتوا الزكاة) ، ثم عمر رجع إلى قول أبي بكر , وأن الله قد شرح صدر أبي بكر لذلك ، وأنه وفق للحق .

فأبو بكرٍ –رضي الله عنه – قاتل المرتدين ، فأبو بكر –رضي الله عنه – قاتل مانعي الزكاة وهم يقولون – لا إله إلا الله بحجة مـــــاذا ؟

أنهم لم يؤدوا حق الله –عزَّ وجل– ، وهو الزكاة ؛ فقال أبو بكر –رضي الله عنه – :

" والله لو منعوني عقالًا كانوا يؤدونه إلى النبي –صلَّى الله عليه وسلَّم – لقاتلتهم عليه "

فإذًا من وقع في أمرٍ جاء في الشرع يُبيح دمه أو ماله فإنه لا يكون حينها معصوم الدم ، بل يُباح شرعًا إقامة الحد عليه ، وذلك من حق الإسلام .

وهنا أيضا أنبه على مسألة في قوله – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ) .

هذا الحق الذي من طريقه يُقتل المسلم ، أو تقطع يده ، أو يؤخذ ماله ، ليس لآحاد الناس أن يفعلوا ذلك ، وإنما هذا يكون عن طريق ولاة الأمر ومن أنابوهم من القضاة ، الذين يحكمون في مثل هذه المسائل، فلا يأتي إنسان يقتل شخص ويقول هذا حلال الدم لأنه مرتد ، أو هذا حلال الدم لأنه محصنٌ قد زنا ، لا ، هذا لا بد من رفعه لولاة الأمر ، وهم الذين يقيمون الحدود .

ومن منهج الخوارج ومن منهج الدواعش ، أنهم لا يعتبرون الحكام ، وأنهم يزعمون أنهم هم الذين يقيمون الحدود ، كما في قصة وهب بن منبِّه مع ذاك الرجل من " خولان " الذي تأثر برأي الخوارج ، حيث كانوا يقولون له –أي الخوارج – : " ادفع لنا المال ولا تدفعه للسلطان ؛ لأننا نقيم الحدود ونعطيه لأهله ومستحقيه " ممن يرى رأيهم ، فهذا مذهب الخوارج أنهم يظنون أن لهم أن يقيموا الحدود بأنفسهم ، وهذا خطأ ، بل الحدود وإقامة هذه الأمور مرجعها للحاكم الشرعي –بارك الله فيكم– .

قال –صلَّى الله عليه وسلَّم– : (وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى) .

- **قال العلماء :**

يعني أن الرسول –صلَّى الله عليه وسلَّم– يتعامل معهم بظاهرهم ، أمَّا ما يتعلق بباطنهم فهذا أمره إلى الله ؛ ولذلك النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – في قصة أسامة بن زيد لمَّا قتل ذلك المشرك الذي قال لا إله إلا الله ، قال أسامة – رضي الله عنه – : " إنما قالها تعوذا " ، يعني هو لم يسلم ، هو قال لا إله إلا الله لئلا أقتله .

- ماذا قال له –صلَّى الله عليه وسلَّم – ؟

(هلاّ شققت عن قلبه) ، يعني : ليس لك ما في قلبه ، لك ما أظهره لك ، وهذه قاعدة –بارك الله فيكم– أننا لنا بما ظهر من حال الناس ، وليس لنا أن نحكم على بواطنهم بالظنون إلا إن دلَّت القرائن والأدلة بأن يصرح الإنسان بما في باطنه أو يثبت عليه بفعله ما يدلُّ على باطنه فحينها يؤاخذ ، أمَّا مجرد الظنون أن تظن أن الشخص الفلاني فعل كذا وكذا ، لأجل كذا وكذا ، لا لأجل الله ، فهذا خطأ ، هذا خطأ ، هذا من منهج الخوارج ، كما نصَّ على ذلك أهل العلم ، وهنا النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم– يقول : (وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى) .

لقد كان النبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– يعرف بعض المنافقين بأعيانهم وأسمائهم ، بل وسمَّاهم لحذيفة بن اليمان –رضي الله عنه – قال : (فلان وفلان من المنافقين) ، فكانوا منافقين ومع ذلك لم يقتلهم –صلَّى الله عليه وسلَّم– ، بل تعامل معهم بما

أظهروه من الإسلام ، هم يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر ، ولكن ما قتلهم – صلَّى الله عليه وسلَّم – .

ولذلك –بارك الله فيكم– هذا الحديث من جملة الأحاديث التي فيها أن المسلم له بما ظهر من أخيه ، وليس له أن يطعن في نواياه إلا إن دلَّت القرائن والأمور على نيّته ، وكذا دلَّ فعله على نيته ، فتنبهوا –بارك الله فيكم– من اتهام الناس بالظلم بمجرد الظنون التي لا دليل عليها .

أسأل الله –عزَّ وجل– أن ينفعني وإياكم بما سمعنا وأن يكون حجة لنا لا حجة علينا .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الأربعون النووية

شرح فضيلة الشيخ

أحمد بن عمر بازمول
حفظه الله

الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى

- ١٤٣٧\ ١٤٣٦ هـ.

ضمن دروس معهد الميراث النبوي
-تفريغ فريق صيانه السلفي-

http://meerath.nabawee.net
https://www.facebook.com/meerath.nabawee/?ref=

الدرس الثاني عشر من الأربعين النووية

بِسْمِ اِللهِ اِلرَّحْمَنِ اِلرَّحِيمِ

إِنَ الحَمَدَ للهِ نَحمدُهُ ونَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا مِنْ سَيِئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللهَ فَلاَ مُضِلَ لَهُ ، وَمَنْ يُضّْلِل فَلاَ هَادِيَ لَه ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهِ إِلاَّ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَ مُحمَدًا عَبْدَهُ وَرَسُولُهُ .

أَلاَ وَإِنَ أَصْدَقَ الْكَلَام كَلَامُ اللهِ وَخيرَ الهُدَى هُدَى مُحمَّد وَشَرَ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٍ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٍ وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أمَّا بعد :

فقد توقفنا عند الحديث التاسع من الأربعين حديثًا للنّووي– رحمه الله تعالى– ، ولفظه عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قَالَ : سَمِعْت رَسُولَ اللَّه – صلَّى الله عليه وسلَّم– يقول : (مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ) . [1]

---

1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ .

هذا الحديث عن النّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– له سبب ، من أجله قال النَّبي –صلَّى الله عليه وسلم– هذا الكلام العظيم ، وذلك كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه– قال :

" خطبنا رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فقال :

(يا أيّها النّاس فقد فرض الله عليكم الحج فحجُّوا ، فقال رجل أكُلَّ عام يا رسول الله) يعني هل يجب علينا الحج في كل عام ، فسكت –صلَّى الله عليه وسلَّم حتى قالها ثلاثًا ، يعني أعاد السؤال ثلاثًا ، فقال رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم– : (لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم) ، يعني لا تستطيعون أن تحجُّوا كل عام لما فيه من كلفةٍ في المُؤنة والمال وفي البدن ونحوِ ذلك– ، ثم قال – صلَّى الله عليه وسلَّم –: (ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُم) ذروني بمعنى : دَعوني و اتركوني ولا تسألوني ، (ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُم ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ كان قَبْلِكُمْ بسؤالهم وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ ، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا به ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه) ؛ فهذا سبب ورود الحديث ، وهو يُبيِّن لنا أن النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم– كان يأمر أصحابه أن لا يسألوه ، وإنّما يمتثلوا أوامره ويجتنبوا نواهيه ، وكان هذا ممّا عوَّدهم النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم – عليه .

كما جاء عن أنس في صحيح مسلم ، قال : (نُهينا أن نسأل رسول الله –صلَّى الله عليه وسلَّم– عن شيء ، فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع ، فيسأله ونحن نسمع) .

قال ابن رجب : (لم يكن النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – يُرخص في المسائل –يعني في الأسئلة– إلاّ للأعرابي ونحوِّهم أو من الوفود القادمين عليه يتألفهم بذلك ، فأمَّا المهاجرون والأنصار المقيمون بالمدينة الذين رسخ الإيمان في قلوبهم فنُهوا عن المسألة) ،كما في صحيح مسلم ، عن النّواس ابن سمعان قال : (أقمت مع رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – بالمدينة سنة ما يمنعني من الهجرة إلاّ المسألة) .

كان أحدنا إذا هاجر لم يسأل النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم– ، فلما سأل ذاك الرجل –رضي الله عنه وأرضاه– النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– بيَّن لهم **أمرين :**

–أمَّا الأمر الأول : وهو أن الحج ليس بواجب في كل عام ، بل هو واجب مرة واحدة في العمر.

–أمَّا الأمر الثاني : بيَّن لهم النبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– أن لا تكثروا من الأسئلة حتى لا يترتب على سؤالكم أمرًا لم يكن مُحرَّمًا أو لم يكن واجبًا فحُرِّم و أُوجب بناءً على هذا السؤال.

وهذا من رحمة النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– بأمَّته وحرصه على أن لا يشق عليهم ، كما قال– صلَّى الله عليه وسلَّم – ،كما في الصحيحين من حديث سعد ، عن النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم– أنّه قال : (إنّ أعظم المسلمين في المسلمين جرمًا من سأل عن شيء لم يُحرَّم فحُرِّم من أجل مسألته) .

وكان –صلَّى الله عليه وسلَّم– يقوم الليل ، فقام بعض الصحابة بقيامه ثم ترك الخروج للقيام ، وبيَّن لهم –صلَّى الله عليه وسلَّم– أنّه إنما ترك الخروجِ للقيام مخافة أن يُفرَض عليهم.

قوله –صلَّى الله عليه وسلَّم– : (مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ) يدلُّ على أن الأمر المحرم يُترك ولا يُقرب منه المسلم

– لمـــاذا ؟

– لأن الأمر المُحرَّم هو من باب ترك الشيء ، وترك الشيء ليس كفعله ؛ فالأمر المُحرَّم يجتنب كُلِّيةً ، إلا من باب الضرورات التي تبيح المحظورات ، وقد مثَّل العلماء لذلك برجل وقفت اللقمة في حلقهِ ؛ غصَّ بها وليس بجواره ماءٌ ولا شرابٌ إلا الخمر فله أن يشرب من الخمر بقدر ما يدفع به الغصة لا من باب التلذذ بالخمر ، وإنما من باب إبقاء الحياة والنفس البشرية .

وضربوا أيضًا مثالًا برجلٍ ضلَّ الطريق وليس معه طعامٌ ولا شراب ولا هو يقرب منه ، فخشي على نفسه الهلاك فلم يجد إلا ميتةً فله أن يأكل من الميتة بقدر ما يدفع الغصة

، وهذا كما في قوله –سبحانه وتعالى– : ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رحيم ﴾ (2)

وغيرها من الأدلَّة الدالَّة على أن الأمر المُحرَّم يُجتنب كُلِّية إلا عند الضرورة ، والضرورة تُقدَّر بقدرها .

(مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ) ، سواءٌ كان في كتاب الله أو كان في سنة رسول الله –صلَّى الله عليه وسلَّم– ، لا فرق بينهما من جهة ترك الأمر المُحرَّم ؛ لأن النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– كما وصفه الله : ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4) ﴾ (2)

وأيضًا قال –صلَّى الله عليه وسلَّم– : (ألا وإن ما حرَّم رسول الله مثل ما حرَّم الله) .

وقال –صلَّى الله عليه وسلَّم– : (من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله) .

– لمـــاذا نقول هذا الكـــلام ؟

– لأنه للأسف الشديد يوجد بعض الناس يُقلِّل من شأن السنة ، وأن المُحرَّمات التي في القرءان هي التي ينبغي اجتنابها ، وأما المُحرَّمات التي في السنة فهي على التخيير ، أو على عدم الوجوب ، أو بل يصل الحد في بعضهم من الإجرام إلى أن يظن أن ما بالسنة من تحريم أمرٌ غير مشروع و لاحول ولا قوة إلا بالله .

---

[1] سورة المائدة
[2] سورة النجم – الآية 4

إذًا : (مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ) **لمـــاذا ؟**

– لأن الرسول لا ينهى عن أمرٍ إلا وقد أمره الله –عزَّ وجل– أن يُبلِّغ الناس هذا الأمر المُحرَّم .

ثم قال : (وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ) يعني :

الأوامر التي أمرتكم بها تفعلونها إلا إن عجزتم عن فعلها فتأتون منها ما استطعتم ، ويمثِّل العلماء مثلًا مما يدل على هذا الأمر مع هذا الحديث ، ما جاء في حديث عمران بن حصين ؛ فإن النبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– دخل عليه وكان عمران مُصابًا بالبواسير في مقعدته ، فكان يأتي بالوسادة فيسجد عليها ، فقال له النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم : (صل قائمًا ، فإن لم تستطع فجالسًا ، فإن لم تستطع فعلى جنب) ، والعلماء بيَّنوا أن الأوامر التي أمر النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– **بها على نوعين :**

– **النوع الأول** : أوامرٌ لا تتبعض ، يعني لا يمكن فعل بعضها وترك بعضها ، مثاله :

من عجز عن صيام جزءٍ من رمضان ، من عجز عن صيام جزء من يوم من أيام رمضان كأن يحتاج إلى شُرب دواء ، أو نحو ذلك فإنه يُفطر اليوم كله ؛ فهذه أوامر لا تتبعض ، كذلك يُمثِّلون بالعجز عن عتق الرقبة .

– والنوع الثاني : أوامر تتبعض وليس بعضها مرتبطًا ببعض ، وحينئذٍ يسقط ما عجز عنه ويأتي بالمقدور ؛ كرجل لم يجد ما يستر به كامل عورته ، وإنما وجد ما يستر بعض عورته فنقول له : استر هذا البعض وصلي .

فإذًا – بارك الله فيكم – هذا هو معنى قول النبي – صلى الله عليه وسلم – : (وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ) .

وإلى هذا أشار السَّعدي – رحمه الله تعالى – في القواعد الفقهية المنظومة حيث قال

وَلَيْسَ وَاجِبٌ بِلاَ اقْتِدَارِ وَلاَ مُحَرَّمٌ مَعَ اضْطِرَارِ

وَكُلُّ مَحْظُورٍ مَعَ الضَّرُورَة بِقَدْرِ مَا تَحْتَاجُهُ الضَّرُورَة

فالأمر الواجب إذا عجز عنه الإنسان بالكُلِّية يسقط عنه ، وهذا من كمال هذه الشريعة ، ومن رحمة الله – عزَّ وجل – كما قال الله – عزَّ وجل –: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (3) .

وكما سبق بيَّن العلماء أن الفرق بين ترك النواهي مُطلقًا وبين فعل المقدور عليه من المأمورات أن الأمر المنهي عنه متروك يسهل تركه ، وأمَّا الأمر المأمور به فهو فعلٌ و قد يعرض للإنسان ما يشق معه الفعل كسفرٍ ، أو مرضٍ ، أو عجزٍ عن الاستعمال ونحو ذلك ، أو عدم وجود المال ، فإذًا هذا من رحمة الله – عزَّ وجل – .

3) سورة البقرة [الآية 286] .

ثم قال – صلى الله عليه وسلم – : (فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَمْ) ؛ أي اليهود والنصارى.

(فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَمْ) ؛ أهلك : بمعنى أوقعهم في العذاب ، وأوقعهم في الضلال ، وأوقعهم في الانحراف عن الحق الذي جاءت به رسلهم .

– ما الــذي أهلــكـــهم ؟

بيَّن النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – **أمرين :**

– أما الأمر الأول : كثرة مسائلهم .

– والأمر الثاني : واختلافهم على أنبيائهم .

– ما المُــراد بكــثرة الســؤال ؟

هنا يجب أن نفهم هذا الحديث في ضوء النصوص الشرعية الأخرى .

– هل المراد به اغلاق باب السؤال مُطلقًا ؟

الجواب: لا .

– إذًا ما معنى قوله – صلَّى الله عليه وسلَّم –كثرة مسائلهم ؟

قال العلماء : المراد به الأمور التالية :

– الأمر الأول : النَّهي عن السؤال عما لا يُحتاج إليه مما يسوء السائل جوابه :

كما جاء في بعض الروايات أن بعضهم سأل النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (أين أنا ؟ قال : في النار) ، ثم غضب النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– من كثرة الأسئلة عن الأمور التي لا يحتاج إليها العبد ، حتى قال عمر –رضي الله عنه– : "رضينا بالله ربّا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيّا " .

كما في الصّحيحين ، عن أنس سألوا رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – حتّى أحْفَوْهُ في المسألة ، فغضب ، فصعد المنبر فقال : (لا تسألوني اليوم عن شيء إلّا بينته) ؛ فقام رجلٌ كان إذا لاحى الرّجال دعي إلى غير أبيه فقال : يا رسول الله من أبي ؟ ، قال (أبوك حُذَافة) ، ثمّ أنشأ عمر فقال : (رضينا بالله ربّا وبالإسلام دينا وبمحمد رسول، نعوذ بالله من الفتن) ؛ إذًا هذا الأمر الأوّل.

– الأمر الثّاني من الأسئلة المنهيّ عنها : السّؤال ، أو سؤال الآيات واقتراحها على وجه التّعنّت كحال المشركين وأهل الكتاب لمّا كانوا يسألون النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– الآيات ؛ فلم يكن السّؤال للعلم و لكن للتّعنّت.

– وأيضًا كما يقول ابن رجب ، وأنا أختصر كلامه ، يقول ويدخل في ذلك السّؤال عن أمرٍ أخفاه الله عن عباده ولم يطلعهم عليه كالسّؤال عن الرّوح والسّؤال عن وقت السّاعة

– وأيضًا ممّا يدخل –وهذا كان في زمن النّبوّة– السّؤال عن كثير من الحلال والحرام ممّا يخشى أن يكون السّؤال سببًا لنزول التّشديد فيه .

– وأيضًا ممّا ذكر أهل العلم من الأسباب أو من المسائل المنهي عنها :

المسائل التّي هي من باب الأُغلُوطات ؛ يسأل السائل العالم من أهل العلم لكي يُخطئ العالم ، ، أو يحرجه فلا يجيب أو لا يعرف السّؤال .

– وأيضا السؤال عن الأمور التّي لم تقع كما سيأتي –إن شاء الله– شيء من ذلك مع أيضًا المسائل التّي هي من باب الجدال والخصومة والمراء ، فإنّ الواجب الإيمان بالدّليل الشّرعي كتابًا وسنّةً ، والتّسليم لها كما سيأتي عن الإمام مالك حين قال : (أخبر عن السّنّة ولا تُجادل عنها).

فإذًا – بارك الله فيكم – هذه هي المسائل التّي نُهِيَ عنها .

أمّا السّؤال عن أمر يحتاجه العبد في أمر دينه ليتعلّم الأحكام المتعلّقة به من البيوع أو النّكاح ومن الطّهارة والصّلاة ومن مسائل العقيدة ليتعلّم ويعمل فهذا داخل تحت قوله – سبحانه وتعالى– ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [4] ، وقوله –صلَّى الله عليه وسلَّم – : (ألا سألوا إذْ جهِلوا إنّما شفاء العِيِّ السّؤال) أو كما قال – عليه الصّلاة والسّلام – .

---

4) سورة النحل الآية:43

فالسّؤال عن المسائل الواقعة التّي يحتاج إليها العبد ليتعلّمها ويعمل بها ليست داخلة في هذا النّهي ، ليست داخلة في هذا النّهي.

قال ابن رجب – رحمه الله تعالى – : (وقد كان أصحاب النّبيّ –صلَّى الله عليه وسلَّم– أحيانًا يسألونه عن حكم حوادث قبل وقوعها لكن للعمل بها عند وقوعها) ، كما قالوا له (إنّا لاقوا العدوّ غدًا وليس معنا مُدَى –يعني سكّين– أفنذبح بالقصب ؟

وسألوه عن الأمراء الذّين أخبر عنهم بعده وعن طاعتهم وقتالهم ، وسأله حذيفة عن الفتن وما يصنع فيها وكان يبيّن لهم النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – ذلك وبهذا ظهر لنا ما هو السّؤال ما هو السّؤال المشروع وما هو السؤال المنهيّ عنه.

وكان كثيرٌ من الصّحابة كما يقول ابن رجب والتّابعين يكرهون السّؤال عن الحوادث قبل وقوعها ، ولا يجيبون على ذلك ، يعني لعدم ترّتب الفائدة العلميّة والعملية من ذلك.

وكان زيد بن ثابت إذا سُئِل عن الشيء يقول : (كان هذا – يعني وقع – فإن قالوا لا قال دعوه حتى يكون) .

– والعلماء قد بيّنوا لماذا لا يشتغل الإنسان بالمسائل التي لم تقع ولا حاجة له في ذلك ؟

قالوا : إذا اشتغل بها وأكثر الجدال والكلام والخصومة لم يوفق للحق ، ولكن إذا اشتغل بما أمره الله ، ثم حصل له أمر يحتاج إلى معرفة حكمه ؛ فإن الله يوفقه بإذنه للصواب في المسألة .

أيضًا وهذه مسألة نحن نحتاج إليها اليوم كثيرًا ألا وهي :

مسألة كثرة الكلام وكثرة الفتيا ؛ فقد كان الإمام مالك –رحمه الله تعالى– يعيب ذلك ، وكان يكره الإمام مالك المجادلة عن السنن ، يقول الهيثم بن جميل : " قلت لمالك يا أبا عبد الله : الرجل يكون عالما بالسنن يجادل عنها ؟ قال : لا ، ولكن يخبر بالسنة فإن قُبِل منه وإلا سكت " .

– لمـــاذا ؟

– لأنك لو أخبرته بالسنة ولم يقبلها فلن يقبل جدالك وكلامك ، إذا لم يقبل عن النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم–

– فكيف يقبل عنك ؟ أو منك ؟ .

قال إسحاق بن عيسى كان مالك يقول : " المراء والجدال في العلم يذهب بنور العلم من قلب الرجل " ، وقال ابن وهب : " سمعت مالكًا يقول : " المراء في العلم يقسي القلوب ، ويورث الضغن – يعني الحقد – والنفرة بين المتجادلين .

لذلك نحن ينبغي لنا أن نجتنب كثرة الجدال والخصومة ، وفرقٌ بين المناقشات العلمية في المسائل التي يتعلمها المرء ليذاكر ، ويحفظ ، ويفهم المسائل ، وبين الجدال من باب معارضة الحق ، ومن باب أن الطالب يورد من الكلام اعتراضًا على النصوص الشرعية .

وكان أبو هريرة وابن عمر – رضي الله عنهم أجمعين – وغيرهم من الصحابة ، إذا حدثوا بالحديث عن النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – فقال لهم القائل : " أرأيت كذا ؟ أرأيت كذا ؟ " ، فيقولون له : " اجعل أرأيت عند ذاك الكوكب " ، يعني : ابتعد عن إيراد الجدال ، وإيراد الاعتراضات على الأحاديث النبوية .

فإذًا الخطأ أن يجادل ويماري ويكثر الكلام من الاعتراضات ونحوها على الأحاديث النبوية .

إذًا هذه خلاصة ما يتعلق بقول النبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– : (فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ) ، فلا بد من معرفة هذه المسائل المنهي عنها واجتنابها.

ومن لطيف ودقائق ما نبَّه عليه شيخنا الإمام ابن عثيمين –رحمه الله تعالى– ممَّا يتعلق بهذا الباب ؛ أنه إذا ورد الحديث عن النبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– أنه على المسلم أن يمتثله ، ولا يقول :

– هل هذا واجب ؟

– هل هذا مستحب ؟ هل هذا مشروع ؟

– هل هذا غير مشروع ونحو ذلك ؟

لأن الصحابة – رضوان الله عليهم – كانوا إذا حدثهم النبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– ، وأخبرهم بالأمر امتثلوه ، ولم يسألوه .

– هل هذا واجب يا رسول الله أم مستحب ؟

ثم بيَّن أن الفقهاء بيَّنوا الواجبات من المستحبات من باب ما يجب قضائه وإعادته وما تبرأ به الذمة ، وما لا تبرأ ، ليس من باب أن العبد يقول أنا أفعل الواجبات ، وأترك المستحبات ؛ فهذه من دقائق هذا العلم التي نبَّه عليها هذا الإمام ابن عثيمين – رحمه الله تعالى – .

فهذه من دقائق هذا العلم ، التي نبه عليها هذا الإمام ؛ ابن عثيمين – رحمه الله تعالى – .

ثم قوله –صلى الله عليه وسلم– : **(واختلافهم على أنبيائهم)**

– ما المــعــنى ؟

يعني : أنهم لا يسيرون على الهدى وعلى الطريقة التي جاء بها نبيُّهم ، بل يحدثون البدع والضلالات التي تخالف ما جاء به النبي–صلَّى الله عليه وسلَّم–

مثلًا : النبي –صلَّى الله عليه وسلَّم – فرض زكاة الفطر صاعًا من تمر ، وجعلها في الأطعمة ، فيأتي القائل فيقول : (أخرجوا لمال ولا تخرجوا الطعام) ، هذا من باب الاختلاف عمّا جاء به النبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– .

النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– حذَّر من أهل البدع والأهواء ، فيأتي القائل يقول : (لا ، نخالط أهل البدع من باب المصلحة ، و من باب يعني أننا قد ندعوه إلى الحق فيتوب) ؛ فالنبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– حذر من أهل البدع وهذا يأتي ويأتي بالبدع والضلالات من تلقاء نفسه.

فهذا من الاختلاف عمَّا جاء به النبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– .

(وكثرة اختلافهم) ، فإذًا على العبد المسلم وعلى المسلمة أن يتعلموا ما جاء به النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– ، ويفعلوه كما أمر النَّبي–صلَّى الله عليه وسلَّم– ويتركوا ما نهى عنه وزجر –عليه الصلاة والسلام– وليحذروا من البدع والضلالات والمحدثات.

وتأمَّلوا ها هنا ؛ فإن النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم – ذكر أن من أسباب هلاك من كان قبلنا تغييرهم وتبديلهم ما جاءت به رسلهم.

وتأمَّلوا أيضًا أنهم أكثروا الجدال والمسائل ، وخرجوا بها عن الهدى فوقعوا بخلاف ما جاء به النبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– .

– وأختم كلامي بسؤال ؛ ما المخرج من هذين السببين الذين أخبر النبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– أنهما سببا هلاك من كان قبلنا ؟

– الجواب :

أمَّا السبب الأول : وهو كثرة مسائلهم :

فالجواب أو المخرج أن العبد يمتثل ما جاء به النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– ويفعل ما أمر به ، ويترك ما نهي عنه ، ويقول سمعنا وأطعنا على منهج السلف الصالح ، ويترك تلك الأحوال وتلك الأنواع التي ذكرتها سابقًا أنها هي المرادة من كثرة المسائل فلا يجادل ، ولا يماري ، ولا يأتي بالأغلوطات ، ولا يعارض الأحاديث النبوية والأدلة الشرعية ، ولا يسأل من باب الترف العلمي لمسائل لا يحتاج إليها كما سبق معنا .

وأمَّا الأمر الثاني : وهو اختلافهم على أنبيائهم :

فالمخرج بلزوم سنة النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– وما كان عليه سلف الأمة ، حتى يكون المرء على المحجة البيضاء التي أتى بها النبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– ليلها كنهارها لا يزيغ ، لا ينحرف ، لا يخالفها ، إلا هالك ، ودليل هذا ما جاء في حديث العرباض ابن سارية –رضي الله عنه – فإن النبي –صلَّى الله عليه وسلَّم –قال فيه :

(فإنه من يعش منكم بعدي ، فسيرى اختلافًا كثيرًا) ، **الاختلاف في البدع والضلالات ، في ترك الطريقة التي جاء بها النبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– والهدى الذي بعث به ، هذا هو الاختلاف .**

قال: (فإنه من يعش منكم بعدي، فسيرى اختلافا كثيرا)

– ما المخرج يا رسول الله ؟

قال: (فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة) **. أو كما قال –عليه الصلاة والسلام–.**

أسال الله –عزَّ وجل– أن ينفعنا بما سمعنا وان يكون حجة لنا لا علينا

وصلَّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الأربعون النووية

شرح فضيلة الشيخ

أحمد بن عمر بازمول

حفظه الله

الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى

١٤٣٦ \ ١٤٣٧ هـ -

ضمن دروس معهد الميراث النبوي

-تفريغ فريق صيانه السلفي-

http://meerath.nabawee.net
https://www.facebook.com/meerath.nabawee/?ref=

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَ الحَمْدَ للهِ نَحمدُهُ ونَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا مِنْ سَيئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللهَ فَلاَ مُضِلَ لَهُ ، وَمَنْ يُضّْلِل فَلاَ هَادِيَ لَه ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهِ إِلاَّ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَ مُحَمَدًا عَبْدَهُ وَرَسُولُهُ .

أَلاَ وَإِنَ أَصْدَقَ الْكَلَام كَلَامُ اللهِ وَخَيرَ الهُدَى هُدَى مُحمَّد وَشَرَ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٍ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٍ وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أمَّا بعد :

فقد توقفنا في الأربعين النَّووية عند الحديث العاشر ، وهو ما رواه أَبو هُرَيْرَة –رضي الله تعالى عنه– ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه –صلَّى الله عليه وسلَّم– :

(إنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ : ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إلَى

السَّمَاءِ : يَا رَبِّ! يَا رَبِّ! وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَذلك؟) [1]

هذا الحديث من الأحاديث المُهمة ، التي ينبغي لكل مسلمٍ ومسلمة أن يعتنوا بها ؛ لما تتضمنُّه هذه الأحاديث وغيرها من أمورٍ يحتاجون إليها في يومهم وليلتهم ، خصوصًا الدعاء ، الذي قال الله –عزَّ وجل– فيه : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [2]، وقال فيه النَّبي –صَّلى الله عليه وسلَّم– فيه : (الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ) ، (الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ).

فالنَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– بيَّن لنا أنَّ الله –عزَّ وجل– طيِّبٌ .

– ومعنى طيِّبٌ :

أي أنه –سبحانه وتعالى– طاهرٌ ، مُنزَّه عن النقائص والعيوب –سبحانه وتعالى– ، له الكمال في أسمائه ، وفي صفاته ، وفي ربوبيته ، وفي ألوهيته ، له الكمال المُطلق في كل شيء – سبحانه الله وتعالى – .

فالله طيبٌ غنيٌ عن الناس ؛ الناس إليه فقراء ، كما قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ ﴾ [3] ، الله غنيٌ عنَّا وعن عبادتنا ، كما جاء في الحديث عن النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم – : (لو أن إنسكم وجنَّكم وأوَّلكم وآخركم

---

1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ[رقم:1015

[2]) سورة غافر - الآية 60

[3]) سورة فاطر - الآية 15

كانوا على أتقى قلب رجلٍ واحد ما زاد ذلك في ملك الله شيئًا ، ولو أن إنسكم وجنَّكم وأوَّلكم وآخركم كانوا على أفجر قلب رجلٍ واحد ما نقص ذلك من ملك الله شيئًا – سبحانه وتعالى–). أو كما قال –عليه الصلاة والسلام–.

فالله طيبٌ ، كاملٌ في أسمائه وصفاته وفي ذاته وفي كل شأنه –سبحانه وتعالى– ، مُنزَّهٌ عن النقائص ، منزَّهٌ عن الولد ، منزَّهٌ عن الصاحبة والزوجة ، منزَّهٌ عن العبث :

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [4] .

فإذًا الله طيبٌ –سبحانه وتعالى– ، وهذا مما يجعل العباد يفتقرون إلى الله ، و يدركون عظمة الله –سبحانه وتعالى– ؛ فلا يقبل الله –عزَّ وجل– إلا طيبًا ، أي لا يقبل الله – سبحانه وتعالى– إلا الحلال ، وإلا الشيء الذي هو غير مُحرَّمٍ و لا خبيث .

و قال العلماء : (لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا) من الأقوال والأعمال والعبادات والمعاملات ؛ فالله لا يقبل من عبده إلا الطيِّب ؛ لذلك ذكر النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– : (لا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلاةً بِغَيْرِ طُهُورٍ ، وَلا صَدَقَةٍ مِنْ غُلُولٍ) ، يعني من شيءٍ مُحرَّم .

و جاء في الحديث ، في الصحيحين من حديث أبي هريرة : (لا يَتَصَدَّقُ أَحَدٌ بصدقة مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ ، وَلا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا طيِّبا).

لذلك العلماء بيَّنوا أنَّ من أُبتلي بمالٍ حرامٍ من ربًا أو غيره فأراد أن يُخرجه .

–كيف يفعل ؟ و ماهي نيته ؟

---

[4]) سورة المؤمنون – الآية 115

– قال العلماء :

يخرجه للفقراء والمساكين ومرافق الناس ، مثلًا في الطرقات أو مصالحهم ونحو ذلك بنية التحلل من المال الحرام ، التبرر من المال الحرام ، لا ينوي بإخراج هذا المال الحرام الصدقة ؛ لأن الله لا يقبلها صدقةً لأنها خبيثة محرمة ؛ فالله طيِّبٌ لا يقبل إلا طيِّبا .

و قد بيَّن ابن رجب –رحمه الله تعالى– أن الصدقة بالمال الحرام تقع على وجهين :

– أحدهما : أن يتصدَّق به الخائن أو الغاصب ونحوهما عن نفسه ، مالٌ حرامٌ يتصدق به عن نفسه ، قال : فهذا هو المراد من هذه الأحاديث ، أنه لا يتقبل منه ؛ بمعنى أنه لا يؤجر عليه ، بل يأثم بتصرفه في مال غيره بغير إذنه ، و لا يحصل للمالك بذلك أجرٌ لعدم قصده ونيته.

ثم قال :

– والوجه الثاني : من تصرفات الغاصب في المال المغصوب ، أن يتصدق به عن صاحبه إذا عجز عن ردِّه إليه أو إلى ورثته ، قال : " فهذا جائز عند أكثر العلماء ، ومنهم مالك وأبو حنيفة و أحمد و غيرهم " ؛ فهذان الوجهان اللذان ذكرهما ابن رجب – رحمه الله تعالى – مما يتعلق بالمال الحرام .

وذهب بعض أهل العلم إلى أن المال الحرام يُتلف ، قال بن رجب:(و هذا فيه نظر) ، حيث قال : (وكان الفضيل بن عياض يرى أن من عنده مالٌ حرامٌ لا يعرف أربابه ، يعني أصحابه أنه يتلفه ويلقيه في البحر ولا يتصدق به و لا يتقرب الى الله إلا بالطيِّب)

قال : (والصحيح الصدقة به ؛ لأن إتلاف المال وإضاعته منهيٌّ عنه ، و ارصاده أبدا تعريضه للإتلاف ، يعني إرصاده : بمعنى إمساكه ، و استيلاء الظلمة عليه ، و الصدقة به ليست عن مكتسبه حتى يكون تقربًا منه بالخبيث ، و إنما هي صدقةٌ عن مالكه ليكون نفعه له في الآخرة ، حيث يتعذر عليه الانتفاع به في الدنيا).

وهنا لابد لنا أن نتنبه للمسألة التي أشار إليها ابن رجب :

و هي أنه إذا كان عندك مالٌ حرامٌ هو غصبٌ للغير أو حقٌ للغير ، أنت أخذته أو سرقته أو غصبته ، لا يجوز لك ابتداءً أن تتصدق به ، بل الواجب عليك شرعًا أن ترجعه لأصحابه ، سواءً تعترف لهم أن هذا مالهم ، أو أن تضعه في ظرف مثلًا ثم توصله إليهم وتقول هذا مالكم أو هذا مال فلان ؛ لأن بعض الناس يبتدئ بالصدقة أو بإخراج المال المغصوب أو المسروق مع وجود أصحابه ؛ هذا خطأ ، إنما يتصدق بالمال عن أصحابه إذا ماتوا ، أو لم يستطع الوصول إليهم ، وتعذَّر الوصول إليهم لعدم معرفتهم أو نحو ذلك.

ثم قال –صلَّى الله عليه وسلَّم– : (وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحا﴾ وقَالَ : ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾) ، يعني :

أن الله – عزَّ وجل – كما أمر المؤمنين أمر المرسلين ؛ فالله قال في شأن المرسلين مُخاطبًا لهم : ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحا﴾ [5] ؛ فالرّسل – عليهم صلوات ربّي وسلامه– أُمِروا بالأكل من الطيّبات ، وبتناول الطيّبات ، وبالعمل الصالح .

فأُمِروا بأمرين : ﴿كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ ، الأكل من الطيّبات والعمل الصالح .

وكذا المؤمنون في قوله : ﴿ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [6] .

فالله –عزَّ وجل– أمر المؤمنين كما أمر المرسلين ، والفائدة بذلك أنّ المسلم يتّعظ ويقتدي بالأنبياء –عليهم صلوات ربّ وسلامه– ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [7].

---

[5]) المؤمنون – الآية 51
[6]) المؤمنون – الآية 51
[7]) الأنعام - الآية90

وأيضًا أن يعلم أنّ المال الحرام لم يُحلّ لأحد ، ولا التصرّف فيه لأحد ، وأيضًا أشار العلماء إلى أنّ المال الحلال يورث العمل الصالح ، ويُعين عليه ،كما أنّ العمل الصالح يعين العبد على البعد عن الحرام والمحرّمات .

ولذلك ذكر النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– العكس ؛ أعني رجلًا أكل حرامًا ودعا الله ، –**فكيف يُستجاب له ؟**

فقال –صلَّى الله عليه وسلَّم– ، قال الرَّاوي أبو هريرة : (ثُمَّ ذَكَرَ– أي النّبي –صلَّى الله عليه وسلّم– الرَّجُلَ) ثم ذكر (الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ) يعني : يُسافر ويكون بعيد عن أهله مدةً طويلة .

قال ابن رجب وغيره : (السفر الطويل ادعى لانكسار القلب ؛ ولينه ، واضطّراره إلى الله –عزَّ وجلّ–) ؛ فالواحد حينما يبعد عن أهله يشتاق إليهم ، ويحنُّ إليهم ، ويرغب إلى الله أن يُعينه على الرجوع .

(فالرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ) :

– (أَشْعَثَ) : يعني رأسه ، شعره غير مرَّجل ؛ غير مسرّح .

– (أَغبر) : إغبَّر من التراب .

– (يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ) : يعني يرفع يديه إلى السماء داعيًا الله ، يقول (يَا رَبِّ! يَا رَبِّ!) .

هذا رجل مسافر ، في سفرٍ طويل ، يعني مدته طالت ، (أَشْعَثَ أغبر) ، يعني رثّ الهيأة ، غير مُتنعّم ، ويدعو الله –عزَّ وجلّ – (يَا رَبِّ! يَا رَبِّ!) ، إمّا أن يرزقهُ أو يُعينهُ على الرّجوعِ أو أيّ أمر ما .

قال –صلَّى الله عليه وسلَّم – : (وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ) : يعني يأكل المال الحرام ؛ لأنّه إذا تعامل بالحرام ، وكسب المال الحرام فإنّه يشتري به طعامًا يأكله ، ولذلك كما يقول العلماء هنا عبَّر بمآل الشيء يعني يكسب الحرام ليأكل به ، أو ليأكله .

قال : (وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ) : طعامه حرام .

(وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ) : ويشرب الشيء الحرام .

(وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ) : قال العلماء : (وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ) أي لا يتورّع عن أكل الحرام من غيره.

– الأول : (وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ) ، هو يكتسب الحرام ويأكله .

– والثاني : (وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ) ، يأكل الحرام من غيره.

قال النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَذلك ؟) .

يعني (فَأَنَّى) : **أي فكيف ؟**

قال ابن رجب – رحمه الله تعالى – (معناه كيف يستجاب له !؟) ، فهو استفهام وقع على وجه التعجُّب والاستبعاد كما سيأتي – إن شاء الله – .

في هذا الحديث كما يقول ابن رجب وغيره من أهل العلم ذِكر شيء من آداب الدعاء التي قد تؤدِّي إلى قبوله واستجابته فمن ذلك :

– السفر وإطالته : فإنه جاء عن النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– أنه ثلاثة دعوات مستجابات لا شك فيهن ؛ وذكر منها دعوة المسافر ، وهذا إذًا سببٌ مذكورٌ في الحديث (يُطِيلُ السَّفَر).

– الثاني : حصول التبذُّل في اللباس والهيئة بالشعث والاغبرار : كما قال –صلَّى الله عليه وسلَّم– كما في صحيح مسلم : (رُبَّ أشعث أغبر ذي الطمرين ، مدفوع بالأبواب)[8]؛ يعني : ما أحد يستقبله ولا يُرحب به لفقره ، وقلة ماله ، هو أشعث أغبر ، يعني ثيابه مغبرَّة ، قد تكون فيها شيءٌ من عدم النظافة ، (ذي الطمرين مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبرَّه) ، يعني لاستجاب له كما في صحيح مسلم .

– إذًا الأول : إطالة السفر والسفر.

– والثاني : حصول التبذُّل والهيئة الرثة ؛يعني الافتقار إلى الله –عزَّ وجل–

8) أخرجه الحاكم في المستدرك وأبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة -رضي الله عنه-

– والثالث : مدُّ يديه إلى السماء ، حيث قال – عليه الصلاة والسلام – : (يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ) ، فرفع اليدين إلى السماء أو رفع اليدين عند الدعاء مظنة للإجابة .

قال –صلَّى الله عليه وسلَّم– : (إن الله تعالى حييٌّ كريم يستحيي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرا ، خائبتين) ، إذًا هذا الثالث .

– والرابع : الإلحاح على الله –عزَّ وجل–: (يَا رَبِّ! يَا رَبِّ!) ، و قد جاء عن النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم – حثُّ العباد على الإلحاح على الله –عزَّ وجل– ، وعدم الاستعجال بالدعاء ؛ فإن النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– : (أنه يستجاب لأحدنا ما لم يتعجل) ، يدعوا مرة ، مرتين ، ثلاث ، ثم يقول : لم يستجب لي ، ثم يترك ، والعبد مُفتقرٌ إلى الله –عزَّ وجل– .

ومن الافتقار المداومة على الإلحاح ، وعلى سؤال الله –عزَّ وجل– كل شيء ، من الأشياء التي أباحها الله –عزَّ وجل– ؛ فلذلك قال : (يَا رَبِّ! يَا رَبِّ!) فهو يلُّح على الله –عزَّ وجل– ، وينكسر إليه –سبحانه وتعالى– ، ويظهر افتقاره إلى الله –عزَّ وجل– ؛ فإن الله –عزَّ وجل– يكرم عبده ، ويستجيب دعاءه إذا أظهر العبد افتقاره إلى الله –عزَّ وجل– .

-أيضًا من الأمور التي تعين على إجابة الدعاء :

إطابة الطعام والشراب ، والبعد عن الحرام ، لأن النَّبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- بيَّن أن مطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وغذِّي بالحرام .

- فكيف يستجاب له ؟

يعني : إذا لو كان مطعمه حلالًا طيِّبا ، ومشربه طيِّبا ، وتغذى بالطيِّب ، وتعامل بالطيِّب ؛ يستجاب له.

- وأيضًا من الأمور التي تعين على قبول الدعاء :

طلب الدعاء في الأوقات التي جاء في السنة بيان أنه يُستجاب للداعي فيها ، كعند نزول المطر ، ودعاء الوالدين ، فإذًا المسلم عليه أن يتأمَّل هذه الأمور وأن يحرص عليها.

ثم قال -صلَّى الله عليه وسلَّم- : (فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَذلك ؟) .

لكن قبل هذا ، بيَّن ابن رجب -رحمه الله تعالى - قوله : (يَا رَبِّ! يَا رَبِّ!) ، قال ابن رجب : (ومن تأمَّل الأدعية المذكورة في القرآن وجدها غالبًا تفتتح باسم الرب ، كقوله تعالى : ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [9] ، وقوله : ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ

[9]) سورة البقرة -الآية 201

مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾[10] ، وقوله: ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾[11] .

قال ومثل هذا في القرآن كثير ، إذا العبد يلِّح على الله (يَا رَبِّ! يَا رَبِّ!) ؛ ولذلك سُئِل سفيان ومالك عن من يقول في الدعاء : **يا سيدي ؟**

فقالا : يقول يا رب ، قال مالك : (كما قالت الأنبياء في دعائهم) ، فإذًا هذا أدبٌ في الدعاء أن تقول يا رب ، والرب –سبحانه وتعالى– هو الخالق الرازق ، المالك المتصرِّف ، الذي بيده كل الأمور ، فهذا أدبٌ في الدعاء.

ثم قوله –صلَّى الله عليه وسلَّم– :(، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ؟) ،أو (فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لذلك ؟)

مرَّ معنا كلام ابن رجب ، أنه استفهام على وجه التعجب والاستبعاد .

– والسؤال : هل معنى هذا أنه لا يقبل دعاؤه مطلقًا ؟

– قال ابن رجب : (وليس صريحًا الاستحالة في الاستجابة ، ومنعها بالكُلِّية ، فيؤخذ من هذا أن التوسع في الحرام والتغذي به من جملة موانع الإجابة) .

فإذًا قد يكون سببًا في عدم قبول الدعاء ، وإلا فإن العلماء قد بيَّنوا أن العبد ولو كان واقعًا في المحرَّمات يدعو الله ويلتجئ إليه ، ولكن ليعلم أن وقوعه في المحرمات قد يكون سببًا لعدم الاجابة وقد يستجيب الله له .

---

[10]) سورة البقرة – الآية 286
[11]) آل عمران - الآية 8

ومن لطيف ما ذكر العلماء في ذلك أنهم قالوا : الشيطان الذي عصى الله –عزَّ وجل– لمَّا سأله الشيطان أن يؤخره إلى يوم يبعثون أعطاه الله ذلك.

ولكن معنى الحديث هاهنا أنه قد يكون من أسباب موانع أو تأخر الاجابة الأمر الحرام ، وأيضًا الحث على ترك الحرام ، طيب .

– هل فقط هو أكل الحرام ولبس الحرام شرب الحرام والتغذية بالحرام هو المانع من قبول الاجابة ؟

– قال ابن رجب– رحمه الله تعالى – : (قد يكون ارتكاب المُحرَّمات الفعلية مانعًا من الاجابة ، وكذلك ترك الواجبات قد يكون مانعًا للإجابة) **، ثم قال :** (وفعل الطاعات يكون موجبًا لاستجابة الدعاء) **، ثم ذكر قصة الثلاثة الذين دخلوا في الغار ، فأطبقت عليهم الصخرة فتوسلوا إلى الله بأعمالهم الصالحة ، التي أخلصوا فيها لله –عزَّ وجل–.**

ثم أختم هذا الدرس بفائدةٍ ذكرها الإمام ابن عثيمين – رحمه الله تعالى – في الدعاء ، أو في رفع اليدين في الدعاء ؛ فقال :

– هل رفع اليدين مشروعٌ في كل دعاء ؟

– فقال: الجواب هذا على ثلاثة أقسام :

القسم الأول : ما ورد فيه رفع اليدين .

والقسم الثاني : ما ورد فيه عدم الرفع .

والقسم الثالث : ما لم يرد فيه شيءٌ .

قال:

–مثال القسم الأول : وهو ما ورد فيه رفع اليدين :

إذا دعا الخطيب بالاستسقاء ، وكذا في قنوط النوازل والوتر ، وكذا على الصفا والمروة ؛ فإذًا هذا وردت به السنة برفع اليدين .

– الثاني: وهو ما ورد فيه عدم الرفع :

مثل عدم رفع اليدين حال خطبة الجمعة ؛ فإن النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم – كان يشير بالسبابة ، ففي صحيح مسلم عن عمارة بن رؤيبة ، أنه رأى بشر بن مروان على المنبر رافعًا يديه فقال: (قبّح الله هاتين اليدين ، لقد رأيت رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – ما يزيد أن يقول بيده هكذا وأشار بإصبع المسبحة)[12] ؛ يعني السبابة .

قال ابن العثيمين : (وكذلك رفع اليدين في دعاء الصلاة ، كالدعاء بين السجدتين ، أو التشهد ؛ فإنه لا يرفع يديه)

– لمـــــاذا ؟

– لعدم الرفع لعدم ورود الرفع في السنة النبوية في ذلك ، إذ السنة أتت بعدم الرفع في ذلك .

([12]) رواه مسلم (874) وأبو داود (1104)

– أمَّا الثالث : ما لم يرد فيه الرفع ولا عدمه :

فيُشرع فيه رفع اليدين ، فقال : الأصل الرفع ؛ لأنه من آداب الدعاء ومن أسباب الإجابة ... إلى آخر كلامه – رحمه الله تعالى – في شرح الأربعين وهو كلامٌ نفيسٌ متين – رحمه الله تعالى – .

أقول : أيضًا أريد أن أنبِّه على قضيتين :

القضية الأولى : أن بعضهم إذا دعا يمسح وجهه بعد الدعاء؛ يمسح وجهه بيديه وهذا لم يرد فيه سنة عن النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم – ؛ فليس مشروعًا مسح الوجه باليدين بعد الدعاء ، إنما ترفع يديك ثم ترخيهما ، هذا تنبيه .

التنبيه الثاني : وقد أشار إليه الشيخ العثيمين – رحمه الله تعالى – في شرح الأربعين ، حيث قال :

قال : تأمَّل قوله –صلَّى الله عليه وسلَّم – :

(وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ) ، يقول – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾)

فقال : هنا فائدة : الرسل يعملون الصالحات ، ويأكلون الطيبات ، ولمَّا أمرهم الله لم يتكبروا ، وقالوا لما تأمرنا ونحن نأكل الطيبات ونعمل صالحًا ؟ بل تقبلوا ؛ فإذًا فيه فائدة :

أن المؤمن قد يُنصح ويُذكر بالعمل الصالح ، ولذلك جاء عن النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– أنه قال: (أحب الكلام إلى الله : سبحان الله ، والحمد لله ، والله أكبر ، ولا إله إلا الله وأبغض الكلام إلى الله أن يقول الرجلُ للرجلِ اتق الله فيقول: إليك عني) ؛ يعني لا تتدخل فيِّ ومثل ما يقال ليس لك شغلٌ أو صلاح بهذا الأمر ؛ فإن الله يبغضه ؛ يبغض هذا الكلام ، فإذا أمرك أحد بمعروف أن نهاك عن منكر فقل له : جزاك الله خيرًا وتقبل منه .

وفي هذا القدر كفاية.

وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى صحبه وآله أجمعين .

الأربعون النووية

شرح فضيلة الشيخ

أحمد بن عمر بازمول

حفظه الله

الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى

١٤٣٦ \ ١٤٣٧ هـ -

ضمن دروس معهد الميراث النبوي

-تفريغ فريق صيانة السلفي-

http://meerath.nabawee.net
https://www.facebook.com/meerath.nabawee/?ref=

الدرس الرابع عشر من الأربعين النووية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَ الحَمْدَ للهِ نَحمدُهُ ونَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا مِنْ سَيئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَ لَهُ ، وَمَنْ يُضّلْل فَلاَ هَادِيَ لَه ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهِ إِلاَّ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيك لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَ مُحَمدًا عَبْدَهُ وَرَسُولُهُ .

أَلاَ وَإِنَ أَصْدَقَ الْكَلاَم كَلاَمُ اللهِ وَخيرَ الهُدَى هُدَى مُحَمَّد وَشَرَ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٍ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٍ وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أمَّا بعد :

فقد توقفنا عند الحديث الحادي عشر من الأربعين النووية ، وهو ما رواه أَبو مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ سِبْطِ رَسُولِ اللَّهِ –صلَّى الله عليه وسلَّم– وَرَيْحَانَتِهِ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– قال : حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ –صلَّى الله عليه وسلَّم– (دَعْ مَا يُرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يُرِيبُكَ) [1].

هذا الحديث يرويه الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– .

---

[1]) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ [رقم:2520]، وَالنَّسَائِيِّ [رقم: 5711]، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

وقوله (سِبْطِ رَسُولِ اللَّهِ) : أي ابن بنته ، يقال له : السبط ، وأمَّا ابن الابن ، يقال له : الحفيد .

وقد أثنى النبيَّ –صلَّى الله عليه وسلَّم– على الحسن والحسين بأنهما سيِّدا شباب أهل الجنة ، وأثنى على الحسن بقوله : (إن ابني هذا سيِّد وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين) ، وذلك وقع عندما تنازل الحسن بن علي –رضي الله عنه– لأمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان ، واصطلح المسلمون وحصل بذلك خيرٌ كثير .

قوله : (وَرَيْحَانَتِهِ) : أي الحسن –رضي الله عنه– ، والريحانة : زهرة طيبة الرائحة .

وقد وصف النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– الحسن والحسين بأنهما ريحانتاه ، كما في صحيح البخاري ، وهذا الحديث من جوامع الكلم فقوله –صلَّى الله عليه وسلَّم– :

– (دَعْ) : بمعنى أترك واجتنب .

– (مَا يُرِيبُك) : يعني الأمر الذي تشك فيه ، ويحصل لك منه قلق واضطراب ، ولا تطمئن إليه النفس .

– (إِلَى مَا لَا يُرِيبُك) : إلى أمرٍ تطمئن به ، وترتاح معه ، ولا تقلق .

فهذا الحديث لو عمل به الناس في حياتهم ، وفي الأمور التي يحصل لهم عندها اضطراب أو قلق أو شك لارتاحوا من كثير من المشاكل والهموم والأمور التي تنغص عليه حياتهم .

(دَعْ مَا يُرِيبُك إِلَى مَا لَا يُرِيبُك) ، وهذا بالنسبة للمؤمن المطمئن ، وللأمور التي لا يعلم الإنسان هل هي من باب الجائز أو غير الجائز ، هل هي من باب الحق أو الخطأ والباطل فيتركها ، أي الأمور التي يرتاب منها ويشك فيها ، ويعمل بالأمر الذي تطمئن إليه النفس ، كما مرَّ معنا في قوله –عليه الصلاة والسلام– في حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– حين قال : (فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقْد اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ) .

وليس المُراد بهذا الحديث ما يحصل لبعض الناس من قلقٍ عند الأمور المشروعة ؛ فإن هذا لا يُلتفت إليه ، فإن الأمر المشروع تطمئن إليه النفس ، فإن حصل قلقٌ أو اضطرابٌ فإنه من الشيطان .

وأيضًا لا يُلتفت إلى النفس التي يكثر فيها الوسواس ، فمن كان مبتلى بالوسواس والخوف والقلق والاضطراب النفسي فإنه لا يُلتفت إلى هذا الأمر ؛ إلا إن كان الأمر كما سبق ، يحتمل حقًا وباطلًا ، حلالًا و حرامًا لا يدري أيّهما الصواب ؛ فحينها يترك ما تشك فيه النفس ويعمل بما تطمئن إليه النفس .

فهذا الحديث يدخل في أبواب كثيرة جدًا كما قال أهل العلم ، وهو سببٌ للراحة لمن يعمل به إذ يتخلص بترك الأمر الذي يشكُّ فيه ، أو يحصل منه قلق فإنه غالبًا ما ينجو الإنسان إذا ترك مثل هذه الأمور .

ثم ذكر النووي – رحمه الله تعالى – حديث أبي هريرة –ﷺ– ، وهو الحديث الثاني عشر قال : قال رسول الله –صلَّى الله عليه وسلَّم– : (مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ) [2]

فهذا الحديث أيضًا من جوامع الكلم ، وهو يريح الإنسان من كثيرٍ من المشاكل ، فقوله –صلَّى الله عليه وسلَّم– : (مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ) يعني :

من الأدلة على حسن إسلام المرء أنه يترك الأمور التي لا تعنيه ؛ يعني الأمور التي لا تتعلق به عنايته ويهتم بها ، وهذا كقوله –صلَّى الله عليه وسلَّم– : (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ) ؛ فالمسلم الذي يسلم المسلون من لسانه ؛ من أذيته باللسان ، بالسبِّ أو الشتم أو القذف أو الطعن بغير حجَّة ولا برهان فإنه من الدلالة على كمال إسلامه ، و كذا يده من الضرب أو البطش أو الغصب أو السرقة أو نحو ذلك فإن هذا من الأدلة على كمال إسلامه .

فهنا النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– يقول : (مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ) يعني :

لا يتدخَّل في الأمور التي لا تعلُّق له بها ، والأمور التي ليست تحت تصرفه ، وإنما يترك الأمور لأهلها الذين يعتنون بها فهذا فيه أدبٌ عظيم ؛ أن المسلم لا يشتغل ولا يتدخل في الأمور التي لا تعنيه ، وليس المراد ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ لأن

---

1) حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ [رقم: 2318] ، ابن ماجه [رقم:3976

المسلم القادر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مخاطبٌ بذلك لقوله –صلَّى الله عليه وسلَّم– : (من رَأى مِنكُم مُنكَرَاً فَليُغَيّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَستَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَستَطِعْ فَبِقَلبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ)[3] كما سيأتينا – إن شاء الله –

فالتغيير باليد للسلطان أو من أنابه السلطان أو الأب في بيته ، و التغيير باللسان للعلماء و لطلاب العلم ولمن كان له العلم بالأمر الذي يأمر به أو ينهي عنه ، ثم التغيير بالقلب لمن عجز عن التغيير باللسان .

فإن هذا لا يدخل في هذا الحديث ، يعني بعض الناس قد تأمره بالمعروف أو تنهاه عن المنكر فيقول : يا أخي لا تتدخل في أمر لا يعنيك ، هذا خطأ ، أو يقول : (مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ) ، فهذا ما يعنيك لا تتدخل ، فلا شك أن هذا خطأ .

و إنَّما المعنى في هذا الحديث أن لا يتدخل في الأمور التي ليست تحت عنايته ولا اهتمامه و لم يأذن له الشرع بذلك ، و هذا يعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ممَّا أذن به الشرع ، وقد مرَّ معنا بالأمس القريب قول النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– : (إِنَّ أَبْغَضَ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ ، أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ : اتَّقِ اللَّهَ ، فيقول : إليك عني) ، أي يقول : لا تتدخل فيا ، و اتركني في شأني ؛ فهذا أمرٌ وكلامٌ يبغضه الله – عزَّ وجل – ، أن يرفض المسلم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

إذًا قوله –صلَّى الله عليه وسلَّم– : (مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ) .

---

[3]) رواه مسلم

و أيضًا إن كثيرًا من المشاكل و الفتن التي تحصل بين السلفيين قد يكون من أسبابها ومن أبرز أسبابها ما يحصل من بعض الإخوة –هدانا الله و إياهم للصواب– من تدخله في بعض الأمور و المشاكل التي هي ليست من شأنه وليست من أمره و لا عناية له بها ، فإنها تكون للعلماء و لطلاب العلم المتمكنين الذين هم مختصون بمثل هذه الأمور ؛ فلو ترك السلفي ممتثلًا أمر النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– و إرشاده في هذا الحديث : (مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ) ، فلم يتدخل في تلك الفتن ولم يلج في تلك المشاكل لارتاح أولًا وحفظ وقته و حفظ دينه و نفسه ، وأيضًا لم تكبر و تكثر المشاكل .

أيضًا هذا توجيه لعموم المسلمين ، أن لا يتدخلوا في أمر الحاكم الشرعي والأمور المتعلقة بالحاكم الشرعي بل يكلوها لأهلها ، ولا يشتغلوا بأمور السياسة ؛ فإن الاشتغال بأمور السياسة من عامة الناس وللأسف من بعض طلاب العلم فيتدخلون في بعض الأمور السياسية تعليقًا و توجيهًا و تكلمًا دون أن يكون هناك مصلحة شرعية من بيان الحق الواجب أو بيان الأمر المنكر فلا شك أن هذا داخل تحت قول النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– : (مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ) ؛ فإن التدخل في أمور ومصالح وليِّ الأمر ليس لكل أحد ، إنَّما هذا أمر لوليِّ الأمر ولمن أنابه وليُّ الأمر ؛ و لذلك كما يقول بعض أهل العلم : (إن من السياسة ترك السياسة) ، يعني عدم الخوض فيها وعدم التدخل فيها .

نعم ، إن كان عندك أمر تريد أن تنصح به فلا مانع من الكتابة سرًا لوليِّ الأمر أو من أنابه ولي الأمر ، فتُبيِّن له النصيحة سرًا بينك وبينه ، أمَّا أن تكتب في الفيسبوك أو في

التويتر أو في برنامج الواتس آب تعليقات هي من باب التدخل في شؤون ولاة الأمر فلا شك أن هذا غلطٌ ، وتدخلٌ في أمور وليّ الأمر ، ينبغي أن يترفع المسلم عنهم خاصة طلاب العلم ؛ –فبارك الله فيكم– اتركوا الأمور لأهلها ولا تخوضوا إلا في أمرٍ يحصل بالقول فيه أو بالفعل فيه خيرٌ للإسلام والمسلمين .

و سيأتينا – إن شاء الله تعالى – قول النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– : (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ) .

و أيضًا هذا الحديث فيه أدبٌ أن المسلم لا يتدخل في شؤون أخيه الخاصة ولا يتتبعها ، ولا يتحكّم في إخوانه في الأمور التي ليست من شأنه ؛ فهذا (مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ) ، (مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ) ، وهذا كغيره من الأحاديث خطاب للرجال والنساء .

ثمّ أورد الحديث الثالث عشر ، وهو عَنْ أَبِي حَمْزَةَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ –رضي الله عنه– خادم رسول الله –صلَّى الله عليه وسلَّم– ، عن النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– أنه قال :

(لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) [4]

أنس بن مالك –رضي الله عنه– أتت به أمه إلى النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– وهو طفلٌ صغير ليخدم النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– ؛ فحصل له خيرٌ عظيم وشرفٌ كبير بخدمة النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– ؛ لذلك هو من المُكثرين من الرواية عن النَّبي –صلّى الله عليه وسلَّم– .

---

[4]) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:13]، وَمُسْلِمٌ [رقم:45

يقول أنس –رضي الله عنه– سمعت النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– يقول : (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) ، يعني :

لا يؤمن الإيمان الكامل إلا إذا أحب لأخيه ، أخيه من المسلمين ، وليس المُراد أخيه من النسب فقط وإنّما إخوانه أيضًا من المسلمين ما يُحب لنفسه جاءت رواية من الخير ، (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) جاء في رواية صحيحة أي من الخير ، وجاء في الحديث الآخر:

عن النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– كما في مسلم ، أنه قال : (من أحبَّ أن يُزحزح عن النّار ويدخُل الجنّة ، فلتأتيه منيّته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأتي إلى الناس ما يُحب أن يُؤتى إليه) ، يعني وليفعل مع النّاس ، وليتعامل مع النّاس بالتعامل الذي يُحب أن يتعامل النّاس معه.

وهذا الحديث يدلُّ على أنّ هذا الأمر واجب ؛ لأنّه أدّى إلى نقصان ؛ لأنّ الإخلال به يُؤدي إلى نُقصان الإيمان ؛ لأنَّ الذي لا يُحب لأخيه ما يحب لنفسه هو ناقص الإيمان ؛ فدلَّ هذا على أنّ هذا أمر واجب .

وهذا الحديث يصدّقه قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [5] ، وقوله تعالى : ﴿وَالمُؤمِنُونَ والمُؤمنَات بَعضُهُم أَولِيَاءُ بَعَض ﴾ [6] ، وقوله –صلَّى الله عليه وسلَّم– : (المسلم أخ المسلم ، لا يظلمه ، ولا يحقره ، ولا يخذُله) ، (بحسب امرءٍ من الشّر أن

---

4) سورة الحجرات - الآية10

[6]) سورة التوبة - الآية 71

يحتقر أخاه المسلم) ، (كلّ المسلم على المسلم حرام دمه ،وماله وعرضه) ، وهذا الحديث فيه هذه الخصّيصة ، وهيَّ أن يُحب لأخيه الخير كما يحب لنفسه الخير .

وأيضًا هذا الحديث فيه أنَّ الواجب على المسلم أن لا يحقد على أخيه ، وأن لا يحسده ، وأن لا يُبغضه ، وأن لا يُؤذيه ، ولا يظلمه لأجل دنيا أو لأجل أغراض أخرى .

فإذا كان المسلم على السنة وكان على الهدى والتقى ، ولم يأتِ بدعة ، ولم يأتِ أمرًا مُخالفًا لأمر الله –عزَّ وجل– ، ولم يقع في أمرٍ محرَّم فإنّك تحبه في الله –عزَّ وجلَّ– .

ومن محبّته في الله ، أن تُحب له ما تُحب لنفسك من الخير ، فإن قيل كما قال الشيخ العثيمين –رحمه الله تعالى– ، يعني إنَّ هذا الأمر صعب ؛ يصعُب على النفس أن أُحب لأخي ما يُحب لنفسه .

فقال الشيخ –رحمه الله– : (هذا لا يصعُب إذا مرّنت نفسك عليه ، مرّن نفسك على هذا يسهُل عليك ، أمّا أن تُطيع نفسك في هواها ، فنعم سيكون هذا صعبًا).

إذًا –بارك الله فيكم– المرء المسلم يُعوّد نفسه على محبة الخير لإخوانه

– كيـف هـذا ؟

– يدلُّهم على ما ينفعُهم ، ويُعينُهم على أمرهم ، ويتفقَّد أحوالهم ، ويذُبُّ عن أعراضهم ، ويدفع عنهم الشّر ، ويُحذّرهم من الشّر فيحصل بذلك الخير.

والمسلم أيضًا يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، فيفعل معه ما يفعل معه أخوه ، وبهذا تسود المحبة والأخوّة والأُلفة بين المسلمين .

فالحسد والبغض والشحناء بين المسلمين أمرٌ قد أمر الشارِع الكريم باجتنابها (لا تباغضوا، لا تحاسدوا ، لا تدابروا ، لا تناجشوا ، وكونوا عباد الله إخوانًا) ، هكذا كان النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم – يقول ؛ فليحرص كل واحدٍ منا على الأخوة ، وعلى بذل أسبابها ، وعلى الحرص على نفع الآخرين .

ثم اعلم يا عبد الله أنك إذا دللت أخاك على أمرٍ طيب كان لك أجره وأجر من عمِل به بعده ، لقوله –صلَّى الله عليه وسلَّم – : (الدال على الخير كفاعله) ، وقوله – صلَّى الله عليه وسلَّم–:(من سنَّ في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها بعده) أو كما قال –عليه الصلاة والسلام– ؛ فأنت إذا دللت على خيرٍ فعُمِل به فأنت تؤجر على هذا ، وإذا حذَّرت من شر تُرِك بسبب تحذيرك فأنت تؤجر على هذا ؛ فهذا خير على خير .

– فلماذا تبخل على نفسك بالخير وعلى إخوانك بالخير ؟!

واعلم – بارك الله فيك – أن الشيطان حريصٌ على قطع العلاقة بينك وبين إخوانك ، وعلى قطع المعروف والخير بين المسلمين ؛ فلا تُمكّن عدوك الشيطان من هذا الأمر ، وجاهد نفسك في الله بأن تحرص على هذا الأمر .

كم رأينا من أناسٍ يعلمون خيرًا يدلون عليه إخوانهم ولا يفعلون فيُحرَمون من الخير ؛ ولذلك حتى في العلم ، بركة العلم : نشره ، والنفقة منه ، وتعليم الآخرين ؛ فإن من نشره ونفع إخوانه بارك الله له في علمه وفي نفسه وفي عمله ، وأما من كتم العلم فإنه يُلجم بلجامٍ من نار كما قال النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– .

إذًا – بارك الله فيكم – هذا الحديث من جوامع الكلم وبابٌ عظيمٌ لتسود المحبة والأخوة بين المسلمين (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) ، يعني من الخير وهذا كما سبق ما لم يكن هذا الشخص يستحق الهجر ، أو يستحق التبديع أو الذم شرعًا كمن يقع في البدع ويناصر أهلها ، و من يطعن في السلفيين ويذم السلفية وأهلها ؛ فإن مثل هذا كان السلف في معاملتهم له بالنصيحة والإرشاد للخير والدلالة عليه والتحذير من الشر الذي هو فيه ؛ فإن أصرَّ على ما هو عليه تركوه ، وهجروه ، وحذَّروا منه ، إن كان مُصرًّا معاندًا على الباطل –بارك الله فيكم– .

ثم أورد الحديث الرابع عشر :

وهو عَنْ ابْنِ مَسْعُود ﷺ– ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلَّى الله عليه وسلَّم– :

(لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله إلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ) . [7]

وقبل الدخول في هذا الحديث أريد أن أورد طرفةً لطيفةً ذكرها الإمام العثيمين – رحمه الله تعالى – في آخر شرح الحديث السابق ، قال – رحمه الله تعالى – ، قال ابن عثيمين : فإذا قال تلميذ من التلاميذ هل يدخل في ذلك ؟ يعني (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)

– هل يدخل في ذلك أن أُلقِّن زميلي في الاختبار يعني أغششه في الاختبار الجواب ، أن ألقن زميلي في الاختبار لأنني أحب أن أنجح فألقنه لينجح ؟

[7]) رواهُ البُخَارِيُّ [رقم:6878]، وَمُسْلِمٌ [رقم:ر1676

قال – رحمه الله – :

– **فالجواب :** لا ؛ لأن هذا غش ، وهو في الحقيقة إساءة لأخيك وليس إحسانًا إليه ؛ لأنك إذا عودته الخيانة اعتاد عليها و لأنك تخدعه بذلك ؛ حيث يحمل شهادةً ليس أهلًا لها والله الموفق . وهذه طرفة ونكتة علمية – جزاه الله خيرًا.–

الحديث الرابع عشر :

وهو ما رواه ابن مسعود ، أن النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم – قال : (لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ) : أي لا يحل قتله ، ولا سفك دمه مادام أنه مسلم ؛ فإنه حرام الدم كما مرَّ معنا

(أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ؛ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ) ؛ فلا يحل دم امرئ مسلم مادام أنه دخل في الإسلام فدمه حرام ، لا يجوز أن يقتل إلا في هذه **الأحوال الثلاث :**

– الحـال الأولـى :

– الثيب الزاني :

والثيـب هـو : الذي جامع في نكاحٍ صحيح ، فإن وقع في الزنى بعد أن أنعم الله – عزَّ وجل – عليه بنكاح صحيح فإنه يستحق القتل رجمًا ، يرجم حتى يموت ، كما رجم النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– ورجم خلفاؤه من بعده ، وكانت آيةً تتلى في القرآن

ولكنها نسخت تلاوة وبقي حكمها ، وهي قوله –سبحانه وتعالى– في الآية المنسوخة :
﴿ والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة ﴾ .

فرجم الزاني حكمٌ شرعي ، فرجم الزاني حكم شرعي ثبت بالسنة ، وثبت أيضًا بالقرآن كما سبق .

فإذا وقع المحصن بعد إحصانه وهو الثيب ، الثيب هو الذي عقد عقدًا صحيحًا وجامع زوجته ؛ فإذا وقع بعد ذلك في الزنى فهذا يرجم .

– لمـــــــاذا ؟

– لأنه ذاق طعم الحلال ، ولأنه عضوٌ فاسد في المجتمع فإنه سيتطلب الوقوع في أعراض نساء المسلمين بالفاحشة ؛ فكان علاجه وكان ما يستحقه أن يقتل درءًا لفتنته ، وشره المستطير .

الزنى خطيرٌ جدًا عظيم ؛ لذلك الله – عزَّ وجل – كما يقول أهل العلم : " لم يُحرِّم الزنى فقط ، وإنما حرَّم ما يُقرِّب إلى الزنى ؛ فقال : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ﴾ (8) يعني ليس فقط لا تزنوا ، أي أمر يُقرِّب إلى الزنى لا تقربوه فهو مُحرَّم .

والزنى فاحشةٌ عظيمة ؛ لأنه يحصل بها اختلاط للأنساب ، ويحصل بها الوقوع في ما حرَّم الله – عزَّ وجل – ، ويحصل أيضًا بها هتك أعراض المسلمين ، وإفساد نسائهم ، وإفساد المجتمع ، ويحصل بالزنى أيضًا وقوع الأمراض والمصائب والفتن ؛ فإن الوقوع في الزنى وانتشاره في المجتمع سببٌ لحلول المصيبة والعقوبة من الله –عزَّ وجل – .

---

[8]) سورة الاسراء [الآية 32] .

وكم نجد في المجتمعات التي أُبتليت بالزنى من حصول المصائب والمحن فتجتاحهم السيول ، وتغرق المدن ، وتتهدم البيوت ، ويموتون بالآلاف ، وأيضًا كم رأينا وسمعنا ممن ابتلي بالزنى وانتشر في بلدهم من ظهور الأمراض الخطيرة كالإيدز والهيربز ، وغيرهما من الأمراض الخطيرة التي لا تدع صاحبها حتى تفتك به فيموت بها – نسأل الله السلامة والعافية – .

– ولماذا يقع المسلم في الزنا وقد جعل الله له مخرجًا في الحلال ؟

– ولماذا تقع المرأة في الزنا وقد جعل الله لها مخرجًا في الحلال ؟

عجيبٌ أمر بعض الناس يسافر فيقع في الزنى ، ويصرف الأموال ولو بذلها لنكاح شريف عفيف بامرأةٍ مسلمة لفعل ما أمره الله به ، وترك ما نهاه الله عنه .

ولابــد من بيــان أمر ها هنــا وهــو :

أن يعلم المسلم أنه إن وقع في الزنى وآذى نساء المسلمين فإنه قد يُبتلى في عرضه ؛ فكما زنى ببنات الناس يبتليه الله بمن يزني ببناته ، وكما زنى بأخوات الناس يبتليه الله بمن يزني بأخواته ؛ فعلى المسلم أن يعلم أن الزنى جريمةٌ وفاحشةٌ مُحرَّمة ، وأن يكون مقتنعًا بتركها والبعد عنها يعني عن هذه الجريمة ، لأمور كما سبق :

– أولًا : لأن الله حرمها .

– وثانيًا : ما يترتب عليها من الأمراض والمصائب والنكبات .

– وثالثًا : ما يترتب عليها من أن يُبتلى في عرضه كما دنَّس أعراض المسلمين .

فعليه أن يردع نفسه بهذه الأمور ، لكن إن وقع في الزنى ، وثبت عليه الأمر باعترافه ، أو بشهود الأربعة فإنه يُقام عليه الحد بأن يُرجم حتى يموت الثيب الزاني .

(وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ) : يعني من قتل مسلمًا فإنه يُقتل إن طالب أولياؤه بالدم والقصاص ؛ وهذا كما قال الله – عزَّ وجل – : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ [9] ، فمن قتل مؤمنًا ، وقتل المؤمن أمر عظيم ، يقول الله تعالى :﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [10] ؛ فـ(النَّفْسُ بِالنَّفْسِ) ؛ فمن قتل نفسًا صار حلال الدم يُقيم عليه وليّ الأمر ، أو من أنابه وليُّ الأمر حد القتل ؛ وذلك بالقصاص بالشروط المعتبرة التي يذكرها الفقهاء في كتاب القصاص والجنايات ، (وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ) وكما سبق معنا أن المسلم دمه معصومٌ محترمٌ محرَّم ، هذا الثاني .

– والثالث : (وَالتَّارِكُ لِدِيْنِهِ المُفَارِقُ للجمَاعَةِ) .

التـارك لدينه : يعني المرتد ، لقوله – صلَّى الله عليه وسلَّم –:(مَنْ بدَّل دينهُ فاقتلوهُ) ، فمن ذاق طعم الإيمان ، ودخل في الإسلام ، ثم يرتد فإن هذا يُقتل لحفظ الدين ، حتى لا يتلاعب به من يتلاعب ، فيُظهر الإسلام ثم يكفر ليفتن الناس ، وكأن هذا الدين ليس بحق ، هو لا يُرغم على الدخول في الدين ؛ إن كان يهوديًا أو نصرانيًا عليه الجزية ، فإن لم يدفع الجزية فالقتال ، فإن دفع الجزية كان ذميًا ، فإن دخل في الدين ، ثم تركه كان مرتدًا ، يُستتاب فإن تاب ودخل الإسلام قُبل وإلا قُتل .

---

[9]) سورة المائدة – الآية 45
[10]) سورة النساء – الآية 93

قال – صلَّى الله عليه وسلَّم –: (وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ المُفَارِقُ للجمَاعَةِ) ، ولمَّا كان مسلمًا كان مع الجماعة وكان منهم ، ولكن لمَّا صار مرتدًا ؛ صار مفارقًا لجماعة المسلمين ، وكان مع الكافرين المشركين الملحدين.

فهذه الأمور الثلاثة ذكرها النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – مُبيِّنًا من يحل دمه .

وهنا أُنبِّه على أمـور:

– **الأمر الأول** : أن الذي يُقيم هذه الحدود وهذه الأحكام هو السلطان الحاكم الشرعي ، أو من أنابه السلطان من القضاة ومن نوابه ، ليس لآحاد المسلمين أن يقتل بعض الناس ويقول : هذا زاني محصن ، هذا ثيب زاني فأنا قتلته ، لا ، ليس له ذلك ، وليس لآحاد المسلمين أن يقتل واحدًا ثم يقول : هذا مرتد ؛ فإن هذا ليس من شأنه وإنما هذا من شأن السلطان ونوابه من القضاة ونحوهم .

– **الأمر الثاني** : الذي أنا أُنبِّه عليه ، هنا النبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– ذكر الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة ، ولكن ذكر –ابن رجب – وغيره من أهل العلم ، أن هناك أيضًا أصناف يحل دمهم ويقتلون ، مثل : الساحر ،كما جاء عن بعض السلف كأبي ذر : (حد الساحر ضربة بالسيف).

ومثل أيضًا : الخوارج ؛فإن النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم– قال : (لئن وجدتهم لأقتلنَّهم قتل عاد وثمود) ، وأيضًا : من خرج على السلطان وطالب أن يبايع فإنه يقتل الآخر كائنًا من كان ، لقوله –صلَّى الله عليه وسلَّم – : (إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر كائنًا من كان) ، أو كما قال –عليه الصلاة والسلام–.

إذًا ؛ النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم –ذكر في هذا الحديث ، بعض من يحل دمهم ، هناك آخرون يحل دمهم بنص الشرعِ ، ليس بالهوى ولا بتسويلات وتصويغات الشيطان ، وإنَّما بالأدلة الشرعية التي جاءت في بيان من يحل دمه .

إذًا ؛ قوله –صلَّى الله عليه وسلَّم – : (لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث) ، ليس المراد الحصر ، وإنَّما المراد ذكر البعض ، ذكر البعض ، والله أعلم ، وفي هذا القدر كفاية .

وصلَّى الله وسلَّم على نبينا مُحَّمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين .

هذا سؤال يقول ، هذا سائل يقول :

– بالنسبة لحديث (حب لأخيك ما تحب لنفسك) ، يعني ؛ (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) ، يقول : هل يدخل في هذا باب الستر على العاصي ، على المعاصي والمخالفات ، بحيث لو رأيت أن صاحبك على مخالفة شرعية أو سلوكية ضررها متعدٍ ، فهل هنا يقال : (الله ستير يحب الستر ، وكما تحب الستر لنفسك ، فأحبه لغيرك)

– وهل فيها تعطيل لنصوص شرعية أخرى ؟

– الجواب : –بارك الله فيكم – عن هذا في هذا الحديث ، لا ، ليس هذا الحال داخل في الحديث هذا ، مادام أنه في السؤال ، أن المعصية متعدية ، بمعنى أن ضررها

يتأثر به آخرون ، فهنا مادام أنه بهذه الصورة معصية ضررها متعدٍ للآخرين فإنه يجب إنكارها ، يجب إنكارها باللسان ، وإبلاغ ولاة الأمر عن هذه المعصية ، ليتخذوا معها الإجراء اللازم ، فهذا ليس من باب أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

طيب ؛ فإن قيل كما في السؤال : (أنا وإن كنت عاص ومعصيتي قد تكون متعدية لكن لا أحب أن يبلغ عني أو أن يفضح أمري فكذا أحب لأخي هذا) .

- فالجواب :

في الحديث نفسه ، الرواية التي سقناها (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) ، من الخير ، وهذا شر ، ليس خير .

ثم أيضًا نبّه العلماء على أن العاصي ، يعني لو أن إنسانا مثلًا يشرب دخان ، ورأى شخصًا آخر يشرب دخان ، هل له أن يقول : " له لا تشرب دخان ، الدخان حرام كما قال العلماء وهو مضر للبدن " أم لأنه يشرب الدخان لا ينكر ؟

قال – الحسن البصري– : (ود الشيطان لو ظفر منكم بذلك) يعني ؛ أن لا تنكروا المنكر لأنكم مبتلون به .

فأنت كما يقول ابن كثير ، أنت يا عبد الله ، يجب أن تعلم أنك يجب أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر في نفسك ، ويجب أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر في غيرك ، فإن قصرت في نفسك فلا يسقط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في غيرك.

وبهذا يحصل الجواب عن هذا السؤال والله أعلم.

الأربعون النووية

شرح فضيلة الشيخ

أحمد بن عمر بازمول

حفظه الله

الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى

١٤٣٦ \ ١٤٣٧ هـ

ضمن دروس معهد الميراث النبوي

-تفريغ فريق صيانه السلفي-

http://meerath.nabawee.net
https://www.facebook.com/meerath.nabawee/?ref=

الدرس الخامس عشر من الأربعين النووية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

إِنَ الحَمَدَ للهِ نَحمدُهُ ونَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا مِنْ سَيِئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللهَ فَلاَ مُضِلَ لَهُ ، وَمَنْ يُضّلْل فَلاَ هَادِيَ لَه ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهِ إِلاَّ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَ مُحَمَدًا عَبْدَهُ وَرَسُولُهُ .

أَلاَ وَإِنَ أَصْدَقَ الْكَلاَم كَلاَمُ اللهِ وَخَيرَ الهُدَى هُدَى مُحمَّد وَشَرَ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٍ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٍ وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ.

أمَّا بعد :

فقد توقفنا عند الحديث الخامس عشر من أحاديث الأربعين النووية ؛ وهو ما رواه أَبو هُرَيْرَةَ –ﷺ– ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صلَّى الله عليه وسلَّمَ– قَالَ : (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاَللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاَللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاَللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ) [1]

هذا الحديث العظيم يُعلّمنا فيه النّبي – صلَّى الله عليه وسلّم – ويرشدنا إلى ثلاثة حقوق :

---

[1]) رواه البخاري [رقم: 6018] ، ومسلم [رقم: 47

حقٌ على المرء نفسه في لسانه ، أن ينطق بخيرٍ أو يسكت ، وحقٌ للجار ، وحقٌ للضيف .

وقوله – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) ، يُفيد أن الإيمان بالله – عزَّ وجل – من الأمور التي تحمل صاحبها على فعل الطاعات واجتناب المعاصي والسيئات ؛ فالذي يؤمن بالله أنه هو الخالق – سبحانه وتعالى – ، العالم بالسر وأخفى ، وأنه –سبحانه وتعالى– بيده الأمور كلها ، وأنه –سبحانه وتعالى– يبعث الناس ويجازيهم في اليوم الآخر يوم القيامة إن خيرٌ فخيرا وإن شرٌ فشرًّا .

ولذا قال : (وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) ؛ لأن الدنيا دار عمل ، والآخرة دار جزاء .

كما يقول أهل العلم : " الدنيا دار عمل بلا جزاء ، والآخرة دار جزاء بلا عمل " ، فالإيمان بالبعث والحساب والعرض على الله – عزَّ وجل – ، وما في ذلك اليوم من أهوال ، يحمل صاحبه على ملازمة التقوى ، ومراقبة أفعاله وأقواله ، وأن يكون مستعدًا لذلك اليوم .

عجيبٌ أمر بعض الناس ، يطلق لسانه في أذيّة خلق الله ، ويطلق يده في أذيّة خلق الله وكأنه لن يموت ، وكأنه لن يُبعث مرةً أخرى فيجازى على أعماله ، وكأن أعماله غير محصيَّة عليه ، وكأنه خُلق عبثًا ؛ يظلم ويشتم ويؤذي ؛ فهذا قال النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – في حقه : هو المفلس ، لمَّا قال لأصحابه – ﷺ أجمعين – : (مَا تَعُدُّونَ الْمُفْلِسَ فِيكُمْ ؟ " قَالُوا : الْمُفْلِسَ فِينا من لا دِرْهَمَ لَهُ ، وَلا دِينَارَ) [2]؛ يعني :

---

[2]) رواه مسلم [رقم : 59] ، والترمذي [رقم: 2418]

المفلس الذي لا يملك شيئًا وهذا في ميزان الدنيا ، ولكن الميزان الحقيقي أن المفلس كما قال النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (المفلس من يأتِ بحسناتٍ أمثال الجبال ، ويأتي وقد ضرب هذا ، وشتم هذا ، وأكل مال هذا ، وقذف هذا ، فيأخذ هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، حتى إذا فنيت حسناته ، أُخذ من سيئاتهم فطُرحت عليه ، فطُرِح في النار) .

لأن الآخرة الجزاء ليس بالدرهم والدينار والأموال ؛ إنَّما بالحسنات والسيئات ؛ لذلك في أحاديث كثيرة يقول فيها النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليفعل كذا وكذا) .

فقال العلماء هذا يحمل –أعني الإيمان بالله واليوم الآخر– يحمل صاحبه على التقوى ، والإيمان بالله ، والإيمان باليوم الآخر من أركان الإيمان الست ، وقد مرَّت معنا في حديث جبريل الطويل .

قال – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ)

لأنه إن قال خيرًا غنم ، وإن صمت وسكت سلم ، وكثيرٌ من الناس يظن خطأً أن الكلام غير محسوب ، وغير مُجازًا عليه ، لذلك سيأتينا في حديث معاذ : أن النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال له : (أولا أَدُلُّكَ على مَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ ؟ – امسك عَلَيْكَ هذا –كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا –وأشار إلى لسانه – صلَّى الله عليه وسلَّم – ، فقال معاذ – ﷺ– : يا رسول الله أإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ – يعني لمحاسبون – أإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ ؟ قَالَ : ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ ! وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ – أَوْ قَالَ : عَلَى

وُجُوهِهِمْ – إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ) [3]؛ ولذلك جاء في الحديث عن النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – أنه قال : (من يضمن لي ما بين فكيه " اللسان " ، وما بين فخذيه "الفرج " ، أضمن له الجنة) ؛ يعني : من يراقب الله في لسانه فلا يتكلم إلا بخير أو يسكت ، ويحفظ فرجه إلا على زوجه أو ما ملكت يمينه ؛ فإنه مع قيامه بالصلوات وأداء الواجبات يضمن له النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – الجنة .

وهذا دليلٌ على خطورة اللّسان لذلك قال النّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (إنّ الرّجل ليتكلّم بالكلمة ما يتبيّن ما فيها) ، يعني : ما يفكّر فيها ، والكلمة هنا الجملة من الكلام (ما يتبيّن ما فيها يزلُّ بها في النّار أبعد ما بين المشرق والمغرب) ، وفي لفظ : (إنّ الرّجل ليتكلّم بالكلمة لا يرى بها بأسًا) ، يعني : يراها كلمة عاديّة (يهوي بها سبعين خريفًا في النّار) .

وقال – عليه الصّلاة والسّلام – : (إنّ الرّجل ليتكلَّم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالًا) ، يعني : يأمر بمعروف و ينهى عن منكر ، أو يحسن لوالديه ، أو يحسن ليتيم ،أو ضعيف أو مسكين ، أو يحكم بالحقّ بين اثنين ، أو يذبّ عن عرض أخيه ، (يتكلّم بالكلمة من رضوان لا يلقي لها بالًا) ، أي لا يظنّ أنّها تبلغ عند الله أجرًا عظيمًا ، قال (يرفعه الله بها درجاتٍ ، وإنّ العبد ليتكلّم بالكلمة من سخط الله) ، كلمة من سخط الله غيبة أو نميمة أو أذيّة لعباد الله –عزّ وجل – أو كذبٌ أو سخريةٌ أو استهزاء أو فحش من القول أو كذبٌ ، (كلمة من سخط الله) ، جملة من الكلام يسخط الله – عزّ وجلّ – منها ، قال : (لا يُلقي لها بالًا) ، يعني : ما يفكّر ولا

([3]) رواه الترمذي [رقم : 2616] وقال: حديث حسن صحيح.

يعتقد أنّها تبلغ من السّوء عند الله ما بلغته حين يلقى الله – عزّ وجلّ – ، قال : (يهوي بها في النّار) ، قال : (يهوي بها في جهنّم) ، يعني : يسقط بها في جهنّم ، أو كما قال –عليه الصّلاة والسّلام – .

فهذا دليلٌ على أننا إلّا من رحم الله منّا واقعون في أمرٍ عظيم ونحن لا نعلم ، كم تكلّم الواحد منّا بالكلمة التّي لم يلقي لها بالًا ، ولو تأمّلها لوجد أنّها من مساخط الله – عزَّ وجل – ، غيبة ونميمة وأذيّة وكلامٌ في خلق الله بغير حقّ .

– فكيف لو كان وليًّا من أولياء الله ؟

كم نرى ونسمع ممّن يستهزئ ويسخر بأولياء الله – عزَّ وجل – ، ويحقرونهم ، (بحسب امرئ من الشّر أن يحقر أخاه المسلم) .

– فكيف لو كان وليًّا من أولياء الله ؟

قال الله تعالى في الحديث القدسي : (من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب)

وكيف لو كان طعنًا وجرحًا في عالمٍ سلفي صاحب سنّة وذبٍّ عن سنّة النّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – ، يؤذى بالكذب والبهتان وينسب إليه أشياء لم يقلها .

قال – صلّى الله عليه وسلّم – : (من قال في مؤمنٍ ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال وما يخرج منها حتّى يخرج ممّا قال) ، أو كما قال – عليه الصّلاة والسّلام –.

فالذّي يطعن في أولياء الله لا شكّ أنّه أعظم جرمًا ممّن يطعن في عوام المسلمين ، والطعن في عوام المسلمين ذنبٌ وجرمٌ ليس بالهيّن وأشدُّ منه الطعن في أولياء الله.

لذا – بارك الله فيكم – علينا أن نحفظ ألسنتنا من الطّعن في العلماء وفي طلّاب العلم السّلفيين ، وأن لا ننقل الكلام الذّي لا دليل عليه ولا يُقرُّه العلماء بل يخالف كلام العلماء ، أن نحذر من هذا فإنّ من نقل الكلام كان كمن تكلّم به ، (ومن سنّ سنّة سيّئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده) ، من نقل هذا الكلام الخبيث السّيئ من الطعن في أولياء الله وفي العلماء السّلفيّين يتحمّل ذنب هذا النّقل ، (كفى بالمرء كذبا أو يحدّث بكلّ ما سمع).

ولا أعني هنا –بارك الله فيكم – ، ولا يدخل في كلامي هذا الذّي هو شرح لكلام أهل العلم ، لا يدخل في هذا الجرح لأهل الأهواء و البدع ؛ لأنّ هذا منهجٌ سلفيٌّ قائم على منهج السّلف ، قائم على الكتاب والسّنّة ومنهج السّلف الصّالح إذا كان الجرح بحقٍّ .

ولا يدخل أيضًا في كلامي ردُّ الخطأ ، فمن منّا لا يخطئ ، فردُّ الخطأ ليس بطعن ؛ أقول هذا العالم قال كذا والصّواب كذا ، فهذا كما قال ابن رجب في الحكم الجديرة بالإذاعة : (ولم يزل السّلف يردُّ بعضهم على بعض) ، يعني : يردّون الأخطاء ، وردّ الخطأ ليس من باب التّنقّص في العالم ، وليس من باب جرحه إن كان خطأه ليس عن عمد ومخالفة للحقّ .

– فمن يسلم من الخطأ ؟

كما قال ابن معين : (من قال لا أخطئ فهو كذّاب) .

– فمن يسلم من الخطأ ؟

فلا يدخل هذا في الذّم ؛ أعني ردُّ الخطأ على المخطئ ، بل هذا من باب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر ، والذّبّ عن دين الله – عزَّ وجلّ – ، وحفظ دين الله – عزَّ وجل – ، ردّ الخطأ ولو صدر الخطأ من عالم فإنّ العالم تُحفظ كرامته والخطأ يردّ ، وإن كان المردود عليه صاحب هوى ومبتدع وضالّ ولعّاب ومخالفٌ للحقّ ، ورأى العلماء أنّه مخالفٌ متعمّدٌ مصرٌّ على باطله فإنّه يُذَّم ، ويرد عليه ، ويُبيَّن باطله ،ويُفضح عند النّاس حتّى لا يُغترُ به ولا يَقتدوا به .

فبعض النّاس يخلط بين البابين ، فإذا بيّنت له أن فلانًا مثل : طارق السويدان ، أو أنّ فلانًا من المُتصدِّرين هذا يقول باطلًا كالقرضاوي وغيره وصادق الغرياني وغيره وغيرهم ، هؤلاء على باطل ، وهؤلاء منهجهم منهجٌ فيه هوى وبدع وضلالات ، يقول : يا أخي احفظ لسانك ، اتّقِ الله ، لا أنت الذي تتّقي الله وأنت الذي تحفظ لسانك .

لأنَّ التحذير من أهل الهوى ومن أهل البدع أمرٌ شرعيٌ ومنهجٌ سلفي .

– ألا تستحي ؟

– ألا تستحي تذُبُّ عن أُناسٍ جرُّوا على الأُمّة النّكبات والويلات بفتاويهم وضلالاتهم وبدعهم ؟

– مُحَّد حسان ، القرضاوي وغيرهم

– فما هذا الذي حصل في سوريا ؟

– عدنان عرعور

– فما هذا الذي حصل في سوريا ؟

– وما الذي حصل في مصر وما الذي حصل في ليبيا ؟

–إلاّ من جرّاء هؤلاء دعاة السُّوء ، هانت عليك دماء المسلمين ، وقتل رجالهم ونسائهم وصبيانهم ، وتسلّط الأعداء عليهم ، وما هان عليك هذا الضَّال المبتدع ، نعوذ بالله من الزهد الكاذب ومن الورع الفارغ .

الحق حق ، والباطل باطل ، يجب –بارك الله فيكم– أن نفرّق بين البابين ، فبعض النّاس تجده على سبيل المثال :

يذبُّ عن سيد قطب ويُدافع عنه ، ويقول : يا أخي لا تطعن في سيد قطب .

ثم تقول له : يا أخي طعن في صحابة رسول اللهّ ، طعن في نبي الله موسى ، أتى ببدعٍ وضلالات ، لا يُحرّك ساكنًا ؛ فانظروا –بارك الله فيكم– كيف أنّ الهوى يؤثّر على صاحبه وعلى قلبه ، فنسأل الله السلامة والعافية .

نعم احفظ لسانك ممّا حرّمه الله ـ عزَّ وجلّ ـ ، احفظ لسانك من الغيبة والنميمة والأذيَّة لخلق الله ، وقل الحق إن كنت مُستطيعًا فبيّن حال المجروحين حقًا وصدقًا ، وليس معنى هذا أنّ يكون ديدنُ النّاس ومجالسُهم كلها في الجرح والتعديل ، وليس هذا بفضل الله هو شأنُ السلفيين .

نعم قد يُخطئ بعض الشباب ، ولكن لا نجعل هذا هو حال كل السلفيين ، فالسلفي يُبيّن الحق ويدعو إليه ، وينهى عن المنكر ، ثم يبيِّن ما بيَّنه العلماء من حال هؤلاء .

– (أَوْ لِيَصْمُتْ) ، أو ليسكت .

– ليسـكـت عـن مــاذا ؟

– عن ما لا خير فيه ، حتّى لا يُسجَّل عليه ؛ ويُؤاخذ عليه .

يقول الله –عزّ وجلّ– : ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [4] ، قال بعض السلف : (يُكتب كل شيء ، من الحسنات والسيّئات حتي يُكتب أكل وشرب وذهب وجئت ونحو ذلك) ، وبعضهم قال : (لا يُكتب إلا ما كان من باب الحسنات و باب السيّئات) .

وبهذا نعلم أنَّ الكلام الذي لا فائدة فيه ولا خيرٌ فيه فالسكوت عنه أفضل من التكلم به .

ولذلك حفظ اللّسان أمرٌ قد يكون صعبًا وشاقًا في البداية ، ثم مع الأيام والتعوُّد يتعوّد الإنسان على حفظ لسانه .

وقد ذكر بعض أهل العلم أنَّ كثرة الكلام توجب قسوة القلب ، قال عمر : (من كثر كلامه كثر سقطُه ، ومن كثر سقطُه كثرت ذنوبه ، ومن كثرت ذنوبه كانت النَّار أولى به) .

فكان السلف يذُمُّون كثرة الكلام ، ومن هنا فإننا نُذكّر أنفسنا جميعًا بدل أن نتكلم بالكلام الكثير ، الذي لا فائدة منه أن نشغل ألسنتنا بقراءة القرآن ، وبذكر الله ، وبقول سبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا إله إلا الله ؛ فإنّهن الباقيات الصالحات ، وأيضًا بالأذكار التي أتت عن النَّبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ .

[4]) سورة ق – الآية 18

وهنا أيضا أُنبِّه سريعًا على مسألة مهمة :

وهيّ أنّ بعض النّاس قد يدعُو على أبنائه "الله يأخُذكم" ، "الله ينكّد عليكم" ونحو ذلك من الأدعية وهذا خطأ ؛ فإنّ النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال : (لا تدعو على أنفسكم ، ولا على أولادكم ، أن تُوافق ساعة إجابة) .

والشيخ العثيمين ـ رحمه الله تعالى ـ يقول كما في بعض النقول عنه ، يقول :

(أنا أحُثُّ أولياء الأمور من الآباء والأمهات والإخوة والأخوات ، أحُثُّهم على أن يُعوّدوا ألسنتهم بالدعاء بالصلاح لأولادهم ، تعال يا ولدي الله يهديك ، الله يصلح حالك ، الله يفتح عليك بالخير ، ونحو ذلك من الدعاء بالخير ، أمَّا أن تدعو عليه : الله يأخذك ، الله مثلا يسلّط عليك ، يعني بعض الأعداء أو كذا ؛ فهذا لاشك أنه ليس بجيد).

فقال الشيخ العثيمين في لقاء الباب المفتوح :

(عوّد لسانك إذا أغضبك أولادك ، أو أهلك أن تدعو لهم بالخير) .

بعض النّاس يقول : الله يأخُذك ، الله يدمرك ، الله يسوّد وجهك ، الله لا يوفقك لا في الدنيا ولا الاخرة ، والله سمعنا مثل هذا كثير .

يقول الشيخ : (وهذا حرام) ، شوفوا ليس فقط قضية أن الدعاء يستجاب ، أيضًا هذا حرام

قال : (اصبر ، وطِّن نفسك ، وادعُ لأهلك بالخير) . انتهى

أقول أيضًا والشيء بالشيء يذكر ، كذا الدعاء على الحكَّام فإن هذا من الخطأ أن تدعو عليهم ، قال أنس – ﷺ – : (كان كبراؤنا من أصحاب النبي –صلَّى الله عليه وسلَّم – ينهوننا عن الدعاء على السلطان) ، فالدعاء للحاكم بالخير والصلاح يكون فيه صلاح الحاكم وصلاح الناس ، وأمَّا لو دعوت على الحاكم بالشر فإذا نزل عليه الشر أصاب المجتمع هذا الشر أيضًا .

ولذلك قال الفضيل بن عياض:(لو أعلم أن لي دعوة مستجابة لجعلتها في السلطان) ، فقيل له : لماذا ؟ قال :(لو جعلتها لنفسي لم تَعْدُنِي) ، يعني كانت الدعوة لي أنا خاصة وأنا الذي أنتفع بها ؛ (ولكن لو جعلتها في السلطان لأصابت السلطان وأصابتني وأصابت الناس) ، يعني يعمُّ الخير على الناس ، هكذا كانت النفوس الطيبة المؤمنة ، النفوس السنية المتعلقة بالله – عزَّ وجل – .

ثم قال النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – :(وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاَللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ)

يكرم جاره بالإحسان إليه ، بالكلمة الطيبة ، بحفظ عورته ، وحفظ أولاده ، يكرم جاره بعدم أذيته بالوقوف أمام بيته ، أو برمي الفضلات والزبالة بطريقه أو في طريقه ، وعدم إزعاجه بالأصوات ، وعدم النظر على عوراته ؛ هذا كله من إكرام الجار .

فإكرام الجار جاءت فيه أحاديث كثيرة عن النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – ، حتى قال –عليه الصلاة والسلام– : (مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننتُ أنه سيورثه) ، أو كما قال –عليه الصلاة والسلام– .

والجار له حقوق ، أن تتفقده وأن لا تؤذيه ، يقول –صلَّى الله عليه وسلَّم – كما في صحيح مسلم : (لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه) ، يعني : من لا يأمن جاره شره وظلمه وأذاه ، وقيل لرسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – إن فلانة تقوم الليل ، وتصوم النهار ، وفي لسانها شيء تؤذي جيرانها سليطة قال : (لا خير فيها . هي في النار) ، وفلانة تصلي المكتوبة ، وتصوم رمضان ، وتتصدق بالأثوار وليس لها شيء غيره ،ولا تؤذي أحدًا . قال : (هي في الجنة) ، أو كما قال –عليه الصلاة والسلام –

قال الله – عزَّ وجل – : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [5] .

فهذه الآية العظيمة يأمر الله – عزَّ وجل – فيها بالإحسان إلى أنواع ومنهم الجيران :

﴿ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾

– مــن هـــــو ؟

– قيل الجار ذو القربى : من له قرابة .

– ﴿ وَالْجَارِ الْجُنُبِ ﴾ : الجار الذي هو أجنبي لا قرابة بينك وبينه .

– ومنهم من قال إن الجار ذو القربى هو : الجار المسلم ، والجار الجنب هو : الكافر .

– وقيل الجار ذو القربى : أي القريب الملاصق ، وأما الجار الجنب : البعيد .

[5]) سورة النساء . الآية (36)

﴿ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ ﴾ : جاء في تفسيرها أن المراد به : الزوجة ، وقيل هو الرفيق في السفر.

والنَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – كما مرَّ معنا كان يوصي بالجار كثيرًا ؛ فقال –صلَّى الله عليه وسلَّم– : (والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن ، قيل ومن يا رسول الله ؟ قال : من لا يأمن جاره بوائقه) ، السابق لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه ، وهنا يقول – عليه الصلاة والسلام – : (والله لا يؤمن) كررها ثلاثًا ، يعني هو ناقص الإيمان .

– كيف تؤذي جارك وتتسلط عليه إما باللسان ، وإما بالفعل ، أو بالسخرية ، أو تسلط عليه أولادك ، يأتيك يا فلان أبناؤك يفعلون ويفعلون وأنا تضررت ولا تلتفت ، بل ربما تسبه وتقول له : عجبك عجبك ما عجبك اخرج ، نعوذ بالله من أذية الجار ، نعوذ بالله من الوقوع فيما حرَّم الله – عزَّ وجل –

سألت عائشة – رضي الله عنها – النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم – فقالت : (يا رسول الله إن لي جارين فإلى أيِّهما أُهدي ؟ قال : إلى أقربهما منكِ بابًا) ، وهذا يفيدنا أن الجار يهدي إلى الجار الأقرب له .

طيب هنا مسألة ، سُئِل عنها الإمام أحمد ، هم يقولون الجار أربعون دارًا .

– كيـــف نفـــعـــل ؟

– فقال الإمام أحمد : (يبدأ بنفسه وبمن يعول ، فإن فضلَ فضلٌ أعطى الأقرب إليه" ، قال : وكيف يمكنه أن يعطيهم كلهم ؟).

فإذًا لست ملزمًا أن تعطي لكل الجيران ، إنما كل جار مع جاره الأقرب ، وإن كان عندك شيءٌ وخيرٌ وزيادة وأردت أن تعطي أكثر من جار فلك هذا ، ولكن إن ضاقت بك السبل ولم يكن معك إلا الشيء القليل فأعطه للأقرب منهما .

– هنا مسألة ، إن كان الأقرب لا يحب هذا الطعام ، أو لا يحب أن يأخذ منك الهدية فماذا تفعل ؟

– حينها تذهب لمن بعده ، قيل للإمام أحمد ، لعلَّ الذي هو جاره ، يعني القريب يتهاون بذلك القدر ، ليس له عنده موقع فرأى أنه لا يبعث إليه ، يعني يبعث لمن بعده وهكذا . فإذًا هذه الأحاديث –بارك الله فيكم– تفيد أهمية حق الجار .

وللذهبي –رحمه الله تعالى– رسالةً جمع فيها جملةً وافرة من أحاديث الجار ، سمَّاها " حق الجار" ، وهي مطبوعة ؛ فعلينا –بارك الله فيكم – ، تفيد أن ما يقع من كثير منا من عدم الإحسان إلى الجار وعدم تفقده ، وعدم كف الأذى عنه ؛ أنه تقصير منا عظيم ، أنه من تقصيرنا ، وقد يكون ذنبًا عظيمًا كما مرَّ معنا في الأحاديث السابقة (من لا يأمن جاره بوائقه) ، وأيضًا من الإحسان إلى الجار احتمال أذاه .

وهنا أنبِّه عن مسألة ، إن كان الجار سيء الأخلاق وأخشى على ولدي وعلى أهلي إذا خالطوهم أن يؤذوهم ، أو يُعْدُوهم في أخلاقهم ، فهنا لا مانع من البعد عنهم والإحسان إليهم دون اختلاطٍ بهم ، كفًّا لشرهم ، مع الحرص على هدايتهم إن كانوا ممن يستجيبون للحق .

والثالث الضيف ممن ذكره النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– ، وقد بيَّن النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– كيف يضاف الضيف ؛ فقال –عليه الصلاة والسلام– : (وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاَللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جائزته ، قالوا وما جائزته ، قال يوم وليلة)

والضيافة ثلاثة أيام ، وما كان بعد ذلك فهو صدقة .

– والمراد بالضيف كما ذكر أهل العلم على الأقرب والأرجح :

أنه الذي ينزل في القرى والبوادي ممن لا يجد سكنًا ولا مأوى ، فإذا نزل عند أحدٍ فإن الواجب عليه أن يضيفه يومًا وليلة ، والإحسان للضيف يتمم اليومين ثلاثة أيام ، ثم بعد الثلاثة يكون صدقة .

وإكرام الضيف يكون باستقباله والتبسم فيه وحسن التلطف معه ، وأن يتكلم معه بالكلام الذي يؤانسه ، وأن يهشَّ في وجهه ويبش وأن لا يصدر منه ما يدلُّ على تأففه وتضايقه منه ، بل يحسن إلى الضيف بتقديم الطعام والشراب مما هو موجودٌ في البيت ، فقد قال سلمان –رضي الله عنه– (نُهينا أن نتكلف للضيف) .

بعض الناس كلَّما جاءه ضيف أو نحو ذلك يذبح ويتكلف المال الكثير ، ثم بعد ذلك يتهرب من استقبال الضيوف ويتذمر ، يا أخي لو سلكت الطريقة الشرعية لسلمت وما تضررت ، فالطريقة الشرعية أن لاَ تتكلف للضيف فقد نهيت عن ذلك ، كما قال سلمان : (نهينا عن التكلف للضيف) ، قدِّم لهم من طعامك الذي في البيت ، نعم إن كنت مستطيعًا وقادرًا وأردت أن تضيفه فلا مانع ، ولكن أن تكلف نفسك ، فهذا هو الأمر الذي قد يُذَّم .

و إذا كان يضيع الحق ولا يستقبل الضيف ، فهذا كما ذكر بعض أهل العلم أنه يأثم ،

إذًا فهذه بعض الفوائد والمعاني من هذا الحديث العظيم .

ثم أورد النووي –رحمه الله تعالى – الحديث السادس عشر :

وهو ما رواه أبو هريرة– ﷺ– أن رجلًا قال للنَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– :

(أوصني ، قال : لا تغضب ، فردد مرارًا يعني أوصني ، والنبي يقول له لا تغضب ، قال : لا تغضب) [6] .

قال العلماء :

النَّبي– صلَّى الله عليه وسلَّم – يسأله الصحابة ، أوصني ، أوصني ، فيوصي كل واحدٍ بوصيةٍ مختلفة ، والسبب في ذلك أن النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم – يخاطب كل واحدٍ بما هو يحتاج إليه وتكون فيه مصلحته .

وهنا هذا الرجل أوصاه النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم – مرارًا لا تغضب .

– **فالوصية :** هي العهد إلى شخص بأمر هام .

وقوله –ﷺ– لا تغضب له معانٍ :

– **المعنى الأول :** احذر من أسباب الغضب ، فلا تقع فيها ، واحذر مما يترتب على الغضب من أن تطلق ، أو تضرب ، أو تقتل ، أو تكسر ، أو تشتم ، أو نحو ذلك ؛

---

[6]) رواه البخاري

(فلا تغضب) : أي احذر من ما يترتب على الغضب من أمور شيطانية ، لذلك سيأتينا –إن شاء الله– علاج الغضب .

– وقيل المعنى الثاني : (لا تغضب) ؛ يعني لو رأيت أمرًا يغضبك فلا تغضب ، عوِّد نفسك على الرضا ، وعلى الصبر ، وقد ذكر العلماء وكذا الأطباء أن الغضب له أضرار كبيرة وخطيرة ، لذلك كم من إنسان أصيب بجلطة بسبب الغضب ، أو أصيب بمرض بسبب الغضب ، أو غشي عليه بسبب الغضب ، أو أصبح لا يتكلم من شدة الغضب ، ولذلك المعنيان يظهر أنهما مرادان في الحديث .

لا تجعل نفسك تغضب وتثور وتفور ، لأن الغضب جمرة من الشيطان ، وكان النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – لا يغضب إلا إذا انتهكت محارم الله ، وإذا غضب –عليه الصلاة والسلام– لم يصدر منه إلا حقًّا ، وهذا الحديث ، يدل على أن عدم الغضب أمرٌ مهم ، وأن الغضب أمر خطير ، إذ تترب عليه مفاسد .

– ومن علاج الغضب :

– أن يقول المرء : " أعوذ بالله من الشيطان الرجيم " ؛ فالنبي –صلَّى الله عليه وسلَّم – رأى رجلًا غضب غضبًا شديدًا ، فقال : (إني أعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد – يعني الغضب – لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) .

– وأيضًا من دواء الغضب وعلاجه : أنك إذا كنت قائمًا تجلس ، وإذا كنت جالسًا تضطجع ، كما جاءت في ذلك الأخبار والأحاديث عن النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– .

– وأيضًا من العلاج للغضب : أنك إذا غضبت ، أن تخرج من المكان ، إن رأيت أنك لا تستطيع الجلوس فاخرج من المكان ، وهذا يحتاج إليه كثير من الأزواج ، حينما تحدث بينهم مشاكل ويتواجهان وجهًا لوجه ، هذا يتكلم وهذه تتلكم إلى أن يضرب أو يطلِّق ، فيندم وتندم ويقعون في أمر عظيم ، ولو أنه خرج من الغرفة إلى غرفة أخرى ، أو حتى خرج من البيت ، لكان خيرًا له ، حتى يهدأ ثم يرجع .

ومن الغلط التي تقع بعض النسوة فيه ، أن زوجها قد يفارقها من الغرفة إلى غرفة أخرى ، فتذهب وتلاحقه وتطيل لسانها ؛ فهذا خطأ .

– لماذا تفعلي هذا ، ثم تبكين إذا طلقك ورجعت بيت اهلك ؟

– لماذا يتلاعب بنا الشيطان ؟

– لماذا لا نسلك الطريقة الشرعية في معالجة الغضب ؟

فبارك الله فيكم ، ابتعدوا عن الغضب ، والمرأة إذا رأت زوجها غضب ، تأخذ بيده وتهديه ، وإذا رآها غضبت ، يأخذ بيدها ويهديها.

قال أبو الدرداء لأم الدرداء : (كيف بك إذا غضبت أخذت بيدك ، ولم يعني ، ولم أرتاح حتى ترضي وكيف بي إذا غضبت تأخذين بيدي ، ولا ترتاحين حتى أرضى) ، أو كما جاء عنه –رضي الله عنه– .

الحياة الزوجية تقوم على المودة والمحبة ، لا على المقاتلة والمضاربة والعناد ، المرأة يجب أن تعلم أن زوجها له حق عظيم ، وأن الأدلة الشرعية جاءت بما يثبت ذلك فتعرف

للزوجِ حقه ، والزوجِ يجب أن يعلم أن الزوجة ضعيفة ومستأمنة لديه ، وأن الرسول– صلَّى الله عليه وسلّم– أوصانا بالنساء خيرًا ، فيصبر هذا على هذه ، وهذه على هذا ، حتى يلقوا الله –عزَّ وجل– على خيرٍ وعلى وئام .

وأكتفي بهذا القدر .

وصلَّى الله وسلَّم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين

والحمد لله رب العالمين

الأربعون النووية

شرح فضيلة الشيخ

أحمد بن عمر بازمول

حفظه الله

الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى

- ١٤٣٧ \ ١٤٣٦ هـ -

ضمن دروس معهد الميراث النبوي

-تفريغ فريق صيانه السلفي-

http://meerath.nabawee.net
https://www.facebook.com/meerath.nabawee/?ref=

الدرس السادس عشر من الأربعين النووية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَ الحَمَدَ للهِ نَحمدُهُ , ونَسْتَعِينُهُ , وَنَسْتَغْفِرُهُ , وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا , وَمِنْ سَيِئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللهَ فَلاَ مُضِلَ لَهُ , وَمَنْ يُضّلْل فَلاَ هَادِيَ لَه , وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهِ إِلاَّ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ , وَأَشْهَدُ أَنَ مُحَمَدًا عَبْدَهُ وَرَسُولُهُ .

أَلاَ وَإِنَ أَصْدَقَ الْكَلاَمِ كَلاَمُ اللهِ , وَخَيرَ الهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ , وَشرَ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا , وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٍ , وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٍ , وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ :

فقد توقفنا عند الحديث السابع عشر من الأربعين النووية ، وهو ما رواه أبو يَعْلَى شَدَّادِ بن أَوْسٍ –رَضِيَ اللهُ تَعَالَى– عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ –ﷺ– أنه قَالَ : (إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ. فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ ، وَلْيُرِحْ ذَبِيْحَتَهُ) [1]

هذا الحديث من الأحاديث الدَّالة على كمال الشريعة الإسلامية وأنّها من عند الله –عزَّ وجل– ، فالله –عزَّ وجل– (كَتَبَ الإِحْسَانَ إلى كُلِّ شَيءٍ)

– ومعنى كتب : أي شرعه وأمر به ، وهذا الأمر قد يكون للوجوب : كالإحسان إلى الوالدين ، وإلى الضيف على القدر المأمور به ، وقد يكون هذا لأمر للاستحباب : كصدقة التطوع ونحو ذلك .

[1]) رواه مسلم

فإذًا الله –عزَّ وجل – (كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ)

– والإحســـان : يعني الإتيان بالأمر كما شرعه الله وكما أمر به ، أمر إيجاب أو أمر استحباب ، وترك المنهي عنه سواء كان طلب تركه طلبًا جازمًا أو طلبًا غير جازم ؛ فالإحسان كما يقول ابن رجب –رحمه الله تعالى– : (إحسان كل شيء إحسانه) ، كل شيء بحسبه ، يعني كما مرّ معنا من الامور الواجبة أو المستحبة في فعلها ، من الامور المُحرَّمة أو المكروهة في تركها.

وقد مثّل النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– بالإحسان في مسألةٍ من المسائل التي جاء الاسلام بالإحسان فيها ، وذلك في قوله– صلَّى الله عليه وسلَّم– : (فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ) ،

(القِتْلَةَ) : أي هيئة القتل ، فإذا كان الانسان عليه قصاص فإن الواجب على السَّيَّاف الذي يقيم الحد عليه بأمر السلطان أو نوابه من القضاة أو نحوهم ، فالواجب أن يتخذ سيفًا حاد ، ويعدُّه ليكون سريع القطع ، وأن يضربه في المكان المخصص ، بحيث أنه يضربه مرة واحدة فيقيم عليه الحد .

وكذا الدواب ، إن كانت بعض مثلًا الدواب يؤذي فلك أن تقتله بما يجزي قروحه بطريقة سهلة ، لا أن تحرقه بالنار ، ولا تحبسه فيموت ، ولا أن ترمي عليه صخرة ؛ فإن هذا ليس من الإحسان في شيء .

فإذًا هذا قتل الإنسان أو قتل الدواب ، ثم ذكر أيضًا الإحسان في الذبح ، وذلك يحصل بأمور ، من أهمِّها :

أن تكون الشفرة أي السكينة و نحوها ممَّا يقطع أن تكون حادَّة ، بحيث تقطع الأوداج والبلعوم والمريء سريعًا ، فلو كانت السكين أو الآلة غير حادَّة فإنه يعذِّب الحيوان بكثرة تمرير هذه الآلة على رقبته ؛ فلذلك النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– قال : (وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ) أي السكين ونحوها .

(وَلْيُرِحْ ذَبِيْحَتَهُ) ، يعني يجعلها ترتاح بحيث يحضرها في المكان المخصص للذبح ، لا يجرُّها بقسوة أو يضربها حين يأتي بها الى المكان المخصص ، ولا يذبحها أمام الحيوانات الأخرى ، فإنَّ هذه الحيوانات وإن لم تكن تعقل إلا أنها مخلوقة ، تشعر وتضطرب و تتأثر بما ترى ، فلا شك أنها إن رأت أخواتها ينذبحون أمامها أنها تموت عدة موتات قبل أن تموت .

لذلك من الخطأ الكبير أن يذبح الشاة أمام الشاة ، ومن الخطأ الكبير أن تكون السكين أو الآلة غير حادة ، وأيضًا من الخطأ أيضًا أن يكون الذابح غير متعلِم ، فيظل يجرحها ويقطعها ويشق رقبتها في عدة مواطن ، فهذا كله من التعذيب ، هي ستموت بالذبح ، ولكن من الإحسان الذي أمر الله – عزَّ وجل – به الإحسان إلى البهائم هذه ، هذا فيه كمال هذه الشريعة –بفضل الله تعالى– .

و قوله –صلَّى الله عليه وسلَّم– : (إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ) ، فيه فوائد عظيمة ، أن المسلم يحرص كل الحرص على أن يأتي بالأوامر الشرعية كما أمر الله – عزَّ وجل – ،

وأن يحرص على أن يحسن الأمور وأن لا يُسيء ، وأن يحرص على عدم الأذية لإخوانه المسلمين ، فإذا كان الحيوان لا يؤذى وإنَّما يذبح بطريقة مريحة وسهلة .

– فكيف بالإنسان ؟

وهذا الحديث فيه ردٌّ على الدواعش الخوارج ، وهذا الحديث أيضًا فيه ردٌ على الذين يشتغلون على إخوانهم السلفيين بالطعن والجرح والكذب والافتراء على إخوانهم السلفيين ، فكيف لو كانوا طلاب علمٍ وعلماء سلفيين ، يُكذب عليهم ويُفترى عليهم ويُساء إلى سمعتهم ، فلا شك

أن هؤلاء ما امتثلوا هذا الحديث ، ولا امتثلوا الحديث الماضي معنا (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاَللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ) [2] .

فالمسلم مُبتلى ، مُبتلى بأمثال هؤلاء ، وأشدُّ الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، ولا شك أنَّ من سار على نهج النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– و الصحابة الكرام لابدَّ وأن يتعرض للأذى وأن يتعرض لمن يحاول عرقلة دعوته ؛ لذلك علينا –بارك الله فيكم– أن لا نغترَّ بأمثال هؤلاء ، فإنهم لم يحسنوا ، فإنهم لم يحسنوا .

كيف يكون إحسان بإيصال الإيذاء للمسلم ، فكيف بطالب علمٍ ، فكيف بعالمٍ قد أفاد إخوانه وطلابه واشتهرت دعوته ، هذا الكلام أنا أقوله كلامًا عامًا – بارك الله فيكم – ، لا أُنزِله على أشخاص مُعيِّنين ؛ لأن ليس المقصود ذاك أو ذا ، وإنَّما المقصود بيان سوء الفعل وقبح الصنيع بإيصال الإيذاء للمسلم .

إذًا هذا الحديث أيضًا يدخل في أبوابٍ كثيرة ، وهنا قد يعترض معترض ، ولكن قبل أن أذكر هذا الاعتراض ، ممَّا يؤكد هذا الحديث قوله – عليه الصلاة والسلام – ، أو نهيه –عليه الصلاة و السلام – كما رواه سمرة بن جندب ، أن النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– كان ينهى عن المُثلى .

– و المُثلى : تعذيب المقتول ، بأن يقطع بعض أعضائه وأن يشوهه أو نحو ذلك ، لكن هنا الإشكال الذي أريد أن أورده قد يقول قائل : أولئك الذين قتلوا راعي النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– وسملوا عينه ، ففعل بهم النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– ذلك ، وجعلهم في الحر والرمضاء إلى أن ماتوا .

---

[2]) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:6018]، وَمُسْلِمٌ [رقم:47].

– فهـل هذا يدخـل في المُثـلى ؟

– أو هـل هذا يدخـل في عـدم الإحسـان فـي القـتل ؟

– الجواب :

لا ، وهنا الجواب لابد أن أُبيِّن قاعدة عظيمة حتى تفهموها في كل أحكام الدين .

– مـاهـي هذه القـاعـدة ؟؟

إنَّ كل ما أمر الله –عزَّ وجل – به أو نهى عنه من الإحسان ، ما أمر به من الإحسان والعدل والإنصاف والمحبة والأخوَّة يفهم على ضوء النصوص الشرعية لا على ضوء عقولنا التي تعطي المعنى عامًا ، وكذا ما نهى عنه الشرع يفهم على ضوء النصوص الشرعية لا على ضوء عقولنا التي قد تتجاوز الحد في الأمر المنهي عنه ، فيقع الإنسان في الغلو إمَّا في فعل الواجب وإمَّا في الأمر المحرَّم ، هذه القاعدة لابد أن تفهم ، نطبقها هنا ، فنقول :

من قتل إنسان ؛ بأن مثلًا قطع أطرافه وعذَّبه ؛ فالحكم الشرعي في مثله أن يقتل بذلك إن حكم الحاكم بذلك ، فيكون من باب القصاص ، وأمَّا الحديث هذا الذي معنا في الإحسان ، وحديث النهي عن المثلى ، عن إنسان قتل فيُقتل ، ولكن أن يتجاوز القتل إلى أفعالٍ أخرى يُعذِّب بها المقتول ؛ فحينها يستحق أن يُعاقب بمثل ذلك .

مثال آخر : ما جاء في الأحاديث والآيات القرآنية من الأمر بالمحبة والألفة ؛ فبعض الناس يريد أن يُدخل حتى أهل البدع ، حتى أهل الأهواء ، فيأمر بالألفة معهم ، وبالمحبة لهم ، وهؤلاء إخواننا المسلمين ، فنقول له : يا أخي قف حدَّك ، وانظر إلى الآيات وإلى الأحاديث وإلى فهم الصحابة – رضوان الله عليهم – في هذا الباب ؛ فقد كانوا ينفِّرون من أهل البدع ، ويحذِّرون

منهم ، وينهون عن مجالستهم ، وعن مؤالفتهم ، بل قال الفضيل بن عياض : (آكل مع يهودي أو نصراني ، ولا آكل مع مبتدع) .

- لمـــــــاذا ؟

- قال أهل العلم :

- لأن اليهودي والنصراني أنا أحذره وأعلم أنه على باطل فلا يستطيع أن يُضلَّني ، ولكن هذا المبتدع هو مُظهرٌ للإسلام ، ومُظهرٌ أنه متمسكٌ بالحق ، وهو على بدعة ، فأنا أغترُّ به ، وقد أقع في حبائله ؛ فلذلك – بارك الله فيكم – يجب أن نفهم هذه القضية فهمًا جيدًا ، وبهذا الفهم تستطيعون أن تكشفوا كثير من الحيل والخدع التي يُخادع بها بعض الناس في كلامه ، وأنه يريد الحق ، وأنه يريد الأحاديث والآيات التي في كذا وكذا ، وهي لا تدل على مراده ، فينبغي أن نفهمها على ضوء الآيات والأحاديث وما كان عليه السلف الصالح – رضوان الله عليهم –

- الحديث الذي يليه ؛ الحديث الثامن عشر :

عَنْ أَبِي ذَرٍّ ، ومُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– ، أنْ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: (اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا ، وَخَالِقْ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ)[3]

هذا الحديث فيه ثلاثة وصايا وأوامر للنَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– لنا جميعًا :

بأن نتقي الله – عزَّ وجل – ، وأن نعمل الحسنة بعد السيئة ، وأن نتعامل مع الناس بخلقٍ حسن

- أمَّا الأمر الأول : فهو تقوى الله –عزَّ وجل– (اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْت) ؛ وهنا الأمر بأمرين

- الأمر الأول : الأمر بالتقوى (اتَّقِ اللَّهَ) .

[3] رواه الترمذي وقال حديث حسن وفي بعض النسخ حسن صحيح .

– **والأمر الثاني :** أن تكون تقواك لله في كل مكان ، في السرَّ والعلن ، في موطنك وخارج موطنك ، أمام أصحابك ، وأمام الذين لا يعرفونك ، بين أهلك وبين الناس ، محل ما تكون تتقي الله – عزَّ وجل – .

– لمـــــــاذا ؟

– لأن الله يراك حيثما كنت ، ومُطلِّعٌ عليك أينما كنت ، والملكان يسجلان عليك كل ما تعمل ، وكل ما تتلفظ به ، كما سبق معنا ؛ فالله – عزَّ وجل – الذي تعبده في مكة هو –سبحانه وتعالى – الذي تعبده وأنت في أي دولةٍ أخرى ، والله الذي تتظاهر بالتقوى والورع أمام الناس في العلانية هو الله – سبحانه – الذي يراك في الخلوة وفي السر .

– فكـيـف لا تتقي الله – عزَّ وجل – ؟!

ولذلك النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – أوصانا جميعًا أن نتقي الله – عزَّ وجل – حيثما كنَّا ، ولذلك جاء في الحديث عن النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – أنه ذكر أن أناس من أمته يأتون يوم القيامة بحسناتٍ أمثال الجبال ، يجعلها الله هباءً ، قالوا : من هم يا رسول الله ؟ ، قال : (أقوامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا) ؛ فألحظ أخي المسلم وانتبه إلى قوله : (إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا) ، يعني : كانوا يتظاهرون بخلاف ما يبطنون ، كانوا في السرِّ ذئاب ، وفي العلن يُظهرون التقوى ؛ لذلك على المسلم أن يراعي هذه القضية ، وأن يحرص على الإخلاص ، وعلى الاستقامة على الحق ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ [4] ؛ يعني : فالزم الطريق الواضح البيّن في كل أحوالك .

---

[4]) سورة هود – الآية 112

(اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ) :

– والتـــقـوى : أن تجعل بينك وبين عذاب الله وسخطه وقاية ، بأن تفعل الطاعات والواجبات ، وتترك المُحرَّمات والمنهيات ، وأن تستعد ليوم الرحيل .

كما جاء عن بعض السلف وهو طلق بن حبيب حينما ذكر التقوى : (أن تعمل بطاعة الله على نورٍ من الله ترجو ثواب الله ، وأن تترك معصية الله على نورٍ من الله تخاف عقاب الله) .

– مـــاذا نلـــحـــظ في قـــول طلـق ؟

نعيد مرة أخرى : (التقوى : أن تعمل بطاعة الله على نورٍ من الله ترجو ثواب الله ، وأن تترك معصية الله على نورٍ من الله تخاف عقاب الله) .

نلحظ أنك إذا عملت الطاعة تعملها بعلمٍ وبهدى ممَّا جاء به النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – ، وإذا تركت المعصية تتركها بعلمٍ وعلى ما نهى عنه النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – ؛ لأن بعض الناس يجعل نفسه أو يظن نفسه تقيًّا وهو جاهل ، وهو لا يعرف الأحكام ، فيقع في البدع والضلالات والانحرافات وهذا خطأ .

ولذلك قال سفيان : (من ضل من عُبَّادنا أشبه النصارى)

– لـــمـــاذا ؟

– لأن النصارى عبدوا الله على جهالة ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾[5] ، يعني : ابتدعوا أمور ومع ذلك لم يأتوا بها على الوجه المطلوب ، فبعض العباد حقيقة أمرهم أنهم جهَّال ، وأمَّا قوله – صلَّى الله علية وسلَّم – : (فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم) ؛ فإن

[5] سورة الحديد – الآية 27

العابد فيما كان سابقًا في عهد السلف المراد به : من تعلم من العلم ما يقيم به عبادته ، وليس المراد بالعابد ذاك الذي يصلي ، ويحضر للصلاة ، ويتظاهر بإطالة اللحية ونحو ذلك وهو يجهل دين الله – عزَّ وجل – ، لا هذا جاهل ليس بعابد .

إنما العابد كان يتعلم ما يُحتَاج إليه من دين الله في عبادته لله – عزَّ وجل – ، ما عنده علم زيادة في أمور أخرى ولكن لَمَّا يعبد الله يعبده على بصيرة في العبادة التي يتفرغ فيها لله – عزَّ وجل – ، في صلاةٍ أو صيامٍ أ ونحو ذلك وأذكار نبوية لا أذكار مبتدعة أذكار لم يأتِ بها النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم –وأوراد يلتزمها لم يأتِ بها النَّبي – ﷺ –.

مرَّ معنا حديث عائشة : (مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ) [6] ، حديث عائشة – ﵂ وأرضاها – أم المؤمنين ، قالت : قال النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد) [7] ؛ فلابد – بارك الله فيكم – أن نلحظ هذا الأمر .

ولذلك رأس التقوى أن تعلم ما يُتَّقى فتتقي ، فأصل التقوى ورأسها أن تكون مبنيةً على العلم ، والتقوى هي وصية الله – عزَّ وجل – للأولين والآخرين ، للأولين والآخرين أوصاهم الله – عزَّ وجل – بالتقوى .

وتقوى الله – عزَّ وجل – أيضًا – بارك الله فيكم – تعني أن المرء يحاسب نفسه على أقواله ، وعلى أفعاله ، وعلى كل شيءٍ ، فيخاف أن يصدر منه السوء ، ويخاف أن يقصِّر في الأمر الواجب .

وتقوى الله – عزَّ وجل – أن يكون العبد ورعًا تقيًّا ، يترك الشبهات ويستبرئ لدينه وعرضه ، و تقوى الله – عزَّ وجل – أيضًا أن يحفظ العبد لسانه من الغيبة والنميمة ومن البهتان والكذب

---

6) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:2697]، وَمُسْلِمٌ [رقم:1718].

7) وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ

على عباد الله وأن يحفظ فرجه ممَّا حرمه الله ، وتقوى الله – عزَّ وجل – الإحسان إلى الوالدين ، والإحسان إلى إخوانه المسلمين ، وتقوى الله وهذا الأمر الذي ينبغي أن يذكر في البداية تكون بتوحيد الله – عزَّ وجل – ، ونبذ الشرك وأهله فهذه كلها من تقوى الله .

ثمَّ قال – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا) ، يعني إذا عملت سيئةً فلا تتركها وقتًا طويلًا ، بل احرص على أن تعمل بعد السيئة حسنة ، إمَّا بقراءة قرآن ، وإمَّا بصدقةٍ ، وإما باستغفارٍ ، وإمَّا بذكرٍ .

وقد جاء عن النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – أنه قال : (ما من عبدٍ يُذنِبُ ذنبًا ثم يتوضأ فيحسن الوضوء ثم يصلي ركعتين فيستغفر الله إلا غفر الله له) ، وأيضًا جاء في الحديث عن النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (أن العبد إذا أذنب فإن الملك صاحب الشمال – عليه السلام – يرفع القلم بضع ساعات) ، ست ساعات يرفع القلم فإن أحدث توبة في أثناء هذه الست الساعات لم يكتب الذنب ، وإن لم يتب في هذه المدة كتبها سيئة ؛ ولذلك هذا ممَّا يؤكد دلالة ذلك الحديث ، أن العبد يحرص على أن يعمل الحسنة بعد السيئة .

وأيضًا جاء في الحديث ما يُبيّن أهمية إتباع السيئة بالحسنة وذلك أن السيئات لو اجتمعت على القلب قد تجعله فاسدًا ، كما قال – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَذْنَبَ الذَّنب نُكِتَ فِي قَلْبِهِ نكْتَةٌ سَوْدَاءُ ، فإن تاب وأقلع صُقِلَتْ وَمُحِيَتْ) ، يعني النكتة السوداء هذه ، (وإِنْ أَذْنَبَ الذَّنْبَ يُنْكَتُ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاء ، وَلَا يَزَالُ يُنْكَتُ فِي قَلْبِهِ – أي كُلَّ مَا أَذْنَبَ ؛ يعني لم يتب – ، وَلَا يَزَالُ يُنْكَتُ فِي قَلْبِهِ حَتَّى يُصْبِحَ أَسْوَدَ كَالْكُوزِ مُجْخِيًا ، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا ، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا) .

قال الله – عز وجل – : ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [8] ، أي : غطَّى على قلوبهم ما كانوا يعملون ، ولذلك هذه وصية عظيمة كثيرٌ منَّا يشتكي من قسوة القلب ، كثير منَّا يشتكي من الثقل عن الطاعات ، وعدم الرغبة لسماع القرآن ونحو ذلك ، فنقول لهؤلاء إن أذنبتم فتوبوا إلى الله – عزَّ وجل – ، وإن أذنبتم فاعملوا الحسنة ، وإياكم وتراكم السّيئات ، فإنها تغطي القلب ، وتصرفه عن الطاعة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا) ، لاحظ أن الإتباع يكون الشيء وراء الشيء ، يعني ليس بينهما فاصلٌ كبير ، وأيضًا يُشعِر هذا بأن المرء يسارِع لفعل الحسنات ، وهذا أمرٌ عظيم – بارك الله فيكم – .

وهذا أمرٌ عظيم – بارك الله فيكم – ينبغي لنا أن نعود أنفسنا على فعله ؛ لأنَّ كما جاء في الحديث عن النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ) ، كما قال العلماء ، قال النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم –: (كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ) .

وقال العلماء : (ليس الخطأ أن تقع في المعصية ، وإنَّما الخطأ أن تستمر عليها ،وأن تصرَّ عليها)

ولذلك لو تأملنا هذا الباب في القرآن وفي السنة لوجدنا العجب العجاب ،﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾ [9] مهما كثرت ذنوبك ، ومهما كثرت المعاصي ، فتب وارجع إلى الله – عزَّ وجل – واستغفره ، ولا تقنط من روح الله ، ومن رحمة الله ، بل احرص على التوبة والرجوع إلى الله – عزَّ وجل – .

في آيات وأحاديث كثيرة جدا في هذا الباب يطول المقام بذكرها .

ثم قال – صلَّى الله عليه وسلَّم– : (وَخَالِقْ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ) ، وهذا كما مرَّ معنا في قول النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– ، في الحديث الذي قال فيه –عليه الصلاة والسلام– وهو

---

[8]) سورة المطففين – الآية 14
[9]) سورة الزمر

الحديث الذي مرَّ معنا ، وهو قوله –عليه الصلاة والسلام– : (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)[10] ، حديث أنس : (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) ، هذا داخلٌ فيه ؛ فإن الخلق الحسن أنت تحب لنفسك أن يعاملها الناس بخلق حسن ، فعامل أنت الناس بالخلق الحسن .

– والخلق الحسن : هو امتثال أوامر الله ، واجتناب نواهيه ، وأن تعمل بما تعارف عليه الناس ممَّا لم يأتي في الشرع ما يُبيِّنه ، ما ينهى عنه ، أو ما يوضحه ، فقد يتعارف النَّاس على بعض الأمور ممَّا يتعاملون به عُرفًا ، فلابد من مراعاة هذا الأمر.

(وَخَالِقْ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ) ؛ يعني : عاشرهم وخالطهم وكن معهم ولا تتكبر عليهم ، ولا ترى نفسك فوقهم ، لا مالًا ولا نسبًا ، ولا أي أمرٍ من أمور الدنيا ، بل المسلم مع أخيه المسلم كما قال الله – عزَّ وجل – في سورة الفتح حين قال –سبحانه وتعالى– : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴿٢٩﴾)[11]

وأيضًا قول النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (الْمُسْلِمُ لِلْمُسْلِمِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا) ، قال –صلَّى الله عليه وسلَّم – : (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وتحابهم كمَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى) ، أو كما قال – عليه الصلاة والسلام – .

وقد جاء ما يدلُّ على عظم أجر الأخلاق الطيبة ، فإن النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– يقول : (ما من شيء أثقل في الميزان يوم القيامة من حسن الخلق) ، ويقول – عليه الصلاة والسلام– : (إن الرجل ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم) .

والله –عزَّ وجل– حين أثنى على النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– كان من ثنائه عليه قوله :

---

[10]) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:13]، وَمُسْلِمٌ [رقم:45].
[11]) سورة الفتح – الآية 29

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [12] ، فدلَّ هذا على أن الأخلاق لها مكانه عظيمة في الإسلام ، ومنزلة مهمة .

وأمَّا حديث (الدين المعاملة) فهو حديثٌ لا إسناد له ، موضوعٌ مكذوبٌ على النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– ، مكذوبٌ على النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– .

والأخلاق كما سبق ، ليس المُراد بها الأخلاق المصطنعة ، والأخلاق التي يُقضى بها مصالح لبعض الناس ، أو الأخلاق التي يُراد بها الدفاع عن أهل الباطل ، أو الأخلاق التي يُراد بها الطعن على أهل السنة ،كما يفعل بعض الناس ، يأتي بأخلاق هو يراها أنها من الأخلاق ، ثم يعيب على أهل السنة أنهم لم يتخلقوا بها ، لا عيب على أهل السنة في عدم تخلقهم بأخلاق لم تشرع ، أو لا عيب على الإنسان إذا ترك أمرًا مستحبًا ليس بواجبٍ ، إنّما يُعاب من وقع في البدع وخالف الحق ، وإنّما يُعاب من فعل المحرَّم وترك الواجب ، وإنّما يُعاب من أراد بإيراد الأخلاق الطعن في إخوانهم السلفيين ، حتى إنك لتجد الواحد منهم يتعامل مع المخالفين بكل رحمة وأدب واحترام ، فإذا جاء مع إخوانه السلفيين انقلب ، وكشَّر عن أنيابه ، وسلقهم بلسان حاد .

– أيــن الأخــــلاق ؟

الأخلاق مع المخالفين ، والأخلاق مع المنحرفين ، يُنصح بها ويُنادى بها ، **ووقت التطبيق مع أهلها لا تُطبَّق ؟!!**

لا شك أن اعتبار الأخلاق بهذه الصورة مخالف لمنهج السلف ، ولذلك كما قال ابن رجب – رحمه الله تعالى – قال : (قال بعض أهل العلم : حسن الخلق ،كظم الغيظ لله) .

[12]) سورة النجم – الآية 4

بعض الناس إذا غضب عليك وهو ينادي بالأخلاق ، إذا غضب عليك آذاك في كل مكان ، في كل مناسبة ، ويفضل يعني يلاحقك .

- فأين الأخلاق التي تنادي بها ؟

(كظم الغيظ لله ، وإظهار الطلاقة والبشر إلا للمبتدع والفاجر) ، بعض الناس يظهر تكشير أنيابه لإخوانه السلفيين فهذا خطأ ، وأنا كما سبق لا أعني شخصًا بعينه وإنَّما أذُّم فعلًا ، وخلقًا ذميمًا ، فلا يحمل كلامي –بارك الله فيكم– على شخص بعينه ، لأنه ليس المُراد ذلك الشخص ، إنما المراد تلك الفعلة الشنيعة .

ثم قال : (والعفو عن الزَّالين إلا تأديبًا أو إقامة حد و كف الأذى عن كل مسلم أو معاهد ، إلا تغيير منكر ، أو أخذا بمظلمة لمظلوم من غير تعدٍ) ، فهذا القول يجمع لنا حسن الخلق فعلينا أن نتدبره وأن نتأمله .

(وَخَالِقْ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ) ، وتأملوا قوله –صلَّى الله عليه وسلَّم – : (بِخُلُقٍ حَسَنٍ) ، وصفه بالحسن .

- والحسن : هو ما كان من شرعه –عليه الصلاة والسلام– ، ومن سنته –ﷺ– .

قال الإمام أحمد : (حسن الخلق ألا تغضب و لا تحتد) ، وقال أيضًا : (حسن الخلق أن تحتمل ما يكون من الناس) ، تصبر على آذاهم ؛ ولذلك جاء عن النبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– : (أن المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على آذاهم خير ممن لا يخالطهم) ، وقال إسحاق بن راهوية في حسن الخلق ، قال : (هو بسط الوجه وأن لا تغضب) .

إذًا هذه وصية مهمَّة ونافعة أوصى بها النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– أمَّته ، وفي هذا القدر كفاية

وصلَّى الله وسلَّم على مُحَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الأربعون النووية

شرح فضيلة الشيخ

أحمد بن عمر بازمول

حفظه الله

الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى

١٤٣٦ \ ١٤٣٧ هـ.

ضمن دروس معهد الميراث النبوي

-تفريغ فريق صيانة السلفي-

http://meerath.nabawee.net
https://www.facebook.com/meerath.nabawee/?ref=

الدرس السابع عشر من متن الأربعين النووية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَ الحَمَدَ للهِ نَحمدُهُ ونَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا مِنْ سَيئَاتِ أَعْمَالِنا ، مَنْ يَهْدِهِ اللهَ فَلاَ مُضِلَ لَهُ ، وَمَنْ يُضِّلْل فَلاَ هَادِيَ لَه ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهِ إِلاَّ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَ مُحَمَدًا عَبْدَهُ وَرَسُولُهُ .

أَلاَ وَإِنَ أَصْدَقَ الْكَلَام كَلاَمُ اللهِ وَخَيرَ الهُدَى هُدَى مُحَمَّد وَشَرَ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٍ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٍ وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ.

أمَّا بعد :

فقد توقفنا في الأربعين النووية عند الحديث التاسع عشر ، وهو ما رواه أَبُو العَبَاس عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– قَالَ :كُنْت خَلْفَ النَّبِي –صلَّى الله عليه وسلَّم– يَوْمًا، فَقَالَ : (يا غُلَامِ ! إِنِّ أُعَلِّمُك كَلِمَاتٍ : احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْك ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَك ، إذَا سَأَلْت فَاسْأَلْ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْت فَاسْتَعِنْ بِاَللَّهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوك بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوك إلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَك ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوك

بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوك إلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْك ؛ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ ، وَجَفَّتْ الصُّحُفُ) . ([1])

وَفِي رِوَايَةِ غَيْرِ التِّرْمِذِيِّ :

(احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ أمامك ، تَعَرَّفْ إلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفُك فِي الشِّدَّةِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَك لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَك ، وَمَا أَصَابَك لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَك ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ ، وَأَنْ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) .

هذا الحديث من الأحاديث العظيمة التي ينبغي لكل مسلمٍ ومسلمة أن يتأمَّلوها وأن يتدَّبروها لما فيها من الحكم البالغة والمعاني العظيمة .

فقوله في الحديث : (يَا غُلَامِ) ، أو قبل ذلك قوله (كُنْت خَلْفَ النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم–) ، هذا من تواضع النَّبي– صلَّى الله عليه وسلَّم – ، إذا كان ابن عباس معه راكبًا على الدابة ، فهذا من تواضع النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم – ، وقد جمع بعض المحدِّثين وهو الأصبهاني ، جمع الأحاديث التي فيها يذكُر الصحابي أنّه كان خلف النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– كحديث معاذ بن جبل وغيره .

قوله (فَقَالَ : يَا غُلَامِ) ، هذا دليل على أن ابن عباس كان صغيرًا حين خاطبه النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم– بذلك ، حتى قال أهل العلم إنَّ النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم–

---

1) قال رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

يوم أن مات كان ابن عباس قد ناهز الاحتلام ، يعني عمره في الخامسة عشر أو أقل أو أكثر .

فإذا النَّبي– صلَّى الله عليه وسلَّم – خاطب ابن عباس بذلك .

– وهذا فيه فائدة :

وهو أن الصغير يعلَّم ويوَّجه للخير ؛ فالنَّبي– صلَّى الله عليه وسلَّم– قدوتنا ، خاطب ابن عباس بذلك ، بعض الآباء وبعض الأمهات وبعض الأولياء لا يتكلمون مع الصغار بحجَّة أن عقولهم لا تبلغ ذلك ، وكذا بعض النّاس قد يقول لا تتكلموا مع الصغار في التحذير من الضلالات ومن البدع لأن عقولهم صغيرة ، ولا شك أن هذا خطأ ؛ لأن هذا الصغير يتلقى العلم ويستمع ويستجيب لما يوجَّه إليه ، وقد كان بعض السلف كما في مقدمة مسلم ، كما ذكر ذلك شيخنا الامام أحمد النجمي – رحمه الله تعالى– في معرض ردِّه على الذين يحذِّرون من تحذير الصغار من أهل البدع والأهواء ، ذكر أن بعض السلف كما في مقدمة مسلم – صحيح مسلم– كان يُحذِّر الصغار والصبيان من أهل البدع والأهواء.

إذن –بارك الله فيكم– لنحرص على الصغار ، أن نعلِّمهم الخير وأن نوجَّههم لما فيه صلاحهم ، بدل أن نعطيهم تلك الألعاب الإلكترونية وتلك اللعب التي هي ما فيها إلاّ ضياع للوقت ، وعدم الاستفادة منه ، وتربية النشء الصغير على الجهل والتعلُّق باللعب ، والتعلُّق بالدنيا ، ليس المقصود من هذا عدم ترك الصغير يلعب ، فإنه لابد أن يلعب لأنه

صغير غالبًا ، ولكن المراد ذم ترك الصغار بالكُليّة ، وعدم تربيتهم وعدم توجيههم ، والدعاء لهم بالخير ، فقد جاء عن النَّبي– صلَّى الله عليه وسلَّم– أنّه دعا لابن عباس فقال : (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) .

إذا ، قال : (يَا غُلَامِ ! إِنِّي أُعَلِّمُك كَلِمَاتٍ) ، قال العلماء بدأ النَّبي– صلَّى الله عليه وسلَّم– بهذا الكلام من باب تهيئة ابن عباس ولفت انتباهه لما سيأتي ؛ ولذلك الصغير قبل أن تكلمه خاطبه بما يلفت انتباهه ثم وجِّهه لما تريد .

و أيضًا قال العلماء : (إِنِّي أُعَلِّمُك كَلِمَاتٍ) ، فيه توجيه أيضًا للأولياء ، لأولياء أمور الأطفال والصغار وللمعلمين أن يعلِّموا العلم شيئًا فشيئًا ، فلم يعلِّمه النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم– كل شيء ، وإنّما علَّمه كلمات معدودات ، يحفظهن فينتفع بهن ثم يتعلم غيرهن ، كما كان شأن السلف – رضوان الله عليهم– حتى في حفظ القرآن ، كانوا يحفظون خمس آيات أو عشر آيات ، ثم يتعلمون ما فيهن من العلم والعمل ، ثم يعملون ثم يحفظون غيرها وهكذا ، فهذا كما قال الشيخ العلامة صالح الفوزان – حفظه الله تعالى– قوله : (أُعَلِّمُك كَلِمَاتٍ) فيه أن العلم يُعلَّم شيئًا فشيئًا ، تدريجيًا ، ولا يؤخذ جملة كما قال الزهري : (لا تطلب العلم جملة فيذهب جملة) ، (لا ترم العلم جملة فيذهب جملة) .

قوله : (احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْك) ، حِفظ الله –عزَّ وجل– يكون بفعل الواجبات التي أمر بهن ، وترك المُحرَّمات التي نهى عنهن ، وتصديقه– سبحانه وتعالى– فيما أخبر في كتابه وفي سنة رسوله– صلَّى الله عليه وسلَّم–.

(فاحْفَظْ اللَّهَ) ، أي احفظ حدوده ، وطبق شرعه ، وامتثل أمره ، واجتنب نواهيه .

(يَحْفَظْك) ، يعني : يترتب على فعل الواجبات ، وترك المُحرَّمات ، والاستجابة لأمر الله –عزَّ وجل– ، والتصديق بخبره والإيمان بذلك يترتب عليه أن يحفظك الله – عزَّ وجل–.

– السؤال : في ماذا يحـــفظـــــك الله ؟

– قال العلماء يحفظك الله في كل شيء ، في الدنيا وفي الآخرة ، في دينك ، وفي أولادك ، وفي مالك ، وفي أهلك ، وفي كل شيء ، كما ذكر الله –عزَّ وجل – في قصة الغلامين اليتيمين ، في قصة موسى والخضر فإن الله قال في الآية : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ [2] ؛ فحفظ الله –عزَّ وجل– لهما الكنز بحفظ أبيهما لله– عزَّ وجل– ، وهكذا كان السلف الصالح –رضوان الله عليهم – يحفظون حدود الله ، ويجتنبون محارم الله ، ولا يتعدون ما أمر الله –عزَّ وجل– ، فحفظ الله –عزَّ وجل– لهم دينهم ودنياهم ، وعلا شأنهم وكانوا قدوة لمن بعدهم –رضوان الله عليهم–.

[2]) سورة الكهف – الآية 82

قال : (احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ) ، كثيرٌ مِمَّن يبحث عن الأمور التي تحفظه ؛ الأمور التي تنجِّيه من المخاطر ، فتراه يسعى لكذا أو كذا من الأمور إمَّا لمن يحفظه من الناس ، وإمَّا بغلق الأبواب ، وإمَّا برش المبيدات للحشرات ونحو ذلك ، لا شك أنّ هذه الأسباب تنفع –بإذن الله تعالى– لدفع ضُرٍّ ، ولكن الحافظ هو الله –عزَّ وجل– ، فإن الله –عزَّ وجل– هو الحافظ ، فمن امتثل أمر الله واجتنب نواهيه وحفظ حدود الله فليتوكل على الله –عزَّ وجل– وليبشر بالحفظ الذي وعد به النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم – ؛ لأن المعنى : إن تحفظ الله يحفظك ، فإذا أردنا أن الله يحفظنا ويحفظ أولادنا وأموالنا وديننا ويحفظنا في الآخرة فيكون لنا الأمن في الدنيا والآخرة فلنحفظ حدود الله –عزَّ وجل– ، ولنقم شرعه ، ولنتوكل عليه –سبحانه وتعالى–.

ثم قال له : (احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ) ، أي : أمامك كما في الرواية الأخرى ، يعني : إذا حفظت الله –عزَّ وجل – وكنت في ساعة عُسرة ، أو في ساعة كربٍ ، أو في ساعة همٍّ ، أو احتجت لمعين فإن الله يعينك ، وإن الله ييسر لك الأمر بما حفظت حدوده ، فإن الله يكتب لك الخير أينما كنت.

(احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ) ، ولذلك كان السلف لا يخافون إلاّ الله ، فيتوكلون على الله ، فيأتون على المخاطر وهم يعلمون أنه لن يصيبهم إلاّ ما كتبه الله لهم ، ويعلمون أنهم قد حفظوا الله –عزَّ وجل– ، وأن الله حافظهم –سبحانه وتعالى–.

قال : (إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ) ، يعني :

إذا كان لك سؤالا وطلبًا فلا تسأل أحدًا من الناس ، وإنّما فاسأل الله –عزَّ وجل– ، وكان النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – قد بايعه بعض الصحابة– رضوان الله عليهم– أن لا يسأل الناس شيئًا ، فكان أحدهم إذا سقط سوطه وهو على الدَّابة ينزل بنفسه ويأخذ السوط ولا يطلب من أحد أن يعطيه السوط .

– قال العلماء : **سؤال غير الله على نوعين :**

– **النوع الأول :** سؤال غير الله ؛ طلب غير الله فيما لا يقدر عليه إلاّ الله ؛ فهذا شرك ، فمن أراد الحمل ، ومن أراد الرزق ، ومن أراد الأمور التي هي بيد الله –عزَّ وجل –، ولا يقدر عليها إلاّ الله –عزَّ وجل– فليسأل الله ولا يسأل الوليِّ الفلاني ، ولا القبر الفلاني ، ولا يذبح للجن ، ولا يعتقد ذلك ، وإنما يعتقد أن هذه الأمور بيد الله وحده لا شريك له فيطلبها من الله –عزَّ وجل– ويجعل ويصرف عبادته كلها لله –عزَّ وجل– .

– **وأمّا النّوع الثّاني من السّؤال :** وهو أن تسأل المخلوقين أمرًا يقدرون عليه ،كأن تسأل أحدهم بعض أن يعطيك أو يناولك هذا الشّيء ؛ فهذا لا مانع منه ، ولكن كما قال بعض أهل العلم أنّه ينافي كمال التّوحيد .

قال : (إِذَا سَأَلْت فَاسْأَلْ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْت فَاسْتَعِنْ بِاَللَّهِ) إذا كنتَ تريد العون فاطلب الاستعانة من الله ؛ لأنّه الله – سبحانه وتعالى – هو القادر على كلّ شيء ، وهو الذّي بيده كلّ شيء – سبحانه وتعالى –.

وكذلك الاستعانة كما ذكر العلماء على نوعين :

– الاستعانة فيما لا يقدر عليه إلّا الله ؛ فهذا طلب العون فيه من غير الله شركٌ أكبر .

– وأما الاستعانة فيما يقدر عليه المخلوقين ؛ فإنّ هذا ينافي كمال التّوحيد ولا مانع منه.

قال : (وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاَللَّهِ)

– لمـــــــــاذا ؟

– لأنّ الله – عزَّ وجلّ – يفرحُ ويحبُّ من عباده أن يسألوه ، وأن يستعينوا به ، كما علَّمنا – سبحانه وتعالى – أن نقول : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [3] ، فالسؤال هو الدعاء ، والدعاء عبادة ، فإيّاك نعبد ولا نعبد غيرك ، وإيّاك نطلب ، وإياك نستعين ولا نستعين بغيرك .

ثمّ قال – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوك بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوك إلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَك ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوك بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوك إلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْك ؛ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ ، وَجَفَّتْ الصُّحُفُ)

قال العلماء هذا من باب الإيمان بالقضاء والقدر ، وأنّ الأمر المكتوب لابدّ أن يقع ، فإن كان المكتوب لك خيرًا سيقع الخير –بإذن الله– ولو أرادت الأمّة كلّها أن تضرُّك ، ولو كان المكتوب ما فيه ضررٌ على ابن آدم فإنّه يقع ولو اجتمعت الأمّة كلّها على أن

[3]) سورة الفاتحة ـ الآية 5

ينفعوه ، ولذلك قال : (وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوك بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوك إلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَك) ، فهو المكتوب في اللوحِ المحفوظ ممّا علمه الله –سبحانه وتعالى – وقدّره وكان قضاءً وقدرًا ؛ ولذلك هذا من أركان الإيمان كما مرّ معنا في حديث جبريل الطّويل لمّا ذكر الإيمان : (أَنْ تُؤْمِنَ بِاَللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ) ؛ فلابدّ أن يعلم المسلم أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه كما سيأتي ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وأن يعتمد على الله – عزَّ وجلّ – ، وأن يبذل الأسباب ويتوكّل عليه – سبحانه وتعالى – .

(وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوك بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوك إلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْك) ، فلو وقع عليك الضّرّ، فهو مكتوبٌ عليك ، ولو وقع عليك النّفع فهو مكتوب لك.

قال –صلَّى الله عليه وسلَّم – : (رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ ، وَجَفَّتْ الصُّحُفُ)

وهذا كما قال العلماء المُراد أنّ ما كُتب في اللوحِ المحفوظ سيقع لا يمكن تغييره ولا تبديله ، وأنّ الأقدار كلّها قد كتبت وسجّلت في اللوح المحفوظ (رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ ، وَجَفَّتْ الصُّحُفُ).

ثمّ قال وفي رواية (احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تجاهك ، تجده أمامك) ، وهذا قد مرّ معنا ، (وتَعَرَّفْ إلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفُك فِي الشِّدَّةِ) ، هذا كما قال العلماء فيه تنبيه للعبد أن يكون ممتثلًا لأمر الله ، مُجتنبًا لنواهي الله في ساعة الضّيق وفي ساعة اليسر ؛ لأنّ بعض النّاس لمّا يكون في حالةٍ طيّبة ينسى الله – عزَّ وجلّ – ، ويقع في المحرّمات ويترك الواجبات ، فهذا

في ساعة الرّخاء لم يعرف الله –عزَّ وجلّ– ، ولم يتقرَّب إلى الله –عزَّ وجلّ– ، فهذا قد يكون من أسباب عدم إجابة الدّعاء كما مرَّ معنا لمّا ذكرنا حديث : (الرّجل يطيل السّفر يا رب يا رب أنّا يستجاب له) ، ذكرنا أنّ العلماء ذكروا أن الوقوع في المُحرَّمات وترك الواجبات سببٌ لعدم قبول الدّعاء ، قد يكون سببًا ومانعًا لعدم قبول الدّعاء .

فهنا النّبي –صلّى الله عليه وسلّم – يقول :(تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفُك فِي الشِّدَّةِ) ، يعني : إن كنت مُطيعًا لله –عز وجل – في ساعة اليسر وفي ساعة السّعة ثمّ جاءتك الشِّدّة فإنّ الله –عزّ وجلّ – ييَّسر لك الأمور ، ويسهّل لك الصعاب ، ويعينك على ما أنابك من مصائب الدّهر ؛ لذلك قال : (تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفُك فِي الشِّدَّةِ).

وأيضًا الإنسان إذا كان عنده مال فإنّه ينبغي له أن يبذله في طاعة الله –عزَّ وجلّ – وفي مرضاته ، ولا يصرفه في الأمر الحرام ، حتّى لا يقع العبد فيما يسخط الله –عزّ وجلّ – ، والعلماء عند هذه اللّفظة (تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفُك فِي الشِّدَّةِ) يذكرون مثالًا ممّا ذكره النّبي –صلّى الله عليه وسلّم– ، وهو قصّة ثلاثة النّفر الذّين دخلوا الغار فأطبقت عليهم الصخرة ، ولم يبقى منها إلاّ فرجة قليلة لا يمكنهم الخروج من الغار ، فتوسَّل ودعا كلُّ واحد منهم الله – عزّ وجل – بالعمل الصّالح الذّي قام به ، فذكر ذلك برَّه لوالديه ، وأنّه كان لا يشرب اللبن قبل والديه وإن طلبه أولاده ، فيقدّم والديه على نفسه وعياله ؛ فانفرجت الصّخرة ، وذكر ذلك الرّجل الذّي حفظ مال من كان يعمل عنده ثمّ جاءه وردّ إليه ماله الكثير وقد نمّاه ؛ فانفرجت الصّخرة ، وحكى ذلك الثالث قصّته في تركه

للوقوع في الحرام في الزّنى ، لمّا ذكّرته ابنت عمّته الله – عزّ وجلّ – (اتّق الله ولا تفضّ الخاتم إلّا بحقّه) ؛ فانفرجت الصّخرة فخرجوا من الغار ؛ فنجّاهم الله – عزّ وجلّ – من كربٍ وهلاكٍ كان محققًا في الظّاهر ، إذ أنّهم دخلوا في هذا الكهف وهم بعيدون عن قومهم ، فسوف يكونون في هذا الكهف إلى أن يموتوا جوعًا وعطشًا ، ولكن نجّاهم الله – عزّ وجلّ – من هذا الضّيق ومن هذا الكرب .

– بـمـــــــاذا ؟

– بما أسلفوه من عمل صالح ؛ بما قدَّموه من عمل صالح ؛ ولذلك علينا جميعا أن نتذكّر الله – عزَّ وجلّ – في هذا الأمر فنتوب إلى الله ونرجع إلى الله ونتقرّب إلى الله .

وإنّي أُنبِّه أيضًا على أنّ بعض النّاس قد تصيبه المصيبة فيُقال له : تُب إلى الله ، فيقول : لا أنا ما أتوب الآن

– يعني أنا الآن لمّا جاءتني المصيبة أتوب ؟

هذا ما هو طيّب ، نقول له : لا هذا من كلام الشّيطان ومن شبهة الشّيطان ، تُب إلى الله دائمًا وفي كلّ ساعة ، وإن كنت في ساعة ضيق فأنت محتاجٌ وفقيرٌ إلى الله دائمًا في ساعة اليسر وفي ساعة العسر .

فإن أصابك الضّيق تُب إلى الله وهو أمر قد يعينك على الرّجوع إلى الله –عزّ وجلّ – ، ولكن ما أجمل أن تكون متقرّبًا إلى الله في ساعة اليسر ؛ ولذلك جاء في الحديث عن

النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– فيما يرويه عن ربّه أنّه قال – سبحانه وتعالى – في الحديث القدسي : (وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ ممّا افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه) ؛ فالله –عزّ وجلّ – يحبّ عبده الذّي يتقرّب إليه بالواجبات والنّوافل ، فما أجدرنا أن نتقرّب إلى الله بالطاعات ، وأن نتقرّب إلى الله بترك السّيّئات ، فنحصل على ما يرضي الله –عزّ وجلّ – ، وتتيسّر أمورنا ، لنعلم أنّنا في هذه الدّنيا في دار ممرّ وستفنى الدّنيا ، مهما عمرناها ، ومهما بنيناها ، ومهما جمعنا من الأموال والأولاد والجاه المنازل ؛ فإنّنا ستأتي علينا تلك السّاعة التّي تفارق فيها أرواحنا أجسادنا ثمّ ندخل قبورنا ثمّ نحاسب

– من ربك ؟ ما دينك ؟ من نبيّك ؟

ثمّ البعث والنّشور والجزاء الحساب ، وإنّما الدّار الحقيقية دار الحيوان.

– ومعنى دار الحيوان : أي الدار الحقيقيّة التّي لا نغص فيها ولا مرض فيها ولا كرب فيها ولا همّ فيها ولا ضيق فيها ؛ هي الآخرة في الجنّة .

أسأل الله –عزَّ وجلّ – أن يجعلني وإيّاكم من أهل الجنّة ، فلنعمر دارنا في الآخرة ، وأمّا الدّنيا فلنكن فيها متزودين بما يقرّبنا من الله – عزَّ وجلّ – ، ولنحذر الفتن ولنحذر الأهواء ولنحذر المعاصي والذّنوب والسيّئات.

قال : (تَعَرَّفْ إِلَى اللّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفُك فِي الشِّدَّةِ) ، ثمّ قال : (وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَك لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَك ، وَمَا أَصَابَك لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَك) ، هذا كما سبق فيه أن النّبي – صلَّى الله

عليه وسلَّم – لما قال : (وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَضُرُّوك بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوك إلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْك).

فإذن ، هذا أمر لابد أن نتنبَّه له ، ولابد أن نؤمن به ؛ فالإيمان بالقضاء والقدر أمرٌ واجبٌ شرعي ، والصبر على أقدار الله – عزَّ وجل – أيضًا واجب ؛ في خسارة مال ، أو موت قريب وحبيب ، فلابد – بارك الله فيكم – من الصبر على أقدار الله .

وكما قال العلماء : (يا عبد الله أن أصابتك مصيبة ، إن صبرت فلك الأجر ، فإن صبرت واحتسبت فلك الأجر من الله – عزَّ وجل – ، وإن تسخطت فإنك لا تستطيع بسخطك وغضبك ورفع صوتك أن تغير شيئًا من مقدور الله – عزَّ وجل – ، وإذا تكلمت في حال السخط بما يغضب الله – عزَّ وجل – فإنك تؤاخذ على هذا الأمر)

فالنَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – مرَّ على امرأةٍ مات لها ولد أو قريب فكانت تبكي عند قبره ، وهي لا تعرف النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – ، فقال لها : (اصبري واحتسبي فقالت : إليك عني) أو عبارة نحوها إنك لم تصب بمصيبتي ؛ يعني لو كان الميت هذا يقرب لك كان أصابك البكاء أو بكيت عليه كما بكيت عليه أنا ، فذهب النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – ، فقال الناس للمرأة هذه – ﵃ أجمعين – من الصحابة قالوا لها : هذا رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – ، فجاءت إليه مسرعة ، وقالت: يا رسول الله ؛ يعني اصبر أو عبارة نحوها ، فقال – صلَّى الله عليه وسلَّم – :

(إنما الصبر عند الصدمة الأولى) .

فإذا أصابك يا عبد الله أمرٌ يزعجك ، أو أمرٌ فيه من المصائب عليك فلا تجزعن واحتسب الأجر عند الله ، وصبِّر نفسك بأنَّ ما عند الله خيرٌ وأبقى ، وأنَّ قضاء الله خيرٌ له ، وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وإن مات حبيبٌ أو قريبٌ لك فإن مُصابنا بموت النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – أشد من كل حبيب ؛ لذلك النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – ذكرنا بهذا الأمر أن من أصابته مصيبة ؛ يعني بموت قريب أو حبيب فليتذكر مصيبته فيه ، أي في النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – ، ثم قال :

(وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنْ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) .

قال العلماء : قوله : (وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ) ؛ يعني – عليه الصلاة والسلام – أن من صبر ظفر ، وحصل له ما يطلبه ويتمناه ، وأن من لم يصبر واستعجل الأمور قد لا يحصل له النصر ؛ فالصابر وُعِد بأنه يُوفى أجره أجرًا كثيرًا ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [4] ، ولذلك الصبر كما سيأتينا – إن شاء الله –

(الصَّبْرُ ضِيَاءٌ) ، يعني نور ، والعجيب أن النبي – ﷺ – قال كما سيأتي : (الصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ) [5]

– لمـــــــاذا ؟

قالوا : النور ؛ الله – عزَّ وجل – جعل القمر نورًا ، وجعل الشمس ضياءً .

---

[4]) سورة الزمر - الآية 10
[5]) رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم:223]

قال العلماء : فيفهم من هذا أن الصبر فيه شيءٌ من الشدة ، كما في شدة الشمس وحرارتها ، فيُكسب نورًا شديدًا لشدة الحرارة ، كذا الصبر يحتاج إلى تحملٍ ومشقةٍ ، ممَّا يُكسب العبد الضياء ، فالله – عزَّ وجل – جعل الشمس ضياء ؛ ولذلك هنا قال : (وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ) ، فالصبر يُكسب صاحبه النصر إذا امتثل صاحبه أمر الله – عزَّ وجل – ، وسار على ما أمر الله – عزَّ وجل – به .

قال : (وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ ، وَأَنْ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ) ؛ يعني كان العلماء وكان السلف يحبُّون الأمر إذا اشتد وضاق ، وضاق الكرب .

– لمـــــــاذا ؟

لأنهم يعلمون أن مع الكرب واشتداده سيأتي الفرج –بإذن الله تعالى– ، فكلَّما ضاقت الأمور توجَّه إلى الله بسؤال الفرج والتيسير وتفريج الكروب ، ولكن استبشر يا عبد الله مع الكرب أنه سيكون هناك بإذن الله – عزَّ وجل – فرج بإذن الله .

قال: (وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) ؛ يعني : إذا أصابك العسر سييَّسر لك الله – عزَّ وجل – الأمور ويذلل لك الصعاب ، ويظهر والله أعلم أن هذه الأمور كلها لمن حفظ الله – عزَّ وجل – ، لمن حفظ حدوده ؛ هذه بشائر وهذه أمورٌ يُكرم الله – عز وجل– بها عباده الذين امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه (وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) .

إذا هذا الحديث من الأحاديث العظيمة التي ينبغي لنا أن نتأمَّلها ، وأن نتدبرها ، وهي حاثة لنا على حفظ حدود الله – عزَّ وجل – بفعل الواجبات وترك المنهيات .

عجيبٌ حال بعض الناس يريد الملذات المُحرَّمات ، ويسخط من الطاعات ، ويسخط من عباد الله المؤمنين الذين يأمرون بالمعروف وينهون على المنكر ، وما درى ذاك المسكين أنه بارتكاب تلك المعاصي والسيئات ، وبعده عن الطاعات والواجبات سببٌ لسخط الله ، وسببٌ لعقوبة الله ، وسببٌ لضيق الحال ، وسببٌ لعدم استجابة الله – عزَّ وجل – لدعائه ، فما اجدرنا أن نتوب إلى الله وأن نؤوب إليه ونرجع إليه – سبحانه وتعالى – .

الحديث العشرون :

قال : عَنْ أبي مَسْعُودٍ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو الْأَنْصَارِيِّ الْبَدْرِيِّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– (إنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى: إذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ) [6].

هذا الحديث كما ذكر العلماء ؛ (إنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى: إذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ) له معنيان :

– المعنى الأول : أن يكون (إذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ) ، أن يكون أمرًا بمعنى الخبر ، فيكون المعنى أن من لا يستحِ يصنع ما يشاء ، أن من لم يستح من الله ولا يستح من

---

[6]) رواه البخاري

الناس يصنع ما يشاء من الفواحش ومن البوائق ومن الضلالات والمعاصي ، فيكون أمرًا بمعنى الخبر ، هذا المعنى الأول .

- **والمعنى الثاني** : الذي ذكره العلماء ؛ كما ذكر ابن رجب وغيره أن المعنى ؛ إذا كان الأمرُ لا يُستحى منه من الله ولا من الناس فافعله .

إذن هذان المعنيان :

المعنى الأول : أن يكون بمعنى الخبر ، أن من لا يستحي من الله ، ولا يستحي من خلق الله فإنه يفعل ما يشاء ، وأيضًا هناك معنى آخر وهو أنه بمعنى التهديد : أنك إذا لم تستحي وفعلت ما تشاء ، فأنت مذموم ومتعرض للعقاب .

والمعنى الثاني : أنه إذا كان الأمر لا يُستحى منه فلا مانع من فعله .

وقوله - ﷺ - : (إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى) ، قال العلماء : (هذا معناه أن الحياء كان مشروعًا سابقًا) ، كما أخبر النَّبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - أنه (مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى) ، يعني مما كان أوحي به إلى الأنبياء .

والحياء كما ذكر النَّبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - : (لا يأتي إلا بخير) ، والحياء شعبةٌ من شعب الإيمان ، والحياء صفةٌ تحمل صاحبها على ترك ما يستحى منه ، وما يستقبح ، و ما لا يليق ؛ لذلك النَّبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال : (الحياء لا يأتي إلا بخير) .

ونبَّه العلماء على أنه لا يدخل في هذا أن العبد يترك الأمر المشروع فلا ينكره أو يأمر بمعروف حياءً من الناس ، هذا خطأ ، هذا حياء مذموم ؛ وإنما الحياء الذي لا يأتي إلا بخير هو ما كان في مرضاة الله – عزَّ وجل – .

وقد ذكر العلماء ، ذكر الحافظ بن رجب أن الحياء نوعان :

– الأول : ما كان جبلة وخلقًا غير مكتسب : وهو من أجلِّ الأخلاق التي يمنحها الله – عزَّ وجل – العبد ويجبله عليها .

– والنوع الثاني : الحياء المكتسب : يعني العبد يتحلَّى به ، و يكسب نفسه الحياء ويعمل به ، وذلك عن طريق معرفة الله ، ومعرفة عظمته وقربه من عباده ، واطلاعه عليهم ، وعلمه – سبحانه وتعالى – بخائنة الأعين وما تخفي الصدور .

إذًا هذا الحديث فيه هذه المعاني التي ذكرها العلماء – رحمهم الله تعالى – (إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت) .

الحديث الواحد والعشرون : عَنْ أَبِي عَمْرٍو وَقِيلَ : أَبِي عَمْرَةَ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : (قُلْت : يَا رَسُولَ اللَّهِ! قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَك؛ قَالَ: قُلْ: آمَنْت بِاَللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ) [7] .

---

[7]) رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم:38].

هذا الحديث يدلُّ على حرص الصحابة –رضوان الله عليهم– على الخير ، وسؤالهم للنَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – ما ينفعهم ، فما أجدرنا أن نتعلم هذه الأسئلة ، وأن نقتدي بالصحابة ، بأن نسأل عن أمور تنفعنا ، وأمور تكون ويكون فيها الخير لنا .

فإن بعض الناس للأسف الشديد يسأل من باب الفتن ، ويسأل من باب إيذاء الآخرين ، ويسأل لمجرد السؤال لا للعمل ، فإن هذا كله مذموم عند السلف ، فهذا الصحابي – ﷺ – سأل النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – أن يقول له قولًا جامعًا.

(لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَك) : يعني قولًا فيه معاني كثيرة يغنيني عن السؤال ، وعن البحث ، قولًا جامعا ، فقال له النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (قُلْ : آمَنْت بِاَللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ) ، فهاتان الكلمتان من أعظم ما تكون .

(قُلْ: آمَنْت بِاَللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ) :

(آمَنْت بِاَللَّهِ) ، قلها بلسانك ، واعتقدها بقلبك ، وتمتثل جوارحك أوامر الله – عزَّ وجل – ، وإيمانك بالله – عزَّ وجل – يقودك لما يرضاه الله ويحبه ، ويقودك للإخلاص والاستقامة على ما أمر الله – عزَّ وجل – .

وقوله : (ثُمَّ اسْتَقِمْ) ، بمعنى : أنك تمشي وتسير على الصراط المستقيم ، فلا تذهب عنه يمينًا أو يسارًا ، ولا تتبدل ولا تغير ، وألزم الحق ولا تتلاعب به ، ولا تتنقل من طريقة إلى أخرى .

فإن من امتثل هذا الحديث حصل له – بإذن الله – خيرٌ كثير ، أن يحقق الإيمان بالله ، وقد مرَّ معنا قول النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاَللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) ، فإذا آمنت بالله أنه الرَّب –سبحانه وتعالى– المستحق للعبادة ، الذي له الأسماء الحسنى والصفات العُلا ، وأنه أرسل هذا الرسول الذي أمرك بطاعته ، وامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [8].

إذا آمنت بالله وحققت هذا الإيمان واستقمت عليه فزت برضوان الله –عزَّ وجل– ، والله – عزَّ وجل – قال للنَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ﴾ [9] ، فالعبد المستقيم هو بين طريقين ، في وسط بين طريقين إما طريق الغلو والشدة وهذه ليست طريقة الاستقامة كحال الخوارج والدواعش وتنظيم القاعدة والتكفيريين والحداديين وأمثالهم ، وإمَّا في تفريطٍ وفي تضييعٍ لأمر الله – عز وجل – وتمييعٍ للحق ، وإمَّا في توسط واستقامة واعتدال ، وسلوك منهج السلف الصالح – رضوان الله عليهم – .

ولذلك الله – عزَّ وجل – أثنى على الذين استقاموا ، كما قال – عزَّ وجل – : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ [10]، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

وهذا يؤكد ما سبق في حديث ابن عباس : (احفظ الله يحفظك احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تجاهك، تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفُك فِي الشِّدَّةِ) .

---

[8]) سورة الحشر ـ الآية 7
[9]) سورة هود ـ الآية 112
[10]) سورة فصلت ـ الآية 30

وقال الله – عزَّ وجل – : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (30) ﴾ (11)

فهذا ثواب الله – عزَّ وجل – لعباده المؤمنين الطائعين المستقيمين على الحق .

فاستقم ، (قل آمَنْت بِاَللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ) ، فهو حديثٌ جامع وحديثٌ عظيم ، علينا أن نتأمَّله ، وأن نتدَّبره ، وأن نعمل به .

الحديث الثاني والعشرون : عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–: "أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَرَأَيْت إذَا صَلَّيْت الْمَكْتُوبَاتِ ، وَصُمْت رَمَضَانَ ، وَأَحْلَلْت الْحَلَالَ ، وَحَرَّمْت الْحَرَامَ ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا؛ أَأَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ ﷺ: نَعَمْ". (12)

قال النووي :

– ومعنى (حَرَّمْت الْحَرَامَ) : اجتنبته .

– ومعنى : (أَحْلَلْت الْحَلَالَ) : فعلته معتقدًا حِلَّه .

هذا الحديث أيضًا من الأحاديث الجوامع ، وهو مؤكدٌ لما سبق ، فإن هذا الصحابي الجليل – رضي الله عنه – جاء وسأل النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – عن أمرٍ يستوضح فيه حكم من فعل الواجبات وترك المحرمات .

---

[11]) سورة فصلت - الآية 30
[12]) رواه مسلم

وهذا الرجل كما ذكر الحافظ ابن رجب أن مسلمًا خرجَّه وسمَّاه ، فسمَّاه النعمان بن قوقل .

فقال للنَّبي : (أَرَأَيْت) : يعني أخبرني ، إذا صليت المكتوبات أي الصلوات الخمس المفروضات ، وصُمت رمضان ، أي شهر رمضان الذي فرض علينا صيامه ، وأحللت الحلال وحرَّمت الحرام الذي أخبرت به يا رسول الله ، ففعلت الحلال ، وتركت الحرام .

(وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا) : لم أزد من النوافل ، هل أدخل الجنة ؛ (أَأَدْخُلُ الْجَنَّةَ ؟ قَالَ: نَعَم)

- قال العلماء :

الله – عزَّ وجل – ذكر أن المسلمين على ثلاثة درجات :

الدرجة الأولى : الظالم لنفسه ، وهو من وقع في ما حرَّم الله أو ترك ما أوجب الله ، فهذا ظالم لنفسه.

والدرجة الثانية : المقتصد ، وهو الذي يفعل الواجبات ويترك المحرمات ، ولا يزيد في النوافل ، فهذا كما في هذا الحديث ، (أَأَدْخُلُ الْجَنَّةَ ؟ قَالَ: نَعَم) .

وأمَّا الأول : الظالم لنفسه قال العلماء : وهذا طبعًا الظالم لنفسه من الموَّحدين ، من أهل الإسلام ، إن مات وهو ظالم لنفسه بالمعاصي والسيئات والكبائر هو تحت المشيئة ، إن

شاء الله غفر له ابتداءً فأدخله الجنة ، وإن شاء عذَّبه ثم مآله إلى الجنة ، أسأل الله أن يغفر لي ولكم الذنوب والزلات.

ثم الدرجة الثالثة : وهو السابق بالخيرات ، وهو الذي يفعل الواجبات ، ويترك المحرَّمات ، ويزيد النوافل والطاعات ، كما في حديث : (من عاد لي وليًا فقد آذنته بالحرب) الحديث القدسي : (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه) وغيره من الأحاديث .

فهذا الرجل سأل عن هذا المعنى ، وقد جاء في معنى هذا الحديث أحاديث كثيرة ذكرها أهل العلم في من يأتون ما أمر الله ، و يتركون ما حرَّم الله – عز وجل – ،كقوله – عليه الصلاة والسلام– : (ما من عبد يصلى الصلوات الخمس ، ويصوم رمضان ، ويخرج الزكاة ، ويجتنب الكبائر السبع ، إلا فتحت له أبواب الجنة ، يدخل من أيها شاء) ، ثم تلا ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴿٣١﴾) [13] ، وأيضًا في صحيح البخاري ، عن أبي أيوب ، أن رجلًا قال للنَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (أخبرني بعمل أدخل به الجنة ، قال : تعبد الله ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة , وتصل الرحم) . وهذا أيضًا خرجه مسلم ، إلا أن عنده أنه قال : (أخبرني بعمل يدنيني من الجنة ويباعدني من النار) .

---

[13]) سورة النساء ـ الآية 31

وعند مسلم أيضًا في رواية : (فلما أدبر) – يعني فلما ذهب الرجل – ، قال رسول الله – ﷺ – : (إن تمسَّك بما أُمر به دخل الجنة) ، فهذه الرواية تفيدنا أن المراد في هذه الأحاديث من فعل الواجبات ، ومن ترك المحرمات ، ولم يُنقص من الواجبات ، ولم يقع في المحرمات ، أنه سيدخل الجنة بإذن الله .

ولكن نبَّه العلماء على أن النوافل تكمل الطاعات ، والنوافل قد يغفر الله – عزَّ وجل – بها السيئات ، وأن العبد تُرفع درجاته بالنوافل ، فمعنى هذا الحديث المقتصد ، ولكن جاء الحثُّ للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والمحسنين والمحسنات بالمسارعة إلى الخيرات ، وبفعل الواجبات ، والنوافل ، والتقرب إلى الله – عزَّ وجل – كما مرَّ معنا في الحديث .

وأيضًا هذا الحديث يدلُّنا على أن الصحابة ، والأحاديث التي قرأتها عليكم تدلُّ على أن الصحابة – رضوان الله عليهم – كانوا يحرصون على السؤال عمَّا يُدخل الجنة ، وعمَّا يباعد عن النار .

لم يذكر في هذا الحديث الزكاة ولا الحج ، فمن العلماء من قال إنهما داخلان في قوله : (أحللت الحلال وحرمت الحرام) ، ومنهم من قال كان هذا الحديث قبل أن يُفرض الحج والزكاة .

ونأخذ الحديث الثالث والعشرين ، وهو من الأحاديث الجامعة ، وهو ما رواه أبو مالكٍ – الحارثِ بنِ عاصمٍ– الأشْعَرِيِّ –رَضِي اللهُ عَنْهُ– ، قالَ: قالَ رسولُ اللهِ –صلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وسَلَّمَ- : (الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ ، وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلأُ مَا بَيْنَ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ ، وَالصَّلاَةُ نُورٌ ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ ، وَ الْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو ؛ فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا)[14]

هذا الحديث من الأحاديث أيضًا العظيمة ، التي ينبغي لنا أن نتأمَّلها وأن نعمل بها ؛ فإن النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم – أخبر الصحابة ، وأخبرنا :

أولًا : بأن (الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ) .

الطهور جاء في رواية أخرى ما يفسره وهو الوضوء ، والوضوء شرطٌ من شروط الصلاة ، والنَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال : (الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ) ، والله – عزَّ وجل – قال :﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴿١٤٣﴾ [15] ، أي : صلاتكم ، فكأن المعنى أن الوضوء جزءٌ من الصلاة ، أو جزءٌ من الإيمان نفسه ؛ لأن الإيمان شعبٌ وأجزاء .

فالنَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – يُخبر بفضل الوضوء (الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ) ، يعني جزءٌ منه ، بعض الناس يفهم الشطر : النصف ، هذا ليس بلازم ؛ فإن الشطر في لغة العرب قد يأتي بمعنى النصف ، أو يأتي بمعنى الجزء .

فقوله – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ) أيضًا يشمل معنى آخر الطهور : الطهور بمعنى الوضوء ، قال العلماء : هذا نزاهة ونظافة عن النجسات الحسية

---

[14]) رواه مسلم
[15]) سورة البقرة - الآية 143

وأيضًا يأتي الطهور بمعنى الطاعات فعلها ، والمعصيات تركها ، وخصوصًا الشرك والبدع والأهواء ، الشرك ، ثم البدع ، ثم الذنوب والمعاصي والسيئات ؛ ف (الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ) جزء منه ، وعلى كلا المعنيين لا مانع تفسير من الحديث بذلك .

أيضًا بالنسبة للطهور فإنه جاءت عن النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – أحاديث كثيرة في فضله .

وأنا أُنبِّه على أمور :

– أما الأمر الأول : فأوصي نفسي وإخواني المسلمين جميعًا بأن نتعلم صفة الوضوء ، كما جاءت عن النبي – ﷺ – .

– ثـــانيـــًا : أذكر إخواني وأنبِّههم إلى أن بعضهم قد يقع في أخطاء في الوضوء ومخالفات وهو لا يعلم ، يظن نفسه يتوضأ على الصفة التي جاءت عن النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم – ، وهو في الحقيقة يتوضأ خطأً .

أعطيكم مثالين أو ثلاثة ، فمن الأخطاء في الوضوء : مسح الرقبة ، فمسح الرقبة ليس من الوضوء .

ومن الأخطاء في الوضوء مثلًا : أن بعضهم يُدخل الماء في فمه ويخرجه ولا يحركه ، والمشروع المضمضة ، والمضمضة هي تحريك الماء في الفم ، ومن الأخطاء أن بعضهم إذا

غسل يديه لا يبدأ من أطراف الأصابع ، وإنما يغسل من المفصل إلى المرفق ، وهذا خطأ ، وإنَّما المشروع أن يغسل من أطراف الأصابع إلى المرفقين .

وأخطاء ، وأخطاء ، فأنا أنبِّه إخواني إلى تجنب هذه الأخطاء بتعلم سنة النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم – في ذلك .

–الأمر الثالث : أُذكِّر نفسي وإخواني بالمحافظة على الوضوء ؛ فإن النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال : (لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن) ؛ فالمؤمن يتوضأ ثم إذا أحدث يتوضأ ويتطهر فهذا خير له ، ليس واجبًا ، وإنَّما أمرا مستحبًا ؛ فالنَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم– يقول : (لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن) ، ثم إذا توضأت فلك أن تصلي ركعتين ، فإنَّ النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – سأل بلال أنه سمع خشخشة نعاله في الجنة فقال : (بما ذلك يا بلال ، فقال : ما توضأت إلا صليت ركتين) ، فيشرع لمن توضأ أن يصلي ركعتين .

وأيضًا من الأمور التي أوصي نفسي وإخواني بها , عند النوم أن يتوضؤوا ،كثيرٌ الذين يرون أحلامًا مزعجة ، ويرون أحلامًا مخيفة ، فهؤلاء نوصيهم بالوضوء ، وأن يناموا على ذكر الله ، وعلى الأذكار الواردة عن النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – عند النوم ، وقراءة سورة ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ ﴾[16] ، فإنها براءة من الشرك ، وقراءة السجدة ، ﴿ وتبارك الذي بيده الملك ﴾[17] كما كان النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– يقرأهما

[16]) سورة الكافرون
[17]) سورة الملك

عند نومه ، وأن يقول سبحان الله ، والحمد لله ، والله أكبر ثلاث وثلاثين كما جاء عن النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – ، ويعلم أنه إذا نام وهو متوضأ بات معه ملكان كما جاء عن النَّبي – صلى الله عليه وسلَّم – ، فهذه أمور كثيرة جاءت في الوضوء وفضله علينا أن نتذكرها .

قال – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ ، وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ) ميزان الأعمال ، الحمد لله ثقيلة ، نعم تتلفظ بها خفيفة ، كلمتان خفيفتان على اللسان ، فالحمد لله كلمة خفيفة لكنها عند الله ثقيلة .

(الْحَمْدُ للهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ) ؛ يعني أنها ثقيلة على الميزان وتملأه .

ثم قال –صلَّى الله عليه وسلَّم – : (وَالْحَمْدُ للهِ) ؛ والثناء على الله – عزَّ وجل – ، والله يحب من عباده أن يمدحوه ، وأن يحمدوه –سبحانه وتعالى– ، ولذلك نحن دائمًا في الصلوات الخمس ، في كل ركعة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [18] ، كل ثناءٍ هو يستحقه –سبحانه وتعالى– ، وكل حمدٍ هو يستحقه –سبحانه وتعالى– ، فنعمه كثيرة علينا ، وآلائه تترى علينا ، فنحمده –سبحانه وتعالى– على نعمه وآلائه .

(الْحَمْدُ للهِ) ، أي الله يختص به وملك له الحمد – سبحانه وتعالى – .

[18]) سورة الفاتحة

(وَسُبْحَانَ اللهِ) ، تنزيه الله ، (وَسُبْحَانَ اللهِ) بمعنى تنزيه الله عن النقائص والعيوب ، فالله –عز وجل – كامل لا ينقصه شيء ، ولا يعجزه شيء ، وهو الغني ، ونحن إليه الفقراء ، فالواحد إذا سبَّح الله يستذكر هذه المعاني ، وإذا حمد الله يستذكر تلك المعاني .

قال : (وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلأَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ) ، ما بين السماء والأرض من سعة ، وفضاء كبير جدًا ، (سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ) ثقيلة وتملأ ما بين السماء والأرض .

فيا عبد الله هذا من النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – تذكير لنا ، بدل أن نشغل كلامنا ، بدل أن نشغل مجالسنا ، وأن نشغل أنفسنا بالقيل والقال ، وبالكذب والغيبة والنميمة ، وبالكلام الذي لا فائدة منه ، الواحد يشتغل بـ (سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ) ونحوها من الأذكار كالله أكبر ، ولا إله إلا الله ؛ فهن الباقيات الصالحات ، فسبحان الله وبحمده وسبحان الله العظيم ، (كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم) .

– أيـــن نحن من هذه الأذكار التي يحصل للعبد بها خير كثير ، وأجر عظيم ؟

وسيأتينا – إن شاء الله – في حديث الصحابة الذين قالوا : (يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور) سيأتينا – إن شاء الله تعالى – زيادة معنى في ذلك .

ثم قال – صلَّى الله عليه وسلَّم– : (وَالصَّلاَةُ نُورٌ) ، أي : نورٌ له يوم القيامة ، تنير له الطريق على الصراط ، وأيضًا نورٌ له في الدنيا .

قال العلماء : (من صلى الصلوات الخمس وصلى النوافل، فإنك تجد على وجهه نورا ، ومن ترك الصلاة وأهملها فإنك تجد على وجهه ظلمة) ، الصلاة نور.

أيضًا حتى الصلاة توّفقك في حياتك ، فتأمرك بالمعروف فتفعله ، وتنهاك عن المنكر فتجتنبه ،كما أخبر الله –عزَّ وجل – : ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ ([19]) ، لذلك كانت المحافظة على الصلاة أمر عظيم ، وقد جاءت في الصلاة أحاديث كثيرة تبيِّن عظمها ، وأن الصلاة هي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة ، وأن ما بين العبد والكفر أو الشرك ترك الصلاة ، وأن من حافظ على الصلوات في أوقاتها فإن الله – عزَّ وجل – يحفظه ، وله عهدٌ من الله –عزَّ وجل– أن يدخله الجنة ، أو كما قال – عليه الصلاة والسلام–

ولذلك أخبر – عليه الصلاة والسلام – أن (الصَّلَاةُ نُورٌ) ، نورٌ في الدنيا والآخرة ، نورٌ حتى في طريقك ، ولذلك نجد أن الذين يحافظون على الصلاة ، نجد أنهم يوَّفقون في حياتهم ، ونجدهم بفضل من الله – عز وجل – غالبًا تتيسر لهم الأمور .

ثم قال – ﷺ– : (وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ)

– (الصَّدَقَةُ) : التصدق بالمال .

---

[19]) سورة العنكبوت - الآية 45

– (بُرْهَانٌ) : دليل ، يدلُّ على إيمان صاحبه .

– لـــــمـــــاذا ؟

– لأن الإنسان يحب المال ، فإذا أخرج المال احتسابًا للأجر من عند الله – عزَّ وجل – فهذا دليل على حبه لله ، وعلى طلبه لمرضاة الله – عزَّ وجل – ؛ لذلك كان من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، (ورجلٌ تصدَّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه)[20] ؛ فأخبر النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم – أن الصدقة برهان ، ولذلك أثنى الله – عزَّ وجل – على المؤمنين الذين يطعمون الطعام ، فقال : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [21]

فقالوا في تفسيرها ﴿ عَلَىٰ حُبِّهِ ﴾ أي : على حب المال ، فهم يحبُّون المال ولكنهم يحبُّون الله أكثر .

وجاء في تفسير آخر ، ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ ﴾ ، أي : على حب الله وطلبًا لمرضاته ، وكلا التفسيرين جاء عند أهل العلم ، والله –عزَّ وجل –وصف الإنسان أنه يحب المال حبًا جمًا ، أي حبًا كثيرًا ، بل حتى يصل الإنسان من حبه للمال يبخل به على نفسه ، وعلى أهله ، وعلى ولده .

---

20) في الصحيحين
21) سورة الإنسان ـ الآية 8

فإذا –بارك الله فيكم– (الصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ) – نعم ، تصدَّق ، أخرج زكاتك ، فإذا أخرجت زكاتك فلا تنسى أن تتصدق لوجه الله – عزَّ وجل – مُحتسبًا للأجر عند الله.

وقد جاء عن النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم – أن الصدقة تدفع ميتة السوء ،كان العلماء يوصي من عنده مريض أن يتصدق ، فإذا النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم – ذكر أن الصدقة برهان .

ثم ذكر –صلَّى الله عليه وسلَّم – أن (الصَّبْرُ ضِيَاءٌ) ، كما مرَّ معنا أن الضياء فيه شدة كضياء الشمس فيه وهج وحرارة .

وذكر العلماء أن الصبر ثلاثة مراتب :

– المرتبة الأولى : الصبر على طاعة الله :

فإذا امتثلت أمر الله تصبر ، لأن الطاعات فيها نوعٌ من المشقة ، والتكليف فيها نوعٌ من المشقة فتصبر على طاعة الله ، ولا تفعل كما يفعل بعض الناس ، يمتثلون طاعة الله أيام ثم يتركون ، لا يتحملون ، فلا بد الصبر على طاعة الله .

– ثم النوع الثاني الصبر عن معصية الله :

فالشهوة النفس تميل إليها ، وتحمل عليها ، والناس قد يزينون لك السوء ، فيجب عليك أن تصبر وتحبس نفسك عن معصية الله –عز وجل– .

– ثم تصبر على أقدار الله –عزَّ وجل– :

كما مرَّ معنا في حديث ابن عباس ؛ لمَّا ذكر له النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم – (أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ ، أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَك ، وَمَا أَصَابَك لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَك ، أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوك بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوك إلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَك ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوك بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوك إلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْك ؛ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ ، وَجَفَّتْ الصُّحُفُ)

فإذن ؛ (الصَّبْرُ ضِيَاءٌ) ، والمسلم ينبغي أن يعوِّد نفسه على الصبر ، والداعية إلى الله – عزَّ وجل – ينبغي أن يعوِّد نفسه على الصبر والتحمل ،كما قال شيخ الإسلام مُحَمَّد ابن عبد الوهاب : (اعلم أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل العلم ، العمل ، والدعوة ، والصبر)

قال : (وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَك أَوْ حجة عَلَيْك) ، القرآن حجة لك ، إذا عملت به فامتثلت أوامره ، واجتنبت نواهيه ، وصدَّقت بما فيه من أخبار وآمنت .

(أَوْ حجة عَلَيْك) ، يعني حجة عليك ، أنت تحفظه وتقرأه ولا تعمل به ، فيكون حجة عليك .

(فالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لك) ، كما جاء عن النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم – : (من جعله أمامه قاده إلى الجنة) ، مـــا معنـــى جعـــله أمـــامه ؟

أي : امتثل أوامره ، واجتنب نواهيه .

(أَوْ حجة عَلَيْك) ، جعلته كما جاء عن النَّبي –ﷺ– (جعلته وراء ظهرك) ، **كيـف جعـلته وراء ظـــهرك ؟**

لا تعمل به ، ولا تلتفت إليه ، ولا تعظم أمره ، فلا شك كما قال النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم – أن (الْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَك أَوْ حجة عَلَيْك) ، أن (الْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَك أَوْ حجة عَلَيْك)

ولذلك علينا أن نعمل بالقرآن ، وأن نعمل بالسنة ، على ما كان عليه سلف الأمة ، فإنَّ هذا هو طريق النجاة ، وهذه هي حجتنا عند الله – عزَّ وجل – ،كما قال النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم – في الفرق الهالكة : (وستختلف أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، قالوا : من هي يا رسول الله ، قال : ما أنا عليه اليوم وأصحابي) .

ثم بيَّن النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– حال الناس في الدنيا وحالهم في الآخرة ، فالناس في الدنيا كمن ذهب إلى السوق في وقت مبكر ، في أول الصباح غدا إلى السوق ، فمنهم من يذهب إلى السوق ويشتري الأمر الحلال الأمر الطيب فينتفع به ، ومنهم يذهب إلى السوق فيقع في الحرام ، ويقع فيما يغضب الله ، فيوبق نفسه ويهلكها ، فكذا من يعمل في الدنيا لله يكسب في الآخرة الخير ، ومن يعمل في الدنيا في معصية الله فإنه إن كان مات على الإسلام تحت المشيئة ، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له ابتداءً ، ثم إن عذبه مصيره إلى الجنة .

فقال –صلَّى الله عليه وسلم – : (كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو) .

– الغــدو : هو الخروج أول الصباح ،كحال الناس طلبًا للرزق .

(فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا) ، يعني : امتثل أوامر الله ، واجتنب نواهي الله ، وآمن بالله – عزَّ وجل– ، فأعتق نفسه من النار واشترى الجنة .

(أَوْ مُوبِقُهَا) ، فبائع نفسه للمهلكات وللسيئات وللبدع والضلالات فيوبقها ، وهذا النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم – يذكرنا جميعًا بأهمية العمل لله –عزَّ وجل– في هذه الدنيا ، و أن لا تصرفنا عن مرضاة الله –عزَّ وجل– .

يقول الشيخ العثيمين– رحمه الله تعالى – في شرح هذا الحديث ، في هذه الجملة قال : (كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو) أي : كل الناس يخرج مبكرًا في الغدوة في الصباح ، وهذا من باب ضرب المثل ، (فَبَائِعٌ نَفْسَهُ) : أي الغادي يبيع نفسه ، ومعنى يبيع نفسه أي : يكلفها بالعمل لأنه إذا كلف نفسه أتعب النفس فباعها .

فينقسم هؤلاء الباعة ، إلى قسمين :

معتق ، وموبق ، ولهذا قال : (فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا) ، فيكون بيعه لنفسه إعتاقًا إذا قام بطاعة الله كما قال الله – عزَّ وجل – : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ ﴾[22]

---

[22]) سورة البقرة - الآية 207

﴿ يَشْرِي نَفْسَهُ ﴾ ، أي ؛ يبيع نفسه ابتغاء مرضات الله – عزَّ وجل – ، فهذا الذي باع نفسه ابتغاء مرضات الله ، وقام بطاعته قد اعتقها من العذاب والنار ، والذي أوبقها هو الذي لم يقم بطاعة الله – عزَّ وجل – حيث أمضى عمره خسرانًا ، فهذا موبق لها ، أي مهلك لها .

ثم قال : إلى أن قال : وانظر إلى هذا الحديث ، (كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ) ، يتبين لك أن الإنسان ، لابد أن يعمل إمَّا خيرًا وإما شرًا .

وأيضًا ذكر من فوائد الحديث قال – رحمه الله تعالى – :

من فوائد الحديث :

– أن الحرية حقيقةً : هي القيام بطاعة الله –عزَّ وجل– ، وليس إطلاق الإنسان نفسه ليعمل كل شيء أراده ، قال ابن القيم –رحمه الله – في النونية :

هربوا من الرق الذي خلقوا له ***** وبلوا برق النفس والشيطان

قال الشيخ : (فكل إنسان يفرُّ من عبادة الله ، فإنه سيبقى في رق الشيطان) ، فبعض الناس قد ينادي بالحرية و عدم الحرمان ، وأن الإنسان يفعل ما يشاء ، ولماذا حرام ، حرام ؟

نقول : أنت بعت نفسك ، فأوبقتها إن لم تطع الله – عزَّ وجل – ، وأن الحرية الحقيقة ، هي في طاعة الله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه .

أسأل الله – عزَّ وجل – أن يجعلنا وإياكم من أهل طاعته ، ومن أهل الإخلاص في القول والعمل ، وأن يجعلنا من أهل الجنة ، وأن يجنبنا النار وأن يغفر لنا الذنوب والزلات والسيئات ، إنه غفور رحيم ، وأن ييسر لنا كل عسير ، وأن يرزقنا الصبر ، وأن يفرج عنا الهموم والكروب ، وأن يجعلنا من عباده الطائعين .

وصلى الله وسلم على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين

الأربعون النووية

شرح فضيلة الشيخ

أحمد بن عمر بازمول

حفظه الله

الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى

- ١٤٣٧ \ ١٤٣٦ هـ.

ضمن دروس معهد الميراث النبوي

-تفريغ فريق صيانه السلفي-

http://meerath.nabawee.net
https://www.facebook.com/meerath.nabawee/?ref=

الدرس الثامن عشر من الأربعين النووية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَ الحَمَدَ للهِ نَحمدُهُ ونَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا مِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللهَ فَلاَ مُضِلَ لَهُ ، وَمَنْ يُضّلْل فَلاَ هَادِيَ لَه ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهِ إِلاَّ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَ مُحَمَدًا عَبْدَهُ وَرَسُولُهُ .

أَلاَ وَإِنَ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللهِ وَخَيرَ الهُدَى هُدَى مُحَمَّد وَشَرَ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٍ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٍ وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أمَّا بعد :

فقد توقفنا عند الحديث الرابع والعشرين من الأحاديث الأربعين النووية ، وهو ما رواه أَبو ذَرٍّ الْغِفَارِيّ –ﷺ– عَنْ النَّبِيِّ –صلَّى الله عليه وسلَّم– فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ –عزَّ وجل– ، أَنَّهُ قَالَ :

(يَا عِبَادِي : إِنِّي حَرَّمْت الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي ، وَجَعَلْته بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا ؛ فَلَا تَظَالَمُوا. يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ ضَالٌّ إلَّا مَنْ هَدَيْته ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ . يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ جَائِعٌ إلَّا مَنْ أَطْعَمْته ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ . يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ عَارٍ إلَّا مَنْ كَسَوْته ،

فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ . يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ. يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي ، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي. يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي ، فَأَعْطَيْت كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَته ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ. يَا عِبَادِي! إنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إيَّاهَا؛ فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَن إلَّا نَفْسَهُ).[1]

هذا الحديث العظيم الذي خرَّجه مسلم ، وذكر مسلمٌ –رحمه الله تعالى– بسنده أن أبا إدريسٍ الخولاني كان إذا حدَّث بهذا الحديث جثى على ركبته ، يعني لم يستطع أن يكمل القيام ، بل يجلس على ركبته من عظمة هذا الحديث ، وهذا الحديث الصحيح قد اعتنى العلماء به ، وبيَّنوا ما فيه من معاني وحكمٍ كثيرةٍ جدًا ؛ فهذا الحديث حديثٌ قدسي

– ومعنى كونه قدسيًا : أي ما رواه النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– عن ربه .

1) سوره مسلم .

- **والقدسي من القداسة :** وهي النزاهة والتعظيم ، والحديث القدسي كما مرَّ معنا أن الصحيح أنَّ لفظه ومعناه من عند الله –عزَّ وجل– .

قال العلماء : الحديث قسمان (نوعان) :

- **الأول الحديث القدسي :** وهو ما رواه النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– عن ربه فيما أوحي إليه .

- **والنوع الثاني الحديث النبوي :** وهو ما كان معناه من عند الله ولفظه من عند الرسول –صلَّى الله عليه وسلَّم– ، فهذا هو الحديث النبوي ، أمَّا الحديث القدسي فلفظه ومعناه من عند الله .

يقول : (يا عِبَادِي) ، يقول : (أَطْعَمْته) تاء المتكلم ، فهذه كلها أدلَّة عند العلماء على أن الحديث القدسي لفظه ومعناه من عند الله –عزَّ وجل– .

قوله : (يا عِبَادِي) ، هذا من لطف الله –عزَّ وجل– ورحمته وتودُّدِهِ إلى عباده ، أن ناداهم بقوله : (يا عِبَادِي) ، فالله –عزَّ وجل– هو خالق كل شيء ، وهو –سبحانه وتعالى– ربُّ كل شيء ، وكل من في السماوات والأرض هو عبدٌ لله –عزَّ وجل– ، فهو –سبحانه وتعالى– خالق كل شيء ؛ فالله ينادي عباده لأمورٍ عظيمة ، يُذَكِّرهم بنعمه وآلائه –سبحانه وتعالى– ، وينهاهم عن أمرٍ من الأمور العظيمة ،

فقال –سبحانه وتعالى– في هذا الحديث القدسي : (يَا عِبَادِي : إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي ، وَجَعَلْته بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا ؛ فَلَا تَظَالَمُوا) .

قال العلماء :

– **الظـلم :** هو وضع الشيء في غير موضعه ، فالله –عزَّ وجل– يخبرنا أنه حرَّم الظلم على نفسه ، فلا يعذِّب التقي ولا يدخل الجنة الكافر ، والدنيا دار ابتلاءٍ وعمل ، والآخرة يقتصُّ الله –عزَّ وجل– للعباد بعضهم من بعض ؛ لذلك الله – عزَّ وجل – يقول عن يوم القيامة : ﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ [2]

في الدنيا هناك من يظلم ، هناك من يؤذي ، هناك من يتعدَّى حدود الله ؛

– لمـــــــاذا ؟

– لأن الدنيا دار عمل وابتلاء ، أمَّا في الآخرة فلا ظلم ؛ فمن شدَّة خطورة الظلم ، ومن شدَّة دناءة الظلم حرَّمه الله –عزَّ وجل– على نفسه ، فالله –سبحانه وتعالى– كاملٌ في ذاته وفي أسمائه وفي صفاته –سبحانه وتعالى– ، مُنزَّهٌ عن الظلم ، مُنزَّهٌ عن النقائص والعيوب ، فهو – سبحانه وتعالى– غيرُ ظالمٍ كما أخبرنا هنا ، وكما أخبرنا في آياتٍ كثيرة أنَّه لا ظلم ، وأنَّ هناك يوم القيامة يوفَّى الناس أعمالهم بلا ظلم ، (إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْته بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا ؛ فَلَا تَظَالَمُوا) .

---

[2]) سورة غافر - الآية 17

قال العلماء : الظلم أنواع :

– ظلم العبد لربه : وذلك بالشرك كما قال لقمان :

﴿ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[3]

فظلم العبد لربه بالشرك ، إذ التوحيد حق الله على العبيد ، والشرك بأن تجعل المخلوق ندًا مساويًا لله ، تسأله ، تطلبه ، تتوجه إليه بالدعاء وهو مخلوقٌ مثلك ، فساويت بين الخالق والمخلوق فلا شك أن هذا ظلم ؛ لأن الدعاء يكون لله ، فإذا وضعته لغير الله فأنت وضعت الدعاء لغير الله فهذا ظلم ، وهو أشدُّ أنواع الظلم ، الشرك الذي إذا مات عليه العبد لا يغفره الله – عزَّ وجل – ،كما قال الله في الحديث القدسي الآخر : (يا ابْنَ آدَمَ! إِنَّك لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ –بملأ الأرض– خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَغَفَرت لك ولَا أُبَالِي)[4]

و قال سبحانه في القرآن : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[5] ، فهذا النوع الأول من الشرك ؛ لذلك على كل مسلم و مسلمة أن يحرص كل الحرص أن يجتنب الطاغوت ، وأن يجتنب الشيطان ، أن يجتنب الشرك ، وأن يجتنب الكفر ، كما قال إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – :

﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾[6] ؛ فعلى كل مسلمٍ ومسلمة أن يخافوا من

---

[3]) سورة لقمان ـ الآية 13

[4]) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ [رقم:3540]، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

[5]) سورة النساء ـ الآية 48

[6]) سورة إبراهيم ـ الآية 35

الشرك أن يقعوا فيه ، و أن يسألوا الله – عزَّ وجل – أن يُميتهم مسلمين ، وأن يحفظهم من الشرك .

هذا النوع الأول الظلم بين العبد وربه ، وعلاج هذا الظلم بالتوحيد ، بتحقيق التوحيد والإخلاص لله – عزَّ وجل– والعمل الصالح والبعد عن الشرك والكفر وكل ما من شأنه يحبط الأعمال ؛ لذلك الله –عزَّ وجل– يقول في حال الكافرين : ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [7] ؛ فليحذر العبد من هذا الظلم .

– النـوع الثاني ظلم العبد لنفسه : و ذلك باقتراف الذنوب والسّيئات والخطايا ، والتقصير في حق الله – عزَّ وجل – ، فيترك الواجبات ويقع في المُحرَّمات ، وهذا علاجه بالتوبة والرجوع إلى الله – عزَّ وجل – ، والإنابة إلى الله ، وأن يعلم العبد أنَّ كل ما يعمله من خيرٍ أو شرٍ محصى عليه مسجل ، يلقاه أمامه يوم القيامة ، ﴿ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ﴾ [8]

على العبد أن يتدبَّر هذا الأمر ، أن كل ما يعمله سيجده أمامه يوم القيامة مكتوبًا مسجلًا ، و سيحاسب عليه كما قال –صلَّى الله عليه وسلَّم : (من نوقش الحساب عُذِّب) ، فإنَّ العبد ستعرض عليه أعماله يوم القيامة ، ولكن كما ذكر

---

[7]) سورة الفرقان ـ الآية 23

[8]) سورة الكهف ـ الآية 49

الله – عزَّ وجل – في هذا النوعِ من الذنوب التي بين العبد وبين ربّه أنها تحت المشيئة ، إن شاء الله غفر له ابتداءً وإن شاء عذَّبه ، فإن مات على التوحيد فمصيره و مآله إلى الجنة – بإذن الله تعالى – ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ ﴾ هذا الشرك ، ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ أي ما دون الشرك ، ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [9] ، فمن شاء الله غفر له ابتداءً ، أسأل الله أن يغفر لي ولكم ، وأن يعفو عنِّي و عنكم ، وأن لا يؤاخذنا بذنوبنا وزلاتنا ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ .

و كما سبق علاج هذا الظلم أن العبد لا يُسرِف على نفسه بالذنوب ، ولو أسرف لا يقنط من رحمة الله : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [10]، فالعبد مهما بلغت ذنوبه لا ينسى التوبة ولا ييأس من روح الله ورحمته بل يسعى للتوبة ، ﴿ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [11]

– النـــوع الثالث : الظلم بين العباد فيما بينهم : كما قال –صلَّى الله عليه وسلَّم– : (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) ، وقوله –صلَّى الله عليه وسلَّم– : (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره و لا يخذله بحسب امرئٍ

---

[9] سورة النساء - الآية 48
[10] سورة الزمر - الآية 53
[11] سورة التحريم - الآية 8

من الشر أن يحتقر أخاه المسلم) ، (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) أو كما قال –عليه الصلاة والسلام– .

فهذه المظالم التي بين العباد في الدنيا يوم القيامة مبنيةٌ على الاقتصاص فيما بينهم ، وليست داخلة في قوله تعالى : ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ ([12]) ، لأنّ الذنوب التي يشاء الله أن يغفرها للعبد ، هي الذنوب التي بين العبد وربّه .

وأمَّا الذنوب التي بين العباد من أكل مالٍ ، أو ضربٍ ، أو شتمٍ ، أو قذفٍ ، أو أذيّةٍ فإنّها مبنيةٌ على الاقتصاص .

– ما مــعنــى الاقتــصـاص ؟

– معناه : أنَّ المظلوم يأخذ حقَّه من الظالم وليس إلا حسناتٍ وسيّئاتٍ .

وكلُّنا يذكر قول النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– : (أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ ؟ قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا دِينَارَ ، قَال النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– : المفلس من يأتي بحسناتٍ أمثال الجبال ، ويأتي وقد ضرب هذا –ظلم– ، وشتم هذا –ظلم– ، وأخذ مال هذا –ظلم– ، وقذف هذا –ظلم– ، وضرب هذا –ظلم– ؛ فيأخذ هذا من حسناته) لأنّه ظلمه فيأخذ من حسناته ، الاقتصاص في الحسنات (فيأخذ هذا من حسناته) ، تفنى حسناته تنتهي (فيطرح عليه من

[12]) سورة النساء - الآية 48

سيئاتهم فيقذف في النار أو فيطرح في النار) ، أو كما قال –عليه الصلاة والسلام–

والنَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– بيَّن أنَّ الاقتصاص بين الناس يوم القيامة بالحسنات والسيّئات ؛ فلذلك يجب على كل واحدٍ منَّا أن يعلم أنّه محاسب .

الزوج الذي يضرب زوجته ضربًا غير مأذونٍ به شرعًا يُحاسبه الله –عزّ وجلّ– ، يُحاسبه على تعدّيه على المرأة الضعيفة ، التي أخذها بموثقٍ من الله –عزَّ وجل– ، يعلو عليها ضربًا ، ويُؤذيها شتمًا ويقول : أنا حر ، لا يا أخي ، لست حرًا ، أنت مُحاسبٌ على هذا ، ومُؤاخذٌ على هذا ، إن سكتت فإنَّ الله ينصرها يوم القيامة ، سيحاسبك الله –عزَّ وجلّ– على هذا .

وذلك الوالد الذي يضرب ولده ضربًا فيسقطه أرضًا ، ويُؤذيه بالضرب والحبس والأذية ؛ سيُحاسب على هذا.

مرَّ النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– على رجلٍ من الصحابة –رضوان الله عليهم أجمعين– ، وهذا الرجل كان يُؤدِّب غُلامه ، فكان رافعًا للسوط يضربه به ، فجاءَه النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– من الخلف فقال له : (اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ ، اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ أَنَّ اللَّهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ إليه)[13] ،فسقط السوط من يده وأعتقه .

[13]) رواه مسلم

فهذا كان يُؤدِّب غلامه ، الذي هو ملكٌ له يملكه ، ومع ذلك بيَّن له النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– أنّك و إن كنت تملكه فاعلم أنّك مُحاسبٌ على هذا .

وذاك الصحابي الآخر –ﷺ– لمَّا ذكر أنَّ جاريةً له يملكها ،كانت ترعى الغنم ، فغفلت فجاء الذئب فأكل واحدةً منها ، فضربها على وجهها ، فصككتها على وجهها ، ضربها كفاً من شدَّة الغضب ، فلمَّا جاء إلى النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– يستفسر ويسأل ، ناداها النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– ، فلمَّا جاءت قَالَ لَهَا : (أَيْنَ اللَّهُ ؟) ، قَالَتْ : فِي السَّمَاءِ ، قَالَ : (مَنْ أَنَا ؟) ، قَالَتْ : رَسُولُ اللَّهِ ، قَال : (أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَة) ؛ فأعتقها لأنّه ضربها ضربةً واحدةً .

– فكيـــف بالذيـــن يضربون ليـــل نهار ؟

– وكيـــف بالذيـــن يضربون بالأيـــام والليـــالي ؟

فعليهم أن يتذكروا أنّ الله –عزَّ وجلّ– سيُحاسبهم على هذا .

وكذا العامل الأجير ، والعامل الضعيف الذي يعمل عند صاحب العمل ، يظلمهُ في الراتب ، أو يظلمهُ في كثرة الوقت ، أو يظلمهُ بأن يعمل عنده ما ليس من عمله ، أو يظلمهُ بضربه ؛ كل هذا محاسبٌ ومجازى عليه ، حتى الأم في ضربها لأبنائها ، حتى الأخ في ضرب إخوانه ، عليه أن يضربهم ضرب تأديب ، وضربًا شرعيًا غير مؤذٍ .

وأمَّا الله –عزَّ وجل – حينما أذن للزوج أن يضرب الزوجة فإنَّ ابن عباس –رضي الله عنهما– ، ترجمان القران ، وحبر هذه الأمة ، فسَّر الضرب بقوله : "ضربًا بالمسواك في مجامع اللحم " ، يعني مثل : الكتف والفخذ ، لا يضرب عظمًا ولا وجهًا ولا رقبةً ، وإنَّما يضرب في مجامع اللحم ، ويضربها ضربًا خفيفًا ؛ لأنَّ المقصود التّأديب ليس الإهانة ، وليس الإذلال ، وليس التسلّط على عباد الله – عزَّ وجلّ– .

ولذلك فإنّ الله –عزَّ وجل– لمَّا ذكر –سبحانه وتعالى– في سورة النساء ما يتعلق بالشقاق بين الرجل والمرأة ، أباح للأزواج –سبحانه تعالى– أن يؤَدبوا زوجاتهم :

– أولًا بالموعظة : فيعضها ويُذكرها ويُبيِّن لها حقه من الطاعة ، وأنّه بالنِّسبة له جنة أو نار ، كما قال النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– لتلك المرأة : (انظري أين أنت منه فإنه جنتك أو نارك) أو كما قال – عليه الصلاة والسلام– .

فيُبيِّن لها حق الزوج شرعًا ويعضها ويُذكرها ، وأنَّ عليها أن تراعي حق الله –عزَّ وجلّ– فيه ، فإن اتعظَّت فالحمد لله ، وإن لم تتّعظ فإنّ الله –عزَّ وجلّ– قال :

﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾[14]

– قيل المعنى : لا يُجامعها ، وقيل المعنى : وينام معها في نفس الغرفة لكن لا يقربها

– قيل المعنى : ينام في غرفة اخرى .

---

[14]) سورة النساء – الآية 34

فإن ما اتّعظت أيضًا بالهجر قال : ﴿وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ ، والضرب كما مرَّ معنا عن ابن عباس –رضي الله عنهما– أنّه بالمسواك في مجامع اللحم ، ثم انظروا إلى قوله تعالى في نفس الآية ، قال : ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾[15]

قال العلماء ذكَّر الله –عزَّ وجل– الزوج أن لا يطغى على الزوجة ، ولا يعلو عليها ظلمًا ، ولا يتسلط عليها ؛ لأن الله هو – سبحانه وتعالى– العلي الكبير القادر عليه .

– ما عـلاج الظـــلم بيـــن العباد ؟

– علاج الظلم بين العباد :

أن يؤدي الحقوق لأهلها ، فإن أخذ مالًا يرجعه لهم ، وإن ضرب أحدًا يأتيه ويستسمح منه ؛ فإنَّ النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – قبل وفاته قام في أصحابه ، وقال لهم في كلامٍ معناه : أن أيَّ شخصٍ ضربه أو شتمه فليقتصَّ منه اليوم ، قبل أن لا يكون إلا الحسنات والسيئات ، وحاشاه – صلَّى الله عليه وسلَّم– من ذلك أن يظلم أحدًا ، وإنَّما خوفه من الله –عزَّ وجل– ، وطلبه للدرجات العليا –عليه الصلاة والسلام– ، وكونه عبدًا شكورًا ، فوقف بين أصحابه يسألهم من ظلمه بضربٍ أو شتمٍ يقتصُّ منه اليوم .

---

[15]) سورة النساء - الآية 34

فإن ضربت أحدًا ، إن ظلمتَ أحدًا أيُّها المسلم بالضرب فيقتصُّ منك بالضرب ، أو أن تطلب منه أن يعفو عنك وأن يسامحك ، وإن اغتبته أن تستسمحه ، فإن عجزت عن ردِّ المال فلا مانع أن تضع المال في ظرف وتكتب (هذا حقٌ لفلان) من غير أن يعرف من هو الذي ردَّ المال ، كأن تكون سرقت المال أو غصبته أو لا تستطيع أن ترده وجهًا لوجه ، فاكتب هذا المال حقٌ لفلان ، وسلِّمه بطريقة ما لأقربائه أو له هو مباشرةً ، كأن تضعه في سيارته أو في مكانه أو نحو ذلك .

فإن كان الرجل الذي ظلمته أو أخذت ماله أو ضربته لا تعرف طريقه فتصدَّق عنه ، فتصدَّق عنه ؛ بالنسبة للمال تتصدق عنه وإن جاءك يومًا من الدهر تردُّه إليه ، وإن كنت اغتبته أو ضربته أو نحو ذلك فاستغفر له ، وسَلِ الله أن يغفر لك

إذا ، هذا معنى قوله – عليه الصلاة والسلام – فيما يرويه عن ربِّه : (فَلَا تَظَالَمُوا)

ثم قال : (يَا عِبَادِي) ، قال الله تعالى : (يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ) .

– يعني : كلكم ضالٌّ ، بمعنى لا يعرف الحق ؛ لأن الله –عزَّ وجل– أكرمنا بالرَّسول –صلَّى الله عليه وسلَّم– ، بيَّن لنا شرعه ودينه ومراده –سبحانه وتعالى– فالعبد بتوفيقٍ من الله – عزَّ وجل – ، وبفضلٍ من الله ورحمة ، يعرف الحق ويهتدي إليه ؛ لذلك قال : (يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلا مَنْ هَدَيْتُهُ)

قال العلماء : الهداية هاهنا تشمل :

– هداية البيان والإرشاد ، وهداية التوفيق والاستجابة ، وتشمل أيضًا هداية أخرى ثالثة وهي هداية الثبوت على الحق ، والبقاء عليه ، وعدم الانحراف عنه.

فالعبد يضِلُّ لولا توفيق الله –عزَّ وجل– له بالهداية ، أمَّا قوله –صلَّى الله عليه وسلَّم– : (كل مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ أو يُسْلِمَانه) فلا يتعارض مع هذا الحديث ؛ لأنَّ معناه على الفطرة التي فطر الله – عزَّ وجل – الناس عليها ، ولكن الذي يولد في مكانٍ بعيد ، وليس عنده أحد ، فإنه في الأصل في الفطرة موجودة ، ولكن يكبر لا يعرف الله – عزَّ وجل – ولا يعرف دينه ، وهذا معنى قوله :

– (كُلُّكُمْ ضَالٌّ) ، أي : تائه عن الصراط المستقيم .

– (إِلا مَنْ هَدَيْتُهُ) : إلا من علَّمته ووفقته .

ولذلك قال الله – عزَّ وجل – هنا في الحديث القدسي (فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ) : أي فاطلبوا منِّي الهداية . (فَاسْتَهْدُونِي) ، بمعنى : اطلبوا مني الهداية ؛ ولذلك نحن في كل ركعة نقول ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾[16] لا بد أن نستشعر هذا المعنى

قال العلماء ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ نطلب من الله هداية الإرشاد والبيان هذا النوع الأول ، وهداية التوفيق والقبول هذا النوع الثاني ، وهداية الثبوت على الحق ولزومه وعدم الانحراف عنه .

---

[16]) سورة الفاتحة - الآية 6

ولذلك هذا الحديث كما ذكر العلماء يدلُّ على أن العبد عليه أن لا يغترَّ بعقله ، وأن لا يظن أنه يعرف الحق بنفسه ، بل لابد أن يطلب الحق من طريقه ، وهو ما جاء به الرسول –صلَّى الله عليه وسلَّم – ، وما كان عليه الصحابة الكرام – رضوان الله عليهم – .

ثم قال : (يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْته ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ. يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْته ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ) .

– يعني : أنتم فقراء إلى الله – عزَّ وجل – كما قال الله – عزَّ وجل – : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [17]

فالله – عزَّ وجل – غنيٌّ ونحن الفقراء ، مهما ملك العبد ما ملك من الدنيا ، فإنه فقيرٌ إلى الله ، محتاجٌ إلى الله ؛ فلذلك الله – عزَّ وجل – يقول : (يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ جَائِعٌ) ، كلكم مفتقرٌ إلي جوعًا وعطشًا ولباسًا وفي كل الأمور ، (كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْته ، فَاسْتَطْعِمُونِي) .

فاطلبوا مني ؛ الله هو الرَّزاق ذو القوة المتين ، فالله – عزَّ وجل – مالك كل شيء ، والعبد عليه أن يطلب من الله –عزَّ وجل – أن يرزقه ، فإنَّ الله هو الذي سخَّر لنا الأمطار ، والمياه ، والبحار ، وسخَّر لنا الأكل بأنواعه ، والثمار ، والحبوب ، والحيوانات ممَّا أباح الله لنا أكلها ، فهذه كلها من عند الله – عزَّ وجل – ، ﴿

[17]) سورة فاطر - الآية 15

﴿ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾[18] فهذه النعم وهذه الأرزاق من عند الله – عزَّ وجل – ثم قال : (عِبَادِي! إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ) .

– يعني : العبد قد يخطئ بالليل ، أو يخطئ بالنهار ، يُذنب ؛ وهذا التعبير يفيد أن العبد قد يذنب ذنوبًا متتالية ، ولكن باب التوبة مفتوح ، كما أخبر النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – لن يُغلق حتى تطلع الشمس من مغربها ، وما لم تبلغ الروح الحلقوم ، فباب التوبة مفتوح ، لا تيأس من روح الله – عزَّ وجل – .

وكلنا يعرف قصة ذاك الرجل الذي قتل تسعةً وتسعين نفسًا ، ثم قتل الراهب كمَّل به المائة ، ثم أراد التوبة فسأل عن عالمٍ فدلَّه العالم على التوبة ؛ بأن يترك الأرض التي هو عليها أرض سوء ويذهب إلى أرضٍ بها قوم صالحون يعبد الله معهم ، فمات في الطريق ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ؛ ملائكة الرحمة قالت : جاء تائبًا ، وملائكة العذاب قالت : كان يعني مذنبًا ولمَّا يتب بعد .

فمن رحمة الله أن جاء ملك يحكم بينهما ، وقال : إلى أيّ الأرضين هو أقرب تقبضه الملائكة ؛ يعني لو كان إلى أرض سوء تقبضه ملائكة العذاب ، وإن كان إلى أرض القوم الصالحين تقبضه ملائكة الرحمة .

---

[18]) سورة النازعات - الآية 33

قال بعض الرواة في بعض الروايات فزوى الله الأرض من تحته ؛ يعني قرَّبه إلى الأرض الصالحة ؛ فقبضته ملائكة الرحمة ، فانظروا إلى رحمة – الله عزَّ وجل – ، وانظروا إلى عظمة وسعة رحمة الله – عزَّ وجل – ؛ رجلٌ قتل مائة نفس ، لكنه جاء تائبًا راغبًا إلى الله ، فقبله الله ورحمه فقبضته ملائكة الرحمة .

فلذلك العبد لو بلغت ذنوبه عنان السماء لا ييأس من رحمة الله ، يستغفر ويتوب ويرجو رحمة الله ، ويطلب من الله المغفرة ، ولذلك قال: (فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ).

و جاء في الأحاديث أنَّ الله –عزَّ وجل– في الثلث الأخير من الليل ينزل إلى السماء الدنيا فيقول : (هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِر لَهُ) ، (هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِر لَهُ).

وجاء عن النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– أن العبد إذا أذنب ذنبًا ثم صلَّى ركعتين فاستغفر الله يغفر الله له ، فهذا بابٌ عظيم لك يا عبد الله ، نفسك مهما سوَّلت للسوء فتب وارجع إلى الله –عزَّ وجل– .

ثم قال : (يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي)

- **يعني** : أن الله –عزَّ وجل– بيده الأمر كله ، وأنه –سبحانه وتعالى– مالك كل شيء ، و أنتم أيُّها المخلوقون ليس بيدكم نفعٌ ولا ضرٌ ، ولا تستطيعون أن يصدر منكم أيٌّ أمر من هذا الباب

- **لمـــــــاذا ؟**

- لأن الضار و النافع هو الله – عزَّ وجل – ، والعباد لا يستطيعون هذا .

ثم قال –سبحانه و تعالى– مُبيِّنًا أمورًا تُقرر ما سبق ، فقال : (يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا) ، ما ينفعني أبدًا ، ولا أستنفع بأن يكون كل الناس من أوَّلهم إلى آخرهم ، جِنَّهُم وإنسهم ، على أتقى رجل واحد .

- **لمـــــــاذا ؟**

- لأن الله غني عنَّا ، وعن أعمالنا ، ونحن إليه فقراء .

ثم قال: (يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا)

- **لمـــــــاذا ؟**

-لا يصيب الله – عزَّ وجل – بكفر من كفر ، لو كان الكافر بنو آدم كلهم ، وكان الجن كلهم كفار ، ما ينقص ذلك من ملك الله شيئا ؟

– لمـــــــــاذا ؟

– لأن الله غني عنَّا ، ونحن إليه فقراء.

ثم قال : (يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، فَسَأَلُونِي) ، طلبوا من الله – عزَّ وجل – كلَّهم من آدم إلى آخر من يبقى من هذه الأمة ، وكلِّ الجن ، قاموا في صعيد ؛ قاموا على الأرض ، فسألوا الله –عزَّ وجل– حاجاتهم ، فأعطى الله –عزَّ وجل –كل واحدٍ مسألته ، قال : (مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ)

– والمخيط : المُراد به ، الإبرة ، فلو وضعنا إبرة في البحر ثم رفعناها .

– هــل ينقــص من البــحر شـــيء ؟

– لا ينقص من البحر شيء ، ولا يغير شيئًا من البحر ؛ فالإبرة إذا أُدْخِلت في البحر لا تنقص منه شيء .

– لمـــــــــاذا ؟

– لأن الله – عزَّ وجل – مالك كل شيء ، وقادرٌ على كل شيء ، ولا ينقص من ملكه شيء – سبحانه وتعالى– ، لو أعطى الناس كلهم أولهم وآخرهم انسهم وجنهم .

ولذلك ؛ قال النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (يد الله ملآى سحَّاء)[19] ، أي : كثيرة العطاء ، (اللّيل والنهار ، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض ، فإنه لم يَغِض) ، أي : لم ينقص (ما في يمينه) ، فالله –عزَّ وجل – مالك كل شيء –سبحانه وتعالى– فقال : (يَا عِبَادِي! إنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ)

– يعني : أنني وكلت الملائكة الذين يكتبون أعمالكم ، وأحصيها لكم من خيرٍ أو شرٍ ، فيكتبون كل شيء ،كما مرَّ معنا عند قوله – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ)[20] ، ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[21]

فقال سبحانه هنا : (يَا عِبَادِي! إنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ) :

– وهذا دليل على أن العبد مُخيَّرٌ في عمله ، وأن العمل بإرادته وكسبه ، إنَّما هي أعمالكم الصادرة منكم من خيرٍ أو شرٍ ، (إنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ

[19] رواه البخاري وسلم
[20] رواه البخاري وسلم
[21] سورة ق - الآية 18

أُوَفِّيكُمْ إيَّاهَا ؛ فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْ اللَّهَ ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَن إِلَّا نَفْسَهُ) .

– يعني : كما قال الله –عزَّ وجل– : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾[22] ، كما مرَّت معنا آية سورة الكهف ، لمَّا ذكر –سبحانه وتعالى– قوله : ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[23]

والنَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – يقول : (من نوقش الحساب عُذِّب)[24] ، قالت عائشة – رضي الله عنها – : " يا رسول الله ، أليس الله يقول : ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾[25] ، قال : (ذلك العرض ، ومن نوقش عذب)

– العرض : بمعنى العرض السريع ، دون نقاش .

– وأمَّا النقاش : فمعناه سؤال ، وطلب الجواب ، (فمن نوقش عذب) ، أو كما قال – صلَّى الله عليه وسلَّم – فهذا الحديث ، حديث (يَا عِبَادِي: إِنِّي حَرَّمْت

---

22) سورة آل عمران - الآية 30
23) سورة الكهف - الآية 49
24) صحيح البخاري –كتاب الرقائق –
25) سورة الانشقاق - الآية 8

الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي) ، جديرٌ بكل مسلم ومسلمة أن يعتنوا به وأن يعملوا به ، وأن يتأمَّلوه ، فإن فيه خيرًا كثيرا –بإذن الله تعالى– .

الحديث الخامس والعشرون :

ما رواه أَبو ذَرٍّ –ﷺ– ، أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ –صَّلى الله عليه وسلم– قَالُوا لِلنَّبِيِّ –صلَّى الله عليه وسلَّم– يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ؛ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ. قَالَ: أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟ إنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ، كَانَ لَهُ أَجْرٌ) .[26]

هذا الحديث العظيم فيه فوائد جمَّة ؛ وذلك أن الفقراء من أصحاب النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– سألوا النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– ، وأخبروه بأن الأغنياء مثلهم في الصلاة والصيام ولكن نحن الفقراء نختلف عنهم ؛ إذ للأغنياء أموالٌ يتصدَّقون ونحن لا مال عندنا نتصدق به ، فسوف تكون منزلتهم يوم القيامة أعلى من منزلتنا ولن نحصل الدرجات العلى في الجنة ، هكذا كان الصحابة – رضوان الله

---

[26]) رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم:1006].

عليهم – يتنافسون في الخير ، لا يتنافسون في الشر ، ولا يتنافسون في إيذاء عباد الله ، ولا يتنافسون في أن يتمنَّوا زوال النعمة عن إخوانهم .

فإذا رأوا واحدًا قد أنعم الله عليه بالعلم فرحوا له وأعانوه ، وأمَّا الذين يرون أن بعض طلبة العلم قد منَّ الله – عزَّ وجل – عليهم بالحفظ ، والفهم والإدراك ، وحسن الكلام ، وحسن التصنيف ، حسدوه وأخذوا يطعنوا فيه ويتمنوا أن لا يكون في ذاك المقام ؛ لا ، ليس هذا شأن المسلم .

فانظروا كيف أن الصحابة ما حسدوا إخوانهم ؛ ولكن تمنوا أن يكونوا مثلهم ، وأن يكون لهم من الأعمال ما يكونون بسببها في الدرجات العلى ، هكذا ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾[27] ، فقالوا : (يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ) ، أي الأغنياء (بِالْأُجُورِ) لأنهم يتصدَّقون ونحن لا نتصدَّق

– فكيــف نصــل إلـــى مرتبتهم ؟

– فدلَّهم النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – على أعمالٍ يمكن أن يلحقوا بها أولئك الأغنياء ؛ وهي لا تكلِّفهم صدقةً ولا مالًا.

---

[27] سورة المطففين - الآية 26 .

من تسبيحٍ وتكبيرٍ وتحميدٍ وتهليلٍ ، أو أمرٍ بالمعروف ونهيٍ عن منكر ، حتى الرجل إذا أتى أهله فإنه ينوي بهذا الجماع أن يعِفَّ نفسه ، وأن يعِفَّ زوجه ، وأن يجتنب الحرام وأن يجتنب الحرام من زنًا ونحوه فيجتنبه .

فقال – صلَّى الله عليه وسلَّم –: (أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ بِهِ ؟)

– يعني : أبواب الخير كثيرة جدًا ، ليس فقط في الصدقة في المال .

فمن أبواب الخير : الذكر ، فقال – صلَّى الله عليه وسلَّم –: (إنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً) ، إذا قلت سبحان الله هذه صدقة ، (وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً) ، إذا قلت الله أكبر هذه صدقة ، (وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً) ، إذا قلت الحمد لله صَدَقَةً ، (وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ) إذا قلت لا إله إلا الله (صَدَقَةً) ، قال : (وَأَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ) .

إذن ؛ التسبيح ، والتكبير ، والتهليل ، والتحميد هذا ذكرٌ قاصرٌ عليك ، وهناك نطقٌ باللسان بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذا ذكرٌ أو عملٌ متعدٍّ نفعه للغير ، فإذا أمرت بالمعروف صدقة ، كما قال – صلَّى الله عليه وسلَّم –: (الدَّالَّ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ).

(وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ) ؛ إذا نهيت عن منكرٍ ، كان لك أجر من ترك هذا المنكر ، ولك أجر من يتركه بناءً على تعليمك للناس إن هذا أمر منكر فهو باب عظيم ؛ باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ثم قال – صلَّى الله عليه وسلَّم –: (وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ) ؛ يعني :

(فِي بُضْعِ) قال العلماء : أي في الفرج ؛ يعني كناية عن الجماع فإنه يتلذذ بزوجته ، ومع ذلك يؤجر ، فقالوا للنَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم –: يعني (أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟) ، فبيَّن لهم النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – ؛ أنه ينوي بذلك عفة نفسه فقَالَ: (أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ وِزْرٌ؟) ، الجواب : نعم ؛ فقال النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم : (فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ، كَانَ لَهُ أَجْرٌ) ؛

قال العلماء : "إذا نوى واحتسب بهذا الأمر إعفاف نفسه وإعفاف أهله ، والبعد عن الحرام" ؛ ولذلك هنا مسألة وهي: أن الأعمال بالنيات

– هــــل العــــادات تنقــــلب عبـــادات ؟

– الجـــواب :

العادات لا تُجعل عبادات ، وإنَّما العادات المُتمِّمة لما أمر الله – عزَّ وجل – ، والمكمِّلة لما شرع الله – عزَّ وجل – ؛ فإنها تأخذ حكمه ، تأخذ حكمه .

فالنكاح سبيل إلى الإعفاف وسبيل إلى الإحصان ؛ فمن تزَّوج بهذه النية يؤجر .

فإذا ؛ – بارك الله فيكم – هذا يدُّل على أن رحمة الله واسعة فكما سبق التهليل (لا إله إلا الله) ؛ إذا قلت (لا إله إلا الله) كلمة التوحيد ، وإذا قلت (سبحان

الله) تنزيه وتسبيح لله –عزَّ وجل – الذي يسبِّح له ما في السماوات وما في الأرض ، و (حمد) ثناء على الله –عزَّ وجل– وشكرٌ لنعمه المتتالية التي لا نحصيها ؛ ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ ([28])

وتكبيرٌ ؛ تعظيم لله –عزَّ وجل– ، فالله أكبر من كل شيء –سبحانه وتعالى– ، والله قادرٌ على كل شيء ، وهذه (سبحان الله ، والحمد لله ، والله أكبر ، ولا إله إلا الله) ؛ مرَّت معنا بأنها هي الباقيات الصالحات كما جاء تفسيرها ، وقال النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – (لأَنْ أَقُولَ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ) ؛ يعني أحب إلي من الدنيا

– لمــــــــــاذا ؟

– لأن هذا أجره عند الله عظيم .

وقد مرَّ معنا في الحديث بالأمس القريب ، لمَّا قال النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم – : (الْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآنِ أَوْ تَمْلأُ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) ؛ فيا له من أجر كبير ، وأجر عظيم ، على عملٍ يسير .

ولكن أنبه إلى أمور :

---

[28] سورة إبراهيم - الآية 34

الأمـــــر الأول : أنَّ العبد إذا ذكر الله وسبَّحه ، وحمده ، وهلله ، وكبرَّه ، قال :

" لا إله إلا الله وهكذا " عليه أن يتدبَّر في معانيها ؛ ليس فقط (سبحان الله ، الحمد لله ، والله أكبر ، ولا إله إلا الله) وهو مشتغل بأشياءٍ أخرى ، لا ؛ عليه أن يتدبَّر في معانيها حتى يحصل له – بإذن الله تعالى– خيرٌ بذلك ؛ لأن الذكر كما يقول ابن القيم الجوزية :

ثلاث مراتب :

– **المـرتبة الأولـى :** أن يكون ذكر باللسان والقلب ؛ والقلب يعني التفكر .

– **والمـرتبة الثانيـة :** أن يكون ذكر بالقلب وإن لم ينطق اللسان ، بأن يتفكَّر في آلاء الله ، وفي نعمه وفي عظيم رحمته و ، و ، إلى آخره ، ويذكر الله في قلبه ؛ هذا أقل من الأول .

– **ثـم آخــر أنــواع الذكر :** الذكر باللسان دون القلب ؛ فإذن هذا التنبيه الأول

التنـــبيه الثـــاني : نبَّه إليه الإمام الألباني –رحمه الله تعالى– وهو أنَّه قد وردت أحاديث كثيرة من قال : "لا إله إلا الله " مائة مرة ، من قال : "سبحان الله وبحمده" مائة مرة ، من قال كذا ، كذا .

يقول الألباني – رحمه الله تعالى– :

يعني المشروع أن العبد يقول سبحان الله متدبّرًا ، متفكّرًا ، مثلاً : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله وبحمده ، وهو يعقلها ، أمَّا (سبحان الله وبحمده ، سبحان الله وبحمده) يقول : " هذا ليس الذكر المطلوب ، هذا ليس الذكر المطلوب ؛ إنَّما المطلوب أن يكون يعني بتفكر وتؤدة وتمهل (سبحان الله وبحمده ، سبحان الله وبحمده ، سبحان الله وبحمده) ونحو ذلك " .

ولذلك بعض الناس يقول لك في أقل من دقيقة تقدر تقول (سبحان الله وبحمده) مائة مرة يا أخي ما هذا ؟! ، هذا خطأ ، أنت تخالف المقصود من الذكر ؛ فإن المقصود من الذكر التفكر ، وتأثر القلب بذكر الله – عز وجل – ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [29] ، وسيأتينا أيضًا حديث (لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطِبًا مِن ذِكْرِ اللَّهِ)

فإذا ، – بارك الله فيكم – احذروا من حركات الإخوانجية وحركات جماعة التبليغ والأحباب وحركات هؤلاء الجهال المتعالمون ؛ الذين يعني يتكلمون في دين الله بغير علم .

إذا أردت أن تكسب كذا وكذا في أقل من دقيقتين يمكن أن تقول : (الله أكبر) ألف مرة .

[29]) سورة الرعد - الآية 28

– ما هذا ! ، هذا ذكر الله أم لعب ؟

ذكر الله يكون بتفكر وتمهل وهذا نبَّه الله عليه الألباني –رحمه الله تعالى – .

الأمــر الثالث : الذي أنبه عليه : هناك أذكار ، هناك أذكار جاءت محصية ؛ بمعنى لها عددًا مُعيَّن ؛ ثلاث وثلاثين مرة ، مائة مرة ، فعلى العبد أن يتقيد بها ، إلا ما ورد مطلقًا من قول (سبحان الله ، والحمد لله ، والله أكبر ، ولا إله إلا الله) .

وأيضًا (سبحان الله وبحمده) ؛ فإن النبي –صلَّى الله عليه وسلَّم – قال : (إِلَّا رَجُلًا) ؛ يعني يقول : (مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ) ، وقال : (ولَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا رَجُلًا قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ) ، طيب .

التـنبيه الــرابع : وهنا أريد من الجميع أن يتنبه له ، إياك يا عبد الله ، إياك يا عبد الله أن تحدّ عددًا معينًا في الذكر ، مثلًا ألف مرة ، مائة وخمسين مرة ، إلا أن ورد الدليل بتعيين عدد ، أمَّا ما لم يرد فيه دليل بتعيين عدد فاذكر الله – عزَّ وجل – بلا تقييد عدد ؛ لأنك إذ قيَّدت عدد أشبهت الأمر المشروع ودخلت في البدع والمحدثات ، فبعض الناس يقول : قل الله أكبر ألف مرة .

– يـــا أخي من أيـــن ألف مرة ؟

– أنت أحســـن من الرســـــول ؟

– أنت مشرع ؟! أنت أحســــن من الصــحابة ؟

– هذا دين الله – عز وجل – ، الرسول قال : (قُولُوا اللهُ أَكْبَرَ مَا اسْتَطَعْتُم) ؛ ولم يحدد عدد ، فاحذروا ممن يحدِّد عدد ، انتبهوا لهذا ، فإن هذا من عمل الصوفية ، وعمل جماعة التبليغ والأحباب ونحو ذلك ، المشروع مشروع ، وما لم يشرع ليس لأحد أن يشرعه .

لذلك قال الشافعي – رحمه الله تعالى – : " من استحسن شيئا فقد شرّع " ، إذاً ؛ علينا أن نتنبه لهذا الأمر – بارك الله فيكم – .

آخـــر تنبيه يتعلق بهــذا : السبحة ، بعض العلماء جوَّزها ؛ ولكن يظهر من كلام بعض أهل العلم الآخرين أن الأرجح عدم جوازها.

– لمـــــــــاذا ؟

– لأمـــــــــور :

الأمر الأول : لم يُنقل عن النّبي – صلَّى الله عليه وسلمَّ – ولا عن الصحابة .

الأمر الثاني : وهو المهم أن أصابعك ناطقات مستنطقات يوم القيامة ، كما أخبر النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – ، وكان النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – يعقد التسبيح بأصابعه ، فكان يسبّح بأصابعه ، فأنت عليك أن تقتدي بسنة النَّبي– صلَّى الله عليه وسلَّم– ، –بارك الله فيكم – .

وأيضًا يعني قال العلماء : " إن من فوائد الذكر بالإصبع ، غير كونه شواهد ومستنطقات يوم القيامة ؛ أن العبد يكون قلبه حاضرًا " بينما بالسبحة يحركها ، يحركها ، يحركها ، يحركها ، وذهب في المشرق والمغرب ، وهو غير مفكر فيما قال

– بارك الله فيكم – هذه بعض الفوائد المتعلقة بالأذكار التي يجب علينا أن نتأملها .

الحديث السادس والعشرون :

وهو ما رواه أَبِي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه– قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلَّى الله عليه وسلَّم– : (كُلُّ سُلَامَى مِنْ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ) . [30]

قوله –صلَّى الله عليه وسلَّم : (كُلُّ سُلَامَى)

– **السلامى قال العلماء** : أي المفاصل .

[30]) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:2989]، وَمُسْلِمٌ [رقم:1009].

- السلامى : معناها المفاصل ، وجاء في الصحيح أن عدد هذه المفاصل : ثلث مائة وستون مفصلًا ، ثلاث مائة وستون مفصلًا ؛ فإذن ؛ على كل واحد منا أن يتصدق بثلاث مائة وستين صدقة .

قال الشيخ العثيمين : " يدل هذا الحديث وجوب الصدقة على كل إنسان كل يوم تطلع فيه الشمس ، عن كل عضو من أعضائه " ، أي عن كل مفصل من مفاصله

قال : " لأن قوله (عَلَيْهِ صَدَقَةٌ) ؛ يعني الوجوب " .

قال : " ووجه ذلك أن كل إنسان يصبح سليمًا يجب عليه أن يشكر الله – عز وجل – ؛ سليمًا في كفه ، في ذراعه ، في عضده ، في ساقه ، في فخذه ، في كل عضو من أعضائه عليه نعمة من الله فليشكرها "

قال : " فإن قيل قد يكون في إحصاء ذلك صعوبة ، فالجواب : أنه صحَّ عن النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– (أنه يجزئ من ذلك) أي بدلًا عن هذه الأعمال (ركعتا الضحى) " انتهى كلامه .

هذا الحديث – بارك الله فيكم – يذَّكر فيه النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم– نعمة من نعم الله على بني آدم ؛ وهي المفاصل ، ويجب علينا أن نشكر هذه النعمة ، وأبواب الصدقة كثيرة ، ذكر النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– هنا بعضها ،فذكر من الصدقات :

- العدل بين اثنين : يعني أن تحكم بين اثنين وتعدل بينهما ، وتفصل بينهما ويكون الحكم بالحق والعدل ، ويكون الحكم بالحق والعدل ، وأن يكون صلحًا لا ظلم فيه ؛ ولذلك من قام بهذا قام بأمرٍ له فيه صدقة ، وتأمل قول النبيَّ –صلّى الله عليه

وسلَّم – : (تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ) ؛ لا تأتِ تظلم أحدهما ؛ لأن أحدهما يعني من جماعتك ، أو من قومك ، أو من حزبك ، أو مِمَن يقول بقولك فتنصره على الآخر ؛ فإن هذا ظلم ، بل تعدل بين اثنين ، فإن ظلمته ؛ لم تأتِ بالصدقة .

قال : (وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ) – يعني : تعين الرجل على أن يركب على دابته ، أو تعينه وقد ركب على دابته أن ترفع له متاعه ؛ هذه صدقة .

(وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ) من أمرٍ بالمعروف ، أو نصحٍ لآخر ، أو نهي عن منكر ، أو كلمة تقولها لأخيك المكروب فتفرج ما به من هم .

(وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ) ؛ جاء في الحديث أن من ذهب إلى الصلاة ماشيًا بأقدامه إذا رفع قدمه كُتبت له حسنة ، ، وإذا وضع قدمه الأخرى حُطت عنه سيئة .

ولذلك جاء عن بعض الصحابة أنه أراد يقترب في منزله من مسجد رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – وهم من بني سلِمة ، فقال لهم النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم – : (دِيَارُكُم ، دِيَارُكُم – يعني ابقوا في منازلكم هناك بعيد– تُكْتَبُ آثَارُكُم) ؛ يعني خطواتكم إلى الصلاة ، فهذا يدلُّ على أن المسلم الأفضل أن يذهب إلى الصلاة ماشيًا لا يركب السيارة ، بل يمشي إلى المسجد ، إلا إن كان بعيدا جدا ويشق عليه فهذا له عذره .

قال : (وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ) ؛ فتميط الأذى تبعده ، صدقة ؛ لأنك نحيت هذا الأذى عن طريق إخوانك المسلمين فتحصل لك الصدقة بتجنيب الأذى .

وتأمَّلوا كيف هنا أن النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – يقول : (تُمِيطُ الْأَذَى)

– فكيـف بمن يرمـي الأذى في طريـق إخوانه ؟

– وكيـف بمن يـؤذي إخوانه بأفعـاله وأقـواله ؟

– وكيـف بمن يتعـمَّد الإسـاءة إلى إخوانه ؟

فلا شك أنه يكتسب سيئات بهذا وأنه ما شكر نعمة الله – عز وجل – ولا امتثل هذا الحديث .

جاء في حديث آخر أو في رواية أخرى لهذا الحديث في صحيح مسلم أن النبي – ﷺ – قال : (وَيُجْزِئ عَن ذَلِكَ كُلِّهِ رَكْعَتا الضُحَى) ؛ فإذا صلَّى الضحى أجزأ عن الثلاث مئة وستين مفصل ؛ وكل مفصل له صدقة .

إذن ثلاث مئة وستين صدقة ، ولاحظ أنَّ النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم – يقول : (كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ) ؛ يعني ليس تشكر الله في يوم واحد فقط ، لا ؛ كل يوم تطلع فيه الشمس عليك ثلاث مئة وستين صدقة لهذه المفاصل التي أنعم الله – عزَّ وجل – بها عليك يا عبد الله .

وهذا الحديث كما يقول أهل العلم فيه بيان أن يعني أبواب الخير كثيرة وأن العدل بين الإخوان أمر مطلوب .

فقولوا لي بربكم ما حال أولئك الذين يسعون إلى التفريق بين السلفيين وينشرون الوشايا والأكاذيب والإشاعات ، ويفترون على عباد الله بكلام مكذوب وببهتان يفترونه على إخوانهم إسقاطًا لهم وطعنًا فيهم وذمًا لهم وحسدًا لما منحهم الله –عزَّ وجل– من علمٍ وقبولٍ في الأرض ؛ فلا شك أن هؤلاء لم يشكروا نعمة الله – عزَّ وجل – ،وأن هؤلاء عليهم أن يتأمَّلوا هذه الأحاديث ؛ هذا الحديث الذي نقرأه وتلك الأحاديث التي مرَّت معنا : (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاَللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ).

فتأملوا – بارك الله فيكم – وقارنوا بين حال هؤلاء وما جاء به النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – من خير وهدى للناس .

الحديث السابع والعشرون

ما رواه النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ –رضي الله عنهما – عَنْ النَّبِيِّ – ﷺ – أنه قَالَ : (الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِك ، وَكَرِهْت أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ) [31]

وَعَنْ وَابِصَةَ بْنِ مَعْبَدٍ –رضي الله عنه– قال : أَتَيْت رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ – قَالَ : "جِئْتَ تَسْأَلُ عَنْ الْبِرِّ والْإِثْمِ ؟ قُلْت : نَعَمْ . فقَالَ : استفت قلبك ، الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إلَيْهِ النَّفسُ ، وَاطْمَأَنَّ إلَيْهِ الْقَلْبُ ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاك النَّاسُ وَأَفْتَوْك) . [32]

---

[31]) رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم:2553].

[32]) حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَيْنَاهُ في مُسْنَدَي الْإِمَامَيْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ [رقم:227/4]، وَالدَّارِمِيّ [246/2] بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ

قال الشيخ – رحمه الله تعالى – حديث حسن رويناه في مسنديه الإمام أحمد والدارمي بإسناد حسن .

هذا الحديث يخبر فيه النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – عن البرِّ ، عن الخير ، وأن من أعظم خصال الخير حسن الخلق ، وقد مرَّ معنا قول النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم – : (وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَن) [33]

فالنَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – يقول إن أردت أن تكون برًا تقيًا ، إن أردت أن تحصل على الدرجات العلا درجة الأبرار فحسن خلقك مع الله ، مع كتابه ، مع نبيه ، مع صحابته ، مع الحكام ، مع العلماء ، مع إخوانك ، مع نفسك ، حسن خلقك مع كل الناس وخالق الناس بخلق حسن ؛ فالبر حسن الخلق ، فليست التقوى أنك تصلي وتصوم وتبتعد عن المحرمات وتفعل الواجبات وتكون بخلقٍ سيء .

وقد مرّ معنا قصة تلك المرأة التي تصوم تطوعًا وفرضها وتقوم تطوعًا وفرضها ؛ لكن تؤذي جيرانها ؛ فقال النَّبي : (هِي فِي النَّار) ، وامرأة أخرى تصوم فرضها وتصلِّي فرضها ولا تتطوع ؛ ولكن لا تؤذي جيرانها خلقها حسن ؛ قال : (هِيَ فِي الجنَّة).

ولذلك بعض الناس يعني يؤذي الناس بلسانه وأفعاله ويغتر بصلاته وصيامه وفعله لبعض المسنونات والنوافل ويظن نفسه أنه على خير ؛ لا يا عبد الله لا يخدعك الشيطان ؛ فإن حسن الخلق هو البر من أعظم خصال البر ، فكما صليت فرضًا

[33]) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ [رقم:1987]

وتطوعًا ، وكما صمت فرضًا وتطوعًا ، وكما فعلت الخير فاعلم أن من أفضل ، خصال الخير ؛ حسن الخلق .

ثم قال – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ)

– ومعنى (حَاكَ) : أي أنك تحرَّشت منه وتضايقت منه وحصل منه تردد ؛ يعني جاءك أمر تقوله أو تفعله نفسك تضايقت وترددت في فعله ، وأيضًا وكرهت أن يطلع عليه الناس ؛ يعني أن الإثم له علامتان :

– **العـلامة الأولى :** أن نفسك تتضايق منه .

– **والعـلامة الثـانية :** أنك تكره أن يطلع عليه الناس .

– لمـــــــــاذا ؟

– لأن الناس لو رأوك على الإثم تكلموا فيك ، ولذلك كما مر معنا (فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقْد اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ) ؛ عرضه من جهة الناس وكلامهم ؛ فإذا هاتان علامتان للإثم قال العلماء : " بعض الناس في الأمر المشروع الذي جاء الشرع مثلا بطلب فعله قد يتردد ويحاك في نفسه " .

– فهـــل هذا معنــــاه أنه – يعنـــي – غير مشروع ؟

– الجواب :

هذا خطأ ؛ لأن المراد هنا الإثم ما كان مخالفا للشرع وفي الأمور التي لا دليل عليها .

وأيضًا قالوا : " المراد هنا (مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ) ؛ في نفس المؤمن المطمئنة ، أما الإنسان الفاجر ، الإنسان الفاسق فإنه لا اعتبار لنفسه ؛ لأنه لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا " .

ثم قالوا : وَعَنْ وَابِصَةَ بْنِ مَعْبَدٍ –رضي الله عنه– قال : أَتَيْت رَسُولَ اللَّه – ﷺ – قَالَ : (جِئْتَ تَسْأَلُ عَنْ الْبِرّ والْإِثْم) .

وابصة بن معبد –رضي الله عنه– جاء إلى النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم – وكان في نفسه كما في بعض الروايات يقول : (فأردت أن أسأل النبي –ﷺ– عن كل شيء في البر والإثم) .

فلمَّا أتى إلى النَّبي –صلَّى الله عليه و سلَّم– و دنى منه فقال له النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– :

(أُدْنُ ، قال : فدنوت حتى لمست ركبتي ركبته –عليه الصلاة و السلام– ، فقال النَّبي –صلَّى الله عليه و سلَّم– : (تسأل أو أخبرك ؟) ، –قال : هل تريد أن تسأل أنت ، أو أنا أخبرك بماذا تريد أن تسأل ؟ ، فقال : بل أخبرني يا رسول الله ؛ فقال –صلَّى الله عليه وسلَّم– : (جِئْتَ تَسْأَلُ عَنْ الْبِرِّ والْإِثْم) .

–مـن الــــذي أطــــلع الرســـــول علـــى هـــــذا ؟

الله ؛ أوحى إليه بأن وابصة يسأل عن هذا ؛ الرسول لا يعلم الغيب إلا عن طريق الوحي –عليه الصلاة و السلام– فإنه لا يعلم الغيب كما أخبر هو عن نفسه – عليه الصلاة والسلام– ولا يعلم الغيب إلا الله – عز وجل – ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ ﴿٦٥﴾ [34] ؛ فالغيب من خصائص الله –عزَّ وجل_– ، فالنَّبي –صلَّى الله عليه و سلَّم– قال لوابصة : (جئت تسأل ، أخبرك أو تسأل ؟ قال بل أخبرني يا رسول الله ، فقال : جئت تسأل عن البر و الإثم) ؛ فإذا هذا دليل على صدق نبوته –صلَّى الله عليه و سلَّم– ، فقال :

(جِئْتَ تَسْأَلُ عَنْ الْبِرِّ والْإِثْمِ)

– يعــني مـــا هـــو البر ؟

– ومـــا هـــو الإثم ؟

فقال وابصة : (نعم) ، قال –صلَّى الله عليه وسلَّم– : (اسْتَفْتِ قَلْبَكَ) ؛ يعني : اسأل ، قوله : (اسْتَفْتِ) ؛ بمعنى : اِسأل قلبك .

طبعًا هذا كما سبق و ذكر العلماء أن المُراد به قلب المؤمن المطمئن بذكر الله ، وبطاعة الله ، وبتقوى الله ، والنفس والقلب المنير بطاعة الله –عزَّ وجل – ، وبهدى الله –عزَّ وجل – .

قال : (اسْتَفْتِ قَلْبَكَ) ؛ يعني : اِسأل قلبك .

---

[34]) سورة النمل - الآية 65

(الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ ، وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ)

– يعني : المراد بهذا الحديث ليس في الأحكام الشرعية المأمور بها أو النوافل ؛ فإن هذا مشروع ، وليس في الأحكام الشرعية المُحرَّمة ؛ فإن هذا ممنوع ؛ ولكن في الأمور التي هي من باب الشبهات ، والأمور التي لا دليل عليها ، وسألت العلماء فاستفت قلبك ، فإن كان قلبك لم يتردد واطمأن ، وقلبك مطمئن وأنت صاحب تقوى وإيمان وعلى علم وهدى ؛ فإن هذا دليل على أنه من البر ، وإن حصل في قلبك تردد وحصل في قلبك عدم اطمئنان ؛ فهذا دليل على أنه ليس بخير ؛ قال : (وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ) ؛ يعني وإن وجدت من يقول لك : "هو جائز " فاتركه ؛ مثل العلماء بمسألة واضحة في هذا الباب ، قالوا : " أحيانا في مسألة ، خاصة في مسائل المعاملات التي يشتبه في أن تكون ربوية أو فيها ربا أو أنها مسألة مُحرَّمة ، لكن لا دليل عليها إلا اجتهادات العلماء ، فأحيانا تسأل أو تجد البنك الفلاني يقول لك : عندنا فتوى من لجنة تفتي بجواز هذا ، فأنت مع هذا لا تطمئن ، اللجنة أفتت بالجواز وأنت لا تطمئن ، فهذا معنى : (وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ) ، فاعلم أن عدم اطمئنانك يدل على أنك تبتعد على هذا الأمر ، وأن لا تعمل إليه ، وأن لا تركن به "

طيب ؛ بعض الناس يقول : لا ، أنا صح نفسي متضايقة ولكن العلماء أفتوا ، بعضهم أفتى بهذا ، عندهم لجنة فهم يتحملونها .

فنقول : لا ، إن ضاق صدرك و ترددت نفسك ولم تقبله فهذا دليل على أنه إثم ، فأنت مؤاخذ ومحاسب على هذا ، هم أولئك الذين أفتوا ، قد يكونون معذورين ؛ لأنهم اجتهدوا فأخطئوا ؛ لكن أنت حاك في نفسك ، وترددت ومع ذلك تتلاعب وتقول : لا أنا أعمل بهذا وهم يتحملون إثم ذلك .

فالنَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– يقول : (وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ)

– هل ما حاك في النفس هو نفس معنى تردد الصدر ؟

– أحيانا يظهر لي أن بينهما اِختلاف ، فأحيانا القلب ما يتردد ، أو ما يضطرب ؛ لكن النفس تثقل ، وأحيانا القلب يتردد ويضطرب والنفس أيضا تتردد.

فالنَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– قال : (مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ) ؛

فإذا اجتمع أن الأمر هذا حصل فيه هذه الأمور ؛ فيعلم أنه من باب الإثم ؛ وهذا الحديث من جوامع الكلم منه – عليه الصلاة و السلام – .

كنت أريد أن أدخل في (الحديث الثامن والعشرين) ؛ ولكن أكتفي بهذا القدر .

وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد و على آله وصحبه أجمعين .

وأود أن أنبه أنه في هذا الأسبوع توجد سلسلة من المحاضرات لمجموعة من المشايخ – جزاهم الله خيرا – تنقل عبر إذاعة النهج الواضح بالكويت ؛ وهذه المحاضرات بدأت بالأمس وكانت المحاضرة الأولى لفضيلة الشيخ ' خالد عبد الرحمان المصري' وكانت بعنوان (شروط لا إله إلا الله) ، واليوم المحاضرة كانت لفضيلة الشيخ 'علي سالم' وكانت بعنوان (منزلة الصحابة عند أهل السنة)

وغدا – بإذن الله – محاضرة بعنوان : (ذم التعصب الذميم) للشيخ الدكتور : فواز العوضي –حفظه الله تعالى– ، ويوم الثلاثاء محاضرة بعنوان : (خطر التعالم والمتعالمين) لمحدثكم ، ويوم الأربعاء محاضرة بعنوان : (ضرر الإعلام الكاذب على الدعوة) للشيخ الفاضل : عادل منصور الباشا –حفظه الله تعالى– ، ويوم الخميس محاضرة بعنوان : (شرف الإتباع) للشيخ الفاضل : أحمد بن حسين السبيعي – حفظه الله تعالى–

وهذه محاضرات تبث عن طريق النهج الواضح ، وهؤلاء المشايخ – حفظهم الله تعالى– الشيخ خالد عبد الرحمان المصري ، والشيخ أحمد السبيعي ، والشيخ فواز العوضي ، والشيخ عادل منصور ، والشيخ علي السالم – جزاهم الله خيرا – ؛ من المشايخ السلفيين المعروفين الناصحين أحث إخواني على سماع محاضراتهم – حفظهم الله تعالى– .

– طيب؛ هذا سؤال يقول :

– أنت أجزتنا في التجويد وفي غيره ، فهل الإجازة هذه تعني أن المجاز صالح للتدريس ؟

– الجواب :

لا ، الإجازة لا تعني أن المجاز صالح للتدريس ؛ ولكن هي من باب اتصال السند والمعتبر في الصلاح للتدريس ؛ أن يكون من يتصدر للتدريس أهل للتدريس ، وتلقى العلم الصحيح ، ويسير على منهج السلف الصالح ؛ فمثل هذا الذي يؤخذ عنه العلم والذي يصلح للتدريس .

فإذا ؛ الإجازة يستأنس بها ، فإن كان المجاز صالحًا للتدريس درس ، وإن كان غير صالح للتدريس لا يدرس ، ولذلك لا تعني الإجازة أولًا : لا تعني التزكية ؛ إلا إن كتب الشيخ المجيز أجزت الشيخ الفلاني كذا وكذا .

أما الإجازة العامة التي يجاز فيها الطلاب الذين حضروا : لا تعني التزكية ، ولا تعني أيضًا أنه صالح للتدريس .

والحقيقة يعني الكثير من الشباب السلفي يخطئ في التزكيات ، والشيء بالشيء يُذكر ، فمثلا بعضهم يقول :

- **فلان كيف يدرس؟!**

- يقول عنده إجازة

- **هل يلزم من الإجازة التزكية ؟**

الجواب :

لا ، طيب ، بعضهم مثلا يقول : الشيخ الفلاني مثلًا ذكر فلانًا وقال من إخواننا السلفيين .

- هل يلزم من كلمة "من إخواننا السلفيين" أنه عالم ؟

- لا ، هذا أنه مع السلفيين ؛ لكن لا يلزم منها أنها تزكية .

أيضًا من الأمور المهمة التي أنبه عليها وهي خطيرة جدا أن باب التزكية ، باب الجرح وباب التعديل له أهله ؛ فمن الأخطاء التي نراها أن كل إنسان أو بعض الناس يُزكون أو يُجرَّحون وهم غير أهل للتزكية أو التجريح .

ولذلك الشيخ مُحَمَّد بن هادي – الله يحفظه – مرة من المرات قيل له فلان جرح فلان قال : " فلان قولوا له يسكت ؛ ليس من أهل التجريح وليس من أهل التعديل " ؛ فهذا مثال .

فلذلك – بارك الله فيكم – علينا أن نتنبّه ، أو فلان زكاه فلان ، طيب ؛ هذا الفلان المُزكِّي ليس أهلا للتزكية ؛ لأنه –يعني– التزكية والتجريح تحتاج إلى شروط

وإلى صفات لا بد أن تتوفر في الشخص حينها يقبل التعديل ، ويقبل التجريح بدليله كما يذكر العلماء .

فإذًا ؛ من الخطأ الذي نسمعه أن بعضهم ينقل تزكيات من لا يعتبر قوله في الجرح والتعديل .

الذهبي – رحمه الله تعالى – ألَّف كتابا في بيان من يُعتبر قوله في الجرح والتعديل ومن لا يُعتبر ، والعلماء تكلموا في هذا ؛ فبعضهم يأتي ويزكي ويجرح وهو ليس أهلًا لذلك ، وأحيانًا تكون هناك أمور موانع من قبول الجرح والتعديل ؛ كالهوى ، أو الحسد ، أو أو إلخ مما يذكره العلماء .

ولذلك قالوا : " لا يقبل الجرح والتعديل من كل أحد " ؛ فلا تغتروا بمن يزكي فلان وفلان ويجرح فلان وفلان حتى تثبت قدمه في هذا الباب .

أيضًا يعني بعضهم يقول من التزكية : أن فلان القائم على الدورة شيخ .

لا ، هذا منسق إداري ،كونه ينسق للمشايخ لا يجعله شيخًا ، إلا إن كان مع تنسيقه للدورة على علمٍ ، وعلى أخذ للعلم من أهله ، فبعضهم قد يُشيِّخ من ليس بشيخ ممن يقوم على الدورات ؛ وهذا خطأ يا إخواني – بارك الله فيكم – .

هذه مزالق في باب التزكيات وباب التعديل ، يعني ذكرتها باعتبار ما جاء في السؤال من كون هل الإجازة تعتبر تزكية ، فتنبهوا – بارك الله فيكم –.

وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

الأربعون النووية

شرح فضيلة الشيخ

أحمد بن عمر بازمول

حفظه الله

الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى

- ١٤٣٧ \ ١٤٣٦ هـ

ضمن دروس معهد الميراث النبوي

-تفريغ فريق صيانه السلفي-

http://meerath.nabawee.net
https://www.facebook.com/meerath.nabawee/?ref=

الدرس التاسع عشر من الأربعين النووية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَ الحَمَدَ للهِ نَحمدُهُ , ونَسْتَعِينُهُ , وَنَسْتَغْفِرُهُ , وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا , وَمِنْ سَيِئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللهَ فَلاَ مُضِلَ لَهُ , وَمَنْ يُضّلْل فَلاَ هَادِيَ لَه , وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهِ إِلاَّ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ , وَأَشْهَدُ أَنَ مُحَمَدًا عَبْدَهُ وَرَسُولُهُ .

أَلاَ وَإِنَ أَصْدَقَ الْكَلَام كَلَامُ اللهِ , وَخَيرَ الهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ , وَشَرَ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا , وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٍ , وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٍ , وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ :

فقد توقفنا عند الحديث الثامن والعشرين من الأربعين النووية وهو ما رواه :

أَبِو نَجِيحٍ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ ﷺ : قال : "وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا، قَالَ: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُم فَسَيَرَى

اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فإن كل مُحدَثَةٍ بدْعة وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ).[1]

هذا الحديث حديث العرباض بن سارية –رضي الله عنه– من الأحاديث العظيمة التي فيها المخرج من الفتن والنجاة من الهلاك –بإذن الله تعالى– ، والتي فيها قواعد وأصول سلفيةٌ أساسية ، ومهمة جدًا ، حتى إن الأصول الستة التي ذكرها شيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهاب – رحمه الله تعالى– هي مستخرجة ومستنبطة من هذا الحديث .

قوله رضي الله عنه : (وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً)

– الموعظة : هو الكلام المشتمل على ترغيب وترهيب مع الوصاية بشيء والتذكير به .

ولذلك الموعظة في القرءان والسنة تأتي بذكر النار ترهيبًا أو ذكر الجنة ترغيبًا وتأتي في سياق ذكر ما يؤمر به العبد أو ينهى عنه ، وبهذا تختلف الموعظة عن مواعظ الصوفية ، ومواعظ الإخوانية ، ومواعظ التبليغية وغيرهم ؛ لأنها مواعظ خالية من الأحكام الشرعية ، مجرد ترغيب أو ترهيب فقط ، ثم هم يأتون بأنظمتهم وبمناهجهم وبحزبياتهم ، أمَّا الموعظة في الكتاب والسنة فهي تدعو إلى فعل أمر مع الترغيب على فعله ، أو تنهى عن فعل شيء مع التحذير والترهيب من فعله ، أيضًا الموعظة الشرعية كما قال ابن مسعود –رضي الله عنه–: (كان رسول الله –ﷺ– يتخوَّلنا بالموعظة) ، يعني : ليس دائمًا وإنَّما أحيانًا

[1]) رواه أبو داوود والترمذي وقال حديث حسن صحيح

،حتى تستجيب لها القلوب ، وحتى يكون لها الأثر ؛ لأن الواعظ كما ذكر بعض أهل العلم : الواعظ كالجلاد ،كالذي يجلد ، فالجلاد لو أنه يجلد المجلود في كل وقت ، لتبلَّد المجلود ولم يشعر مرّة أخرى بألم السياط ، ولكن لو ضربه ثمّ تركه ثمّ ضربه مرة أخرى ثمّ تركه ؛ فإنّه في كلّ مرة يشعر بألم السّياط ، كذا الموعظة لمَّا تكون في أوقات متباعدة وأوقات أيضًا مناسبة للقلوب ، ومناسبة لحال الموعوظ فإنّها تكون نافعة –بإذن الله تعالى–.

أيضًا الموعظة السّلفية كما سبق ليست ديدن الدّاعية إلى الله –عزَّ وجل– دائمًا دائمًا ، فكما في قول ابن مسعود – ﷺ – : (يتخوَّلنا بالموعظة) ، وأيضًا ذكر بعض أهل العلم ، فقال : انظروا إلى صحيح البخاري –رحمه الله تعالى– : كتاب الإيمان ، كتاب العلم ، كتاب الصلاة ، كتاب الزّكاة ، الحجّ ، إلى إلى آخره ، أربع أو خمس مجلّدات ثمّ كتاب المواعظ والرّقائق في أقل ربَّما من خمسين صفحة ؛ فأيضًا هكذا تكون المواعظ ناجحة ، ويستنُّ فيها العبد بما كان عليه النّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – وأصحابه .

قال : (وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً)

وصف أثر هذه الموعظة ، ومدى بلاغتها بقوله : (وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ) ؛ أي : خافت ؛ لأنّ الأمر ليس بالسّهل ، هناك فتن ، وهناك أمور ، وهناك اختلافات ، وهناك حقٌ ، وهناك باطل ، وهناك أهل الحق ينصرونه ، كما أنّ هناك أهل للباطل يدعمونه ويروِّجونه

، وهناك حسابٌ وجزاء ، وهناك مسؤولية تُلقَى على عاتق طالب العلم وعلى العالم ، من هنا تحمَّلوا هذه المسؤولية ، وعلموا أنّ الأمر جلل .

(وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ) :

يظهر أنّ العيون ذرفت لأنّهم استشعروا أنّ النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– حين كان يكلِّمهم كأنّه يكلّمهم كما هذه الرّواية كأنه يودَّعهم ، أي أنه سيفارقهم ، وهم يحبّون النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – ، ويفدونه بأرواحهم وآبائهم وأمّهاتهم –رضوان الله عليهم أجمعين– ؛ لذلك الصّحابة –رضوان الله عليهم– اصطفاهم واختارهم الله لصحبة نبيِّه مُحَمَّد –صلَّى الله عليه وسلَّم– فكانوا يحبّونه –صلَّى الله عليه وسلَّم– ، كان الرجل يتقدَّم أمامه حتى إذا جاء سهمٌ مغرِض تلقَّاه ولا يصيب النّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– .

فلمَّا استشعروا مفارقة النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– لهم ذرفت عيونهم ، أي دمعت ؛ وهكذا كان الصّحابة – رضوان الله عليهم – أهل خشيةٍ وتقوى لله – عزَّ وجل – ، وهذا من أثر العلم والعمل ، وأهل خوف على علمٍ ونورٍ من الله –عزَّ وجل – ؛ ولذلك على طالب العلم فضلًا عن العلماء أن تكون هذه صفتهم : الخشية والخوف من الله – عزّ وجلّ – ، أن يراقب الواحد أفعاله وأقواله ، وأن لا يظلم النّاس ، وأن لا يتسلّط عليهم ، وأن لا يؤذيهم ، وأن يعلم أنَّ كلَّ ما يعمل أو يقول هو مسجّلٌ ومكتوبٌ وسيقف عليه بين يدي الله –عزَّ و جل– ، فيخاف من الله –عزَّ وجل–.

جاء عن أبي بكر – رضي الله عنه – حين كان خليفة أنَّ رجلًا أغضبه ؛ يعني : قال له كلامًا أغضبه ، أغضب أبا بكرٍ –رضي الله عنه – ، فقال له أحد الحاضرين : "دعني أقتله" ، قال : "فكأنّما صُبَّ على أبي بكرٍ ماءً باردًا ، فكأنّما صُبَّ على أبي بكرٍ ماءًا بارد" ، فقال : (مه ، هذا كان لرسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – وليس لأحدٍ بعده) ؛ فهذا أبو بكر– رضي الله عنه – كان خليفة ولمَّا أغضبه رجل لم يؤذه ، ولم يتسلّط عليه ، ولم يسلّط عليه النّاس ، بل نهى النّاس عن التّسلّط عليه.

وهذا عمر –رضي الله عنه – جاءه رجلٌ مرة ، فتكلَّم بكلامٍ أو قال شيئًا أغضبه ، وكان خليفةً عمر –رضي الله عنه – ؛ فغضب عمر ؛ فقال له : من كان مع ذاك الرجل يا أمير المؤمنين ؟ ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [2] ، فكأنّما لم يقع شيء وسكن عمر –رضي الله عليه– .

فهكذا كان الصحابة –رضوان الله عليهم– يعملون لله ، لا لأنفسهم ، يغضبون لله ، لا لدنياهم ،ومناصبهم ، وأمورهم ، ومآربهم ، ومصالحهم ، هذه الصفة ينبغي أن تتوفر في كل مسلمٍ ، وفي طالب العلم والعلماء بالخصوص .

وكم وكم رأينا ممن لا يتّصف بهذه الصفة ؛ ولذلك أول ما يُرفع من العلم : الخشية ، الخوف من الله – عزَّ وجلّ– ، والله نرى من بعض التصرفات –نسأل الله السلامة

---

[2]) سورة الأعراف ـ الآية 199

والعافية وأن يهديننا وإياهم للصواب والحق– ، نرى بعض التصرفات من طلبة العلم لا تليق والله بعامي فضلًا عن طالب علم

– ألــــــم يُهــــذِّبك العلــــم ؟

– ألم يُربِّك العـلم علــى الأخلاق الحسنة ، وعلى الخوف من الله – عزَّ وجلّ– ، وعلى تقوى الله – عزَّ وجلّ– ؟

– أيــن أثــر العلــم ؟ أيــن الصدق في القول والعمل ؟

– أيـــن نُصــــرة دين الله ؟ لا نُصرة فلان وفلان ؟

إنّ الصحابة –رضوان الله عليهم– نصروا الحق ، نصروا كتاب الله –عزَّ وجل– ، وسنَّة الرسول–صلَّى الله عليه وسلَّم– ؛ فنصرهم الله –عزَّ وجلّ –وجعلهم ممَّن رضي عنهم ورضوا عنه ، وهكذا العلماء الربانيون يسيرون على هذا الأمر .

إذن هذه القضية وإن كانت عرضًا ذكرها العرباض بن سارية واصفًا للحال الذي كان عليه الصحابة حين وعضهم النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – إلا أننا نستفيد تلك المعاني

لابد يا إخواني ، ويا أخواتي ، لابد من تقوى الله – عزَّ وجلّ– ، لابد من محاسبة النفس ، لابد من الخوف أن نعمل لله لا لفلان وفلان .

نعم ، نحترم العلماء ونحبُّهم ونقدرهم ، ولكن لا نتعصب للباطل ، ولا نرد الحق من أجل عين فلان وفلان ، فإنّ هذا ليس من شأن السلفيين ، وإنّما هذا من حال المتعصِّبين ، الذين كنّا نسمع عن أفعالهم حينما يتعصّبون لفلان وفلان من أئمة المذهب ، فنقول :

– سبـــحان الله ، كيــف وقعــوا في ذلك ؟

وكانوا يتعصّبون لأئمة ومع ذلك كان يستنكر العلماء ، واليوم نرى بعض النّاس يتعصَّب لبعض طلبة العلم ، ويتعصَّب للباطل ، ويُقعِّد القواعد ليرد الحق –فلا حول ولا قوة إلا بالله– .

إنّ العيون والله لتذرف من حال بعض النّاس نسأل الله أن يهدينا وإياهم للصواب .

قال : العرباض –ﷺ– : (فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا)

– الوصية : هي العهد بالشيء ، والأمر بالشيء .

– يعني : أن توصي فلان بأن يفعل كذا ، وأن يُقسِّم كذا ، وأن يُترك كذا ، ونحو ذلك ، تعهد إليه بأمرٍ يفعله ، من فعلٍ أو ترك .

وهكذا كان الصحابة دائمًا يستغِّلون المناسبات في طلب كل أمرٍ يُقرِّبهم من الله –عزَّ وجلّ– .

قالوا: (يَا رَسُولَ اللَّهِ ! كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا ، قَالَ: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ – عزَّ وجلّ–)

هذه أول وصية أوصى بها النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– ، ولاحظوا أنّ الوصايا في هذا الحديث وصايا جامعة ؛ لأنّها وصية مودِّع ، والإنسان إذا ودّع أهله وأقاربه وإخوانه ، لا يذكر لهم عند الوداع كل شيء ، وإنَّما يذكر لهم عند الوداع المهم من كل شيء ، ويذكر لهم ما يخشى عليهم ضياعه ، أو يخشى أن يُضيِّعوه ، أو يخشى أن يحصل لهم شيءٌ من بعده .

فتأمَّلوا هذه المعاني ، قال : (أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ – عزَّ وجلّ–)

تقوى الله – عزَّ وجل – ، مرَّ معنا في شرح حديث معاذ : (اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ)

– معنى التقوى : وهي باختصار : أن تجعل بينك وبين عذاب الله وسخطه وقاية ، بفعل الطاعات وترك المُحرَّمات على نورٍ وهدى ، ترجو ثواب الله ، بنور من الله .

– تعمل الطاعات ترجو ثواب الله على نورٍ من الله ، وتترك السيئات تخشى عذاب الله على نورٍ من الله – عزَّ وجل – .

– وقلنا إن التقوى وصية الله للأولين والآخرين ، ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴿١٣١﴾ ﴾ [3] ، فهي وصية الله للأولين والآخرين .

وتقوى الله كما سبق في الكلام حينما تكلمتُ عن أثر الموعظة في وجل القلوب وخوفها ، وفي ذرف الدموع من العيون ؛ أنهم كانوا يتَّقون الله ، ويخافون الله – عزَّ وجل – ،

[3]) سورة النساء - الآية : 131

وتقوى الله بابٌ عظيم ،من اتصف بالتقوى كان ممن يعتبر –بإذن الله تعالى– من أولياء الله –عزَّ وجل – ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ (4)

وتقوى الله – عزَّ وجل ، باستشعار العبد لعظمة الله – عزَّ وجل – ، ومعرفة أسمائه الحسنى وصفاته العليا ، وتدَّبر معاني كتابه وسنة نبيه – صلَّى الله عليه وسلَّم – .

(أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ – عزَّ وجلّ–) :

هذا أول أمر ، وهو أمرٌ كما سبق عظيم ، يحمل صاحبه على فعل الطاعات وترك المُحرَّمات ، يحمل صاحبه على أداء الحقوق ، كم من إنسان أخذ أموالًا من بعض الناس ولم يردَّها إليهم ، ويُضيّع الأموال يمينًا وشمالًا ولا يؤدِّي المال لأهله ؛ ولا شك أن هذا ليس من تقوى الله – عزَّ وجل – ، كم من إنسان يأخذ حقوق الناس ويغصبها ولا يؤديها إليهم فهذا ليس من تقوى الله –عزَّ وجل– ، وكما سبق تقوى الله تدخل في كل أقوالك وأفعالك يا عبد الله ، تُجرِي وتُعمِل تقوى الله في أقوالك وفي أفعالك لتنجح ، ولتفوز ، وليحصل لك الفوز بالجنة ، ورضا الله –عزَّ وجل– ، ولذَّة النظر إلى الله – عزَّ وجل – أعلى نعيم الجنة ، ويحصل لك النجاة من النار ، من جهنَّم ، وما فيها من أهوال ، وما فيها من صفاتٍ لا تستطيعها أبداننا ، ولا تتحملها ؛ فلابد من تقوى الله – عز

(4) سورة يونس - الآية :62

وجل – .

ثم قال : (وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ) .

– الأمر الثاني الذي أوصى به النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– : السمع والطاعة لولاة الأمر .

– ومعنى السمع والطاعة : أنَّك تسمع وتطيع لوليِّ الأمر في العسر واليسر ، في المنشط والمكره ، ولو استأثر وليُّ الأمر ببضع الأمور ، وفضَّل نفسه وأهله وأقاربه ببضع الأمور عليك ، هذا لا يعني أنك تطعن فيه ، وأنك تخرج عليه ، وأنك تتكلم فيه .

هذا خطأ ؛ لأننا مأمورون بالصبر : (أطع الإمام وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك) .

والطاعة لولِيّ الأمر في غير معصية الله ، فإننا نسمع له ونطيع ، فإن أمرنا بمعصية ؛ فإننا لا نسمع له في تلك المعصية خاصة ، ويبقى السَّمع والطاعة له في بقية الأمور .

وليس المعنى أن وليَّ الأمر لو أمر بمعصية يسقط حكمه فلا سمع له ولا طاعة ، هذا فهم الخوارج ، هذا فهم التكفيريين ، هذا فهم الجهلاء الحزبيين ، الذين يحرِّفون النصوص عن معانيها ؛ لا ؛ إنما فقط في تلك في المعصية وأمَّا ، بقية أوامره فإننا نسمع ونطيع له في غير معصية الله – عزَّ وجل – .

قال الإمام العثيمين – رحمه الله تعالى –: (وليُّ الأمر إذا أمر بأمرٍ ؛ فهذا الأمر له ثلاثة أحوال :

– الحال الأول : أن يكون هذا الأمر مأمورٌ به في الكتاب والسنة ؛ فهنا نمتثل هذا الأمر طاعةً لله ورسوله ، ثمَّ طاعة لله ورسوله في الأمر بطاعة ولي الأمر ؛ مثل أن يأمر بالصلاة ، والصيام .

– الحالة الثانية : أن يأمر وليِّ الأمر بأمرٍ يخالف أمر الله – عزَّ وجل – ؛ فهنا لا نسمع له في ذاك الأمر على الخصوص ، لقوله – صلَّى الله عليه وسلَّم –: (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) ، أمَّا بقية أوامره فنسمع له ونطيع .

– الحالة الثالثة : أن يأمر بأمرٍ ليس في كتاب الله ما يدلُّ عليه على وجوبه ، وليس في كتاب الله ما يُحرِّمه ؛ فهنا نسمع ونطيع له ؛ لأن الله أمرنا بالسمع والطاعة " انتهى .

وبهذا الكلام نفهم خطأ بعض الناس لَمَّا يقول : إن ولي الأمر لا يُسمع له ويُطاع إلا في الأوامر الشرعية ، أمَّا في الأوامر الدنيوية ما له حكم علينا ؛ هذا خطأ هذا فهم الخوارج ، هذا فهم الإخوان المسلمين ، هذا فهم التكفيريين ، هذا فهم باطل عاطل عن الحق – بارك الله فيكم – .

(وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ) ؛ فيه فائدة هنا ذكرها الشيخ مُحَمَّد بازمول –جزاه الله خيرًا– في كلام له بمعناه يقول : تأملت السمع والطاعة فوجدت أن الطاعة طاعة لأوامر ولي الأمر ، وأن السمع معناه ؛ أننا لا نسمع في المجتمع إلا لكلام ولي الأمر ؛ يعني : بعض الناس قد يأتي ويشغِّب على ولي الأمر فلا يلتفت إليه .

– لمـــــــاذا ؟؟

– لأننا مأمورون بالسمع لولي الأمر لا لغيره ، وهذه فائدة دقيقة في هذه العصور والأعصار .

– لمـــــــاذا ؟؟

لأنه توجد جمعيات ، وتوجد يعني مؤسسات ، وتوجد جماعات في بعض البلدان تعارض أوامر وليِّ الأمر ؛ فالناس تضطرب ، وإذا كانت هذه الجمعيات وهذه المؤسسات وهذه الأحزاب متصفة بصفة شرعية مثل الإخوان وغيرهم يخدعون الناس ، فإنَّ الناس قد يقدمون كلام حزب الإخوان على كلام ولي الأمر ؛ وهذا خطأ ؛ لأن الواجب تقديم كلام ولي الأمر ، فإن هذا هو الذي أمرنا الله – عزَّ وجل – به ورسوله – صلَّى الله عليه وسلَّم – ، ولهذا قال: (وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ) ، فإن قيل :

– لماذا الرسول يذكر السمع والطاعة لوليِّ الأمر ؟

أقول جوابًا على هذا من وجوه :

– **الوجه الأول** : أن وليَّ الأمر وباب ولي الأمر هو صمَّام الأمان –بإذن الله– للمجتمع ، فلو اختَّل صمَّام الأمان هذا لظهرت الفتن ، و لسُلبت الأموال وسرقت ونهبت ، وخِيَف الطريق وعُدِم الأمن وضعف أمر الدين .

– الأمر الثاني : هذا يدل على أن هذا الباب ؛ باب وليِّ الأمر بابٌ عظيم ، سيحصل فيه اختلاف ، ويحصل فيه اعوجاج عن الحق ؛ فالنَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – نبهَّنا و وصَّانا بالسمع والطاعة ، ولا نلتفت إلى تلك الأقوال ، وإلى تلك المناهج الباطلة التي تضرب باب ولِيِّ الأمر ، وينبغي أن نعلم أن كل ولِيِّ أمرٍ في بلده هو حاكمٌ وراعٍ على رعيته ، ولهم السمع والطاعة لذاك الحاكم ، فنحن هنا في السعودية نسمع ونطيع لولِيِّ الأمر ، الملك سلمان – حفظه الله تعالى – ، وأهل مصر يسمعون ويطيعون لحاكمهم السيسي – نسأل الله أن يحفظه – ، وأهل الكويت يسمعون ويطيعون لولِيِّ أمرهم ، وهكذا أهل بلد يسمعون ويطيعون لحاكمهم .

وينبغي أن نحترم حُكَّام المسلمين ، وأن نعرف قدر هذا الباب باب السمع والطاعة لولي الأمر.

أيضًا إنّ ذكر النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– هذا الأمر –عني السمع والطاعة لولاة الأمر– ، ليدلُّ على أن السلفيين حين يتكلمون في هذا الباب ،– باب السمع والطاعة لولاة– الأمر ويبيِّنون أحكامه ، ويبيِّنون المناهج الباطلة ، إنَّما سلكوا المسلك الشرعي ؛ لأنَّ النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– وصَّانا بهذا الباب ، فكيف يأتي أصحاب تلك الجماعات والحزبيات ، كيف يأتون ويعيبون على السلفيين أنهم يداهنون الحكام ، وأنهم يجرون خلف المناصب وخلف الولاة ، وأنهم بغلة السلطان وأنهم وأنهم .. ، ويعيبون على

السلفيين تكلُّمهم في باب ولاة الأمر، يا أخي –بارك الله فيك– إنما نتكلَّم قال الله ، قال رسوله ، قال الصحابة .

أما قال أنس كما مرَّ معنا : "كان كبراؤنا من أصحاب رسول الله –صلَّى الله عليه وسلَّم– ينهوننا عن سب السلطان"

– فـــهل هـــؤلاء مـــــداهنون ؟

فانظروا –بارك الله فيكم– كيف أن تلك الجماعات والحزبيات ، وتلك البدع والضلالات ، وتلك الأمور المشينة ،كيف تتسلط على الأحكام الشرعية والنصوص الشرعية ، فتجعل معانيها غير مرضية .

إذن –بارك الله فيكم– قال : (وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ)

(وَإِنْ تَأَمَّرَ) : يعني وإن كان حصل أن الأمير عبدٌ ، جاء في بعض الروايات (مُجدَّع الأطراف) يعني : مُقطَّع الأطراف ، ما عندُه يَديْن ، وقد تكون حتى أيضًا أرجله مقطعة لكنه أمير وحاكم ، فلا نقول هذا عاجز ونخرج عليه ، هذا عبدٌ حقير ، خاصة النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– كان يخاطب عربًا أقحاح ، وكانت العرب في الجاهلية تأنَف من أن يتأمر عليها أحد ؛ لذلك كان الأمير والقوة عندهم لمن غلب ، وكانت القرية الكبيرة تأكل الصغيرة ، فلمَّا جاء الإسلام أبطل هذه الأمور كلها ، وامتثل الصحابة –رضوان الله

عليهم– أمر النَّبي –صلَّى الله عليه وسلم–، فقال لهم : (وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ) تسمعون وتطيعون .

إذًا كما يقول بعض أهل العلم : مهما كان في الحاكم من نقص ، ومهما كان في الحاكم من عيب ، فلابد من الصبر ، ولابد من السمع والطاعة، ويحرم الكلام عليه ، ويحرم الخروج عليه ، وتحرم المظاهرات والإضرابات والانقلابات ، كل هذه حرام ، كلها هذه تخالف المنهج الشرعي ، والمنهج السلفي ، والإسلام منها بريء

– لمــــــــاذا ؟

– لأن هذه الأمور لو حصلت فإن الفتن تتسلط على الناس ، ويضعف تطبيق الدين ، وتراق الدماء وتنتهب الأموال ، وتنتهك الأعراض ، ويخاف الطريق ، فلا تأمن السبل، فتن ، والحقيقة لست بحاجة لهذا الكلام ، لأن الواقع اليوم كلنا يقرؤه بدموع عينه يرى حال المسلمين في العراق وفي سوريا وفي ليبيا ، وفي اليمن ، وفي غيرها من بلاد المسلمين ؛ كيف أُريقت الدماء ، وقُتِّل الشيوخ والنساء والصبيان وأُنتهبت الأموال ، وأُنتهكت الأعراض ، وضعف أمر الدين ، وتسلط الأعداء ؛ لذلك هذه وصية مهمة وجامعة .

(وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ) [5]؛ وهذا يدل على إبطال مسألة ؛ وهي أن بعض التكفيريين ، وبعض الجماعات

– مـــاذا يفعــل ؟ ، ومـــاذا يقــول ؟

[5]) رواه أبو داوود [رقم:4607]، والترمذي [رقم:266] وقال: حديث حسن صحيح .

– يقول : " إن هؤلاء الحكام لا سمع لهم ولا طاعة " ، طيب ؛

– لمـــــاذا ؟

يقول : " لأن السمع والطاعة ؛ إنما تكون لقُرشي ؛ وهؤلاء ليسوا بقُرشيين " .

أولًا : نقول : قبحك الله

– من أين أتيت بهذا ؟ ، من أين أتيت أنه لا سمع ولا طاعة إلا للقرشيين ؟

– نعم ، ذكر أهل العلم بما دلت عليه النصوص في بعض الروايات أن الأئمة من قريش ؛ أن هذا من باب الأفضل والأكمل ، وأن هذا لو كان ؛ ولكن هذا الحديث الذي معنا (وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ) ، ورواية أخرى : (مُجَدَّعَ مُقَطَّعُ الْأَطْرَافِ) ، وعموم الروايات في السمع والطاعة لولي الأمر لا تجعل كون ولي الأمر قُرشيًا شرطًا في السمع والطاعة ؛ يعني

– مرسي كان قُرشي ؟ ، وفلان كان قُرشي حين أمرتم بالسمع والطاعة له ؟

– أم هذا فقط من باب التلاعب بالعوام ، وعقول العوام ، وممن باب تحريف النصوص ؛ فمتى كان الأمر لكم أذعنتم لها للنصوص ، ومتى كان الأمر عليكم لم تُسلموا بالنصوص ، ولم ترفعوا لها رأسًا – فإذًا ؛ هذا الحديث يدلّ على بطلان ذاك القول ؛ فنحن نسمع ونرى من بعض الناس يدندن بهذه القضية ؛ يقول : "هؤلاء لا سمع ولا طاعة لهم لأنهم ليسوا من قريش "

– نقول له: " ليس شرطًا في الإمام أن يكون قُرشيًا للسمع والطاعة ؛ متى ما تأمر ووصل إلى حكم الحاكم فله السمع والطاعة ".

وإني أختم ما يتعلق بالسمع والطاعة بقضية أنبه وأذكر بها نفسي وإخواني ؛ ألا وهي إن عثمان – ﷺ وأرضاه – زوج بنتي النبي – ﷺ – ذي النورين ، الذي قال فيه النبي – ﷺ – : (مَا ضَرَّ عُثْمَان مَا فَعَلَ بَعْدَ اليَوم) ، وقال فيه النبي – ﷺ أنه من أهل الجنة وأنه شهيد – ﷺ وأرضاه – ، مع كل هذه المكانة لهذا الصحابي الجليل – ﷺ وأرضاه – وعن جميع صحابة رسول الله – ﷺ – إذا بنا نجد أن بعض المشغبين ، والفتانين في المجتمع ؛ من الخوارج ومن غيرهم ، لما أثاروا على عثمان الكلام والفتن قُتل عثمان – ﷺ وأرضاه – ؛ قُتل مظلومًا ، وأخبر النبي – ﷺ – أنّه شهيد – ﷺ وأرضاه – ، فإذا كان عثمان بهذه المكانة بسبب الفتن ، والقلاقل ، والإشاعات ؛ سقط حكمه وقُتل – ﷺ وأرضاه – ظلمًا ..

–فاعلموا أن الإشاعات حول ولاة الأمر تُسقطهم ؛ فإياكم وإياكم وهذه الإشاعات ، وهذه الأخبار التي كثير منها كاذبة فاجرة ، وبعضها إن صح لا يلزم منها إسقاط ولي الأمر ، ولا طعن فيه ؛ بل الواجب الصبر وكراهية المعصية .

قال – ﷺ –: (مَنْ رَأَى أَمِيرَهُ عَلَى مَعْصِيَةٍ فَلْيَصْبِرْ) ، لم يقل : فليخرج ، فليضرب ، فلينقلب ، فليظاهر ، ما في مظاهرات سلمية ومظاهرات غير سلمية ؛ هذا كذب

ولعب ؛ وإنما قال : (فَلْيَصْبِرِ وَلْيَكْرَه الذِي أَتَى) ؛ يعني يكره معصية الله ، أو كما قال – عليه الصلاة والسلام – .

فإذًا ؛ تأملوا هذا جيدًا – بارك الله فيكم – .

قال : (فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا ، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيينَ ، تمسكوا بها وعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ)

قوله – صلى الله عليه وسلم – : (فَإِنَّهُ مَنْ يَعِش مِنْكُم بَعْدِي) ، – فإنه من يعش منكم يعني بعد موتي – فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا) ، هذا فيه علم من أعلام النبوة ؛ إذ في أواخر حياة الصحابة – رضوان الله عليهم – ظهرت الفتن ، ظهرت فتنة الخوارج ، وظهرت فتنة الشيعة ، وظهرت فتنة القدرية في أوائلها ؛ فهذا علم من أعلام النبوة (فَإِنَّهُ مَنْ يَعِش مِنْكُم فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا)

الاختلاف هنا كما سبق معنا في حديث (إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم كَثْرَةُ سُؤَالِهِم وَاخْتِلَافِهِم عَلَى أَنْبِيَائِهِم)[6]، سبق معنا أن :

– **الاختلاف هنا المراد به :**

– الاختلاف في الدين ، وليس المراد به فقط مجرد المعاصي والانغماس في الدنيا ؛ إنما المراد به الاختلاف في الدين .

---

[6]) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:7288]، وَمُسْلِمٌ [رقم:1337].

قال : (فَعَلَيْكُم) ؛ إذًا سيقع اختلاف ، تبديل ، مناهج جديدة ، تضييع للقواعد الشرعية والأصول السلفية ، ستقع بدع وضلالات ،

– مـــا المخــــرج ؟ ، مـــا النــــجـــاةُ ؟

– النجاة ؛ بالرجوع إلى السنة ؛ سنة النبي – صلى الله عليه وسلم – وسنة الخلفاء الراشدين ، والرجوع إلى سنة النبي– صلى الله عليه وسلم – ؛ أي إلى طريقته وإلى هديه ، وأقواله ، وأفعاله ، وشأنه كله – عليه الصلاة والسلام – .

(وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ) ؛ أي سنة أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي – ﷺ وأرضاهم أجمعين – ، فالرجوع إلى السنة وتطبيقها هو الواجب على كل مسلم ومسلمة ، وليس الرجوع إلى السنة تشغيبا كما يقوله بعض المشغبين ، وليس الرجوع إلى السنة من باب إثارة الفتن ؛ بل من باب نصرة الحق والرجوع للحق ، فبعض الناس إذا أتيته وبينت له السنة يقول :

يا أخي " لا تُشغب "

– كيـف لا تُشـــغـــب ؟

– هذا بيان للحق ، بيان للسنة ، إن كان باطلا فبيّن لي هذا الباطل ، وإن كان حقا فالواجب عليك إتباعه ؛ ولذلك من أساليب أهل الباطل الإتيان بالكلام المجمل غير المُفسَّر فيقول لك : " فلان مُشغب " طيب ؛ **إيش تشغيبه ؟** ، أثبت لي تشغيبه

– هل حرَّف النصوص ؟ هل أتى بقواعد جديدة ؟

بينها لي ، **هل طعن في العلماء ؟**

أثبته لي ، **هل مشى مع أهل الباطل ونصرهم ؟**

أطلعني عليه

أمّا تأتي بكلام مجمل ؛ ولذلك إذا أردت أن لا تظلم أحدًا فمن آتاك بكلام مجمل قل له : " بين لي ، وضحه لي ، **ما هي الأسباب ؟** "

– فالواجب إذًا ؛ الرجوع إلى السنّة والعمل بالسنة وتطبيقها ؛ ﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ ﴾[7]

فهذا من نصر الله – عز وجل –

(وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ) ؛ يعني فيما عملوا به ، وكان خلفاء لا يتقدمون على كتاب الله ولا على سنة رسول الله ، وإذا جاءهم أمر جمعوا الصحابة – أهل الشورى منهم وأهل الرأي والعقل – واستشاروهم ونفذوا أمر الله فيما يتفقون عليه .

قال : (وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ تَمَسَّكُوا بِهَا) ؛ تأتيك مغريات ، يأتيك أنك ترى الكثرة مع الباطل فتغتر نقول لك : لا، الكثرة والجماعة هي الحق وإن كنت وحدك ؛ فليست الكثرة هي الجماعة من حيث هي ؛ ولكن الحق هو الجماعة فالزم الحق وتمسك به ، ثم إن في زمن الفتن والاختلاف تعظم الفتنة حتى ينجر معها الإنسان إن لم يرحمه الله

[7] سورة محمد (7)

– عز وجل – بفضله ورحمته ، فعندها تمسك بالنواجذ ؛ يعني تمسك بها بيدك وبأسنانك تمسكًا شديدًا ؛ لأن النواجذ

من الأسنان ؛ يعني إذا قبض بها الإنسان على شيء ، عضَّ بها على شيء غالبا لا يفلت منه ، إلا أن تسقط هذه الأسنان ، أو يسقط جزء من هذا الجسم الذي قد عُضَّ فينقطع اللحم ؛ وهذا فيه الأمر بشدة التمسك .

وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال : (يأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الْقَابِضُ فيه عَلَى دِينِهِ كالقابضِ على الجَمْر) [8] ؛ من شدة الفتن وكثرة أهلها ، وغربة أهل الحق وقلة أهله ، ومع ذلك فتمسك بها ، واصبر عليها ، ومت على ذلك .

ثم قال رسول الله – ﷺ – : (وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُور) ، إن حدثت الاختلافات وحدثت الاضطرابات ، وظهرت البدع والمحدثات ، وحصل هناك الشقاق والخلاف على سنة النبي – ﷺ – ، فاجتنب واحذر المحدثات ؛ الأمور التي أحدثها الناس في دين الله – عز وجل– مما لم يكن عليه النبي – ﷺ – ولا أصحابه ، ولا دلت عليه الأدلة الشرعية (وَإِيَّاكُمْ) ، (وَإِيَّاكُمْ) ؛ أسلوب تحذير ، (إياك) بمعنى احذر ، و (إياكم) بمعنى احذروا ، احذروا الأمور المحدثة ؛ لأنها لا خير فيها .

– لمــــاذا ؟

– قال : (فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ) ؛ لأن الأمور المحدثة توقع في البدع ؛

---

8) رواه الترمذي

– **الأمـــر المحـــدث** : هو الأمر أول ما يقع ويفعله الناس على خلاف سنة الرسول ، فيقال له " أمر محدث " ، فإن استمروا عليه سمي "بدعة " ، وإن تركوه كان " أمرا محدثا "

– فإذًا ؛ قال العلماء : " الأمر المحدث هي البدعة في أول ظهورها " ؛ المحدثات والبدع كلها ضلالات وكلها في النار كما قال النبي – ﷺ – في الحديث الآخر (وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ) [9]

هذا يدل كما قال العلماء على أنه " لا توجد هناك بدعة حسنة ، وبدعة مكروهة ، وبدعة مباحة ؛ بل كلها بدع وضلالات وكلها محرمات ، وكلها في النار كما أخبر النبي – ﷺ –

إذًا –بارك الله فيكم– ؛ هذا الحديث يستحق أكثر من هذا الشرح ، ويستحق التأمل والتدبر أكثر وأكثر ؛ لأنها مجموعة من الوصايا التي أوصى بها النبي – ﷺ – أصحابه وأمتهم من بعدهم أن يسيروا عليها ، وأن يحذروا من البدع والمحدثات .

الحديث التاسع والعشرون :

وهو ما رواه معاذ بن جبل قَالَ : (قُلْت يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدْنِي مِنْ النَّارِ، قَالَ: "لَقَدْ سَأَلْت عَنْ عَظِيمٍ ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ

---

[9]) أخرجه بهذا اللفظ النسائي في سننه 188/3

، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَدُلُّك عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ، ثُمَّ تَلَا: " تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ " حَتَّى بَلَغ قوله "يَعْمَلُونَ"، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُك بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟ قُلْت: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. فقَالَ : رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ ، ثُمَّ قَالَ : أَلَا أُخْبِرُك بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ فقُلْت: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ: كُفَّ عَلَيْك هَذَا. قُلْت: يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْك أُمُّك وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ –أَوْ قَالَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ– إلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!) [10]. رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .

– هــذا الحديث العظــيم فيه فــوائــد :

– قوله – رضي الله عنه – وسؤاله للنبي – ﷺ – (يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدْنِي مِنْ النَّارِ) ؛ هذا فيه بيان ما عند الصحابة من الحرص على كل أمر يقربهم من الله وإلى جنته ، وكل أمر يباعدهم عن الله وعن ناره وسخطه ؛ فهم حريصون على تعلم ما يقربهم إلى الله ليعملوه ، وتعلم ما يباعدهم عن الله وعن ناره ليجتنبوه ويتركوه ؛ وهذا فيه أن المسلم يسأل عما ينفعه وعما يحتاجه ، ويترك الأسئلة التي لا تعود عليه بالخير .

وقوله – ﷺ – (لَقَدْ سَأَلْت عَنْ عَظِيمٍ) ؛ يعني سألتني عن أمر عظيم ؛ هذا الأمر الذي يقربك من الله ومن جنته هذا الأمر الذي يقربك من الله إن عملته ، ويباعدك عن الله إن

---

[10]) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ [رقم:2616] وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

تركته ويباعدك عن النار إن امتثلت أمر الله – عز وجل – ؛ هذا أمر عظيم وجامع ، وسؤالٌ مهم ؛ لذلك قال له النبي – ﷺ – (لَقَدْ سَأَلْت عَنْ عَظِيمٍ) ؛ وهذا أيضا فيه أن ينتبه السائل ؛ لأن السائل أحيانا يسأل ولا ينتبه للجواب فينشغل بأمر آخر ؛ ولكن لما يقول له قبل أن يجيب (لَقَدْ سَأَلْت عَنْ عَظِيمٍ) ؛ يلفت انتباهه .

– وقوله ﷺ : (وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ) ؛ يعني أن هذا الأمر وإن كان عظيمًا لكنه هو سهلٌ وميسرٌ ؛ لأن دين الله – عز وجل – دين سهلٌ وسمحٌ لا حرج فيه ولا مشقة ، ودين الله – عز وجل – فيه من الأوامر والنواهي ما يستطيعها العباد ، وشُرِع لهم عند حصول المشقة ؛ التخفيف والتيسير .

فإذًا ؛ كان هذا الدين يسيرًا على من يسره الله عليه ؛ يعني على من وفقه الله للعمل بهذا الدين بأن حبب إليه الإيمان ، وكره إليه المعاصي والكفر والفسوق والعصيان .

(وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا) ؛ يعني أول أمر :

– **التوحيد** : عبادة الله – عز وجل – ؛ لأن هذا هو الأساس الذي ينبني عليه ما بعده ؛ فإن كان التوحيد سليمًا سلِم ما بعده ، وإن نقص فيه شيء أو حصل فيه خلل فبحسبه ، وإن انتفى التوحيد كان صاحبه خالدًا مخلدًا في النار إن مات على الشرك أو على الكفر .

– ثم قال – ﷺ – (تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ) ، وتقديم التوحيد دليل على أهمية التوحيد ، وأن المسلم عليه أن يشتغل بالتوحيد دائما ؛ وهذا فيه ردٌّ على

تلك الجماعات التي تعيب على السلفيين ، وتعيب على أهل العلم كثرة اشتغالهم بالتوحيد فيقولون " توحيد ، توحيد توحيد... مليتونا ، أتونا أو أحضروا أشياء أخرى ، أو تكلموا في أشياء أخرى "

– فنقول لهؤلاء كما قال النبي – ﷺ – : (فَلْيَكُن أَوَلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله) ؛ وكما هنا (شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله) ؛ وكما هنا يدعوهم أول ما ذكر لمعاذ قال : (تَعْبُدُ اللَّهَ لا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا) ؛ فهذا يدل على أهمية التوحيد ، وقد مرّ معنا ما يتعلق بهذا الجانب .

– قال : (وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ) ؛ إقامة الصلاة بمعنى أن تصليها بواجباتها ، وأركانها ، وشروطها ، مواقيتها ، وتحافظ عليها .

(وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ) ؛ إن كان عندك مال وتحققت فيك الشروط وحال عليك الحول ؛ فإنك تخرج زكاة مالك حتى لا يكون مالك وبالا عليك وشقاء عليك يوم القيامة ؛ لأن الذي يمنع الزكاة يُعذب بها كما جاء في الأخبار ،

(وَتَصُومُ رَمَضَانَ ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ) ؛ هذه هي " أركان الإسلام " وقد مرّت معنا في حديث ابن عمر

–ثم قال : (أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ) ؛ هنا يفتح له النبي –ﷺ– زيادة على " أركان الإسلام " ، أبوابا أخرى ، وأبوابا مهمة ، فقال : (أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ) ، وهكذا المسلم يسعى للدلالة على أبواب الخير والعمل بها ، فقال – عليه الصلاة

والسلام– معلما معاذا ومعلمنا أيضا معه : (الصَّوْمُ جُنَّةٌ) ؛ يعني باب الصيام باب من أبواب الخير المهمة .

وقد جاء عن النبي –ﷺ– أنه قال لأحد الصحابة : (عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ ، أَوْ لَا مَثِيلَ لَهُ) .

وكان –ﷺ– يسرد الصوم حتى كان الصحابة يقولون : " لا يفطر " ، وكان يفطر حتى يقول الصحابة : " لا يصوم " .

(والصَّوْمُ جُنَّةٌ) ؛ يعني سترٌ لك ووقاية من عذاب الله – عز وجل – ، ومن سخطه

وأيضا (الصَّوْمُ جُنَّةٌ) ؛ بمعنى يحفظ عليك أعمالك وأقوالك ويقيك الوقوع في المعاصي ؛ ولذلك قال النبي –ﷺ– للشباب الذين لا يستطيعون النكاح : (وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ) .

قال : (وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيْئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ) ؛ يعني الصدقة كما مرّ معنا " الصدقة برهان "

– ومن فضائل الصدقة :

ما جاء في هذا الحديث أنها (تُطْفِئُ الخَطِيْئَةَ) ؛ بمعنى تطفئ الذنب وتغفره لصاحبه ، وقد مرّ معنا شيء مما يتعلق بالصدقة ، – ثم قال – ؛ ولكن لاحظ أن تشبيه إطفاء الصدقة للخطيئة بإطفاء الماء للنار فيه فوائد ؛ من ذلك

كما ذكر بعض أهل العلم : " أن الخطيئة فيها حرارة وفيها ضيق ، كما أن في النار حرارة ولهيب ، وأن في التوبة والرجوع إلى الله والحسنات والرجوع إلى الله – عز وجل فيها برود كما أن في الماء إبراد لهذه النار ".

- ثم قال -ﷺ- : (وَصَلاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ ثُمَّ تَلا : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾[11] - إلى قوله -﴿ يَعْمَلُونَ ﴾) ؛ يعني قيامه بالليل وصلاته بالليل ، (فِي جَوْفِ اللَّيْلِ) ؛ أي في أوسطه ؛ لأن هذا الوقت يكون الناس فيه نياما ، ويكون الناس فيه هدوءًا ، ويكون الإنسان فيه متعب فيترك راحته ولذته لطاعة الله - عز وجل - ، فهؤلاء الذين يؤثرون طاعة الله على راحة أبدانهم ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ ؛ يعني يرغبون في القيام أكثر من رغبتهم في النوم .

- ثم قال -ﷺ- : (أَلَا أُخْبِرُك بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّه) ، (أَلَا أُخْبِرُك بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟) ؛ يعني الذي يجمع لك كل الأمور ، (فَرَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ) .

- **والإسـلام كـما هـو معلـوم :**

الاِستسلام لله - عز وجل - بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة ، والخلوص من الشرك وأهله ، كما مرّ معنا .

(فَرَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ - أي عمود الإسلام - الصَّلَاةُ) ؛ فكأنه شبه " الإسلام " بالخيمة ، وشبه "الصلاة " بعمود الخيمة الذي لا تقوم إلا عليه .

- ثم قال : (وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ) ، (وذِرْوَةُ سَنَامِهِ) : أي أعلاه ، أعلى الإسلام "الجهاد في سبيل الله " ؛ ولكن الجهاد في سبيل الله لابد أن يكون على السنّة وعلى الطريقة الشرعية ، وأمّا ما يفعله الخوارج والدواعش والإرهابيون من التفجير ، والقتل للأبرياء ، وقتل المسلمين ، والتسلط عليهم ، والإساءة للإسلام ؛ فهذا ليس من الإسلام في شيء ، وليس من الجهاد .

---
[11]) سورة السجدة (16)

وهنا أنبه على الأئمة الذين يقولون في صلاتهم ويخدعون المصلين أن ما يحصل من الدواعش كأنه جهاد وكأنه قتال في سبيل الله ؛ فإنّ العلماء ذكروا القتال هذا في العراق من الدواعش ومن غيرهم ليس من الجهاد في سبيل الله .

– ثم قال – عليه الصلاة والسلام – : (أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ قُلْت: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ! فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ: كُفَّ عَلَيْك هَذَا. قُلْت: يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟)

هنا النبي – ﷺ – أخبر معاذا بالأمر الذي ينجيه من عذاب الله ، وبالأمر الذي يجمع له ما سبق ؛ أن يكف لسانه ، وقد مرّ معنا عند قوله – ﷺ – (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ)[12].

ومن ذلك قوله – ﷺ – : (مَنْ يَضْمَنُ لِي مَا بَيْنَ فَكَّيْهِ وَمَا بَيْنَ..) وفي رواية : (مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ فَخِذَيْهِ أَضْمَنُ لَهُ الْجَنَّةَ) ؛ يعني من يضمن لي لسانه وفمه ، ويضمن فرجه فلا يقع فيها في الحرام ويأتي ما أمره الله به ؛ فإنه يكون من أهل الجنّة .

(أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذَلِكَ) ؛ أي بالأمر الذي يجمع لك ذلك ، (قُلْت: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ)

فقال : معاذ – رضي الله عنه – : (يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟)

هنا معاذ – رضي الله عنه – تعجب ؛ لأنه يظهر أنه كان يظن أن الكلام لا يُحاسب عليه المرء ، فأخبره النبي – ﷺ – أن الناس مؤاخذون بما يتكلمون .

---

12) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:6018]، وَمُسْلِمٌ [رقم:47]

– (فَقَالَ : ثَكِلَتْك أُمُّك يَا مُعَاذ) قال العلماء : " هذا الدعاء منقبة لمعاذ ؛ لأن النبي – ﷺ – سأل الله – عز وجل – أن يجعل أيما رجل من أصحابه دعا عليه أن يجعلها له شفاعة " وأيضا قال العلماء قوله : " (فَقَالَ : ثَكِلَتْك أُمُّك يَا مُعَاذ) ؛ ليس من باب الدعاء عليه ، وإنما من عادة العرب من باب تفخيم الأمر ، ومن باب تهويله " .

فبيّن له النبي – ﷺ – أن الناس يوم القيامة يسقطون في النار على وجوهم أو على مناخرهم بسبب ألسنتهم ، وبسبب ما يتكلمون به من غيبة ونميمة ، وظلم ، وبهتان ، وقذف ؛ ولذلك اللسان كما يقول ابن حبان : " سبعٌ عقور إن فلته أهلكك ، وإن أمسكته نجوت " أو كما قال – رحمه الله تعالى – .

فهذا الحديث يبين لنا خطورة اللسان ، وكان أبو بكر – رضي الله عنه – يمسك لسانه ويقول : " هذا الذي أوردني الموارد " ؛ يعني أن اللسان يوقع الإنسان في المواطن الصعبة ، فهذا أبو بكر – رضي الله عنه – مع ديانته ، وأمانته ، وتقواه ، وخشيته لله – عز وجل – ؛ يقول عن نفسه "_ويمسك لسانه " هذا الذي أوردني الموارد " ، وهو – رضي الله عنه – من أتقى الصحابة ، ومن أورعهم ، ومن أخشاهم لله – رضي الله عنه وأرضاه – ، شهد له النبي – ﷺ – بأنه صديق ، وأنه في الجنة ، وأنه – رضي الله عنه وأرضاه – له منزلة عالية من النبي – ﷺ – ؛ فهو خليفته ،

–فكيف بنا ، وكيف بألسنتنا ما فيها من كذب ، وغيبة ، ونميمة ، وأذية ، وبهتان ؟ .

وقد جاء في حديث سمرة في رؤيا النبي – ﷺ – ما يدل على أن الذين يكذبون على الناس يعذبون في فمهم ؛ فرأى النبي – ﷺ – أن رجلا يُغرس فيه كلاليب وتشدق أشداقه ثم يعاد فقال : (مَنْ هَذَا ؟ ، فَقَالَ : هَذَا رَجُلُ يَكْذِبُ الْكَذِبَة فَتَبْلُغُ الْآفَاقَ) .

نعم رأينا من يكذب على بعض الناس كذبة فتنتشر في المجتمع خاصة مع وسائل الاتصال ، ووسائل الإنترنت ، على كل واحد أن يتقي الله وأن يحذر من أن يكذب على إخوانه وأن يفتري ، فإن الوقوف بين يدي الله – عز وجل – شديد .

أسأل الله – عز وجل – أن ينفعني وإياكم بما سمعنا ، وأن يكون حجة لنا لا حجة علينا .

وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الأربعون النووية

شرح فضيلة الشيخ

أحمد بن عمر بازمول

حفظه الله

الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى

- ١٤٣٧ \ ١٤٣٦ هـ.

ضمن دروس معهد الميراث النبوي

-تفريغ فريق صيانه السلفي-

http://meerath.nabawee.net
https://www.facebook.com/meerath.nabawee/?ref=

الدرس العشرين من شرح متن الأربعين النووية

بِسْمِ اِللهِ اِلرَّحْمَنِ اِلرَّحِيم

إِنَّ الحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

ألا وإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامِ اللهِ وَخَيْرَ الهُدى هدى مُحَمَّدٍ وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ .

أمّاَ بعد :

فقد توقفنا عند الحديث الثلاثين من الأربعين النووية ، وهو ما رواه أَبو ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ جُرْثُومِ بن نَاشِرٍ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال : (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا ، وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا ، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا ، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا).[1]

1) حَدِيثٌ حَسَنٌ ، رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيّ ، وَغَيْرُهُ .

قوله – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا)

أي أوجب –سبحانه تعالى– الصلوات الخمس والزكاة والصيام والحج ، وأوجب برَّ الوالدين وصلة الأرحام وحقوق الأبناء والأزواج وغير ذلك ؛ فهذه أمور فرضها الله – عزَّ وجل – و أوجبها .

– **والفرض :** قالوا هو الواجب مع زيادة التأكيد في الفرض ؛ لأن الفرض فيه معنى القطع ، فهو واجب وجوبًا مؤكدًا .

(فلا تضيّعوها) : أي لا تهملوها وتتركوها ، بل حافظوا عليها .

(وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا) : أي أن الله – عزَّ وجل – جعل لكل شيء حدًا ؛ فالواجب له حد بفعله وعدم تركه ، وعدم تجاوز الواجب إلى غيره ، والمُحرَّمات لها حدودها ، والمباحات لها أيضا حدودها .

فإذا المعنى أن الله – عزَّ وجل – جعل لكل شيءٍ من الأحكام حدودًا لا يتجاوزها العبد ويتعدَّاها إلى غيرها .

وقيل المعنى (وَحَدَّ حُدُودًا) : أي الحدود التي هي من باب العقوبات ؛كحد الزنى وحد السرقة ونحو ذلك ، ولكن الأول عند العلماء أظهر .

ثم قال – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا) : أي فلا تتجاوزوها ، لذلك الله – عزَّ وجل – يقول : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَعتَدُوهَا ﴾ [2]

وأيضًا في حدود الله عدم قربها ؛ ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [3] إن كانت من المُحرَّمات فتترك ، وإن كانت من الواجبات فتفعل .

(وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا) ، أي أن الله – عزَّ وجل – حرم الأمور التي هي شرٌ محض ،كالكفر والشرك والبدع والضلالات والأمور التي هي شر غالب كشرب الخمر وغير ذلك ، (فَلَا تَنْتَهِكُوهَا) أي فلا تقعوا فيها وتفعلوها .

ثم قال – عليه الصلاة والسلام – (وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ)

– **يعني :** هناك أمورٌ أوجبها الله ، وهناك أمورٌ حرَّمها الله ، وهناك أمورٌ بيَّن الله حدودها في كتابه وفي سنة رسوله ؛ فأمَّا الواجبات فتفعل ولا تُضيَّع ، وأمَّا الحدود فتعرف فلا تُتعدَّى أو يتعدَّاها المرء ، وأمَّا المحرمات فلا يقع فيها العبد ، بقيت أمورٌ سكت الله – عزَّ وجل – عنها ، والمعنى أن الله – عزَّ وجل – لم يُبيّن أمرها ، فهي من المسكوت عنها ، فلم يوجبها –سبحانه وتعالى– ولم يُحرِّمها .

(غَيْرَ نِسْيَانٍ) يعني أن الله – عزَّ وجل – كما قال : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [4] يعني : لم ينسها – سبحانه وتعالى – .

---

2) سورة البقرة - الآية 229

3) سورة البقرة - الآية 187

– طيب ، لمـــاذا لـــم يُبيّنها ؟

– رحمة للخلق ، فإنّها تترك لهم ، من فعلها فلا حرجٍ عليه ومن تركها فلا تثريب عليه .

لذلك هذه الأمور المسكوت عنها

– مـــا المـــــتوقف منــــها ؟

– قال – عليه الصلاة والسلام – : (فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا) ، لا تُنقروا ، ولا تتعمقوا ، ولا تبالغوا وتغلوا في الأمور ، تريدون أن تعرفوا أحكام كل شيء حتى ما سكت عنه –سبحانه وتعالى– غير نسيان .

فهذه تترك كما هي ، وليس المُراد أن الانسان إذا لم يعرف الحكم الشرعي ممَّا أمر الله به أو نُهى عنه أن لا يبحث عنه ؛ لأنَّ هذه الأحكام من واجباتٍ أو مُحرَّمات قد بيَّنها الله – سبحانه وتعالى– في كتابه ، وفي سنَّة رسوله –صلَّى الله عليه وسلَّم– وقال : ﴿ فَاسأَلُوا أَهلَ الذِّكرِ إِن كُنتُم لاَ تَعلَمُون ﴾ [5] ، فالعبد يعلم ويتعلَّم هذه الأحكام ، وإنَّما الأحكام المسكوت عنها هي التي لم يُبيَّن حكمها .

---

4) سورة مريم ـ الآية 64

5) سورة النحل. الآية 43

فعليك يا عبد الله أن تأخذ برحمة الله –عزَّ وجل– ،كما قال في هذا الحديث : (وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ) ، (غَيْرَ نِسْيَانٍ) ؛ لأنَّ بعض الناس كما سبق يُنقّر ويبحث ويتعمق ويريد أن يصل لحكم لم يُبيِّنه الله – عزَّ وجل – ، فهو مسكوت عنه .

وبعض الناس في المقابل أحكام الله لا يبحث عنها ، ويقول : أنا ما أدري ، وما فيه حكم ، وبالتالي الأصل في الأشياء الإباحة ، نقول له : لا ، لا تخلط بين الأمور ؛ لأن الله سكت عن أشياء رحمة لنا غير نسيان هو الذي فرض الفرائض ، وهو الذي حرَّم المُحرَّمات ، وهو الذي حد الحدود .

لذلك ينبغي للعبد أن يتقِّي الله – عزَّ وجل – ، وأن يراقب أفعاله وأقواله ، وأن يعلم أنه محاسبٌ على كل ما يفعله ، وفي هذا الحديث أنَّ الله – عزَّ وجل – هو الذي فرض وحدَّ وحرَّم وسكت ، فهو الذي –سبحانه وتعالى– بيده الأمر كله ، والرسول –صلَّى الله عليه وسلَّم– ، مبلِّغ عن الله ، فإنه – عليه الصلاة والسلام كما أخبر عن نفسه : ﴿ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثلُكُم يوحىٰ إِلَيَّ ﴾ [6] يأتيه الوحي من الله والبيان من الله .

وأيضًا هذا الحديث يدلُّ على أن الإسلام منه ما هو فرائض ، ومنه ما هو مُحرَّمات ، ومنه ما هو من باب الحدود ، وأن هناك أشياء سكت الله –عزَّ وجل– عنها غير نسيان –سبحانه و تعالى – .

6) سورة الكهف . الآية 110

ومن فوائد هذا الحديث : أن الله –عزَّ وجل– عالمٌ بكل ما يصلح العباد ، ففرضه لهم أو سكت عنهم وحدَّه لهم ، وعالمٌ – سبحانه وتعالى – بكل ما يضرُّ العباد فحرَّمه عليهم ؛ لذلك عليك يا عبد الله إذا علمت أن هذا الأمر مُحرَّم أن تعلم أنه حُرِّم لما فيه من ضرر عليك سواء علمت أو لم تعلم ، شعرت أو لم تشعر ، فإن المُحرَّمات تورث ما يضرُّ بني آدم ؛ ولذلك ذكر الله – عزَّ وجل – أن أعمال بني آدم المُحرَّمة تورث الفساد في الأرض ، وتورث نزول العقوبات ، وتورث الأمراض ، وما هذه الأمراض التي نراها في البلاد التي تنتهك حرمات الله – عزَّ وجل – إلا بسبب انتهاكها للمُحرَّمات ؛ فابتلاهم الله – عزَّ وجل – بأنواعٍ من الأمراض الفتاكة .

لذلك عليك يا عبد الله أن تعلم هذا الأمر جيدًا .

والشيخ العثيمين –رحمه الله تعالى– مثَّل لمسألة المسكوت عنه ، فقال – رحمه تعالى –، هنا مسألة ربما نعرف حكمها من هذا الحديث يسأل بعض الناس ولا سيما النساء

– هل يجوز للإنسان أن يزيل شعر الساق أو شعر الذراع أو لا يجوز ؟

– فقال : " ما ملخصه الجواب :

الشعور ثلاثة أقسام :

– الأول : ما أُمِر بإزالته

– والثاني : ما نُهِي عن إزالته

– والثالث : ما سكت عنه

فأمَّا الأول وهو ما أمر بإزالته : فمعروف كالعانة والإبط للرجال وللنساء ، والشارب بالنسبة للرجال ، فهذا مأمور بإزالته ، ولكن الشارب لا يؤمر بإزالته نهائيًا كالحلق مثلًا ، حتى إن الإمام مالك قال : " ينبغي يؤدَّب من حلق شاربه لأن الحديث : (أَحْفُوا الشَّوَارِبَ) " [7].

والثاني ما نُهي عن إزالته : كشعر اللحية بالنسبة للرجال ، فإن النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم– أمر بإعفائها ، أي اللحية ؛ فلا يحِلُّ لأحدٍ أن يحلق لحيته ، بل ولا أن ينقص منها على القول الراجح حتى ولو زادت على القبضة .

ثم قال : يمكن يُذكر مع القسم الثاني أيضًا الحواجب فقد نهى –صلَّى الله عليه وسلَّم – عن النَّمص ؛ فالحواجب لا تُزال .

والقسم الثالث بقية الشعور التي ليس فيها أمرٌ ولا نهي : فقال بعض الناس إن أخذها حرام ، ثم قال : " والذي نرى في هذه المسألة أن الشعر يبقى ولا يُحلق ولا يُقص ، اللهم إلا إذا كثر بالنسبة للنساء حتى شوه الخلقة فالمرأة محتاجة إلى الجمال والتجمُّل فلا بأس .. إلى آخر كلامه – رحمه الله تعالى – .

– فإن قيل هل النهي عن السؤال خاص بعهد النبوة أم أنه حتى بعد عهد النبوة ؟

يقول الشيخ العثيمين : " الصواب في هذه المسألة أنَّ النهي حتى بعد عهد الرسالة " يعني عهد النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– " إلا أنه إذا المراد بالبحث الاتساع في العلم كما يفعله

---

[7] أخرجه أحمد 2/16)، رقم (4654، ومسلم 1/222)، رقم (259، والترمذي 5/95)، رقم (2763وقال :صحيح .والنسائي 1/16)، رقم .(15وأخرجه أيضًا :أبو عوانة 1/161)، رقم (466

طلبة العلم فهذا لا بأس به ؛ لأن طالب العلم ينبغي أن يعرف كل مسألة يحتمل وقوعها حتى يعرف الجواب ، أمَّا إذا لم يكن كذلك فلا يبحث بل يمشي على ما كان عليه الناس ، ومن ذلك البحث عن اللحوم وعن الأجبان ، وعن ما يرد إلى البلاد من بلاد الكفار فلا تُبحث ولا تقل : **هل هذا حلال أو حرام ؟**

ولهذا قال ابن عمر – رضي الله عنه – لما سُئِل عن اللحم في السوق : " ما كان من لحم في سوقنا ، فسوف نشتريه ولا نسأل " ... انتهى .

الحديث الحادي والثلاثون :

عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ –رضي الله عنه– قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ– : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ ؛ فَقَالَ : (ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّهُ ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّهُ ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ) [8].

هذا الرجل جاء وسأل النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – هذا السؤال المهم ، وهذا الرجل صحابي ، فقوله : (جَاءَ رَجُلٌ) لا يضر أن لا نعرف اسمه ؛ لأن الصحابة – رضوان الله عليهم– كلهم عدول ، لا يتعرض لهم بسبٍ ، ولا شتمٍ ، ولا بما يُشبه النقص ، ولا بما يُشعر الذم ؛ بل كما قال النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا) [9]

8) حديث حسن ، رواه ابن ماجه]رقم[4102 :، وغيره بأسانيد حسنة

9) رواه الطبراني في "الكبير . (96 / 2) "والحديث :صححه الشيخ الألباني في "السلسلة الصحيحة . (34) "

فالصحابة – رضوان الله عليهم – كلهم عدول ، فهذا الرجل جاء إلى النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم– يسأله أن يدلُّه ويرشده على عملٍ إذا عمله أحبه الله وأحبه الناس .

ومحبة الله أمرٌ عظيم ، ومحبة الناس أمرٌ مهم ؛ لأن الإسلام جاء بالتآلف والتحابب بين المسلمين – كما سيأتينا إن شاء الله تعالى– .

فهذا بابٌ مهمٌ حتى أنَّ النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– أخبر أن من السبعة الذين يظلهم الله في ظله : (رَجُلانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ) [10]، والله أخبر أنّ : ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ [11] ، وقال – سبحانه – : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [12] ، وسيأتي هذا – إن شاء الله – ، ولكن هذه تلميحة وإشارة إلى ما سيأتي –بإذن الله تعالى– ، فمحبة الناس أمرٌ مرغبٌ فيه شرعًا لأنَّ النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – دلَّه على ما سأله عنه .

فقوله –صلَّى الله عليه وسلَّم : (ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّك اللَّهُ)

(ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا) ، بمعنى : اترك الأمر الفَضولي ، والأمر الذي لا يُحتاج إليه ، واترك من الدنيا زينتها ولهوها إلا ما تحتاج إليه ، وإلا ما يكون به قوامك ، ولا تضيّع أهلك وأولادك ، فلابد من النفقة عليهم ، ولابد من إعطائهم حقهم .

---

10) صحيح البخاري] (1/440)رقم [1423:، وصحيح مسلم] (2/715)رقم [1031 :؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه .

11) سورة الزخرف]رقم الأية. [67 :

12) سورة الحجرات]رقم الأية. [10 :

فليس معنى الزهد في الدنيا أنك تترك العمل ، وتترك السعي لرزق الأولاد ورزق الأهل ورزقك بحجَّة أنك زاهد في الدنيا ، فهذا تواكل وليس توكل ، وتأكُّلٌ ومسألة للناس وليس اعتماد على الله – عزَّ وجل – ، فلا بد من الأخذ بالأسباب ، ولكن ازهد في الدنيا .

– والزهد – كما مر معنا – : معناه ترك الفضول من أمور الدنيا ، والزهد هو المصطلح أو هي الكلمة الشرعية وهي أحسن من التصوُّف ؛ فإن التصوُّف باب شر و بلاء ، قاد إلى البدع وإلى الضلالات وإلى الوقوع حتى في الشركيات .

فلا شك أن الزهد كلمة شرعية جاءت في أحاديث النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – ، وفي استعمال الصحابة ، وفي استعمال العلماء ، فالإمام أحمد ألَّف في الزهد ، وأبو حاتم الرازي ألَّف في الزهد ، وابن المبارك أيضًا ألَّف في الزهد ، ووكيع ألَّف في الزهد ، وأسد السنة أسد ابن الفرات ألَّف في الزهد ، وغيرهم ألَّفوا في الزهد .

أمَّا التصوف فإن فيه من استعمال لفظٍ لم يأتِ به الشرع ؛ ولذلك هذا الاصطلاح : الزهد : بمعنى التقلل من الدنيا وعدم الإكثار منها .

– لمــــــــاذا ؟

– لأنَّ المرء محاسب ، فيتقلل ليقل حسابه ، ويتقلل ليشتغل بالآخرة ولا يشتغل بالدنيا ، فتكون الآخرة هي همُّه والدنيا دار ممر فيكون كالمسافر ؛

– المســافر لمَّا يســافر هل يأخذ معـــــه كل شيء ؟

– لا ، إنَّما يأخذ ما يكفيه وما يحتاجه ، ويتقلَّل قدر إمكانه من الأمور التي لا يحتاج إليها أو الأمور التي تشقُّ عليه ، كذلك يا عبد الله أنت في الدنيا مسافر ، فتقلَّل من الدنيا ليحبك الله – عزَّ وجل – ، فإنَّ الله خلقك لعبادته ، ولمَّا خلقك لعبادته لم يتركك هملًا وسدى ، بل

أرسل إليك رسولًا أمرك بالواجبات ، ونهاك عن المُحرَّمات ، وبيَّن لك الفرائض ، وحدَّ لك الحدود ، وسكت عن أشياء رحمة بك – كما مرَّ معنا – .

فالزهد لا يعني الترك لأحكام الشريعة ، لا .

– إن زهدت في المباحات ، فكيف تقع في المحرمات ؟!

– وإن تنزهت عن المكروهات وأتيت بالنوافل ، فكيف تقع في ترك الواجبات ؟!

إذًا لا بد من الموازنة ، ولا بد من الإتِّباع لهدي النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– ، كان ينام على الحصير ويؤثر عليه ، حتى بكى عمر –ﷺ– ، ولكن النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– يقول : (كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّك غَرِيبٌ) [13] ، لأنَّ النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– خيَّره ربه بين أن يكون ملِكًا رسولًا أو أن يكون عبدًا رسولًا ؛ فاختار أن يكون عبدًا رسولا .

ومرَّة أكل النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– مع أبي بكر وعمر وغيرهم –ﷺ أجمعين– ، أكل –عليه الصلاة والسلام– معهم شيئًا من الطعام ، وكانوا قبلها في جوعٍ وخرجوا من بيوتهم وهم رابطون على بطونهم الحبل والحجر ليخفِّف عنهم ألم الجوع ، حتى أضافهم من أضافهم من الصحابة –ﷺ أجمعين– ، فبعد أن انتهوا من الطعام قال لهم النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– : (إن هذا من النعيم الذي تُسألون عليه) ، كما قال تعالى : ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [14] ، ولذلك الفقراء يدخلون قبل الأغنياء بسنوات ، خمس مائة سنة ، كما جاء في الحديث عن النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم – .

---

13) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ رقم6416 :

14) سورة التكاثر - الآية :8

ولذلك كان بعض الصحابة وكان العلماء لا يحبون الدنيا ولا يقبلون عليها، وإنَّما يتقللون منها ، ولا يعني هذا أن الاشتغال بالتجارة ، وأن الاشتغال بالدنيا مع حفظ حقوق الله أنه مذموم ، لا أبدًا ؛ فإن العبد كما أخبر النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– : (لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ) وذكر من ذلك : (رجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ) [15] يعني في الخير ، فالتجارة والعمل على تقوى من الله وعلى رضى من الله هذا لا شك أيضًا أنه خيرٌ كثير ، وقد مرَّ معنا حديث : (يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ) [16]

يعني بعض الناس سبحان الله يعني ، يعني ما أدري هل أقول يتلاعب أو يتجاهل أو يتعالم ! سمه ما شئت ؛ يأتي لهذا الباب ويذم التجارة ، ويذم العمل المباح ، والعمل الذي يكسب خيرًا وكأنه أمرٌ مذموم ، كيف هذا والصحابة –رضوان الله عليهم– بعضهم كان من التجار ؛ عثمان –ﷺ– كانت له تجارات واسعة ، وعبد الرحمن ابن عوف وأبو بكر – ﷺ –وعمر كانت عندهم أموال وأراضي

– **فهل يُذمُّون ؟**

– ما هذا الهراء !

وكان بعض العلماء مع علمه يتاجر ، فما يحاول بعض الناس أن يذُّم بعض أهل العلم من كونه تاجرًا فيقول :فلان تاجر ماله وللعلم ؟ !وهل تمنع التجارة من العلم ؟ أم أنك كسول فارغٌ تظن نفسك أنك فهمت العلم ، هذا دليل على أنك لم تفهم العلم ؛ فالتجارة والرزق

---

15)متفق عليه

16) رَوَاهُ مُسْلِمٌ رقم1006 :

الحسن كما قال النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– : (نِعْمَ الْمالُ الصّالِحُ لِلرَّجُلِ الصّالِحِ)[17]أو كما قال –عليه الصلاة والسلام . –

وكان عبد الله بن المبارك من العلماء وكان من التجار الكبار ، وكان الليث من كبار التجار .

فانظروا – بارك الله فيكم –كيف أن بعض الناس تتجارى بهم الأهواء ، ويتجارى بهم الجهل ، ويتجارى بهم الحسد لإخوانهم فيذمُّوا من منَّ الله عليه بالعلم ، ومنّ الله عليه بالمال ، ويقول : فلان تاجر ، ما هو عالم ! والمقياس في العلم بالمُخْرجات ، وبأقواله وأفعاله ؛ فإن دلت على العلم فهذا دليل على العلم ولو كان يملك الدنيا كلها .

كان بعض الوزراء علماء ويؤلفون ؛ فإذا كانت مخرجاته وكانت أقواله وكانت أفعاله وكانت أموره وثناء العلماء على علميته فهذا خير على خير بفضل الله –عزَّ وجل – ، من منَّا لا يتمنى أن يكون له مال ينفق في سبيل الله على إخوانه الفقراء وعلى الأرامل وعلى اليتامى وعلى المساكين ، كلنا يتمنى ذلك فنسأل الله أن لا يفتنّا في هذه الدنيا .

فإذًا –بارك الله فيكم– (ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّك اللَّهُ)

(يُحِبُّك اللَّهُ) : وهذا فيه دليلٌ على إثبات صفة المحبة لله –عزَّ وجل– (ولَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ)[18] ، فصفة المحبة ثابتة لله –عزَّ وجل –على ما يليق بجلاله –سبحانه وتعالى. –

---

17) أخرجه البخاري

18) رواه البخاري6502 :

ثم قال : (وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ)

(يُحِبُّكَ النَّاسُ) : يعني لا تنظر إلى ما في أيدي الناس ، ولا تتدخل في شؤون الناس ممَّا هو يخصهم وليس لك سبيل إليه ، ولا تثقل على الناس بالتطَّلع إلى أحوالهم الخاصة ، ولا تسأل الناس شيئًا من المال ، بل اسأل الله –عزَّ وجل – ، واطلب من الله –عزَّ وجل – ، ولذلك الناس إن تسألها تبغضك ، والله إن سألته يعطيك وإن أطعته أحبك ، فكن مع الله عبدا خاضعًا ذليلًا راغبًا إلى الله –عزَّ وجل– ، وكن مع الناس مخالقًا لهم بخلقٍ حسن .

ومن الخلق الحسن ؛ أن تزهد فيما عندهم ؛ لأن الناس والبشر غالبًا إلا من رحم الله يتشاحُّون ، يبخل بعضهم على بعض ، فالواحد يبخل على نفسه ، أو يبخل على ولده ، أو يبخل على أهله

– فكيــــف لا يبــــخل على جيــرانه ، أو إخــوانه ، أو أصدقائه ؟

فإذا جئت تتطلع إلى أموالهم أبغضوكّ ، فعُفَّ نفسك واحفظ نفسك .

أيضًا ؛ في هذا الحديث ، إرشاد إلى أن المرء لا يشتغل ، أو لا يكثر ، من الأمور التي تؤدِّي إلى بغض الناس له ، بل يتجنبها ؛ لأنَّ النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – ذكر المال ، لكون المال أهمَّ الأمور ، ولكن كما سبق أن التدخل في شؤونهم ، ونحو ذلك ممَّا يبغضه الناس .

إذًا ؛ في هذا الحديث أيضًا ، دِلالة على أنَّ المسلم يسعى إلى أن يتعامل مع الناس بالمحبة ، والإخاء لله ، لا لدنيا ، ولا لتحقيق أغراضٍ معيَّنة ؛ لأن قوله – عليه الصلاة والسلام – لمَّا سأل ذاك الرجل أن يدلُّه على أمرٍ يحبه الله ويحبه الناس ؛ أي المحبة التي دعا إليها الشرع ، فدلَّه – صلَّى الله عليه وسلَّم – على هذا الجانب ممَّا يتعلق بالناس .

وما أجمل قول القائل :

لا تسألن بني آدم حاجةً ، واسأل الذي أبوابه لا تحجب

فالله يغضب إن تركت سؤاله ، وبني آدم حين يُسأل يغضب.

فهذا بابٌ مفتوح ، باب الله – عزَّ وجل – ، وكما مرَّ معنا في الحديث القدسي الطويل ، لمَّا ذكر الله – عزَّ وجل – أن النَّاس كلهم من أوَّلهم إلى آخرهم ، وأن الجن كلَّهم من أوَّلهم وآخرهم ، لو أنهم وقفوا في صعيدٍ واحد ، كما قال – صلَّى الله عليه وسلَّم – :

(يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، فَسَأَلُونِي ، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَته ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ.)[19] ، كما مرَّ معنا في حديث أبي ذر الغفاري الطويل .

الحديث الثاني والثلاثون :

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ سِنَانٍ الْخُدْرِيّ – ﷺ – أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: (لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ)[20] .

قوله – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ)

---

19) رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم:2577]

20) حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ ، وَالدَّارَقُطْنِيّ ، ، وَغَيْرُهُمَا مُسْنَدًا. وَرَوَاهُ مَالِكٌ فِي "الْمُوَطَّإِ" مُرْسَلًا عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى عَنْ أَبِيهِ عَنْ النَّبِيِّ – ﷺ - ، فَأَسْقَطَ أَبَا سَعِيدٍ، وَلَهُ طُرُقٌ يُقَوِّي بَعْضُهَا بَعْضًا. والحديث حسنه الألباني وغيره من أهل العلم .

قالوا : الضرر والضرار بمعنى واحد ، فيكون تأكيدًا في قوله : (وَلَا ضِرَارَ) .

وقيل : بينهما فرق :

– فـ(الضَرَرَ) : يكون من شخصٍ واحد .

– و(الضِرَارَ) يكون : من أكثر من شخصٍ يضرُّ بعضهم بعضًا ، كل واحد يضرُّ الآخر، أمَّا الأول فشخص يضرُّ أخاه ، وغيرَه .

وقيل : إن الضرر يحصل بدون قصد ، والمُضارَّة بقصد .

فالنَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – أعطانا في هذا الحديث قاعدة عظيمة ، وهذا الحديث ، من القواعد الخمسة الفقهية الكبرى ، التي تدخل في أبوابٍ كثيرة من أبواب الدين ؛ فهي تدخل في الأنكحة ، وتدخل في القضاء ، وتدخل في البيع والشراء ، وتدخل في كثيرٍ من الأحكام .

لا يجوز أن يضرَّ المسلم أخاه المسلم ، بل ولا الكافر ، لا يجوز له أن يضرَّه بغير وجهٍ شرعي ، فلا يجوز له أن يقتله – أي الكافر – ، ولا أن يأخذ ماله ، ولا أن يظلمه ، بل قال النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (اتَّقوا دعوةَ المظلوم ، و لو كان كافرًا ، فإنها مستجابة) أو كما قال – عليه الصلاة والسلام – ، وصحَّح هذا الحديث الألباني في صحيح الجامع .

لذلك الفقهاء قعَّدوا هذه القاعدة : (لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ) .

وقالوا أيضًا قاعدة أخرى مبنية عليها " الضرر يزال "

يعني : إن حصل ضرر ، فالقضاء الشرعي يزيله ، وإن حصل بين الإخوة ، وقال الأخ لأخيه : ترى أنا تضررت من هذا الأمر ، وكان له حق فيه ، فعليه أن يؤدي إليه حقه فيه .

ولا يجوز للمسلم أن يضرَّ أخاه المسلم ، ولا أن يضرَّ الزوجِ زوجته في تأخير عدَّتها ، وإمساكها لغير غرض البقاء ، بل لتطويل العدَّة ، أو مثلًا إذا حصل بينهما طلاق أن يضرَّها في أبنائها أو تضره في أبنائه ، هذا حرام يا إخواني ، حرام ، وتفريق للأولاد ، وتعذيب لهم ، وتضييع لهم .

كم وكم رأينا وسمعنا مثل هذه الأحوال ، يمسك الوالد الأولاد بنين وبنات عن أمهم بالشهور ، تبكي وتتلوى في الليل ، وتطيش نفسها ، لكن اعلم أيُّها الرجل المعذِّب لهذه المرأة أنها لو دعت عليك تصيبك دعوتها ، وكم من امرأة أمسكت أولادها ؛ ذكورًا وإناثًا عن أبيهم بالشهور ، لكن اعلمي أنك إن فعلت ذلك ظلمتِ نفسكِ ، وظلمتِ أولادكِ ، وظلمتٍ زوجكِ ، أو هذا الذي كان زوجكِ وهو أخوكِ في الإسلام ، وأنه لو دعا عليكِ أنك يصيبكِ أمر عظيم .

لا تظنوا المسألة هكذا فإننا رأينا من يتقصَّد هذا الباب ، وكأنه لا حساب ، وكأنه لا عقاب ، وكأن الدنيا دار بقاء ولا موت فيها ، أو كأننا إذا متنا لا نبعث ونحاسب ، كم من إنسان أخذ أموال الآخرين ولم يؤدها إليهم ، ويكون له المال فيضره بتأخير المال ، ولذلك النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم– ماذا يقول ؟:

(مَطْلُ الغنيِّ ظُلمٌ يحل عرضه وماله) أو كما قال –عليه الصلاة والسلام–.

وكم من أبٍ عضل ابنته ، ولم يجعلها تتزوج بالكفء فضرَّها ، إمَّا لأنها موظفة يريد مالها ، وإمَّا لأنه يبغضها ويريد الإضرار بها ، اعلم أنك محاسب على هذا .

ولذلك هذا الحديث حديثٌ عظيم ، يدخل في أحكام كثيرة من أحكام الدين ، وهو هذا الحديث قاعدة لنا جميعًا ، ينبغي أن نعرفها ، وأن نتأمَّلها (لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ) ، بل حتى جاء عن النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – في الحديث فيما معناه : أن الرجل يعني قد يحلف يمينًا ليمنع أهله من فعل شيء ؛ فإنه بهذا قد وقع في أشدِّ ممَّا لو حنث بها ؛ يعني مما لو خالفها ، وهذا كثير، يأتي بعض الأولياء أو بعض الناس أو الأزواج ، ويحلف بالله حتى لا يقع هذا الأمر ، فيقال له نريد كذا ، فيقول : لا خلاص أنا حلفت .

فلا تتخذوا الأيمان عرضة للصد عن الخير ، فـ(لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ) ، وهذا كما سبق يدخل في أبواب كثيرة ، وهو قاعدة عظيمة ، والحديث كما سبق حديث حسَّنه الألباني وغيره من أهل العلم ، وما أجدرنا أن نتأمله ، وهذا من جوامع الكلم : (لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ) ، تؤذي الإنسان في عرضه ، تؤذي الإنسان في ماله ، تؤذي الإنسان في دمه ، (كلُّ المسلِمِ على المسلِمِ حرامٌ ، دمُهُ ، ومالُهُ ، وعِرضُهُ) .

بل يقول الشوكاني – رحمه الله تعالى – في رسالة له في شرح حديث أبي ذر: (يَا عِبَادِي: إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي)[21]

يقول: " إنّ الظلم الواقع على العِرض أشدُّ من الظلم الواقع على المال ، أو على البدن بالجرح ؛ لأن المال يعوض والجرح يبرأ ، وأما الظلم الواقع على العِرض فإنه مؤلِمٌ جدا "

وكثيرٌ من الناس يتهاون بهذا الباب ، فيقذف إخوانه ، أو يشتم إخوانه ، أو يسبُّ إخوانه ويسخر منهم ، ويستهزيء بهم ، ويؤذيهم في عِرضهم ، ألا فلنتق الله في أنفسنا .

---

21) رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم:2577]

الحديث الثالث والثلاثون :

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : (لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لَادَّعَى رِجَالٌ أَمْوَالَ قَوْمٍ وَدِمَاءَهُمْ، لَكِنَّ الْبَيِّنَةَ عَلَى الْمُدَّعِي، وَالْيَمِينَ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ) [22] .

هذا الحديث من الأحاديث المُهمَّة ، التي تُغلق أبوابًا كبيرة من الظلم ، والتي تسد أبوابًا عظيمة من الفساد ، والتي تعالج كثيرًا من المشاكل .

لو أنَّ الناس امتثلوا هذا الحديث لقلَّت الفتن التي يكون سببها الكذب ، والافتراء ، أو سببها المغالطات ، أو سببها الأحقاد بين الناس .

فالنَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – يقول : (لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ)

– **يعني** : لو كل إنسان أعطيناه أي شيء يدَّعيه ، هذا يقول هذا مالي ، والآخر يقول هذه سيارتي ، والآخر يقول هذا عبدي ، والآخر يقول هذا قتل قريبًا لي وهكذا ، لو كل إنسان ادَّعى شيئًا قلنا له خذ ، وفُتح هذا الباب ، لفُتح باب شر

– لمـــــــاذا ؟

لأنَّه سيأتي كثير من الناس يدَّعون أموالًا ليست لهم ، ويأتي كثير من الناس يدَّعون دماءً لا حق لهم في المطالبة بها ، طيب .

– مـا العـــــلاج ؟ و مــــا المـــخرج ؟

---

22) حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ الْبَيْهَقِيّ في"السنن" [252/10]، وَغَيْرُهُ هَكَذَا، وَبَعْضُهُ فِي "الصَّحِيحَيْنِ".

قال النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (ولَكِنَّ الْبَيّنَةَ عَلَى الْمُدَّعِي)

– البيّنة كما يقول ابن القيم الجوزية في " إعلام الموقعين" : كل ما يُبيِّن الحق ويثبته ، ويوضحه من الشهود ، أو الكتابة ، أو وضع اليد ، ونحو ذلك .

فكل ما يُبيّن الحق يقال له بيَّنة ، وغالبًا ما تطلق البيِّنة على الشهود ، ولكن كما يقول ابن القيم : " قصر البيِّنة على الشهود فيه قصور ، بل البيِّنة في الشرع كل ما أبان الحق وأوضحه " .

فالنَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – يقول طيب أنت تدَّعي هذا الشيء هيَّا اثبت لنا بالبينة أن هذا الشيء لك وخذه ، فإن لم تُثبت ؛ مُجرَّد أنك ادعيت فلك اليمين على من ادعيت عليه .

مثاله : لو جاءنا شخص فقال هذه السيارة التي مع زيدٍ من الناس سيارتي ، يقول له القاضي : ما دليلك؟ ما بينتك على هذا ؟

يقول : هذا مثلًا استمارة السيارةّ ، هذه مثلًا عقد الشراء ، هذان شاهدان يشهدان أن السيارة لي ، طبعًا الشاهدان يكونان عدلين كما هو معروف في باب القضاء ، فإن جاء بالبيِّنة يحكم له القاضي ، ويكون طبعًا صاحب السيارة لا بينة عنده ؛ لأن لو صاحب السيارة عنده بينة تتعارض البينتان ، ويكون لها بابها في القضاء ، لكن يهمنا الآن ما في هذا الحديث ، فيأتي هذا بالبينة فيستحق ما ادعاه .

طيب : لو جاء ، قال : هذه سيارتي ، قال له القاضي : ما بينتك ؟

قال : ما عندي بينة ، لكن هذه سيارتي ، يقول للقاضي : للذي عنده السيارة وهو زيد من الناس – : " هل هذه السيارة سيارته ؟ " فإن قال : نعم أعطاه إياها ؛ لأن هذا إقرار

منه أن السيارة له ، فإن قال : " لا السيارة سيارتي أنا " فيقول القاضي : " احلف اليمين أن السيارة سيارتك " ، فإذا حلف اليمين قضى له بالسيارة ، وذاك المُدَّعي يقول لا حق لك فيه .

طيب : إن قال : لا السيارة سيارتي لكن ما أحلف ، وقال لا أحلف .

فهنا يسميه العلماء (النكول) عن الحلف ، وفيه خلاف

- هـل يحكم به للمُـدَّعي ، أو للمـدعى عليه ؟

لأنهم منهم من قال : يُحكم به للمُدَّعى عليه ؛ لأن السيارة تحت يده ، وكونه تحت يده فالبينة له .

ومنهم من قال : لا السيارة للمدعِي ؛ لأن المدَعى عليه لم يحلف .

ومنهم من قال : يرجع القاضي باليمين على المدعي ، فإن حلف استحقها و أخذها .

عـمومًا هذه تفاصيل يذكرها القضاة والفقهاء في باب القضاء ، الذي يهمنا الآن الأصل العام ، وهذا الحديث حديثٌ كما سبق مهم ، وفيه حفظ للأموال ، والدماء ، والأعراض ، وفيه أيضًا بيان القصور الذي يقع فيه بعض الناس حينما يقبل الأقوال المُجرَّدة عن البينات ، وفيه أيضًا بيان بطلان قول من يقول : " لا تسأل عن حجة فلان لا تسأل عن بينة فلان اقبل قوله " .

- لمـــاذا؟

- هـل فـلان الله جعل كلامه كله حقا ؟

- هـل فـلان مُشرّع ؟

- هــل صرنا مثــل الروافض ندَّعي العصــمة ؟

- وهـــل أصبحنا مثل الصــــوفية كالميت بين يدي المــغسل ؟

لا ، نحن سلفيون ، والسلفية تقوم على الحجة والدليل والاتباع .

لذلك هذا الحديث دليل على سلفيتِنا ، وهذا الحديث حُجَّة لمن يقول ما دليلك ؟ ، ما بينتك ؟ هذه دعوى تقول : لك مال عند فلان ، ما بينتك ؟ ، تقول : فلان قتل ، ما بينتك؟ ، تقول : فلان فاسق ، ما بينتك؟ .

لابد من البيِّنة ، فإن النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– يقول في هذا الحديث العظيم : (لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لَادَّعَى رِجَالٌ أَمْوَالَ قَوْمٍ وَدِمَاءَهُمْ) ، وكما سبق من كلام الشوكاني ، أن الأعراض الظلم فيها أشد من الظلم في الأموال ؛ فالنَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– أغلق هذا الباب .

ولذلك أخي ، ولذلك أختي – بارك الله فيكم – حتى لا تظلموا أحدًا من الناس ، نصيحةً ينصح بها العلماء دائمًا وأبدًا ، وهذا ما عليه شيخنا الإمام ربيع المدخلي –حفظه الله تعالى– ،كان دائمًا في مثل هذه الأمور إذا جاء له الآتي وقال : يا شيخ حصل كذا وكذا من فلان ، فيقول : " إئتني بالبينة ؛ إئتني بشريط له ، إئتني بكتابة له " ، ثم لا يعمل بكلامه مباشرة حتى ينظر بنفسه وينظر في البينة .

فهذا بابٌ عظيم ، فمن قال لك : فلانٌ سارق ، قل له : " ما بينتك ؟ " ، لو قال لك : فلان يشرب الخمر ، قل له : " ما بينتك ؟ " ، لو قال لك : فلان فاسق ، قل له : " ما بينتك ؟ "، أمَّا رمي الأبرياء بكل تهمة ، أو بأي تهمة ؛ هذا يا أخي ظلم .

وأنا أذكر حديثًا أو حديثين عظيمين في هذا الباب :

– **أما الحديث الأول :** فهو قول النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– : (مَن قال في مؤمنٍ ما ليسَ فيهِ ؛ أسكنَهُ اللهُ رَدغةَ الخَبالِ ، حتَّى يخرجَ ممَّا قال)[23]

وردغة الخبال : هي عصارة أهل النار ، أو كما قال – عليه الصلاة والسلام – .

فإذا قلت في مؤمن ما ليس فيه ، أنت متوعَّد بهذا الحديث ، وقد مرَّ معنا أن الحقوق بين الناس مبنية على الاقتصاص و المشاحاة ، إنَّما هي الحسنات والسيئات .

– **وأمَّا الحديث الثاني :** العظيم ، فهو قوله – عليه الصلاة والسلام – : (كفى بالمرءِ كذبًا أن يُحَدِّث بكلِّ ما سمِع)[24] ، فكل ما تسمعه ليس صوابًا أو حقًّا حتى تتحدث به وتتناقله .

فلذلك يا عبدالله النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – يقول : أنت تقع في الكذب لو نقلت كل ما تسمع دون تثَّبت وروية ، (كفى بالمرءِ كذبًا) ، من يتَّعِظ بهذا الحديث ؟ أنت سلفي ، أنتِ سلفية اعملا بهذا الحديث ، وحاسبوا أنفسكم وأقوالكم ، وقولوا هل نحن امتثلنا حديث النَّبي –صلَّى الله عليه وسلم – ، أم سلفية بالاسم وفي الفعال لا تقتدون بالنَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – ، (كفى بالمرءِ كذبًا أن يُحَدِّث بكلِّ ما سمِع) ، ستحاسب على هذا النقل ، وتكون مشاركًا للكذب .

---

23) الراوي : عبدالله بن عمر ، المحدث : الألباني ، المصدر : صحيح الترغيب الصفحة أو الرقم: 2845 ، خلاصة حكم المحدث : صحيح ؟

24) الراوي : أبو هريرة ، المحدث : مسلم ، المصدر : صحيح مسلم [المقدمة] الصفحة أو الرقم: 5 ، خلاصة حكم المحدث : [أورده مسلم في مقدمة الصحيح]

وأيضًا قول النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (أفرى الفرى أن يكذب الرجل الكذبة تبلغ الآفاق) ؛ يعني تنتشر بين الناس ، فهذا أشد الكذب والبهتان ، فاعدد يا عبد الله جوابا لمَّا تسمع ، وتنقل .

الحديث الرابع والثلاثون :

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ – ﷺ – قَالَ سَمِعْت رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ : (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ)[25]

هذا الحديث ، حديثٌ مهم ، وبابٌ عظيم من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإن النَّبي – صلىَّ الله عليه وسلَّم – يقول : (مَنْ رَأَى مِنْكُم مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ) .

هذا الحديث ، قال العلماء فيه بيان درجات إنكار المنكر .

– مــــا هــــو المنـــــكر ؟

– المنكر : الأمور المُحرَّمة ، التي نهى عنها الله ورسوله ، فكل ما حرَّمه الله ورسوله ونهى عنه فإنه منكر ، فالنَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – يقول : (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا) .

قال العلماء في قوله : (مَنْ رَأَى) فائدة ؛ وهي أن الإنسان لا ينكر الشيء دون علم به ، لأن بعض الناس قد تأتيه وتقول له كما سبق : " فلان يسرق " ، فيذهب وينكر عليه

[25]) رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم:49]

– هل ثبـــت عـــندك بالبيِّـــنة أنه ســـــرق ؟

حينها تنكر عليه ، إن لم يثبت عندك بالبينة لك أن تناصحه وتقول : يا فلان بلغني أمرٌ أريد أن أسألك عنه وهو كيت وكيت ، فإن قال : " نعم "

فقل له : "اتقِ الله واتركه " , وإن قال : " لا والله هذا ، لا ، ما أفعله "

فقل : " الحمد لله وأسأل الله له بأن تدعو له بالثبات والهداية ونحو ذلك .

أما تأتي تنكر على إنسان ، وأنت لا تعلم هذا خطأ ، تقع في ظلمه ؛ لأنه قد يكون بريئًا.

ولذلك قال العلماء النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – أشار إلى هذا الأمر : (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ)

– التغير : المعنى أن يزيل هذا المنكر بشرطٍ عند العلماء ، فمن الشروط في ذلك :

أن يكون المُنكِر على علم بأن هذا الأمر منكرًا شرعًا ؛ لأن بعض الناس قد يأتي ويحرِّم شيئا حلالًا ؛ فينكر أمرًا حلالًا أو أمرًا مكروهًا ؛ معناه ما عنده علم عندما أنكر ، فلابد من العلم .

الأمر الثاني : أن يتحقَّق من كونه من وقوع هذا المنكر بالعلم به – كما سبق – .

الأمر الثالث : أن يكون أمره بالمعروف ، ونهيه عن المنكر بحكمةٍ وموعظةٍ حسنة ، ويتعامل مع كل موقف بما يحتاج ، فقد يحتاج إلى اللين ، وقد يحتاج إلى الشدَّة ، وقد يحتاج إلى التوسط , وقد دل على كل أدلة شرعية ؛ فالذي يقول في الإنكار دائمًا باللين ، والرحمة ، والرفق ، وأن الشدَّة مطلقًا منكرة ، قوله منكر ؛ لأنه كأنه يعيب أحاديث رسول الله –

صلَّى الله عليه وسلَّم – ، وكأنه يعيب منهج السلف الصالح – رضوان الله عليهم – ؛ لأنه كما قال الشيخ بن باز وغيره من أهل العلم ، قال :

" الحكمة : وضع الأمر في موضعه ، فإن احتاج إلى لين لان ، وإن احتاج إلى توسط توسط ، وإن احتاج إلى شدة شد ، أو اشتدَّ في الأمر بحسبه " .

فليس التساهل مطلقًا شرع ، وليس الشدة مطلقًا شرع ، والأمر وسط .

وأيضًا شرط العلماء في إنكار المنكر ألَّا يترتب على إنكار المنكر منكرًا أعظم منه .

ولذلك يُذكر عن شيخ الإسلام ابن تيمية ، أنه مر مع بعض طلابه على رجلٍ من التتر من الجنود وهو سكران فقال له : " هل أنهاه عن شرب الخمر ؟ " ، فقال له ابن تيمية : " دعه فإنه إن فاق يقتل مسلمًا " ؛ فهذا إن أنكر المنكر ترتَّب عليه منكرًا أعظم منه فلا ينبغي حينها .

وكذلك أيضًا مثلًا قال العلماء في الخروج على السلطان أنه : لا يجوز لأنه غالبًا ، بل كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من أهل العلم : " أنه لا يُعلم لطائفة خرجت على سلطان إلا وترتَّب من الشر أكثر مما أرادت أن تنكره ولا يُعلم لها بقاء " أي تزول مرة أخرى .

إذًا ، (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ) ، التغير باليد للسلطان ، للحاكم الشرعي ، أو من أنابه السلطان من الشرطة ، أو القضاء ونحوهم من الجنود إذا أنابهم السلطان في فعل الأمر فإنهم يغيرون المنكر كما قال النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – :

(واغْدُ ، يا أنيسُ ! إلى امرأةِ هذا . فإن اعترفت فارجُمْها)[26]

أو كما قال عليه الصلاة والسلام أيضًا تغيير المنكر باليد يكون لوليِّ الأمر في بيته ، ويكون أيضًا إنكار المنكر باليد كما سبق للعلماء الذين عندهم القدرة عن طريق ولاة الأمر ، ونحو ذلك للتغيير فيما يكون لهم ذلك ؛ لأن بعض الأمور قد تكون من مصالح وليِّ الأمر ، فليس حق للعلماء أن يتدخلوا فيها إلا بعد مراجعة ولاة الأمر ؛ ولذلك عمر لمَّا مات القرَّاء ما راح جمع القرآن ، وإنَّما رجع إلى أبي بكر وراجعه ، رفض أبو بكر في البداية – ﷺ – فلازال عمر يراجعه حتى شرح الله صدر أبي بكر – ﷺ أجمعين – ، لمَّا رفـــض أبو بكر في البداية

– رفض لمــــاذا ؟

قال : " كيف أعمل أمرا لم يفعله الرسول – صلَّى الله عليه وسلَّم – " ، ولكن عمر – ﷺ – نظر إلى المصلحة العظيمة ، وأن هذا الأمر لا يخالف أمر الرسول ؛ لأن القرآن كان مكتوبا ، ولكن كان مُفرَّقًا ومحفوظا في الصدور ، فشرح الله صدر أبي بكر لذلك ، والنَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – يقول : (اقتَدوا باللَّذَينِ مِن بعدي أبي بَكرٍ وعُمَرَ) فما راح عمر لمَّا رفض أبو بكر ، قال : " لا وإن رفضت فأنا راح أجمع القرآن " ، مع إن القضية عظيمة ؛ القرَّاء ماتوا ، وعمر خشي على ضياع القرآن لموت حفظته ، فما راح عاند وأصر ، لا ، انتظر وراجع الخليفة ، وراجع ولي الأمر ، حتى شرح الله صدره لذلك .

---

[26] الراوي : أبو هريرة و زيد بن خالد الجهني | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم / الصفحة أو الرقم: 1697 | خلاصة حكم المحدث : صحيح

إذًا ، (فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ) ، طيب فإن لم يستطع ، ما كانت له سلطة ، أو كان هذا من خصوص وليِّ الأمر ، فيغير بلسانه.

- كيـــف يغيـــــر بلسانه ؟

- يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بالشروط السابقة ، يتألف الناس على الخير ، وينهاهم عن الشر .

قال : (فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ) الدرجة التي تليه فبقلبه ، لو كان إنسان ما استطاع أن يغير بلسانه فينكر بقلبه هذا المنكر، وشرطه عند أهل العلم أن يفارق المكان ؛ ألا يجلس في المكان الذي فيه المنكر ، يعني بعض الناس قد يكون المكان فيه ، مثلًا : شرب للدخان ، أو مثلا فيه تعاطٍ لأمر مُحرَّم كالخمر ، أو فيه مسلسلات يعني ونساء عاريات ، فيقول : "استغفر الله حرام" ، وهو جالس مكانه ، هذا خطأ قم واخرج من المكان ، وأنكر بقلبك هذا الأمر ، إن لم تستطع بيانه بلسانك ؛ والبيان باللسان كما سبق أيضًا للعلماء ولطلاب العلم ، وأيضًا حتى للعوام إذا كان عندهم علم .

مثلًا على سبيل المثال : لو أن رجلًا عاميًا رأى رجلًا يشرب الدخان ؛ وهذا الرجل العامي يعلم فتوى العلماء أنَّ الدخان حرام ؛ لأن الآيات والأحاديث بالعموم تدلُّ على تحريمه ، فله أن يبلغ هذه الفتوى ويقول : " يا أخي! الدخان حرام ؛ لأن العلماء قالوا هو حرام ؛ لأن الأدلة الشرعية تدل على ذلك ؛ يعني بعض الناس يقول : " لا أنا ما آمر بالمعروف لأني أنا إنسان عامي " ؛ وهو يعلم أن هذا حرام لا ، بلِّغ إن استطعت .

فالشيخ العثيمين – رحمه الله تعالى – قال : " العالِم وطالب العلم والعامي لهم أن يعلِّموا الناس ما علِموه " ، هو عامي لكن تعلَّم مسألة مسألتين ، لا مانع أن يعلمها لهم ، أن يذكرها لهم ".

طيب ، غيرها من المسائل التي لا يعلمها ، لا يجوز له الخوض فيها ، ليس فقط العامي ، حتى طالب العلم إذا كان لا يعلم المسألة ، لا يجوز له الخوض فيها ، ليس طالب العلم حتى العالم لو كان ما يعلم المسألة ، لا يجوز له الخوض فيها ؛ لأن التكلَّم في المسائل الشرعية بلا علم حرام كما قال أهل العلم .

قال : (فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ،) ، ينكر بقلبه (وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ) : أضعف درجاته .

ما تستطيع تتكلم تخاف على نفسك من الأذية أو نحو ذلك ؛ فأنكر بقلبك وغادر المكان ، وهذا دليل على أن الإيمان يزيد وينقص .

وهنا أنبَّه على فائدة أفادني بها أخي الحبيب الشيخ الفاضل السلفي عادل بن منصور الباشا – حفظه الله تعالى – ، أفادنا – جزاه الله خيرًا – في بعض المجالس :

أن هناك من يزيد في هذا الحديث لفظة ليست منه ، وهي : "وليس وراء ذلك مثقال ذرة من إيمان " ؛ فهذه لم ترد في الحديث ، إنما في حديثٍ آخر يتعلق بالإيمان والعمل ، فبعض الناس يقول : " فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان وليس وراء ذلك مثقال حبة خردل من إيمان " لا ، هذه الزيادة خطأ ، خطأ في هذا الحديث لكن في الحديث الآخر صحيح ، فلذلك يا عبد الله لا تزدها.

الحديث الخامس والثلاثون ، نأخذه إن شاء الله في اللقاء القادم ، أنا أطلت عليكم وأظنكم صدعتم لمَّا قلت الحديث الخامس والثلاثين ، لكن نقف هنا .

وصلَّى الله على نبينا مُحَمَّد وآله وصحبه أجمعين .

أنا آمل – إن شاء الله – أن أنتهي من الأربعين قريبا خلال الأيام القادمة –بإذن الله تعالى– ، حتى أعطي للطلاب ، والطالبات فرصة للمراجعة ، وفرصة للراحة ، وفرصة للإجازة ، فسأحاول أن أنتهي – إن شاء الله – في الأيام القادمة .

أسأل الله – عزَّ وجل – أن يرزقني وإياكم الإخلاص في القول والعمل ، وأسأله – سبحانه وتعالى – أن يتوفانا مسلمين ، وأن يلحقنا بالصالحين ، وأن يلحقنا بالأنبياء والصديقين والصالحين والشهداء .

وصلَّى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين .

والحمد لله رب العالمين .

الأربعون النووية

شرح فضيلة الشيخ

أحمد بن عمر بازمول

حفظه الله

الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى

-١٤٣٧\ ١٤٣٦ هـ-

ضمن دروس معهد الميراث النبوي

-تفريغ فريق صيانه السلفي-

http://meerath.nabawee.net
https://www.facebook.com/meerath.nabawee/?ref=

الدرس الحادي والعشرين من الأربعين النووية

بِسْمِ اِللهِ اِلرَّحْمَنِ اِلرَّحِيمِ

إِنَ الحَمْدَ للهِ نَحمدُهُ ونَستَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللهَ فَلاَ مُضِلَ لَهُ وَمَنْ يُضَلْلِ فَلاَ هَادِيَ لَه وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهِ إِلاَّ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَ مُحَمَدًا عَبْدَهُ وَرَسُولُهُ .

أَلاَ وَإِنَ أَصْدَقَ الْكَلاَم كَلاَمُ اللهِ وَخيرَ الهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٍ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٍ وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّار

أَمَّا بَعْدُ :

فقد توقفنا عند الحديث الخامس والثلاثين من الأربعين النووية ؛ وهو ما رواه أبو هريرة – رضي الله عنه– قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (لَا تَحَاسَدُوا ، وَلَا تَنَاجَشُوا ، وَلَا تَبَاغَضُوا ، وَلَا تَدَابَرُوا ، وَلَا يبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا ، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، لَا يَظْلِمُهُ ، وَلَا يَخْذُلُهُ ، وَلَا يَكْذِبُهُ ، وَلَا يَحْقِرُهُ ، التَّقْوَى هَاهُنَا ، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ : دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ) [1] .

---

1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم:2564].

هذا الحديث من الأحاديث التي فيها الحثُّ على حسن الخلق بين المؤمنين ، وإزالة كلَّ ما من شأنه أن يُحدث البغضاء والتهاجر والحقد ؛ من أمور الدنيا ، ومن مداخل الشيطان .

فقوله – صلَّى الله عليه وسلَّم– : (لَا تَحَاسَدُوا،) :

أي لا يحسد بعضكم بعضًا ؛ أي لا يتمنَّ أحدكم زوال النعمةِ من أخيه .

فإن الحسد : هو تمنِّي زوال النعمة ، سواء تمنَّاها لنفسه أن تكون له وتزول من أخيه ، أو تمنَّى زوال النعمة من أخيه مُطلقًا ؛ فهذا من الحسد المذموم .

والحاسد كما ذكر أهل العلم هو معترضٌ على قدر الله – عزَّ وجل – ، والحاسد يظلم نفسه ويظلم أخاه ؛ ولذلك النَّبي– صلَّى الله عليه وسلَّم – قال مرة :

(علامَ يحسد أحدكم أخاهُ إذا رأى أحدُكم من أخيهِ ما يسرُّه فليبرِّك) [2] أو كما قال – عليه الصلاة والسلام–

ثم الحسد داءٌ خبيث ، إذا أُبتلي به العبد أو أُبتلي بمن يحسده فإنَّه يؤذيه بهذا الداء ، ولكن المسلم عليه أن يتحصَّن من الحسد بالمحافظة على أذكار الصباح والمساء ، وبالمحافظة على قراءة الأذكار التي هي تحفظ العبد ، وآية الكرسي ، والمعوذتين ، ومثلًا :

" بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ " ثلاث مرات .

وأيضًا : " لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " مائة مرة في الصباح ، حرزٌ من الشيطان ، وتكتب له مائة حسنة ، وتمحى عنه مائة خطيئة ، فإن قالها في المساء كذلك .

---

2) الراوي : أبو أمامة بن سهل بن حنيف الأنصاري | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح ابن ماجه الصفحة أو الرقم: 2844 | خلاصة حكم المحدث : صحيح

فهذه الأذكار والآيات هي التي تحفظ العبد ، أمَّا أن يعلق خرزات ، أو أن يعلق خيوطا وتميمة ونحو ذلك ؛ فإن هذه تضعف القلب ، وتضعف الإيمان ، ولا تدفع البلاء عن العبد ، بل هي من باب الشرك إن ظن أنها تنفع وتضر .

فلذلك على المسلم أن يمتثل أمر الله – عزَّ وجل – ، والحسد يحمل الإنسان على قتل أخيه كما حسد ابن آدم الأول أخاه فقتله ، والحسد يؤدي إلى قطيعة الرحم ، ويؤدي إلى التنافر بين المسلمين ، وتحصل بينهم البغضاء والشحناء ، وأيضًا الحسد كما ذكر أهل العلم كان أول ذنبٍ عصى فيه الشيطان ربه ؛ إذ حسد آدم على ما أكرمه الله – عزَّ وجل – بسجود الملائكة .

وأخبث ما يكون الحسد لَمَّا يكون بين طلبة العلم ، فيحسد أخاه على ما وهبه الله – عزَّ وجل – من علمٍ ، أو حفظٍ ، أو قدرةٍ على الكلام ، أو ملكة في العلم لم يؤتَها ذاك الحاسد ، فيحسد أخاه على هذه النعمة .

وطالب العلم ينبغي له أن يكون مُتخلِّقًا بالأخلاق الشرعية ، وأن يكون أَولى الناس بالحذر والتحذير من الحسد ، فإن وقع بين طلبة العلم جرَّ إلى التحاسد والبغضاء ، وجرَّ إلى المعاندة ، بل كما ذكر بعض أهل العلم قد يصل الحسد بصاحبه إلى أن يردَّ النصوص الشرعية ويقع في البدع والضلالات والانحراف – نسأل الله السلامة والعافية – .

ولذلك العلماء حذَّروا من الحسد بين طلبة العلم ، وحذَّروا أن الحسد قد يكون سببًا لوقوع كلام بعض النّاس في بعض ، ولذلك بيّنوا في باب الجرح والتّعديل أنَّ الجارح والمعدِّل لابدّ أن تكون فيه شروط ، ثمّ إذا توفّرت هذه الشّروط ، إن ظهر بالقرائن الواضحة أنّ المتكلِّم إنما تكلَّم في هذا الشّخص ، عدّله وأثنى عليه لمصلحة دنيوية ومصلحة غير دينية لا يقبل تعديله ، والعكس بالعكس ، لو جرحه حسدًا ، أو جرحه لمصالح أخرى ، لا يقبل جرحه عند العلماء ؛ لأنّ الجرح والتّعديل بابان عظيمان من أبواب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر .

وكما مرّ معنا بالأمس قول النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لَادَّعَى رِجَالٌ أَمْوَالَ أناسٍ وَدِمَاءَهُمْ، لَكِنَّ الْبَيِّنَةَ عَلَى الْمُدَّعِي، وَالْيَمِينَ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ)[3] أو كما قال – عليه الصلاة والسلام– .

ولذلك العلماء ينظرون في هذا الباب ، حتّى مثلًا لو جاء رجل يخطب امرأة من رجل ، على ولي المرأة حين يسأل عن هذا الرّجل أن يتنبّه لهذا المتكلّم وهذا المسئول

– هل هو يتكلّم ديانة أم يتكلم لأجل حظّه الدّنيوي ؟

فقد يمدحه لصحبته معه وهو رجلٌ سيّء ؛ فتظلم موليتك ، ابنتك ، أو أختك .

وقد يذمّه حسدًا ، وهو رجلٌ طيب فتظلم موليتك ؛ ولذلك على الرجل أن يكون فطنًا ؛ فيسأل هنا ويسأل هنا ، ويعلم مخارج الكلام ما المراد به ، حتّى لا يظلم النّاس – بارك الله فيكم – .

ثمّ قال – عليه الصّلاة والسّلام – : (وَلَا تَنَاجَشُوا)

قبل أن ندخل لنجش ، هناك حسدٌ جائز ، وهو ما يسمّى "بحسد الغبطة "

وحسد الغبطة : هو أن يتمنَّى النّعمة التي عند أخيه مع عدم تمنّيه لزوالها ، بل يتمنَّى أن يمنحه الله وأن يرزقه الله كما رزق أخاه ، دون أن يتمنَّى زوال النّعمة ؛ فهذا يسمّى : حسد الغبطة ، أو الغبطة ، لقوله – عليه الصّلاة والسّلام – :

---

3) حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ الْبَيْهَقِيّ في"السنن" [252/10]، وَغَيْرُهُ هَكَذَا، وَبَعْضُهُ فِي "الصَّحِيحَيْنِ".

(لا حسَدَ إلَّا في اثنتَيْنِ : رجُلٍ آتاه اللهُ مالًا فسلَّطه على هلَكتِه في الحقِّ ، ورجُلٍ آتاه اللهُ الحِكمةَ فهو يقضي بها ويُعلِّمُها)[4] .

فهذا يتمنَّى أن يكون له مال فينفق مثله ، مثل ما مرّ معنا في الفقراء لمّا قالوا للنَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ؛)[5]

يعني تمنَّوا أن يكون لهم أموال ، أو يكون لهم عملًا صالحًا فيلحقوا بهم ، ف ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾[6] ، إن شاء الله رزقه ، وليعلم العبد أن الله قد يعطي العبد مالًا ، وقد يمنع عن الآخر حمايةً له من المال ؛ إذ لو أعطاه المال لفسد أو طغى ولزلّ ، وأمَّا الفقر فإنّه يكون على الطاعة ، وعلى الخير فقضاء الله وقدره للعبد كلّه خير .

ثمّ قال – عليه الصّلاة والسّلام – : (وَلَا تَبَاغَضُوا) ؛ أي لا يُبغض بعضكم.

أو قبل ذلك (وَلَا تَنَاجَشُوا) ، قوله – عليه الصّلاة وسلّم – (وَلَا تَنَاجَشُوا)

أي : لا يزد في السّلعة مَنْ لا يريد شراءها ؛ بمعنى :

أنا أريد مثلًا أن أشتري هذه السّيارة وكانت قيمتها على سبيل المثال " خمسين ألف ريال سعودي " مثلًا ، فجاء رجل آخر ، وقال : " أنا أشتريها بخمسة وخمسين ألف " ، فزاد خمسة آلاف .

– طيّب ، لمـــاذا زدت الخمس آلاف ؟

---

4) الراوي : عبدالله بن مسعود | المحدث : ابن حبان | المصدر : صحيح ابن حبان الصفحة أو الرقم: 90 | خلاصة حكم المحدث : أخرجه في صحيحه

5) رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم:1006].

6) سورة المائدة – الآية 54

والسيارة طبعًا معروضة لمن يزيد فيشتري ، ويُسمَّى السمسار ، أو يُسمَّى يعني بيع المزاد ، أو بيع من يزيد أو نحو ذلك ، فيجوز أن يزيد في السلعة من يريد شراءها ؛ وهذا جائز .

فلو أنَّه جاء هذا الشخص الآخر وزاد خمس وخمسين فعلًا ليشتريها ، فلا يعتبر هذا نجش

لأن النجش معناه في اللغة : الإثارة والتحريك والزيادة ، ومنه نَجَشَ الصوف : أي أثاره .

فإذا كان زاد في السلعة إضرارًا بأخيه ، فهو لمَّا قال بخمس وخمسين ، أنا سأقول بست وخمسين أو مثلًا بستين ، فأشتريها بستين ألف ، كنت ممكن أشتريها بخمسين ألف .

فإن قيل : طيب هذا فيه ربح للتاجر ؛ أقول : ربح للتاجر لو كان يريد هذاك الآخر شراءها ، وأمَّا إذا ما أراد شراءها وزاد في قيمة السلعة ؛ فهذا نجش ، وفيه إضرارٌ بأخيه .

والنجش : زيادة في القيمة كان متفقًا مع صاحب السلعة أو لا ، كلَّه حرام ؛ والمقصود : أن لا يؤذي المسلم أخاه بالزيادة ، بأي نوع من أنواع الزيادة ، لا في مال ، ولا في أمرٍ من أمور الدنيا بجسدٍ ، و نحو ذلك كما سيأتي .

ثم قال: (وَلَا تَبَاغَضُوا)

– يعني : لا يُبغض بعضكم بعضًا ، يعني يكره بعضكم بعضًا ، فيكون بينكم البغضاء والشحناء والحقد الدفين ، فتنتفي الأخوة ، وتنتفي الألفة والمحبة في الله ، وتضعف أواصر الأخوَّة في المجتمع ، ممَّا يُضعف المجتمع ، ويُورث الفتن والبلابلَ و التقاطع والتهاجر في المجتمع المسلم .
المسلم كما أخبر النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – كما مرَّ معنا : (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) [7] من الخير ، وأيضًا مرَّ معنا أو سمعنا كثيرًا (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ) .

---

[7] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:13]، وَمُسْلِمٌ [رقم:45]

وسيأتينا هذا – إن شاء الله – ، وأيضًا : (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)[8] ، أو كما قال – عليه الصلاة والسلام –

وقد مرَّ معنا بالأمس القريب أنَّ الأخوَّة بين المسلمين والتآلف هذا مطلبٌ شرعي ، وأمرٌ مرغَّب فيه بأدلة الكتاب والسنة ؛ فمن ها هنا نهى النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – أن يُبغضَ بعضنا بعضًا .

وقوله – صلَّى الله عليه وسلَّم –: (وَلَا تَبَاغَضُوا) ، يعني : لو جاء الشيطان وحرَّك في نفسك بغض أخيك لا تلتفت إليه ، وأزِلْ الأسباب التي تؤدي إلى البغضاء بينكم ، فإن كان مالًا فأرجعه له ، وإن كان كلامًا فاعتذرْ منه ، وإن كان سوءَ ظنٍ فبيّن له .

لأنَّ الشيطان له مداخل على الإنسان يضله ويحرفه وحريصٌ على أن يفرِّق بين الاثنين ، وأقرب الشياطين ، ومردة الشياطين للشيطان ؛ من يُفرق بين المرء وزوجه ، فهذا الذي يُحدث الطلاق بين الرجل والمرأة ، هذا حبيب الشيطان من جنوده ، ويقول له : " أنت أنت " .

فلذلك على المسلم أن يتنبَّه لهذا ، فلا يُبغض إخوانه ، ولا يقع فريسة للشيطان ، فيقع في الطلاق ثم يندم ، إذا لم يكن هناك عذرٌ شرعي ، وقناعةٌ تامة ، وبذل للأسباب فيستعجل بالطلاق فيندم ، والله – عزَّ وجل – قد جعل له مندوحة ، قد جعل له سعة من الوقت ، يختار ويفكر ويستخير فيوقع طلقة واحدة ، وأعطى له وقت ثلاث حيض ، أو ثلاثة أشهر إن لم تكن تحيض ، أو مدة حملها إن كانت حاملًا ، فيأتي الشيطان ويستعجل فيطلق ثلاث تطليقات ، وأحيانًا يُطلق ألف تطليقة ، ثلاثة تقع على قول بعض أهل العلم : "والبقية مردودة على

[8]) صحيح البخاري، برقم: (6011)، وصحيح مسلم، برقم: (2586), واللفظ له

وجهك" أيها الزوج الذي أطعتَ الشيطان كما قال بعض السلف : " والبقية مردودة على وجهك " .

فإذًا – بارك الله فيكم – هذا بابٌ مهم ، ولذلك على طلبة العلم أن يحرصوا على بثِّ مثل هذه الأمور ؛ أعني المحبة والمودة وإزالة البغضاء .

فلا يليق بطالب العلم السلفي أن يسعى بالفرقة بين إخوانه السلفيين ، ولا يليق بطلاب العلم السلفيين أن يبغض بعضهم بعضًا حسدًا ، أو لأمرٍ من أمور الدنيا ، أمَّا إن كانت البغضاء للدين ولمخالفة شرعِ الله ؛ فإن النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – لم يكن يغضب إلا إذا انتهكت محارم الله فإنه يغضب .

والنَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – أمرنا وحذَّرنا من أهل الأهواء والبدع ، وإنَّما كلامي بين الإخوة السلفيين فيما بينهم ؛ فتجد هذا يبغض هذا ، وهذا يحارب هذا

– وتسـأل مـا السبب ؟

– لا سبب ، إلا أمور دنيوية ، وإلا مداخل شيطانية ، فيفرِّقون بين الأخ وأخيه ، وبين الابن وأبيه ، ويسعون في ذلك.

فهذا لا يليق بنا نحن المسلمين عمومًا ، ونحن السلفيين خصوصًا ، – بارك الله فيكم – لابد أن نتواضع لله وأن نزيل هذه الأسباب وأن نسعى إلى الصلح والإصلاح بين المسلمين .

والإنسان إذا تنازل عن حقه فإن الله يرفعه ويعوضه بالأجر ؛ فمن تواضع لله رفعه ، (ولبيت في ربضِ الجنةِ لمن ترك المِراءَ ولو كان محقًّا)[9] .

أيضًا هذا من أسباب التباغض : المراء والجدال والتناحر بين الإخوان ، هذا يتكلَّم ؛ فتجد السلفيين في التويتر والواتس اب وفي مواقع التواصل أمام الناس ، هذا يشتم ، وهذا يؤازر وهذا يكشف أمرًا ، وهذا يطرح كلامًا . والنار تشتعل ؛ تشتعل بين السلفيين .

هل هذا امتثالٌ لأمر النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – (وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا) ، (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَكْذِبُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ،) كما سيأتينا ؟؟

– فبارك الله فيكم – ، هذه نصيحة لنفسي ونصيحة لإخواني جميعًا أن نتنبَّه لمزالق الشيطان .
سبحان الله ، أخوك يتوافق معك في المنهج ، ويتوافق معك في العقيدة ، ويتوافق معك في معاداة أهل البدع .

– لمـــاذا تكشِّر عن أنيـــابك ؟

– ولمـــاذا تغرس فيه أظفـــارك ؟

بدل أن تبتسم في وجهه فتكون بسمتك صدقة ، وبدل أن تفرّج كربه فيفرّجِ الله كربك ، وبدل أن تنفس عنه فينفس الله عنك ، كما مرَّ معنا بالحديث القريب .

– فبارك الله فيكم – هذا بابٌ عظيم ، ولعلِّي – إن شاء الله – أخصص محاضرة وكلمة عن الأخوة في تفسير قوله – عزَّ وجل – :

---

8) الراوي : أبو أمامة الباهلي ،المحدث : الألباني،المصدر :السلسلة الصحيحة . الصفحة أو الرقم: 273 ، خلاصة حكم المحدث :حسن لغيره

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ (10)

وستكون – إن شاء الله – قريبة ويتم الإعلان عنها ، وهي محاضرة في نظري مهمة ، وشيخنا الإمام ربيع المدخلي – حفظه الله تعالى – منذ أن كان في مكة وهو يسعى ويجهد ويبذل وقته وماله وصحته والله في الإصلاح بين السلفيين ، وفي نزع الفتيل – جزاه الله خيرًا – ، من إمامٍ مصلح ومن عالم ربَّاني يسعى لجمع الشتات ، ويسعى لإزالة الفرقة والخلاف ، ونحن أبناؤه ، وطلابه ، ونحبه – جزاه الله خيرًا – في الله .

علينا أن نمتثل نصيحة هذا الإمام ؛ لأنَّ نصيحته – جزاه الله خيرًا – مبنية على الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة .

كان العلماء سابقًا يتناظرون ، ويتكلَّم هذا ، ويردُّ هذا ، ثم إذا انتهى المجلس ، أخذ بعضهم بيد بعض وابتسموا وتكلموا ؛ لأن القضية ليست ذاتية ونفسية ؛ القضية لله – عزَّ وجل – .

فصحِّح نيتك يا عبد الله ، وراجع نفسك في هذه المسائل .

ثم قال – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (وَلَا تَدَابَرُوا)

– يعني : لا يعرض بعضكم عن بعض فيعطي هذا دبره ؛ أي ظهره ، وهذا دبره ؛ أي ظهره ، فيرى أخاه المسلم فلا يقبل عليه ، يعطيه ظهره وينصرف حتى لا يكلمه ولا يسلم عليه ولا يحصل بينهما كلام ، هكذا يستجيب هذا المعرض لما يمليه الشيطان ، ولما يؤزُّه به عدوه من شياطين الإنس والجن ؛ لا تكلِّم فلان ، لا تصالحه ، شُدَّ عليه ، يتمنى له كذا ، يا أخي هذا أخوك ، هذا أخوك المسلم ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (11)

---

9) سورة الحجرات - الآية : 10

11) سورة الحجرات – الآية 10

﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [12]

هذا أخوك ، لماذا تقل لأخيك الآخر شدَّ عليه ، وافعل به كذا ، ولا تسامحه ، واتركه كذا ، وتكلَّم عليه أمام الناس ، ويعني وحذِّر منه ؟

أخوك هذا ؛ عندك شيء خطأ بيِّن له وانصحه ، ليس مبتدعًا ولا ضالًا ، بيّن له الحق ، وادعه إلى الحق ، وانصحه ، أين قوله – عزَّ وجل – ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [13] ،

– أيـــن التواصـــي علـــى الحق ؟!

– أيـــن الصـــبر علـــى ذلك ؟!

لك أجرٌ عند الله – عزَّ وجل – إذا نصحت أخاك فاهتدى وترك الباطل ، لك أجرٌ عند الله – عزَّ وجل – في هذا الأمر .

– لماذا نستجيب للشياطين ، ونتدابر ونتقاطع – بارك الله فيكم – ؟؟

ولذلك شوفوا النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – نهى عن الأسباب التي تؤدي إلى أذية الآخرين كالحسد ، ونهى عن الأسباب التي تؤدي إلى التباغض كالتناجش ، ثم نهى عن التباغض نفسه ، ثم نهى عن آثاره ونتائجه وثماره كالتدابر .

يعني قطع كل طريق لقطع أواصر الأخوة بين المسلمين ، وأنت يا عبد الله تهجر أخاك وتؤذيه ، وتسعى لمقاطعته وعدم الاتصال به ، بل ترى اتصاله ولا تتواصل معه لغير عذر شرعي ، فهذا لا شك يخالف حديث النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – .

---

12) سورة الفتح - آية 29

13) سورة العصر

وأيضًا التدابر ؛ لَمَّا يراك هذاك أنَّك أدبرت عنه يزداد غيظًا ، ويزداد حقدًا وبغضًا

– فلمـــــــاذا؟!

– لمـــاذا تدبر عن أخيك – بارك الله فيكم – ؟

ثم قال – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ)

يعني : أراد – صلَّى الله عليه وسلَّم – أنّ المسلم إذا اشتري أخاه سلعة لا يذهب لصاحب السلعة ، طبعًا يشتري السلعة وما قبضها ما استلمها ، فيذهب إلى صاحب السلعة ، فيقول له : " اعطني ، أو أنا أشتري منك هذه السلعة التي بعتها لفلان بعشرين ، أنا أشتريها منك بخمسة وعشرين " ، فيعطيه ثمنًا أكثر ؛ طبعًا فلان البائع لو باعه والثاني علم

– مــــا الذي يحصـــل ؟

– يحصل البغضاء والتدابر والشحناء وربما المقاتلة ، لا يجوز أن تبيع على بيع أخيك ، كما ولا يجوز كما قال العلماء : لأن لفظ البيع يشمل البيع ويشمل الشراء ، وقد جاء : " ولا يشتري بعضكم على شراء أخيه " .

ولا يجوز أيضًا العكس ؛ لو أخوك اشترى السلعة بثلاثين ريال ، فلا تأتي إليه وتقول له أنا أعطيك سلعة أحسن منها بخمسة وعشرين ، فإنَّ هذا لا يصلح ، وهذا مثال ؛ يعني كل أمر يؤدي إلى البغضاء ، ويؤدي إلى الأذية ، ويؤدي إلى الشحناء ، فلا تفعله يا عبد الله ؛ لأنه هذا نهي ، (لَا تَدَابَرُوا) نهي ، (لَا تَبَاغَضُوا) نهي ، (لَا تَحَاسَدُوا) نهي ، (وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ) هذا أيضًا نهي .

والنهي يقتضي التحريم ؛ يعني ليس أمرًا مكروهًا يثاب تاركه ولا يعاقب فاعله ، لا ، هذا أمرٌ محرم.

ولذلك النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال : (دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض)[14] ، كما قال – عليه الصلاة والسلام –

ثم قال – عليه الصلاة والسلام – ، وهذه الخلاصة والنتيجة والثمرة : (وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا) ، يعني : إذا أزلتم الأسباب التي تؤدي إلى التخالف ، وإلى المقاطعة ، والمدابرة و و و... إلى آخره ؛ فكن أخًا لأخيك المسلم ، فأنتم عباد الله ؛ هذا تذكير .

تذكير بأننا عباد لله ، والله الذي أمرنا بالأخوَّة ، ونهانا عن كلِّ ما فيه سبيلٌ لقطع الأخوة ، كما قال الله – عزَّ وجل – في سورة الحجرات ؛ لَمَّا ذكر – سبحانه وتعالى – قوله :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ [15] ؛ فإنَّه – سبحانه وتعالى –

– مـــاذا قـــال بعد أن أمـــر بالصلح بين الأخـــوين ؟

قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ﴾ [16] .

ما يجوز لك أن تقول لأخيك يا دبة أو يا أعور أو يا أسود ، أو مثلًا إذا كان طويل ونحيف مثلًا فتقول : " يا مسواك " أو " يا عصا " .

---

12) الراوي : جابر بن عبدالله | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: 1522 | خلاصة حكم المحدث : صحيح

15)سورة الحجرات - آية 10

16) سورة الحجرات - آية 11

فما يجوز مثل هذه الألقاب السيِّئة التي تؤذي بها أخاك المسلم ؛ فإن هذا الكلام يجرح الفؤاد والقلب ، ويحدث البغضاء و الشحناء والحقد بين المسلمين ، ومثل ما يقولون العامّة : لا تخفف دمك وتستسهل هذا الكلام ، (فإن الإنسان قد يقول الكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا فتهوي به في النار سبعين خريفا) [17] أو كما قال– عليه الصلاة والسلام – تؤذيه بكلامٍ تجرحه .

وكما قال النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – لمعاذ ، حين سأله معاذ – ﷺ – ، لمَّا قال النَّبي لمعاذ : (أولا أدلك على ملاك ذلك كله ؟ كف عليك هذا ، وأمسك بلسانه) ، قال معاذ : أئنا لمؤاخذون بما نتكلم به يا رسول الله ؟ قال : (ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يكُب الناس على مناخرهم أو قال على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم) [18]

فتنبَّه يا عبد الله ، واحذر من سخط الله ، واحذر من الأمور التي تؤدي إلى القطيعة ، وتؤدي إلى التنافر بين المسلمين وإلى التدابر والتقاطع .

(وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا) ، شوف –بارك الله فيكم– ، انظروا :

(كُونُوا) : أمر ، والأمر يقتضي الوجوب ؛ يعني أخوك إن لم تحبه فلا تبغضه فلا أقلَّ من أن تعامله بحق أخوة الإسلام فلا تؤذه ولا تبغضه ، ولا تتسبب في إيذائه ولا تشعره بالبغض ؛ لأنه أخوك ؛ فأخوَّة الدين أقوى من أخوَّة النسب ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [19] – بارك الله فيكم – .

---

17) يقول صلى الله عليه وسلم" :رب كلمة يقولها العبد لا يلقي لها بالا تهوي به في النار سبعين خريفا] "سنن الترمذي الزهد(2314) ، سنن ابن ماجه الفتن(3970) ، مسند أحمد بن حنبل[(2/533)

18) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه

19) سورة الحجرات – الآية 10

ثم قال – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، لَا يَظْلِمُهُ) الآن يترتب ويذكر أمور مهمة :

(لَا يَظْلِمُهُ) ، لا يتسبب في ظلمه ، ولا يعين على ظلمه ، بل المسلم ينصر أخاه ويذب عن أخيه ؛ فإنَّ النَّبي – صلَّى الله عليه وسلمَّ – قال : (من ذبَّ عن عرض أخيه ، ذبَّ الله عن وجهه النار يوم القيامة) [20] أو كما قال – عليه الصلاة والسلام – .

فإياك وظلم إخوانِك ، أو السعي في ظلمهم ، ولا تعن يا عبد الله من كان ظالمًا في ظلمه ، ولا تتسبب يا عبد الله في ظلم إخوانك ؛ فتعلم أن فلانًا لو علم أن فلانًا قال كذا أو عمل كذا فإنه يظلمه ويؤذيه ، يأخذ ماله أو يضربه أو يشتمه أو يحذر منه ظلما وعدوانا ، فلا تفعل هذا .

بعض الناس – نسأل الله السلامة و العافية – كالأطفال لا عقول لهم ؛ يسمع الشيء يروح ينقله لفلان وفلان ممَّا يؤدي إلى الفرقة والشتات ، كالطفل لا يميز بين الصالح والطالح ، بل ربما الطفل ما نقل مثل هذه الأمور وهذا يسعى لنقلها ، فهؤلاء نذكّرهم بأحاديث النميمة فـ (لا يدخل الجنة قتّات) أي : نمّام – بارك الله فيكم – .

فلذلك قال : (لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ)

يعني : ينصره ؛ فإذا رآه مظلومًا نصره إن استطاع ، كلٌّ على حسب قدرته ، فإن لم يستطع نصرته فلا يعن على ظلمه وخذلانه ، فلا يعن على ظلمه وإخوانه وخذلانه ، ولا يسلمه للأعداء ولا يمكنهم منه ، بل يحاول نجدته ويحاول نصرته ويحاول دفع الأذى عنه .

– لمـــــــاذا ؟

– لأنه أخوك .

---

20) من ذب عن عرض أخيه المسلم ذب الله عنه النار يوم القيامة (رواه الترمذي من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

– أخـــــــوك في إيـــش ؟

– أخوك في الدين ، وأخوَّة الدين أقوى من أخوة النسب .

قال : (وَلَا يَخْذُلُهُ) ولذلك جاء في حديث (انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا ، قالوا : يا رسول الله إذا كان مظلومًا معلوم كيف ننصره ، ولكن كيف إن كان ظالمًا ؟ قال : تمنعه من الظلم) [21] أو كما قال – عليه الصلاة السلام – .

ثم قال : (وَلَا يَكْذِبُهُ) ؛ أي لا تكذب عليه في المعاملة ، ولا تعِن على الكذب عليه ، بل تكن معه صادقًا وتحب له ما تحب لنفسك من الخير .

ثم قال : (وَلَا يَحْقِرُهُ) ؛ أي لا يزدريه ، ولا يشينه ، ولا يقلل من أمره ؛ لأنَّ المسلم عند الله عظيم ؛ فعظمة المسلم كما جاء عن ابن عمر : " نظر يوما إلى الكعبة فقال ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة منك ".

ففي غاية المرام للإمام الألباني : نظر عبد الله بن عمر يوما إلى الكعبة فقال ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة منك حسن أخرجه الترمذي وابن حبان .

قال الإمام الألباني : حسن.

فلذلك – بارك الله فيكم – يقول النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (وَلَا يَكْذِبُهُ) يعني لا تكذب عليه ولا تعن على الكذب عليه ، قال : (وَلَا يَحْقِرُهُ) – كما سبق – .

ثم قال – عليه الصلاة والسلام – : (التَّقْوَى هَاهُنَا)

---

[21]) قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم) : - انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، فقال رجل : يا رسول الله ، أنصره إذا كان مظلوماً ، أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره ؟ قال تحجزه ، أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره (رواه البخاري

يعني : الباعث على التقوى ، والعبرة في أمر التقوى ليس أن تتظاهر بالخشوع وقلبك لا خشوع فيه ، ولا أن تتظاهر بالورعِ والتقوى وقلبك قلب ذئبٍ ، كما يُظهر بعض الناس نفسه بأنه مشفقٌ على إخوانه لا يحب أكل مالهم ولا يحب إيذائهم وهو كالأفعى وكالعقرب من أسفل ؛ يؤذيهم ويلعب عليهم .

فإن : (التَّقْوَى هَاهُنَا) في القلب ، أشار النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – إلى صدره ؛ ولذلك جاء في الحديث عن النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) [22] أو كما قال – عليه الصلاة والسلام – .

ثم – كما مر معنا – (أَلّا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ) [23].

ثم قال – عليه الصلاة والسلام – : (بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ)

يعني : لو ما عنده ذنب إلا حقران وازدراء والاستهانة بأخيه المسلم لكان هذا شرًا عظيمًا.

فلا تحقر أخاك ، بل أحبه في الله ؛ لأنه ولو كان فقيرًا مُعدمًا ، ولو كان ضعيفًا مفلسًا فهو مسلم أولًا وآخرًا مؤمن بالله .

،أما قال النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (رُبَّ أشعث مدفوعٍ بالأبواب لو أقسم على الله لأبره) [24] ، أي لاستجاب له ، يعني ربما إنسان فقير الناس ما تستقبلوا ربما تطردوا من الأبواب لفقره وكون ثيابه مُغبرّة ، يعني : بالية ، (لو أقسم على الله لأبره) لاستجاب دعاءه لأن قلبه مليء بالإيمان .

---

[22]) أخرجه مسلم (11 / 8)و ابن ماجه (4143)و أحمد (539 / 2)و أبو نعيم في "الحلية (98 / 4) "و البيهقي في "الأسماء و الصفات) "ص . (480

23) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ] رقم[52: ، وَمُسْلِمٌ] رقم.[1599:

24) رواه مسلم

قال : (بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ")

يعني : يحرم عليك أن تعتدي على أخيك في دمه بجرحٍ أو قتل أو قطع ، ويحرم عليك أن تعتدي على أخيك في ماله – كما مرَّ معنا – ، ويحرم عليك أن تعتدي على أخيك في عرضه ، بأن تذُّمه وهو ليس بمذموم ، أو تسبه وتؤذيه في غيبته ، أو تقدح فيه بأنه سارق ، أو يفعل الفواحش ، أو أنه ليس بكذا وكذا وهو بريء .

فاعلم أنك إن كنت ظالمًا أنك محاسب ، وإن كنت مستهينًا بأعراض الناس فأيضًا محاسب ، لا يجوز لك أن تتكلم في عرض الناس إلا بحجةٍ وبرهان ، على حسب ما أجازه الشرع من أبواب الغيبة الستة ، أمَّا غير ذلك فلا .

وأنبّه على أمرٍ مهم :

فإنَّ بعض الناس قد يُعدِّلُ أشخاصًا يستهين في باب التعديل وهذا خطأ ، فإنه كما لا يجوز أن تجرح إلا بحجة وبجرحٍ مفسَّر ، كذلك لا يجوز أن تُعدِّل إلا من كان مستحقا للعدل والعدالة والتعديل ؛ فإن هذا ظلم أن تزكي المجروحين ظلم ، وأن تجرح المعدَّلين ظلم ، والعدلُ أن تزكي المُعدَّل وتجرح المجروح .

الحديث الثالث والثلاثون :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – ﷺ – قال : قال رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ الله عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِما سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاَللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ ؛ إلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ

السَّكِينَةُ ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ ، وحفَّتهم المَلائكَة ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ) .[25]

هذا الحديث متمِّمٌ للحديث السابق ، ففي الحديث السابق فيه نهيٌ عن بعض الأمور القبيحة والذميمة ، وفي هذا الحديث أمر ببعض الأمور الطيبة النافعة للفاعل ولإخوانه ، وهذا الحديث – كما قال العلماء – هو دليل على قاعدة الجزاء من جنس العمل .

فقال – عليه الصلاة والاسلام – : (مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ)

أيِّ مؤمن ، بعض الناس ما يشتغل إلا بأناس معينين من أقربائه مثلًا ، أو بأناسٍ معينين من حزبه وجماعته ، أمَّا إخوانه الآخرين فلا يُعن مع قدرته على إعانتهم ؛ فهذا خطأ لأنَّ كلهم إخوانك ، إذا استطعت أن تنفس عن أي أحد من إخوانك فنفِّس عن كربته .

والكربة : هي الشدة والضيق .

فإذا وجدت أخاك في كرب وضيق إمَّا لقلة مال ، وإمَّا لعدم العمل ، وإمَّا لبعض الأمور التي يحتاج فيها إلى النصح والتوجيه والإعانة فتنفِّس عنه بكلام يريحه فلا تبخل على أخيك ، فإن نفست عنه في الدنيا فإن الله ينفس عنك كربة من كرب يوم القيامة ؛ أجر عظيم على عمل يسير جدا .

ماذا تخسر لو نفست عن أخيك كربة ؟ فسددت عنه دينًا ، أو قضيت له أمرًا ، أو أعنته على أمر كان يُحدِث له الضيق والتعب والكربة فنفستها عنه – بارك الله فيكم – .

ثم قال : (وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)

---

[25]) رواه مسلم بهذا اللفظ رقم[269:

يعني : إن جاء أو إن كان لك مال على إنسانٍ معسر ، وجاء وقت سداد هذا المال ، وهو ما عنده ، فقلت له : أنا أؤجلك إلى السنة القادمة ، أو إلى شهرين أو ثلاثة ، أو إلى أن ييسرها الله لك ؛ فإن الله ييسر لك أمورك في الآخرة والدنيا.

كما جاء عن رجل ممن كان قبلنا ، كان يعطي الناس أموالًا ، وكان يُنظِر المعسر ويتصدق عليهم ، فذكر النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – أن الله يسَّر عليه كما يسَّر على الناس في الدنيا ،
ولاحظ أن الله يُيسر عليك في الدنيا والآخرة وهذا كثير من الناس يحب التيسير في الأمور ؛ فإذا أردت أن تتيسر أمورك فيسِّر أمور الناس .

أيضًا المعسر ليس فقط أن يكون يعني ممَّن لك دين عليه ، قد يكون على شخصٍ آخر فتعينه على السداد أو تشفع له على التأخير .

ثم قال : (وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ) ، هذه عامة ، في كل الأمور ، في كل أمرٍ تنفع به أخاك تيسر له أمرًا يصعب عليه ، تدله على أمر يحصل له به الخير ، تعينه على أموره ، فالله يكن في عونك يا عبد الله إن كنت في عون أخيك .

و(وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِما سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) أي : أي أن أخاك لو وقع في أمر محرج ، وهذا الأمر خاص به ولا يتكرر ، فلا داعي لفضحه ونشره بين الناس وهتك عرضه .

وهنا لا بد أن نذكر أن الواتس آب والتويتر والفيس بوك اتخذه بعض الناس ذريعةً ووسيلةً لفضح إخوانه ، وذكر ما يكون في المجالس الخاصة ، وضرب بعضهم ببعض ؛ فلا شك أن هذا ما ستر على أخيه المسلم ، فإن الواجب على المسلم أن يستر على إخوانه في غير معصية الله – عزَّ وجل – ، وأن يسعى لإصلاحهم فيحب لنفسه ما يحب لإخوانه .

– هل ترضى أنت إذا فعلت أمرًا في الخاص أن يأتي أحد فينشره في الملأ ؟

لا ترضى ، تغضب وتشتم وتقول وتقول ، ثم تفعل أنت الأمر الذي غضبت فيه لنفسك لكن لم تغضب فيه لغيرك ، فاتق الله يا عبد الله في نفسك .

ثم قال : (وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ) هذا فيه ترغيبٌ في طلب العلم ، وفي سلوك طريق العلم ؛ فإن العلم هو إرث الأنبياء ، فإن الأنبياء لم يورثوا درهمًا ولا دينار ، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر .

وقوله – عليه الصلاة والسلام – : (وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِما سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)

بيَّنتُ أن المراد فيما يكون من أمورٍ خاصة بالشخص ، ولا تعود بالضر على المجتمع ، ولكن إذا كان الانسان عنده مثلا قضايا إرهابية ، أو مخدرات ، أو يأتي بأمر لإثارة البلبلة وإثارة الفتن في المجتمع ، والخروج على السلطان ، أو أن يتلاعب بأعراض النساء ، أو أن يكوِّن عصابة ليسرق الأموال ، أو أي أمر يكون فيه ضرر على الناس ؛ فالواجب إبلاغ ولاة الأمر عنهم ، والسعي لكف شرِّهم بالطرق الشرعية .

فإن هذا ليس من باب النميمة وليس من باب الأذية ، بل هذا واجب شرعًا ، كما ذكر العلماء وقرَّروه في كتبهم ودروسهم ، أن الإبلاغ وأن السعي لقطع دابر المفسدين في الأرض أمرٌ واجبٌ على من كان مستطيعًا أن يبلغه لولاة الأمر أو نوابهم ليقيموا شرع الله فيه .

ثم – كما سبق – أن طلب العلم يسهل طريقا إلى الجنة ؛ لأنه يتعلم الخير فيفعله ويتعلم الشر فيجتنبه .

" تعلمت الشر لا للشر ولكن لتوقيه ومن لا يعلم الخير من الشر يقع فيه " .

وكان حذيفة يسأل النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – عن الشر مخافة أن يدركه ؛ فالعلم نافعٌ لأصحابه يدفع الظلم ويدفع الجهل .

وقد مرَّ معنا ما يتعلق بطلب العلم في بعض دروس المعهد ، ثم قال – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ ؛ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ ، وحفّتهم الملائكة ، وَذَكَرَهُمْ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ)

أي من الأمور المرغَّبة أن يجتمع قومٌ في مجلس يذكرون الله ؛ لأنهم لو ما ذكروا الله وقاموا من ذاك المجلس من غير ذكر الله إلا كان ذلك المجلس عليهم حسرة وتِرة يوم القيامة ، حيث قال النبي – ﷺ – : (ما اجتمع قوم في مجلس ثم قاموا عنه ولم يذكروا الله إلا كان عليهم حسرة أو ترة) أو كما قال – عليه الصلاة والسلام – .

فهؤلاء يجتمعون في بيتٍ من بيوت الله في المساجد ، ليس في الغارات ، ولا في الكهوف ، ولا في الظلمات ، ولا في ريبة ، ولا في تخطيط وتنظيمات ؛ وإنَّما يقرؤون كتاب الله – عزَّ وجل – يتدارسونه بينهم ، قراءةً ، تعلُّمًا ، وتفهمًا لمعانيه ، إن كان هناك من يعلمهم القراءة ومن يعلمهم معانيه .

ولاحظ أن النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – يقول : (وَيَتَدَارَسُونَهُ)

يعني : يتشاركون في مدارسته ، هذا يقرأ ثم هذا يقرأ وهذا يقرأ ، ولم يقل يقرءُونه جماعةً ؛ لذلك العلماء نبهوا على أن القراءة الجماعية بدعة ، ليست مشروعة .

قال : (إِلَّا نَزَلَتْ)

– مــا الـــــذي يحصـــــل لهم ؟

– يحصل لهم هذه الأربعة أمور :

الأمر الأول :

قال : (إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ) ؛ أي الطمأنينة والهدوء .

(وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ) ؛ أي غطتهم الرحمة أو علتهم الرحمة .

(وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَة) ؛ أي حفوا حول الحلق ؛ لأن الملائكة يبحثون عن حلق الذكر ، فالملائكة تحف بهم ؛ أي تحيطهم وتسمع لهم ، (وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَة) .

إذًا ؛ أولًا : (نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ) ، (وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَة) ، (وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ) .

ورابعًا : وهو أعظمها (وَذَكَرَهُمْ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ) ؛ أي في الملأِ الأعلى وهذا شرف عظيم ، هذا شرف عظيم .

قال العلماء مدارسة القرآن تكون : "للعمل به ، ولحفظه ، وتعلم قراءته ، وتلاوته ، وتكون لتدبره ".

ثم قال – عليه الصلاة والسلام – مُعطيًا قاعدة عظيمة :

(مَنْ أَبَطْأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ) ؛ يعني – عليه الصلاة والسلام – أن العبرة بالعمل الصالح والتقوى ، فتعلو درجة العبد بفضل الله ورحمته ، والعبرة أيضًا بالعمل السيّئ فيحاسب العبد على عمله السوء ، فلا يرفع ذو النسب فوق قدره إن لم يكن له عملٌ صالح ، وإن لم يكن يستحق الرفعة ، ولا يُظلم الفقير أو المسكين ، أو الذي لا يُعبأ له إذا كان تقيًا ؛ فالنَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – ذكر أن ساق ابن مسعود وكانت دقيقة (أنها أثقل في الميزان من جبل أحد) أو كما قال – عليه الصلاة والسلام – .

فهذه الجملة من هذا الحديث مهمة جدًا ، علينا جميعا أن نتدبرها ، كما قال النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (يا فاطمة بنت مُحَمَّد إليك عني ، لا أغني عنكِ من الله شيئًا ، يا صفية عمة مُحَمَّد إليك عني لا أغني عنكِ من الله شيئًا) [26] أو كما قال – عليه الصلاة والسلام – .

فـ (مَنْ أَبَطْأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ) إن أردت الدرجات العلى ، وأردت أن تفوز بالنعيم والجنة فاعمل العمل الصالح واجتنب العمل السيء .

26) الراوي:-المحدث :ابن تيمية -المصدر :مجموع الفتاوى - الصفحة أو الرقم 27/435 : ، خلاصة حكم المحدث : صحيح

الحديث السابع والثلاثون

وهو ما رواه ابن عباس – رضي الله عنهما – ، عن رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فيما يروي عن ربه –تبارك وتعالى– ، أي حديث قدسي .

– **والقدسي :** ما كان لفظه ومعناه من الله .

(إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ له سَيِّئَةً وَاحِدَةً) رواه البخاري ومسلم [27]

هذا الحديث يُبيِّن لنا سعة رحمة الله وفضله على عباده ، ويُبيِّن لنا أنَّنا فقراء إلى الله –عزَّ وجل– ، والله غنيٌ عنَّا .

فالله – عزَّ وجل – بين أنه كتب وقدَّر في اللوح المحفوظ ، وكذا كتب أو أمر الملائكة أن تكتب هذا الأمر على بني آدم في الحسنات والسيِّئات .

(وبَيَّنَ ذَلِكَ) ؛ يعني بيَّن كيف يكون الجزاء في الحسنات والسيئات .

(فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ) ؛ أي أراد أن يفعل الشيء ، الهم هنا ليس التفكير في الشيء ، إنما إرادة فعل الشيء ، (فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا) أراد أن يعملها لكن شُغِل عنها ، أو عجز عنها لأمرٍ ما ، فمثلًا أراد أن يصلي الضحى فجاءه ضيف ، هو قام ليتوضأ أو توضأ وأراد أن يصلي الضحى ، فجاءه ضيف ففتح الباب فشغل به تكتب له حسنة : هذه رحمة من الله .

– **لمـــاذا كتبت له حسنة ؟**

27) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ]رقم[6491:، وَمُسْلِمٌ]رقم[131:، في "صحيحيهما "بهذه الحروف .

لأنه هم أن يفعل فمن سعة فضل الله – عزَّ وجل – كتب له الحسنة ، والحسنة هنا ليست حسنة مبعَّضة أي نصف أو ثلث ، قال : (حَسَنَةً كَامِلَةً) ؛ يعني وإن لم يفعلها إلا أن بهمِّه لها كتبت له حسنة كاملة .

قال : (وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ – عزَّ وجل – عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ) ؛ إذا همَّ بها فلم يعملها حسنة واحدة ، أمَّا إن عملها ، عمل الحسنة فإنَّ الله يكتبها له عشر حسنات ، ويضاعفها إلى سبعمائة ضعفٍ إلى أضعافًا كثيرة كما يشاء – سبحانه وتعالى – ، وهذا من سعةِ رحمته ومن فضله – سبحانه وتعالى – ، هذا جانب الحسنات .

وأمَّا جانب السيئات فـ (إِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً) ، (هَمَّ بِسَيِّئَةٍ) ؛ أي أراد أن يفعلها وأراد أن يعملها ولكن لم يعملها لله ، خوفًا من الله ، وطلبًا للثواب من الله ، كتبها الله عنده حسنة كاملة .

– لماذا تكتب له حسنة ؟

– لأنه ترك شيئا لله ، مثل ذاك الرجل الذي دخل الصخرة مع الثلاثة النفر الذين دخلوا الكهف فأطبقت عليهم الصخرة ، فكان منهم رجل سأل الله – عزَّ وجل – وتوسَّل إليه بعمل صالح ؛ أنه كانت له ابنة عم فراودها عن نفسها – أي بالزنا – فرفضت ، ثم إنها احتاجت للمال فجاءته تسأل المال ، فقال لها : أعطيكِ ولكن تمكنيني من نفسك ، أعطيك المال مقابل الزنا ، حتى إذا كان منها موقع الرجل من امرأته ، قالت له : اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه ، فقام عنها وقال : لها اذهبي وخذي المال فعفا عنها ، وذكرته بالمال فتذكر ؛ فهذا تكتب له حسنة كاملة .

نبَّه العلماء على أنه إن هم بالسيئة فلم يعملها ليس لله ، ولكن مثلًا أراد أن يفعل أمرًا فجاء شخص فما استطاع أن يفعله بحضوره ، أو مثلًا أراد أن يسرق فجاءت الشرطة ، أو مثلًا أراد

أن يفعل أيَّ أمر حرام ولم يعمله لا تقوى وخوفًا من الله ، وإنَّما لعوارض أخرى فإن هذا كما ذكر بعض أهل العلم لا تكتب له حسنة ؛ لأنَّه ما تركها لله – عزَّ وجل – .

فهذا الذي لم يفعل المعصية لا خوفًا من الله ، وإنَّما لمانع من موانع الدنيا ، وإلا هو يريد أن يفعلها فإنه لا حسنة له بل تكتب له السيئة ، استدل العلماء بحديث : (القاتل والمقتول في النار ، قالوا : يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال : هم بقتل أخيه)[28]

ما قتله ولكنه في النار لأنه هم بقتل أخيه ، فاستدلوا بهذا على أنه آثمٌ ، فـ(إنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً) ، وهذا من رحمة الله أنه لم يضاعف السيئات ، مثل ما ضاعف الحسنات.

فهذا الحديث فيه أن المسلم عليه أن يستشعر عظيم منَّة الله عليه ، وأنَّ الله – عزَّ وجل – يتحبَّب إليه بفضله ورحمته ، فأسأل الله – عزَّ وجل – أن يجعلنا ممن ينتفعون بهذه الأحاديث ، وبفضل الله – عزَّ وجل – فتكون مانعةً له من السوء والشر .

الحديث الثامن والثلاثون ، نقف عند هذا الحد

وصلَّى الله وسلَّم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

ولكن قبل أن أنهي الكلمة ، هنا أفادني أخونا –جزاه الله خيرا– ، بكلامٍ للإمام العثيمين – رحمه الله تعالى – في كتاب العلم صفحة أربعة وسبعين ، لمَّا ذكر الحسد وأنه داءٌ ذميم ، ثم قال : " والخلاصة أن الحسد خلق ذميم ، ومع الأسف أنه أكثر ما يوجد بين العلماء وطلبة العلم ، ويوجد بين التجار فيحسد بعضهم البعض ، وكل ذي مهنةٍ يحسد من شاركه فيها ، لكن مع

28) قال رسول الله -ﷺ » : -الْقَاتِلُ، وَ الْمَقْتُولُ فِي النَّارِ « ، قَالُوا :يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْقَاتِلُ، فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ» :إِنَّهُ أَرَادَ قَتْلَ صَاحِبِهِ « صحيح الألباني

الأسف أنه بين العلماء أشدُّ ، وبين طلبة العلم أشد ، مع أنه كان الأَولَى والأجدر أن يكون أهل العلم أبعد الناس عن الحسد وأقرب الناس إلى كمال الأخلاق .

وأنت يا أخي إذا رأيت الله قد أنعم على عبده نعمة ما فاسع أن تكون مثله ولا تكره من أنعم الله عليه ، فقل : اللهم زده من فضلك ، وأعطني أفضل منه ، والحسد لا يغير شيئا من الحال لكنه – كما ذكرنا آنفا – فيه هذه المفاسد وهذه المحاذير العشرة ولعل من تأمل وجد أكثر – والله المستعان – . "

ذكر هو عشرة محاذير للحسد منها :

"كراهته ما قدره الله ، ومنها أن الحسد يأكل الحسنات ، ومنها ما يقع في قلب الحاسد من الحسرة والجحيم ، ومنها أن في الحسد تشبيهًا باليهود ، ومنها أنه مهما كان حسده ومهما قوي لا يمكّن أبدًا أن يرفع نعمة الله عن الغير ، ومنها أن الحسد ينافي كمال الإيمان ، ومنها أن الحسد يوجب إعراض العبد عن سؤال الله تعالى ، ومنها أن الحسد يوجب ازدراء نعمة الله عليه ، ومنها أن الحسد خلقٌ ذميم ، ومنها أن الحسد الغالب أن يعتدي الحاسد على المحسود ، وحينئذ يأخذ المحسود من حسناته ".

والحمد لله رب العالمين .

الأربعون النووية

شرح فضيلة الشيخ

أحمد بن عمر بازمول

حفظه الله

الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى

- ١٤٣٧ \ ١٤٣٦ هـ -

ضمن دروس معهد الميراث النبوي

-تفريغ فريق صيانه السلفي-

http://meerath.nabawee.net
https://www.facebook.com/meerath.nabawee/?ref=

الدرس الثاني والعشرون من الأربعين النووية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَ الحَمْدَ للهِ نَحمدُهُ ونَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا مِنْ سَيِئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللهَ فَلاَ مُضِلَ لَهُ ، وَمَنْ يُضّلْل فَلاَ هَادِيَ لَه ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهِ إِلاَّ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَ مُحَمَدًا عَبْدَهُ وَرَسُولُهُ .

أَلاَ وَإِنَ أَصْدَقَ الْكَلَام كَلَامُ اللهِ وَخيرَ الهُدَى هُدَى مُحمَّد وَشَرَ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٍ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٍ وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أمَّا بعد :

فقد توقفنا عند الحديث الثامن والثلاثين من أحاديث الأربعين النووية وهو ما رواه أَبِي هُرَيْرَة –ﷺ– قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّهِ –صلَّى الله عليه وسلَّم– : إنَّ اللَّهَ تبارك وتَعَالَى قَالَ : (مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقْد آذَنْتهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا

أَحْبَبْتُهُ كُنْت سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ) [1] .

هذا حديثٌ قدسي ، ما رواه النَّبي– صلَّى الله عليه وسلَّم– عن الله لفظًا ومعنى

قوله– سبحانه وتعالى– : (مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا) :

يعني : من جعله عدوًا له ، يؤذيه ويظلمه ويحقره ويحاربه ، ولا يهدأ له بال إلا بأذية هذا الولي ؛ فهذا هو العداء ، يتخذه عدوًا بأي صورة كان هذا العداء سواء كان بظلمه في ماله ، بظلمه بالتعدِّي عليه ضربًا ونحو ذلك ، أو بظلمه بالتعدِّي عليه في عرضه ، والطعن فيه وشتمه وسبه وأذيته والافتراء عليه ، كل هذا من صور العداء

وقوله –سبحانه وتعالى–: (وَلِيًّا)

– الـــــولي ، من هو الـــولي؟

– الولي كما قال الله –عزَّ وجل– : ﴿أَلَا إِنَّ أَولِيَاءَ الله لَا خَوف عَلَيهِم وَلَاهُم يَحزَنُونَ الذِين آمَنُوا وَكَانُوا يَتَقُونَ﴾ [2]

فأولياء الله هم الذين علموا ما جاء به الرسول –صلَّى الله عليه وسلَّم– ، وعملوا به ، واتقوا الله –عزَّ وجل– ؛ ولذلك ولي الله هو كل مؤمن تقي هؤلاء هم أولياء الله ، أمَّا السحرة والكهان والمشعوذون والدجَّالون ونحوهم فهؤلاء أعداء الله ،

---

[1]) رواه البخاري
[2]) سورة يونس ـ الآية 62

ليسوا أولياء الله ، هؤلاء أولياء الشياطين والجن وأولياء الدنيا ، وأمَّا أولياء الله فهم المؤمنون المُتَّقون وهذا يجب أن نعرفه ؛ لأنَّ كثيرًا من الناس يقولون فلان الولي وهو فاسقٌ فاجرٌ ، متخلِّف عن الجماعة ، مرتكبٌ للفواحش ، لا يتقي الله –عزَّ وجل– ، يظلم الناس ويؤذيهم ، هذا ليس بولي لله –عزَّ وجل– فولي الله هم المتَّقون ، المؤمنون المُتَّقون، فمن عادى أولياء الله عاد المؤمنين المتقين ، فإنَّ الله يؤذنه يعلمه بالحرب ، بأنه سوف ينزل عليه عقابه وسخطه وسوف يعاقبه.

وإذا كان الله –عزَّ وجل– يقول : (فَقَدْ آذَنْتهُ بِالْحَرْبِ) فمن يقوى على حرب الله –عزَّ وجل– ؛ فلذلك على كل واحدٍ منَّا أن يحذر كل الحذر من أذية المسلمين عمومًا ومن أذية أولياء الله خصوصًا ، أمَّا المسلمون عمومًا فلمَّا مرّ معنا قوله – صلَّى الله عليه وسلَّم– : (كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ) (3)

وقوله –عليه الصلاة والسلام– : (أيُّ الإسلام أفضل قال : من سلم المسلمون من لسانه ويده) ، هذا عمومًا ، وأمَّا خصوصًا فأولياء الله –عزَّ وجل– ، أولياء الله المؤمنون المتقون والعلماء وطلبة العلم السلفيون هم أيضًا من أولياء الله ، بل من رؤوسهم لأنهم جمعوا بين العلم والتقوى والإيمان وفهم ورثة الأنبياء ، فالعلماء

(3) رواه مسلم

وطلاب العلم السلفيون هم من أولياء الله ، فاحذر يا عبد الله أن تظلمه أو أن تؤذيه أو أن تعلن الحرب عليه وهو ولي لله –عزَّ وجل–.

فإنَّ بعض الناس قد يؤذي العلماء ، ويؤذي طلبة العلم بالشتم والقدح والتحذير ، وهم أبرياء ممَّا ينسب إليهم وهم أولياء الله –عزَّ وجل– قد يخطئون والخطأ لا يسلم منه أحد لكن لا يتعمَّدون مخالفة الله –عزَّ وجل –.

فإنّ أخطأ السُّنيّ السّلفي فلا يلزم منه أن تُعلن عليه الحرب ، ولا يلزم منه أن تتَّخذه عدوًا ، وقد مرَّ معنا كلام لشيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى – : " أنَّ من نصب شخصًا مَن والاه فهو حبيبٌ له ، ومن عاداه فهو عدوُّه فهو من فعل الجاهليّة ، ليس من فعل أهل السّنّة " .

فلذلك يا عبد الله حذاري حذاري من أذيّة أولياء الله –عزَّ وجل– خصوصًا العلماء وطلّاب العلم ، ولا تشارك في الفتنة ، ولا تخض فيها لتنجو يا عبد الله.

قال : (فَقَد آذَنْتهُ بِالْحَرْب) ، ثمّ قال : (وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ)

في هذا أنّ العبد يتقرَّب إلى الله –عزَّ وجل – بما أوجبه عليه ، وبما شرعه على لسان رسوله – صلَّى الله عليه وسلَّم– ، ليس للعبد أن يتقرب إلى الله –عزَّ وجل – بهواه وبعملٍ يختاره ، بل قال الله هنا (مِمَّا افْتَرَضْتُهُ) ؛ أي بما شرعته ، وما شرعه

الله –عزَّ وجل – على العباد أن يعملوه ؛ إمَّا أن يكون من باب الواجبات فيكون فرضًا ، وإمَّا أن يكون من باب المستحبَّات فيكون نفلًا.

فهذه فائدة دقيقة : بعض النّاس يبتدع البدع التّي لم يشرعها الله لا في كتابه ولا في سنّة رسوله –صلَّى الله عليه وسلَّم –

– فــإذا قلتَ له لــما ؟ لــما تبــتدع هذه البــدع ؟

– فيقول لك أنا أتقرَّب إلى الله ، أنا أحبّ الله ؛ فنقول كما قال الله **هنا** (وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ)

– هـــل هذا شـــيء افترضه الله عليك ؟

– هـــل هذا شــــيء شرعه الله لك ؟

فإن قلتَ نعم وكان الدّليل يدلُّ عليه فاعمل به فإنّ هذا ممّا يحبّه الله ، وإن كان لا ، فاعلم يا عبد الله أنّ البدع تُبعدك من الله ولا تقرّبك من الله –عزَّ وجل– ، أنَّ البدع تأثم عليها ولا تؤجر عليها يا عبد الله.

الشّيطان وأهل البدع قُطَّاع طريق لعدم وصول الثّواب لرسول الله –صلَّى الله عليه وسلَّم – ؛ فلذلك يا عبد الله لا تتعب نفسك بأن تعمل عملًا مبتدعًا ضالًّا ، بأن تعمل عملًا ليس عليه النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– ولا أصحابه الكرام.

وفي هذا الحديث أيضًا إشارة إلى مسألةٍ مهمّة : وهي أنّك يا عبد الله تبدأ بالواجبات ثمّ بالمُستحبّات ، بعض النّاس يأتي بالمُستحبّات ويضّيع الواجبات ؛ فتجده مثلًا يتعامل مع النّاس بالمعاملة الطيّبة بينما مع مَن يجب عليه أن يتعامل معه المعاملة الطيّبة لا يفعلها ، بل يسيئ إليهم كالوالدين مثلًا أو كالعلماء ، كما نجد من بعد النّاس أنّه يتعامل المعاملة الطيّبة مع أهل الأهواء ويلتمس الأعذار للمنحرفين المخالفين وأمّا أهل السّنّة السّلفيّين يطعن فيهم ويجرح فيهم ويؤذيهم ،

– فيا عبد الله ، أيّهما أوجب أن تحرص عليه السّلفي أم هذاك المخالف المنحرف؟

– فكيف قرّبت المخالف وأبعدتَ الموالف و المؤالف السّلفي؟

فلا شك أن هذا خطأ ؛ مثلًا بعض الناس يهتم بقيام الليل ويُهمل الصلاة في جماعة ، فأيُّهما أوجب ، فهذا الحديث يدل على أن العبد عليه أولًا ليحصل على القرب من الله ، أن يبدأ أولًا بالواجبات ، ثم أيضًا بالمستحبات .

إذًا هذا الخطأ الأول : أن تهتم بالمُستحبَّات وتترك الواجبات ، هذا خطأ ، والصحيح أنك تأتي بالواجبات ثم المُستحبَّات ، هذا خطأ .

الخطأ الثـــاني : أو لا نقل خطأ ، إذا الإنسان أتى بالواجبات فهو ليس بخطأ ؛ يعني الأمر الثاني الذي يشير إليه الحديث ، الترغيب في النوافل ، بعض الناس يقول أنا أفعل الواجبات فقط ، أمَّا النوافل يقول : لا ، ليست واجبة عليّ ،

فهؤلاء نقول لهم : كما جاء في الحديث (أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ) ، يعني إن فعلًا أتيت بالواجبات على وجهها ، وتركت المُحرَّمات فقد فزت ، ولكن كثيرًا منّا يُقصِّر ويقع عنده الخلل ، فتأتي المُستحبَّات تُكمِّل له الخلل ، ولذلك جاء في الحديث (أول ما يُحاسب عليه المرء من عمله الصلاة فإن صلحت صلح سائر عمله وإن فسدت) ، قيل: (هل له من تطوع فتؤخذ الفرائض على ذلك) .

فهذا الحديث يشير إلى أمرٍ مهم ، إلى أمرين مهمين :

أمّا الأمـــر الأول : فهو أن التقرب إلى الله– عزَّ وجل – بالنوافل بعد فعل الواجبات ؛ وسيلة وطريقة إلى الوصول إلى محبة الله – عزَّ وجل – ، وهذه منزلة عالية ؛ أن يحبك الله يا عبد الله ، وأن تكون من أولياء الله المقربين ، هذه الفائدة الأولى .

والفـــائدة الثانية : أن النوافل وإن كانت ليست بواجبة إلا أن شأنها عظيم ، وأمرها مهم ؛ لأن شيئًا يوصل إلى محبة الله لا شك في أهميته ، ليست بواجبة ، ولكن أيضًا ليست بأمرٍ عادي ؛ لأن بعض الناس يتعامل مع النوافل وكأنها شيء غير مهم . فلا يا عبد الله ، اعلم أنها مهمة .

ثم قال: (فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ) ؛ أي إذا أحبَّ الله العبد ، وهذا فيه إثبات صفة المحبة لله على ما يليق بجلاله ، وعظمته – سبحانه وتعالى – .

قال: (كُنْت سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، كُنت سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا) ؛ قال العلماء : " معنى هذا الكلام أن الله إذا أحب العبد سدده ووفقه في سمعه ، وبصره ، ويده ، ورجله ، فلا يصرفها إلا في مرضات الله – عزَّ وجل – ، ولا يستعملها إلا في رضا الله – عزَّ وجل – ، ولا يقع بها فيما حرَّم الله – عزَّ وجل –"

هذا المعنى هو المعنى الذي اختاره أهل العلم ، أن معنى هذا الكلام : إن الله – عزَّ وجل – يسدده ويوفقه لطاعته ويصرفه عن معصيته ؛ لأن العبد قد تقرب إلى الله بالفرائض والنوافل ؛ فأحبه الله – عزَّ وجل – ووفقه ، ولا يعني أن كون العبد وليًا لله – عزَّ وجل – ، أن العبد يغترَّ بعمله فإن الاغترار بالعمل والمنَّ به على الله – عزَّ وجل – قد يبطله .

ولذلك كان السلف على عظيم عملهم وطاعتهم لله يحقِّرون أنفسهم ، ويظنون أنه لو نزل العذاب على أحدٍ ، لنزل على الواحد منهم مع أنهم أولياء لله – عزَّ وجل – ،ولكنهم يخضعون لله ، ويذلون أنفسهم لله ، ولا يرون أنهم أصبحوا فوق الناس ، وأنهم وأنهم ؛ ولذلك لما سألت عائشة – رضي الله عنها – النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – عن قوله تعالى –: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾[4] ، (أَهُمْ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ ويزنون ، فقال: لا ! وَلَكِنَّهُمْ

---

[4]) سورة المؤمنون- الآية : 60 .

الَّذِينَ يُصَلُّونَ ويَصُومُونَ ويزكون وَ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُتقْبَلَ مِنْهُمْ) [3] ، والواحد منهم كان يبكي خوفًا من الله وخشيةً ؛ خشية أن يأتي يوم القيامة ولا يُقبل منه ، ولذلك على العبد أن يعلم أنه كلما اقترب من الله بطاعته وترك معصيته كلما ازداد خوفه ، وازدادت خشيته من الله ، ومراقبته لأعماله وأقواله ، فلا يطغى على عباد الله ولا يؤذيهم ولا يعلو عليهم ، ولا يرى نفسه فوقهم ؛ فإن هذه من خصال اليهود الذين يرون أنفسهم فوق الناس .

أيضًا التنبيه الثاني : نعم ولي الله تكون له هذه المنزلة العظيمة التي وفَّقه الله إليه ؛ ولكنه بشر ، فلا يُرفع فوق قدره فيُظن أنه يرزق ، أو أنه بيده شيء ، أو أنه يعني له منزلة عند الله فندعوه ونطلب منه شفاعة ، أبدًا هذا خطأ ، هؤلاء عباد أمثالنا ؛ الملائكة ، الرسل ، الأنبياء ، الأولياء ، كلهم عباد لله – عزَّ وجل – يخافون الله ، ويرجون رحمته ، ويخافون عقابه .

فلا ينبغي إذا قيل فلان ولي لله ، صاحب طاعة ، والله أحبه والله وعده بالأجر والثواب ، فإذًا هذا الولي ممكن نطلب منه أن يحقق لنا كذا وكذا وكذا ؛ هذا خطأ يا عبد الله ، فالولي بشر ؛ عبدًا مثلنا لا ينبغي أن نرفعه فوق فوق منزلته .

---

3) رواه الترمذي (رقم/3175) وصححه ابن كثير في " تفسير القرآن العظيم " (1/176)؛ولفظ الحديث: (أَهُمْ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ ؟ قَالَ : لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ ! وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ) .

ثم أيضًا التنبيه الثالث : الولي ليس فوق الرسول والنَّبي ، بل الولي دون الأنبياء والرسل .

فأولياء الله لهم منزلتهم التي هي دون الأنبياء والرسل ، فمن يعتقد أن الولي فوق الرسول ودون النَّبي أو العكس ، كأن يكون فوق الرسول فكل هذا باطل ، فإن أولياء الله أعلاهم رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – ، وأنبياؤه ورسله ، ثم الأولياء بعد ذلك دونهم ، فتنبَّه لهذا يا عبد الله ولا تغلو في دينك ، ولا يلعب عليك الشيطان بأن هذا الولي كذا وكذا ، له منزلةً فادعوه ، وتقرَّب إليه و و و ، ويعلم الغيب .

أولياء الله الذين يقولون نحن ، أو الذين يدّعون أنهم أولياء الله ويدّعون أنهم يعلمون الغيب فهؤلاء كهّان كذبة فجرة ، ليسوا أولياء الله – عزَّ وجل – ، أولياء الله الذين يدَّعون أنهم أولياء الله وهم يفعلون الفواحش ، يتركون الجماعات ، وقد يشربون الخمر ، وقد يقعون في الزنا ، وقد يعاشرون المردان ؛ هؤلاء أولياء الشيطان ليسوا بأولياء الله – عزَّ وجل – فإياك أن تخلط بين الأمرين .

ثم قال – سبحانه –: (وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ)

يعني : أن ولي الله لو سأل الله – عز وجل – لاستجاب له ولأعطاه سؤاله ، ولو استعاذ بالله من شر فلان ، أو استعاذ الله من كذا وكذا فإن الله يعصمه ، ويعيذه

بفضله ورحمته ، ولذلك أيضًا هذا اعلم أنك لو أذيت أحد من أولياء الله فدعا عليك بما ظلمته ، وأذيته فاحذر من استجابة الله لدعوته ، ولذلك كما سبق ؛ أولًا: احذر من أذية أولياء الله .

وقلنا العلماء وطلاب العلم السلفيون هم من أبرزهم ، فاحذر من أذيتهم يا عبدالله ، تسلم وتغنم ، ولا تناصر الباطل ، ولا تناصر الهوى ولا تسانده ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى– ، وتأمَّلوا قوله : " إن الانسان قد يعرف أن الحق مع غيره ، ومع هذا يجحد ذلك لحسده إياه ، أو لطلب علوه عليه ، أو لهوى النفس، ويحمله ذلك الهوى على أن يتعدى عليه ، ويرد ما يقول بكل طريق ، وهو في قلبه يعلم أن الحق معه " انتهى .

فتأمَّل يا عبدالله ، حالك وحال بعض إخوانك ؛ لما تبيَّن له الحق وهو يصر على الباطل ، وهو يصر على أذية الناس ، فالنجاة النجاة ، فإنّ هذا في قوله : (وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ)[5].

فـي هذا بشـــارة ونذارة :

– **أمَّا البشـــارة :** فهي لأولياء الله أن الله وعدهم بالاستجابة .

---

1) رواه البخاري

– **وأمَّا النذارة والتخويف** : فهي لمن يؤذي أولياء الله عليه أن يخاف وأن يحذر ؛ لأنه لو دعا عليك ؛ فإنه قد تستجاب دعوته بوعد الله – عزَّ وجل – ولذلك يذكر العلماء أن رجلًا كان يؤذي أنس بن مالك –ﷺ– فدعا عليه أنس أو غيره من الصحابة ، رجل كان يؤذي أحد الصحابة فدعا عليه بأن يطول عمره ، فطال عمره وأصبح في الشوارع تلعب به الصبيان .

ولذلك يا عبد الله ، احذر من دعاء أولياء الله – عزَّ وجل – فإن دعاءهم كما في هذا الحديث وعد الله باستجابته .

وقد مرَّ معنا أن دعاء المظلوم مستجاب ولو كان كافرًا .

– فكيــف لــو كــان وليا لله –عز وجل– ؟! .

الحديث التاسع والثلاثون :

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ – قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ)[6].

هذا الحديث : (إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي) يذكر فيه النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– أنَّ الله من فضله ورحمته وإحسانه على عباده ، ومن فضله على هذه الأمة ، أمة محمَّد –

---

6) رواه ابن ماجة ، البيهقي " السنن 7

صلَّى الله عليه وسلَّم – ، فإن الله خصَّ هذه الأمة بخصائص ، وأكرمنا بنعم ، كانت على من قبلنا ؛ الآثار والأغلال ، والعبادات الشاقة ، وأمَّا نحن بفضل الله – عزّ وجل– ، الله – عزّ وجل – يسَّر لنا كثيرًا من الأمور ، بفضله ورحمته وكرمه ، ومن فضله ورحمته ما ذكر في هذا الحديث ؛ أنَّ العبد إذا أخطأ في فعل الشيء لا يعاقب .

– فمثلًا : صلَّى بغير وضوء وهو لا يعلم أن الوضوء شرط من شروط الصلاة ، فهو أخطأ ، لا إثم عليه .

– وكذا مثلًا : لو صلَّى بغير وضوء ، وهو يعلم أن الوضوء شرط ، ولكنه نسي فلا إثم عليه .

– وكذا أيضًا لو أن شخصًا مثلا ، أكرهه على أن يقول كلمة الكفر وإلا يقتله ويعذبه ، فقال كلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان ، فإن هذا يكون مؤمنًا ولا شيء عليه .

كما قال الله – عز وجل – :

﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴿١٠٦﴾ [7]

7) سورة النحل – الآية 106

وهذا الحديث ، موافق لقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴿٢٨٦﴾ [8]

قال الله تعالى : (قد فعلت ، قد فعلت) ؛ كما قال النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – ، كما في صحيح مسلم .

والآية ، ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴿١٠٦﴾

والفرق بين الخطأ والنسيان :

– أن الخطأ لا يعلم الحكم .

– وأن النسيان يعلم الحكم ولكن ينساه ، أو يذهل عنه ، لا يتذكره ؛ فمن وقع فيه فلا إثم عليه .

ومن الأمثلة على ذلك :

من أكل أو شرب ناسيا في نهار رمضان ، أو وهو صائم ، يتم صومه ، فإنما أطعمه ربه وسقاه ، يالها من نعمة وفضل عظيم من الله – عزّ وجل – .

وإذا كان الخطأ ، أو النسيان ، أو الإكراه على شيء ، أدَّى إلى تضييع حقوق الناس ، فإنه يجب عليه أن يرد هذه الحقوق ، مثلًا : لو أن إنسانًا كسر على سبيل

8) سورة البقرة – الآية 286

المثال شيئًا لأحدٍ الناس بالخطأ ، فهنا نقول لا إثم عليك ، ويجب عليك أن تؤدي إليه بدله أو قيمته ،

- لمـــــــــــــــاذا ؟

لأنَّ الله سامحك في حقه ، وأمَّا حقوق الناس فيجب أن تؤديها ؛ ولذلك قال السعدي – رحمه الله تعالى – في منظومة القواعد الفقهية :

" والخطأ والإكراه والنسيان*** أسقطه معبودنا الرحمن

؛ أي أسقط الإثم عنه .

" لكن مع الإتلاف يثبت البدل" ؛ يعني إذا أتلفت شيئًا للناس يجب يثبت يجب عليك أن تأتي ببدله " وينتفي التأثيم عنه والزلل ".

"والخطأ والإكراه والنسيان **** أسقطه معبودنا الرحمن

لكن مع الاتلاف يثبت البدل**** وينتفي التأثيم عنه والزلل"

وقد ذكر العلماء أن الإكراه على نوعين :

- الإكراه التام الملجيء : وهو أن يكون لا اختيار للإنسان فيه ولا قدرة ؛ فهو يعني يقولون كالريشة في مهب الريح ، مثل أن يكتّف ويربط ويرمى من أعلى على

شخص ، فهنا بالاتفاق لا يترتب على المكره شيء ، فإن الضمان على من أكرهه لا عليه .

- **وهناك الإكراه الاختياري :** وهو الذي يكون للإنسان فيه اختيار ، وفيه ما سبق من أنه لا إثم عليه ، ولا يترتب عليه ذنب ، ولكن يثبت البدل .

فهذا الحديث كما سبق من رحمة الله على هذه الأمة .

الحديث الأربعون :

عَنْ ابْن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - بِمَنْكِبِي ، فقَالَ : (كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّك غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ) . وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - يَقُولُ : (إذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرْ الصَّبَاحَ ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرْ الْمَسَاءَ ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِك لِمَرَضِك ، وَمِنْ حَيَاتِك لِمَوْتِك).[9]

هذا الحديث فيه تواضع النَّبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - ؛ إذ أخذ بكتف ابن عمر - رضي الله عنه - ، وهذا ليلفت انتباهه ويجعله يستحضر ما يقول له النَّبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - ؛ وذلك أنه يوصيه بأمر مهم ، وأمرٍ ينفعه في الدنيا والآخرة ، لأنَّ الدنيا السلامة منها ترك ما فيها على هدى ، ونور من الله - عزَّ وجل - , فقال : (كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّك غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ) ؛ وهذا فيه ما مر معنا لما وقفنا على

---

9) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:6416].

قوله – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّك اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبُّك النَّاسُ)[10] ففيها معنى الزهد في الدنيا وعدم الركون إليها .

– لمــــــــــاذا ؟

لأنك يا عبد الله مهما طال عمرك فإنك ميت .

ولذلك جاء جبريل للنَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – , وقال : (يا محمدُ عِشْ ما شئتَ فإنك ميتٌ)[11] ؛ فلذلك لما تكون الدنيا كذلك ؛ فيها عدم البقاء ، يموت الإنسان ، ولما تكون الدنيا دار نغصٍ ، وعدم راحة ، ويُعرَّض الإنسان فيها للمصائب والمحن ، لا يشتغل المرء المؤمن بها اشتغالًا كلياً , وإنَّما يعمر الآخرة ؛ لأن الآخرة التي أسأل الله – عزَّ وجل – أن يجعلني وإياكم من أهل الجنة – .

الجنة مراتب ومنازل ، وكلما كان العبد عاملًا بطاعة الله ، متقرباً إلى الله ، علت منزلته بعد فضل الله ورحمته ، وفي الجنة أعلى نعيم وألذه ؛ النظر إلى الله – عزَّ وجل – .

فهذا الحديث كما سبق فيه أن المؤمن لا يشتغل بالدنيا وأنه يتقلل منها ، ولكن كما سبق لا يعني هذا أن الإنسان يُضِّيع أولاده ، وزوجته ، وأهله ، ويهمل نفسه

---

10) حديث حسن، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ [رقم:4102]، وَغَيْرُهُ بِأَسَانِيدَ حَسَنَةٍ

11) الراوي : سهل بن سعد الساعدي | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح الترغيب

الصفحة أو الرقم: 627 | خلاصة حكم المحدث : حسن لغيره

، ويقول أنا في الدنيا غريب ، أنا ما أريد شيء ، هذا ليس اتكالًا على الله ، وتوكلا على الله ؛ هذا تواكل ، وهذا عمل الصوفية ، وعمل الحمقى والسفهاء ، ليس عمل المؤمنين .

المؤمن مأمور بأن يعمل ، ولكنه أيضًا مرغب له أن لا يعمل للدنيا عملًا كثيرا ، وأن لا يركن للدنيا ؛ ففرقٌ بين ترك الدنيا بالكلية ، وفرق بين التقلل منها .

التقلل هو المشروع ، أمَّا الذي يقول أنا أترك الدنيا كلها ، ويذهب إلى الصحاري والبراري ، ويذهب إلى الخربات ، ويذهب إلى الأماكن المظلمة ؛ فهذا به جنون ، وهذا مخالف لشرع الله – عزَّ وجل – وهذا عقله ليس بمستقيم .

أين من كتاب الله ، ومن سنة رسول الله ، ومن فعل الصحابة الذين هم أفضل هذه الأمة بعد نبي الله – ﷺ –

– أين هذا من فعلهم ؟

– هل وجدنا صحابي راح الصحراء ؟

– هل وجدنا صحابي ترك العمل ؟

كانوا يعملون ، وكانوا يسعون ، بل كان النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – إذا جاءه الرجل وأراد أن يتزوج قال : (اذهب ، والتمس خاتما من حديد) ، كما في الحديث الآخر لمَّا ذكر النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– : (أن الرجل يحتطب ،

ويحمل الحطب ثم يبيعه خير له من أن يسأل الناس أعطوه ، أو منعوه)، – أو كما قال عليه الصلاة و السلام – .

بل جاء في الحديث الآخر صححه الألباني – رحمه الله تعالى – ، وهو في الصحيح أيضًا ، أو لِنَقُل جاء في الحديث الصحيح عن النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– ، الآن لا أذكر هل هو في الصحيحين ، أو أحدهما ، ولكن أذكر أن الألباني – رحمه الله تعالى – صححه : (أن الساعة لو قامت) ؛ يعني يوم القيامة لو قامت ، (وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها) .

– إيش الفســـــيلة ؟

– صغار النخل ، (فليغرسها) : يعني إذا قامت الساعة ، شوف ما قال : أترك ، ويعني ، وابدأ قل سبحان الله ، والحمد لله ، قال لا اعمل .

فإذًا ولا تنسى نصيبك من الدنيا ؛ فهذه لا بد أن يكون المؤمن المسلم ، لا بد أن تكون حياته متكاملة ؛ يعني مترابطه ليس في جانب العبادة ، يعطيه جانب كبير ، ويترك الدنيا بالكلية ، أو جانب الدنيا يعطيها شيء كبير ، ويترك العبادة ؛ فهو له أن يعمل في الدنيا ، ولكن يتقلل منها له ذلك ، –كما في هذا الحديث و الحديث الذي سبق معنا – .

لذلك انظر ابن عمر يقول : (إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرْ الصَّبَاحَ) ؛ يعني لا تأمل أنك تعيش وتبني وتأخذ أراضي ، وتشتري كذا وتفعل كذا ؛ لأنك لا تدري فالموت يأتي فجأة ، ما له وقت محدد ؛

فكم من صحيح مات من غير عله

وكم من سقيم عاش حينا من الدهر.

ومن الأمور التي يذكرها الناس وشاهدوها ؛ أن بعض المرضاء قال لهم الطبيب ستموت خلال شهر ، أو شهرين ؛ يعني ما لك علاج ، وإذا بهذا المريض يعيش دهرًا ، سنوات ، وإذا بالطبيب يموت قبله . فإذا الموت يأتي فجأة ، والقبر صندوق العمل .

الإنسان ما يدري ، ما يدري متى يفجؤه الموت ؛ لذلك (إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرْ الصَّبَاحَ وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرْ الْمَسَاءَ) .

– لمـــــــــاذا ؟

– لما سبق ؛ لأنك لا تدري يا عبد الله ، فاعمل العمل ولا تقصر فيه ، ولا تقل سأفعله غدًا ، بل اعمل العمل كل في وقته ، وفائدة قوله : (وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرْ الْمَسَاءَ) ، (وإذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرْ الصَّبَاحَ) ، فائدته أنك تؤدي العمل في وقته ، ولا تؤخره ، ولا تتراكم عليك الأعمال .

ثم قال : (وَخُذْ مِنْ صِحَّتِك لِمَرَضِك، وَمِنْ حَيَاتِك لِمَوْتِك) ؛ يعني اغتنم الفرص التي يمكنك فيها أداء الأمور التي تريد أن تفعلها ؛ ففي وقت المرض قد تعجز ، وفي وقت الصحة تستطيع –بإذن الله تعالى – ، فاعمل في وقت صحتك ، (وَمِنْ حَيَاتِك لِمَوْتِك) ؛ يعني في وقت حياتك اعمل ، واستعد للموت ، لما بعد الموت .

فلا شك أن هذه الكلمة وصية مهمة ، ووصية جامعة ، من تأمَّلها وتدبرها فإنه – بإذن الله تعالى – ينتفع كثيرًا .

الشيخ الإمام العثيمين – رحمه الله تعالى – نقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – قوله : " ينبغي للإنسان أن يجعل المال كأنه حمار يركبه ، أو كأنه بيت الخلاء يقضي فيه حاجته " .

قال الشيخ العثيمين : " فهذا هو الزهد ، وأكثر الناس اليوم يجعلون المال غاية ؛ فيركبهم المال ، ويجعلونه مقصودا ؛ فيفوتهم خير كثير "

الحديث الحادي والأربعين :

عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ)[12]

12) حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، رَوَيْنَاهُ فِي كِتَابِ "الْحُجَّةِ" بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

هذا الحديث ضعيف ضعَّفه العلماء وبيَّنوا أن له عللًا ، كما بيَّن ذلك الحافظ بن رجب – رحمه الله تعالى – في شرح الأربعين .

ولكن العلماء قالوا : " معنى هذا الحديث جاء في الشرع " .

منها قوله –عزَّ وجل– :

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [13]., وأيضا قوله تعالى : ﴿ قل إن كنتكم تحبون الله فاتبعون يحببكم الله ﴾ [14]

والآيات التي فيها : ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ [15].

(لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ) ؛ العلماء قالوا :

الهوى يأتي بمعنيين :

– يأتي بمعنى الهوى المضل عن طاعة الله ، والمُوقع في البدع ، والضلالات ؛ فهذا مذموم عند العلماء .

– ويأتي الهوى الشيء ؛ بمعنى محبته ، وإرادته في أمر صالح .

13)] سورة الأحزاب - الآية 36
14)] سورة آل عمران - الآية 31
15)] سورة النساء - الآية 59

ويذكر العلماء في هذا حديث قصة أسارى بدر ؛ لمَّا قال أبو بكر أمر فيهم ، وقال عمر أمر فيهم –ﷺ أجمعين – ؛ فقال عمر : " فهوى رسول الله – ﷺ – ما قال أبو بكر ولم يهوِ ما قلت" ؛ يعني أحب ؛ بمعنى أحب .

طيب ، هنا ننبه على مسألة ؛ وهي الآن بيَّنا هذا الحديث ضعيف ، وقلنا معناه ثابت .

– فهل لنا أن نقول إنه إذا كان معنى الحديث صحيح فلا مانع منه ؟

الجواب:

لا ، إذا كان معنى الحديث ضعيف فلا بد أن نضعِّفه ، ونستغني بالأدلة الأخرى عنه ، ونستغني بالأدلة الأخرى عنه ، قال المزي – رحمه الله تعالى – : "كل ما قاله الرسول حسن وليس كل حسن قاله الرسول " ؛ ولذلك بعض الناس تجده يقول : قال رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – : كذا كذا ؛ كذا كذا .

فتقول له : يا أخي هذا حديث ضعيف فيقول لك : " يا أخي حتى لو كان ضعيف لكن معناه طيب ، معناه حلو ، فالرسول قاله ، نقول لك : لا ؛ العلماء قالوا وتنبهوا لهذا الأمر ، **قال العلماء أي حديث فيه أمران :**

– **الأمـــر الأول :** نسبته للرسول ، أنه قاله .

- الأمــر الثاني : نسبة الحكم للرسول وللدين ، فلو كان الحكم صحيحا لا يعني أن الرسول قاله ، واضح .

فلذلك ينبغي أن نتنبَّه أن ليس كل كلام حسن أن الرسول قاله ، نعم كل كلام الرسول حسن ؛ كما قال المزي – رحمه الله تعالى – .

واحذروا بارك الله فيكم من الكذب على الرسول – صلَّى الله عليه وسلَّم – .

الحديث الثاني والأربعون :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ – ﷺ – قَالَ: سَمِعْت رَسُولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – اللَّهِ يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (يَا ابْنَ آدَمَ! إنَّكَ مَا دَعَوْتنِي وَرَجَوْتنِي غَفَرْتُ لَك عَلَى مَا كَانَ مِنْك وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ! لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُك عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتنِي غَفَرْتُ لَك، يَا ابْنَ آدَمَ! إنَّك لَوْ أَتَيْتنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُك بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً) (16)

هذا الحديث حديثٌ قدسي ، وقد مرَّت معنا أشياء ممَّا تتعلق به ؛ فهذا الحديث يقول الله – عزَّ وجل – فيه : (يَا ابْنَ آدَمَ! إنَّكَ مَا دَعَوْتنِي وَرَجَوْتنِي غَفَرْتُ لَك عَلَى مَا كَانَ مِنْك وَلَا أُبَالِي) .

هذا يدل على أن المراد بـ(ابْنَ آدَمَ) : المسلمين ؛ لأن الله لا يغفر للكافرين .

16) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ [رقم:3540]، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي) ؛ يعني لا تدعو غيري ، ولا ترجو غيري ، بل ادعوني أنا ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴿٦٠﴾ ﴾ [17]

والله – عزَّ وجل – يحب من عبده أن يلح عليه بالدعاء .

(غَفَرْتُ لَك عَلَى مَا كَانَ مِنْك) ؛ يعني لو تبت ورجعت إلى الله – عزَّ وجل – ؛ فإنَّ الله يقبلك ؛ ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [18]. ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ ﴿٥٣﴾ ﴾ [19].

فهذا الحديث يقول فيه النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَك عَلَى مَا كَانَ مِنْك وَلَا أُبَالِي،) ، فيا عبد الله لا تيأس من رحمة الله ، مهما بلغت ذنوبك ، وقد مرَّ معنا الحديث الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا ، ثم قتل المائة ، ثم أيضًا أراد أن يتوب ، فتاب الله عليه وقبضته ملائكة الرحمة .

ثم قال : (يَا ابْنَ آدَمَ! لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُك عَنَانَ السَّمَاءِ) ؛ يعني لو كانت عندك ذنوب كثيرة بلغت إلى السحاب ، من الأرض إلى السحاب ، كلها ذنوب تملأ هذا الفراغ ؛ بين الأرض ، وبين السحاب ، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ، ثم

---

(17) سورة غافر
(18) سورة الشورى – الآية 18
(19) سورة الزمر – الآية 53

استغفرتني غفرت لك ؛ يعني الله – عزَّ وجل – يرغب عباده في التوبة والاستغفار ، وأنه مهما بلغت ذنوبك يا عبد الله ، فلا تيأس من روحِ الله .

(يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّك لَوْ أَتَيْتنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُك بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً) ؛ يعني لو أنك يا عبد الله وقعت في الذنوب والمعاصي ، ولكنك حين مت على التوحيد ؛ فلا تيأس من رحمة الله ؛ فإن الله قد يغفر لك ،كما قال الله – عزَّ وجل – : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴿٤٨﴾﴾ ([20]) قد يغفر الله – عزَّ وجل – للعبد ذنوبه ، وقد يغفر الله – عزَّ وجل – للعبد إساءته ، مهما بلغت ، تلك المرأة البغي الزانية لما رأت كلبا يلهث فسقته غفر الله لها ؛ فالله – عزَّ وجل غفور رحيم .

ولكن هذا الحديث ننبه على أمورا فيه :

أمَّــا الأمر الأول : وهو الخطير ؛ فيه بيان خطورة الشرك ، وأنَّ من مات على الشرك الله لا يغفر له .

وفيه أيضًا : بيان عظمة التوحيد ، وأنه يكفِّر الذنوب ؛ فإن من مات على التوحيد ، وعنده ذنوب قد يغفرها الله له ، ومن ذلك حديث صاحب البطاقة ، لمَّا وضعت له سيئاته في كفة السيئات ، فقيل له : " هل لك من عمل صالح ترجوه ؟

20) سورة النساء – الآية 48

" ، وهو قد قال لا إله إلا الله ، فنظر إلى أعماله الكثيرة السيئة ، فقال : لا ، فقال الله له : إنك لا تظلم اليوم ، فتخرج له بطاقة مكتوب فيها لا إله إلا الله ؛ فتوضع في كفة الحسنات ، فتطيش كفة السيئات .

فلذلك يا عبد الله ، التوحيد ، التوحيد ؛ مهم جدا ، أن تعتنيَ به ، وأن تحققه ، وأن تتعلمه ، وتعلم أهلك ، وأبنائك ، وتعلم الناس التوحيد ؛ تسمع المحاضرات ، وتقرأ كتب أهل العلم السلفيين في باب التوحيد ، وتسأل عن الأمور التي يُخشى أن تكون من باب الشرك ، ومن باب نقصان التوحيد فتجتنبها .

والشرك الشرك ؛ احذره ، وابتعد عنه ، وتعلمه لكي لا تقع فيه ؛ فَتَعلم أن هذا شرك فلا تقع فيه ، واحذر الذين يقولون أن التوحيد ليس بمهم ، وأن التوحيد يتعلم في دقائق ، أو في أيام معدودة . الرسول – ﷺ – منذ بعثه الله – عز وجل – إلى أن مات وهو يدعو إلى التوحيد – ﷺ – ،

فلذلك هذا الأمر الأول .

أما الأمر الثاني : ليس معنى هذا الحديث أن العبد يرتكب الذنوب ، والخطايا ، ويسرف على نفسه ، ولكن هذا الحديث في من وقع يقال له : " تب وارجع إلى الله " , وفي من مات وهو على التوحيد يقال له : " إن شاء الله ترجى له الرحمة ".

سُئل الإمام أحمد عن فساق المؤمنين يعني من كانت عنده ذنوب لكنه مات على التوحيد فقال : " قبره روضة من رياض الجنان " .

فلا تظن يا عبد الله من هذا الحديث ، وغيره من الأحاديث أنك تسرف على نفسك ، وتفتح على نفسك باب المعاصي لأمور :

– أما الأمر الأول : فإن المعاصي قد تغطي القلب إلى أن يقع في الكفر – والعياذ بالله –.

– والأمر الثاني : أن المعاصي ، والذنوب قد يعاقب عليها العبد ، ونار جهنم شديد حرها ، ولهيبها ، وسمومها لا يطيقها الإنسان ، والبشر ، حتى إذا دخل من دخل من الموحدين في النار ؛ فإنه يفحم فيها ، نعم ، لا يخلد من مات على التوحيد في النار ، ولكن ضع اصبعك على نار الدنيا ؛ فإنك جزما ، ويقينا لن تستحملها ؛ سوف تحترق ، وتتألم ألما شديدا ، ونار الدنيا هي جزء من أجزاء كثيرة من نار الآخرة ؛ كما أخبر النبي – ﷺ – .

فإذا كانت نار الدنيا تعتبر خفيفة ، وجزء يسير جدا من نار الآخرة

– فكيف تقوى أجسادنا على نار الآخرة !؟

لذلك كان الصحابة ، كانوا يبكون ، ويخافون من عذاب الله ، ويعملون

الصالحات ، ويتركون السيئات – رضوان الله عليهم – ، وكذا من سار على نهجهم ، وطريقتهم ممن أتى بعدهم .

الأمر التالي الذي ينبه عليه في هذا الحديث وهو : أن الله – عز وجل – قال : (لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا) ؛ يعني أيَّ نوعا من أنواع الشرك ، فاحذره ؛ لأنه كما نبه على ذلك العلماء ، – ومنهم شيخ الإسلام مُحَّد بن عبد الوهاب – ؛ أن العبد قد يقع في الشرك ، وهو لا يعلم ، بل حتى العالم قد لا يعلم أن هذا الأمر من الشرك ، وضرب على ذلك ، مثالا : قصة أصحاب موسى لما قالوا له بعد أن نجاهم الله : " اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ، فلذلك ، احذر يا عبد الله من الشرك ؛ فإن قوله – سبحانه وتعالى – : (ثُمَّ لَقِيتنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا) ؛ يفيد لا يشرك به أي شيء .

وهذا الحديث هو آخر الأحاديث الأربعين النووية التي جمعها النووي ، وستأتي ثمانية أحاديث التي أضافها الحافظ بن رجب – رحمه الله تعالى – ، – كما سبق معنا في تفصيلها في أول درس – ، وسنأخذها – إن شاء الله – بعد الفراغ من صلاة العشاء – بإذن الله تعالى – .

فنتوقف الآن للصلاة ، ثم بعد أن ننتهي من الصلاة نكمل الليلة الثمانية الأحاديث ؛ لكي ننتهي من شرح هذا الكتاب.

وصلى الله وسلم على نبينا مُحَّد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الأربعون النووية

شرح فضيلة الشيخ

أحمد بن عمر بازمول

حفظه الله

الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى

- ١٤٣٧\ ١٤٣٦ هـ.

ضمن دروس معهد الميراث النبوي

-تفريغ فريق صيانه السلفي-

http://meerath.nabawee.net
https://www.facebook.com/meerath.nabawee/?ref=

الدرس الثالث والعشرين والأخير من الأربعين النووية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن مُحَمَّدًا عبده ورسوله .

ألا وإن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدى هدى مُحَمَّد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

أما بعد :

فقد توقفنا عند الحديث " الثالث والأربعين من الأربعين النووية "

وهو ماروواه ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ – ﷺ– (أَلْحِقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا ، فَمَا أَبْقَتَ الْفَرَائِضُ فَلِأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرٍ) [(1)] خرجه البخاري ومسلم .

---

[1]) رواه البخاري [رقم: 6732] ، ومسلم [رقم: 1615]

هذا الحديث من الأحاديث الجوامع ؛ وهو وإن كان متعلقا (بباب المواريث والفرائض) ، إلّا أن هذا الحديث أفاد أمورا :

الأمر الأول : قوله – ﷺ – : (أَلْحِقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا) :

أفاد وجوب تعلم المواريث .

– لأننا كـــيف نلحق الفرائض ؟

– كيـــــف نعطي هذا الســـــدس ؟

– وهـــذا الربـــع ؟

– وذاك الثـــلث ؟

إذا لم نكن نعلم من يستحقه ففي هذا الحديث الأمر لبعض المسلمين أن يتعلموا من الفرائض ما يوصلون بها الحقوق لأهلها .

وقوله – ﷺ – : (أَلْحِقُوا الْفَرَائِضَ ، فَمَا أَبْقَتَ) ؛ العلماء يقولون : "المواريث إما بالفرض ؛ وهو النصف ؛ ونصفه هو الربع ، ونصف الربع ؛ وهو الثمن ، ثم الثلثان ؛ ونصفه وهو الثلث ، ثم السدس ؛ هذه الفروض المقدرة في كتاب الله ، وهناك فرض قدره عمر – رضي الله عنه – ؛ وهو الثلث الباقي " ؛ والباقي إن قلنا المواريث إما فروض وإما عصبة ؛ وهو الباقي ؛ يعني مثلا : لو ماتت امرأة عن ابنٍ وأم ؛ فالأم تأخذ السدس ،

والابن يأخذ جميع المال بعد إعطاء الأم السدس ، فالأم تأخذ السدس فرضًا ، والابن يأخذ الباقي عَصَبَةً .

فهذا الحديث ذكر لنا : أن المواريث إما بالفرض ، وإما بالتعصيب ؛ وهو الباقي .

وأفاد هذا الحديث : أن للمواريث أهل ؛ أي أصحاب يستحقونها دون غيرهم ؛ بمعنى أن الله أعطى كل ذي حق حقه ، بخلاف ما كان عند الجاهلية ؛ فقد كان الرجل إذا مات جاء أبوه أو عمه وأخذ جميع ماله ، وقسمه كيف ماشاء ، أما في الإسلام فلا ، فالأب ، والأم ، والجد ، والجدة ، والأخ ، والأخت ، والابن ، والبنت ، والأخوات ، والزوج أو الزوجة كلٌّ له نصيب مقدّر ، ما أحد يستطيع أن يغير أو يبدل .

وقوله – ﷺ – : (فَلِأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرٍ) .
قال العلماء : " أي أولى بمعنى : أقرب " ؛ فمثلا : لو ماتت إمرأة عن أم وابن وأخ ؛ فهنا نعطي الأم فرضها (أَلْحِقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا) ؛ نعطي الأم السدس ، طيب

– اجتمع معنا ابن وأخ نعطي مـــن منـــهما ؟

الرسول – ﷺ – يقول : (فَلِأَوْلَى) ؛ فلأقرب

– أيـــهما أقـــرب ؟ الإبـــن أم الأخ ؟

الإبن ، هناك قواعد تتعلق بالمواريث تفاصيلها لمن يدرس هذا العلم ؛ ولكن هنا نشير إشارات كما في الحديث ، فهنا هذا الحديث أفاد أن الابن مقدم على الأخ .

طيب ؛ ماتت إمرأة عن أم وأخ وعم ؛ فالأم لها السدس (أَلْحِقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا) .

– طيب ؛ الأخ والعم أيـــهما أقـــرب ؟

الأخ أقرب ، فنعطي الأخ الباقي ، والعم لايرث شيئا .

قال العلماء قوله – ﷺ – : " (فَلِأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرٍ) ؛ يعني صغيرا كان أو كبيرا ، على معنى في ذلك "

وذلك أنهم كانوا في الجاهلية لايورثون الصغار ، فسواءٌ كان رجلا أو كان ذكرا صغيرا ؛ فإنه يستحق الباقي إن كان قريبا لذكوريته ، لا لسنّه .

فلذا ؛ قال بعض العلماء قال النبي – ﷺ – في هذا الحديث ماسبق .

الحديث الرابع والأربعون :

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ النَّبِيِّ– ﷺ – قَالَ: (الرَّضَاعَةُ تُحَرِّمُ مَا تُحَرِّمُ الْوِلَادَةُ)[2] خرجه البخاري ومسلم .

يعني إذا أرضعت المرأة الطفلَ أو الطفلةَ ، الذكر أو الأنثى ، فإنه يصير ابنها بالرضاعة ويأخذ أحكام الابن من الصلب من جهة المحرمية ؛ يخلو بها ويسافر بها ، ويحرم عليه نكاحها أو نكاح أخواته من الرضاعة ونحو ذلك ، لا من جهة الإرث ، ولا من جهة الولاية يزوج ، لا ، فقط من جهة المحرمية .

---

[2]) رواه البخاري [رقم:2646] ، ومسلم [رقم:1444].

قوله – ﷺ – : (الرَّضَاعَةُ تُحَرِّمُ مَا تُحَرِّمُ الْوِلَادَةُ) جاء في القرآن قوله تعالى : ﴿ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ ﴾ [3] ، فذكر بعضهم ، و لكن الحديث أعطى التفاصيل باختصار ؛ وهذا من جوامع الكلم ، وهنا أنبه على أمور :

الأمر الأول : أن الرضاعة لها شروط :

الشرط الأول : أن تكون في الحولين ؛ يعني في السنتين الأولى للطفل .

الشرط الثاني : أن تكون خمس رضعات .

الشرط الثالث : أن تكون الرضعة مشبعة ؛ لأن معنى الرضعة ؛ أي طُعمته ، لا مجرد أن يلتقم الثدي ثم يتركه ؛ فهذه لا تعتبر رضعة ، إنما أن يأخذ ويلتقم الثدي ويرضع منه إلى أن يشبع ؛ فتكون واحدة ، سواءٌ تكررت في يوم واحد ، أو تكررت في خلال السنتين ؛ يعني مثلا مرة أرضعته مرتين ، وبعد ست سبعة أشهر أرضعته مرتين ، وبعد عشرة أشهر أرضعته ثلاث رضعات ؛ يثبت حكم الرضاع ، فسواء كان في يوم أو كان في شهور في السنتين .

وأما مسألة رضاع الكبير ففيها خلاف بين العلماء على قولين مشهورين :

القول الأول : يرى أن الحكم هذا خاص بالطفل في السنتين ، وأن رضاع الكبير لا يثبت به شيء ولا حكم .

---

[3]) سورة النساء [آية 23]

القول الثاني : أن رضاع الكبير يثبت به الحكم بشرط أن يكون في مثل حالة سالم مولى حذيفة ؛ فإن سالم كان ربيبا عندهم هم الذين ربوه ؛ وهما : (حذيفة وزوجه) كانا كبيرين يحتاجان إليه ، فإذا كان في مثل حالة سالم مولى حذيفة ؛ على القول الثاني يجوز ، لا مطلقا ؛ كل واحد يرضع من امرأة كبيرة يقول هذه أمي ، لا ؛ إنما فقط في مثل حالة سالم مولى حذيفة .

وعموما العلماء بينوا هذه الأحكام ، فاحذروا من التلاعب ومن الاستهزاء بهذا الحكم ، أن بعض الناس كما ذكر عن بعضهم ؛ موظفة معه في نفس المكتب ؛ فحتى تثبت المحرمية معه أنها أرضعته ؛ وتخرج وتدخل معه وأنها أخته بالرضاعة ؛ هذا لعب بدين الله – عز وجل – ، لا ينبغي التلاعب بهذا.

هذا تنبيه !

التنبيه الثاني : وانتبهوا لهذا الحكم " يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب "

الآن نفرض أن زيدا من الناس لما كان طفلا صغيرا أرضعته امرأة ، إما خالته أو عمته أو من جيرانهم ؛ فزيد هذا يصبح ابن هذه المرأة التي أرضعته بالرضاعة – التي أرضعته – ، وزوج هذه المرأة يصبح أبوه بالرضاعة حتى لو كان مطلقها ؛ مادام أن اللبن خرج بسبب هذا الرجل ؛ فيصبح أبوه بالرضاعة ، وكل أبناء هذه المرأة التي أرضعته ، سواءٌ وُلِدوا قبله ، أو وُلِدوا معه ، أو وُلِدوا بعده ، وسواء كانوا من هذا الزوج أو من زوج آخر ؛ كل أبناءها إخوانه من الرضاعة ، وهذا الرجل الذي هو زوج هذه المرأة الذي

تسبب بحملها وإخراجها للبن ؛ كل أبناءه من هذه المرأة ، أو من امرأة أخرى سواء كانوا معه أو ، وُلِدوا قبله ، أو وُلِدوا بعده ؛ كل أبناءه إخوانه بالرضاعة .

طيب ؛ إذا عرفنا هذا نعرف الخطأ من بعض الناس لما يقول : " لا ، فلان رضع من فلانة وهي ولدت مثلا : طفلة ، ففقط هذه الطفلة أخته ، أما البقية ما لهم حكم " ، هذا خطأ ، خلاص هذه أمه بالرضاعة ، البقية كلهم إخوانه ، اللذين ولدتهم ؛ سواء قبله ، أو معه ، أو بعده ، سواء من ذا الرجل ، أو من رجل آخر .

– طيب ؛ هذا الطفل زيد الذي رضع عنده أخوات ، وعنده إخوة مـــا حكمهم بالنسبة لهذه المرأة المرضعة وبالنســـبة لأبنـــائها ؟

حكمهم : بأنهم أجانب ، ما لهم صلاح بها ، ليست أمهم بالرضاعة ، ولا تعلق لهم بها ، فيجوز لأخ زيد من النسب أن يتزوج أخت زيد بالرضاعة .

– لمـــــــاذا ؟

لأن أخا زيد ليس بأخيها ؛ إنما فقط زيد هو الذي أخوها ؛ إذا علمتم هذا تعلموا الخطأ ، أن بعض الناس إذا واحد من الأولاد رضع من امرأة وأراد أخوه الثاني أن يتزوج إحدى بنات هذه المرأة المرضعة ؛ يقولون : " لا ، كيف تتزوجها أخوهم بالرضاعة هي زي أختك " ؛ هذا خطأ ؛ فأخ زيدٍ بالنسب لا علاقة له بالمرأة ولا بأبنائها من جهة الرضاعة ؛ فيجوز أن يتزوج بناتها ، بل إذا كانت هذه المرأة أجنبية عنهم ليست بخالة ولا عمة ؛ يجوز لأخ زيد أن يتزوج المرأة المرضعة نفسها ؛ لأنه لا علاقة بها .

فافهموا هذه الأحكام – بارك الله فيكم – ، ولا تلتبس عليكم وأرجو أن يكون واضحا .

أعيد مرة أخرى باختصار : الطفل الذي رضع يصبح ابنا للمرضعة ، وابنا لزوجها ، أو طليقها ، وكل أبناء المرضعة الذين ولدتهم سواء قبله ؛ – قبل رضاعته – ، أو معه ، أو بعده ، وسواء كان من هذا الزوج ، أو من زوج غيره ؛ كل أبناءها إخوانه بالرضاعة ، وهذا الزوج أو هذا الطليق ؛ يصبح أبوه بالرضاعة ، وكل أبناءه وبناته ، وكذا المرأة بناتها وأبناؤها كلهم يصبحون إخوانه بالرضاعة ؛سواء كانوا من هذه المُرضعة ، أو من زوجةٍ أخرى .

طبعا حيكون لو هذا الرجل عنده زوجة أخرى عندها أبناء حيكونوا إخوانُه من جهة أب ، أما إخوانُه اللي من المرأة هذه المُرضِعة ومن نفس الزوج ؛ يكون إخوان أشقاء بالرَضاعة .

طيب ، الحكم الثاني :

أنَّ هذا الحكم خاصٌ بالطِفل الرضيع ، أما إخوانه وأخواتُه ما يَأخُذُون الحكم أبدًا .

آخر تنبيه أُنبه عليه في هذا الحديث :

هو أنّه إذا تمَّت الرَّضاعة فلتُضبط ، وليُشهد ، وليُعلم ؛ حتى لا يتزوج الرجل بامرأةٍ ثم يأتي بعد فترة يقال له : " هذه أُختك " ؛ فينفصلا ، طبعا كما مرّ معنا أنّه هذا لا إثم عليه ؛ لأنَّه هذا من باب الخطأ ؛ ولكن تجنبًا لمثل هذه المشاكل لوكان هناك إشهاد ،

وإعلام ، وإشهار ، وكتابة أنَّ فلان أخو فُلانة ، أو أنّ فلان ابن فُلانة خلاص ، وابن فُلان ، فيعرِفون ويشتهر هذا الأمر ؛ فيكون أفضل .

الحديث الخامس والأربعون :

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ وَهُوَ بِمَكَّةَ يَقُولُ : (إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخِنْزِيرِ وَالْأَصْنَامِ ، فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ شُحُومَ الْمَيْتَةِ فَإِنَّهَا يُطْلَى بِهَا السُّفُنُ ، وَيُدْهَنُ بِهَا الْجُلُودُ ، وَيَسْتَصْبِحُ بِهَا النَّاسُ؟ فَقَالَ : لَا ، هُوَ حَرَامٌ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ : قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ ، إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْهِم الشُّحُومَ ، فَأَجْمَلُوهُ ، ثُمَّ بَاعُوهُ ، فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ)[4] . خرجه البخاري ومسلم .

هذا الحديث فيه بيانُ حُرمةِ الخمرِ ، والميتة ، والخنزير ، والأصنام ، وحُرمة بيعِها ؛ وهذا مذكور في القرآن : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ ﴾[5]

﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾[6]

فقال بعض النّاس للرسول – ﷺ – : " يا رسول الله! أرأيت شُحوم الميتة ؟! نحن ما نأكلها ؛ لكن نأخذ شُحومها ونبيعها."

– لمـــــــــاذا ؟

---

[4]) رواه البخاري [رقم: 2236] ، ومسلم [رقم:1581] .

[5]) سورة المائدة [آية 3]

[6]) سورة المائدة [آية 90]

لأنه يُستفاد فيها في السُفن فتُطلى – تُدهن – بها السُفن ، ويُدهنُ بها الجُلود ، تُدبغ بها الجلود ، ويَسْتَصْبِحْ بها النّاس ؛ يعني يستخدمونه زيتا للإضاءة ، ولاستعمال السراج

فَقَالَ : (لَا ، هُوَ حَرَامٌ) ، (قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ ، إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْهِم الشُحُومَ ، فَأَجْمَلُوهُ– أي فأذابوه – ثُمَّ بَاعُوهُ ، فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ) .

هذا الحديث يُفيد مسألة خطيرة جداً ، وعظيمة جداً : ألا وهي " تحريم الحِيل في دين الله – عزّ وجلّ– " ؛ فإذا جاءك الحُكم بالتَّحريم فلا تحْتل عليه لتفعله ، وإذا جاءك الحُكم بالوُجوب فلا تَحْتَلْ عليه لتتركه .

فهذا الحديث كما قال العلماء فيه فائدة عظيمة " تحريم الحِيَل " ؛ فكل أمرٍ يُتوصَّلُ به لفِعْلِ خِلاف المشروعِ ؛ فهو من الحِيل المذمومة عند العلماء .

وهذه من عادة اليهود أنّهم احْتالوا في الشُحوم المحرّمة فأذابوها واستعملوها ؛ كما احتالوا يوم السبت يوم الصيد لمّا حُرِّم عليهم ؛ فاحتالوا على يومٍ قبله بحيلة .

وفي الحديث : (إنَّ الله إِذَا حَرَّمَ شَيْئاً حَرَّمَ ثَمَنَهُ) [7] فلا يجوز الانتفاع بالخمرِ والميتةِ والخنزير والأصنام ، ولا الانتفاع بشيءٍ مما يتعلَّقُ بها.

إلا الميتة يجوز الانتفاع بجلدِها ؛ إذا دُبغ لعموم قوله –ﷺ–

(أَيُّمَا إِهَابٍ دُبِغَ فَقَدْ طَهُرَ) [8].

---

[7]) رواه أبو داود (3488) وصححه الألباني في " صحيح أبي داود"

[8]) رواه الترمذي (1728) وقد صححه البخاري ، والترمذي .

والاحتيال ليس فقط في أمور الدنيا ، أحيانا يتوصّل الإنسان بالاحتيال حتى في المسائل الشرعية ، حتى بين طلبة العلم ؛ يحتال ليوقع أخاهُ في المصيدَة ، يحتال ليجعل العلماء يتكلمون في مسألةٍ ما ، أو على شخصٍ ما ؛ فهذا كله من الحِيل المحرّمة .

(قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ) ؛ فمن احتال هو داخل تحت قوله – ﷺ – " قاتل الله كذا " ، والواجب على المسلم امتثال شرعِ الله ؛ بفعل ما أوجب وترك ما حرم ، وأن يبتعد عن الحيل ، وعن الخدع ، وأن يعلم أنه إنْ خدع الناس وإن احتال عليهم ؛ فإن الله عالم بحاله ولن يستطيع أن يخدعه ، أو أن يحتال عليه ؛ ولذلك المنافقون أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر يخادعون ، يخادعون الله وهو خادعهم ؛ كما قال الله – عز وجل – : ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ ﴾[9] .

فاعلم يا عبد الله أنك مهما فعلت وخدعت فإن الله يعلم سريرتك ، حتى في أموال الناس لا تأكلها بالخداع وتقول : " والله أنا يعني المعاملة في الظاهر خلاص المال لي " وأنت تعلم أنك ظالم ؛ ولذلك النبي – ﷺ – قال : (إِنَّمَا أَقْضِي عَلَى نَحوِ مَا أَسْمع)[10]؛ يعني من ظلم يؤاخذ على ظلمه ؛ وإن حكم له بحكم في الظاهر أنه له .

ومن الحيل التي يحتالها أهل الأهواء والبدع لتمرير باطلهم وخداع الناس ، وإظهار البدعة في مظهر السنة ، والسنة في مظهر البدعة ، ومن الحيل ما يروج الناس بها أقوالهم الباطلة .

---

[9]) سورة البقرة [آية 12]

[10]) عن هاشم عن عروة

فاحذر يا عبد الله من الوقوع في الحيل ؛ فلو حرمت شيئًا هو حلال ، أو حللت شيئًا هو حرام ؛ فإن الله – عز وجل – سيؤاخذك عليه .

الحديث السادس والأربعون :

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ – رضي الله عنه – أَنَّ النَّبِيَّ – صلى الله عليه وسلم – (بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ – بعث أبا موسى إلى اليمن – ، فَسَأَلَهُ عَنْ أَشْرِبَةٍ تُصْنَعُ بِهَا ، فَقَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ : الْبِتْعُ وَالْمِزْرُ ، فَقِيلَ لِأَبِي بُرْدَةَ : مَا الْبِتْعُ؟ قَالَ : نَبِيذُ الْعَسَلِ ، وَالْمِزْرُ نَبِيذُ الشَّعِيرِ، فَقَالَ– صلى الله عليه وسلم – : كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَام) [11]. خرجه البخاري .

النبي – صلى الله عليه وسلم – بعث أبا موسى الأشعري إلى اليمن ، فلما بعثه إلى اليمن ؛ وجد أبو موسى في اليمن بعض الأشربة لها مسميات ، يصنعها أهل اليمن وهي " البتع والمزر " ؛ فسأل الراوي – سأل أبا بردة –

– مـــا البـــتع ؟ ومـــا المـــزر ؟

فبين له البتع : أنه نبيذ العسل

النبيذ : شراب يوضع في إناء ثم ينبذ فيه بعض الأشياء ؛ وينبذ ؛ بمعنى يرمى فيه ويغطى يومًا أو يومين ، وأقرب شيء له الآن السّوبيا ونحوها ؛ فهذا يقال له " **النبيذ** "

فسأل أبو موسى النبي – صلى الله عليه وسلم – عن نبيذ العسل وعن نبيذ الشعير ؛ فأعطاه النبي – صلى الله عليه وسلم – كلمة جامعة : أن (كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَام) ، إذا كان يسكر فهو حرام سمّوه نبيذًا ،

---

[11]) رواه البخاري

سمّوه مزرًا ، سموه بتعًا ، سموه مشروبًا روحيًا ، سموه ويسكي ، سمّوه ما سمّوه من المشروبات ؛ مادام أنه يسكر ويغطي العقل فهو حرام ؛ لأن علة التحريم هي الإسكار ، ليست كونه شرابًا ؛ وإنّما هي الإسكار ، فلو وقع الإسكار به ؛ فهو حرام ، وقد أخبر النبي – ﷺ – أن (مَا أَسْكَرَ كَثِيرُه فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ)[12] ؛ يعني إذا كان شرب الكثير منه يسكر ، وشرب القليل منه لا يسكر ؛ فهو حرام ؛ لأنه ذريعةٌ إلى الإسكار ؛ فيأخذ حكمه .

والخمر: كما وصفها النبي – ﷺ – بأنها (أم الخبائث)[13] ؛ فإن الرجل إذا سكر قتل ، وسرق ، وزنا ، والرجل إذا سكر فعل كل قبيح ؛ بل يسب الله ، ويسب رسوله ، ويسب دينه ؛ لأنه لا عقل له – نسأل الله السلامة والعافية – والخمر لا فائدة فيه .

– لمـــــاذا ؟

أولًا : لأنه كما سبق يغطي العقول ،

وثانيًا: لأنه يمرض الأبدان ؛ فإنه يؤدي إلى كثير من الأمراض ؛ ومنها قتل الأعصاب ، والرعشة .

ومنـها أيضًا : أنّه ضياعٌ للمال .

---

[12]) رواه أبو داود رقم 3681. والترمذي رقم: 1865. وأحمد وابن حبان عن جابر. ورواه أيضا أحمد والنسائي وابن ماجه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. وصححه الألباني.

[13]) رواه المُنذري في "الترغيب والترهيب" 251/3 بإسناده: صحيح أو حسن أو ما قاربهما.

ومنها أيضًا : ما فيه من الإثم والحرج ؛ ولذلك الله – عز وجل – قال : ﴿ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾[14] ؛ فالخمر مضارّه كثيرة ؛ لذا حُرّم .

ويدخل في الخمر كل أنواع المخدّرات ؛ من حشيش ، وأفيون ، وبودرات مسكرة ؛ في حكم الخمر.

الحديث السابع والأربعون :

عَنْ الْمِقْدَامِ ابْنِ مَعْدِ يَكْرِبَ – ويقال ابن معد كرب – قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – يَقُولُ : (مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ ، فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ)[15].

رَوَاهُ أَحْمَدُ ، والتِّرْمِذِيُّ ، والنّسائي وابْنُ مَاجَهْ ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ : حَدِيثٌ حَسَنٌ .

المقدام ابن معد كرب – رضي الله عنه – ينقل هذا الحديث الذي هو فيه حكمة بالغة ، ودلالة على نبوة النبي – ﷺ – ، وخير للناس في دنياهم ؛ بل حتى في دينهم كما سيأتي ، فالنبي – ﷺ – بيّن أن البطن وعاء – يعني إناء – فتدخل فيه الشراب والطعام كالإناء ، فبيّن النبي – ﷺ – أن البطن شر وعاء يملؤه الإنسان ؛ لأنه سيترتب عليه أشياء ، فإن الأطباء ذكروا أن الأكل على الأكل يمرض ، ويهدم البدن ويسبب في الهرم ، وأيضا ذكروا أن الأكل الكثير يؤدي إلى الأمراض ؛ لذلك على الانسان أن لا

---

[14]) سورة البقرة [آية : 219].

[15]) رَوَاهُ أَحْمَدُ [رقم: 132/4] ، والتِّرْمِذِيُّ [رقم: 2380] ، وابْنُ مَاجَهْ [رقم: 3349] ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ .

يأكل كثيرا حتى لا يصيبه المرض ، فإن اجتماع الطعام على الطعام وكثرة الطعام ؛ تؤدي إلى مفاسد منها :

دنيويا : قد يؤدي إلى أمراض ؛ مثل الضغط والسكري ، ومثل أيضا ضيق الشرايين ، ويؤدي إلى الجلطات ، ويؤدي إلى أمراض يذكرها الأطباء كثيرا سببها كثرة الطعام ، والأخلاط فيه ، ولا أظنني بحاجة إلى ذكر ذلك مستوعبا ، فكم وكم دخل المستشفيات ذهب الناس للأطباء بسبب الطعام .

وأما من الناحية الدينية : فإن كثرة الطعام تؤدي إلى كثرة النوم ، وإلى الكسل ، وإلى التباطوء عن العمل ، وإلى التأخر ، فلا شك أن هذا الحديث فيه فوائد دينية ، ودنيوية ؛ لذلك أعطى النبي – ﷺ – علاج ، فقال : (بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ) ؛ يعني لا يأكل كثير ، فإن كان لا محالة ؛ فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه ؛ يعني الأفضل أن يأكل طعاما قليلا ؛ لأن الجسم يحتاج من الطعام شيئا قليلا ، لا يحتاج كل ما تأكله على الغداء ، أو العشاء ، أو الفطور ، والباقي يخرج فضلات ، وجزءٌ منه يبقى في الجسم ، يؤدي إلى الأمراض إن بقي وترسب في الجسم .

وأيضا كثرة الطعام ، وإدخاله على البطن يؤدي إلى أمراض باجتماعه ، فيفضل له أن يأكل طعاما يسيرا ، فإن أبى ؛ فأعطاه الحل ؛ يأكل ، أو يقسم بطنه إلى ثلاثة أقسام :

فهي قسم للطعام : ثلث ، **وقسم للشراب** : ثلث ، **وقسم لنفسه وراحته في التنفس** : ثلث .

ولذلك تجد الذي يأكل كثير يتنفس بصعوبة ، ويصاب بالتخمة .

فلاشك أن هذا هدي نبوي :

أولا: في تقليل الطعام

وثانيا : في إنقاص الوزن ؛ يعني بعض الناس يصاب بأن وزنه ؛ يعني كثير .

فالعلاج في مثل هذا الحديث :

أولا : أن تقلل الطعام ، تأكل لا تحرم نفسك ، كل ؛ ولكن كل لقيمات يقمن صلبك

– مـــا استطعـــــت ؟

فانظر إلى نفسك ، وقسم طعامك وشرابك ، ثلثا ، ثلثا ، واجعل الثلث الثالث لنفسك ، ومع الحركة ؛ فإن الانسان يقلّ وزنه ، وينقص .

وهنا أنبه !

على أن ما نراه من بعض الناس من استعمال بعض الحبوب لإنقاص الوزن ، أو قص المعدة ، أو ربط المعدة ، أو عملية البالون ، ونحو ذلك ؛ فإن هذا كلها فيها مضار ، نعم الطب تقدم ، وبعض العمليات نجحت ؛ ولكن حقيقة فيها مشقة ، وفيها آلام شديدة ، إلا من باب الضرورة ؛ هذه قضية أخرى ، إن قال الأطباء لابد أن يجري عملية وإلا فإنّه يتعرض لنكسات ؛ هذه قضية أخرى .

العلاج بسيط وسهل : الطعام الكثير الذي تأكله قلِّله ، وأطعم أولادك ، وأطعم أهلك ، وأطعم جيرانك ، وأطعم الفقراء والمساكين ،

– لمـــاذا تـــأكل أكــل بـــلد ؟

كل أكلا قليلا ، فإذا تصدقت بالطعام فإنك تؤجر ، ويصبح جسمك – بإذن الله – سليما ؛ لأنك ما أكلت أكلا كثيرا .

وهذا الحديث يدلنا على خطأ : ما يفعله بعض الناس من أنه يكره أن يأكل معه أحد ؛ لأنه لو أكل لوحده أكل طعاما كثيرا ؛ لكن لو شاركه غيره لأكل طعاما يتناسب مع طعامه وشرابه ونفسه – أي تنفسه – .

وأيضا يدل هذا الحديث على : أن الإنسان يتحرك حتى يهضم هذا الطعام ، فبقيامه في الليل حركة ، وبذهابه للمسجد حركة ، والمرأة في بيتها تخدم حركة ، تخدم زوجها وأولادها وأمها ووالديها ؛ هذه حركة ، فبعض الناس لا يتحرك ويريد أن ينحف ! ؛ هذا خطأ .

النبي – ﷺ – ذكر أن السنى المكي والسنوت ، السنى والسنوت شفاء من كل داء إلا الموت .

– إيــش السنـــى ؟

– السنى : عشبة ، أوراق زرع وأشهره السنى المكي ؛ لأنه في مكة يوجد كثير .

– السنى المكي : نوع من النباتات والأعشاب ؛ عشبة .

– والسنوت : قالوا : هو الكمون .

فإذا وضع الإنسان السنى والسنوت – أي الكمون – في إناء وغلاه بالماء ، وشرب منه كأسا ، فإنه يدخل البطن وينظفها من الأوساخ التي فيها ؛ وهذا دليل على أن النبي – ﷺ – يقول : (مَا مَلَأَ ابن آدَم وِعَاءً شَرّ مِنْ بَطْنٍ) ؛ فهذا يدل على أن البطن فيها شر ؛ وهذا ما يذكره الأطباء من جهة أن البطن فيها فضلات لعشرات السنين .

والعجيب – سبحان الله – أن بعض الأطباء سألته عن هذا الحديث فقلت له :

– هـــل يمكن إذا أخذت المسهلات التي في الصيدلية تغنيني عن السنى المكي ؟

قال : لا ، قلت له : لمـــــاذا ؟

– قال : ثبت بالدراسات أن (السنى المكي) يحتوي على مادة إذا دخلت في المعدة تُخرِج الفضلات الملتصقة بجدار المعدة ، بخلاف المسهلات والملينات التي في الصيدلية فإنها تُخرِج الفضلات التي أمامها فقط ، أما (السنى المكي) فإنه يذهب إلى جدار المعدة غالبا ويُخرِج الفضلات الملتصقة ؛ يعني لا يخرجها مرة واحدة ؛ ولكن الرسول حثّ على شربه على فترات ، والأطباء ينصحون بذلك ؛ فهذا طب نبوي ، وعلاج مؤكد ، لا ضرر فيه ، ونافع – بإذن الله –

– فهل من معتبر ؟ .

الحديث الثامن والأربعون :

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو – رضي الله عنهما – ، عن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال : (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا ، وَإِن كَانَتْ خَصلةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصلةٌ مِنْ النفَاقِ حَتَّى يَدَعهَا : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ)[16]. خرجه البخاري ومسلم

النفاق في اللغة : يعني الخدع والمكر ، وإظهار الخير وإبطان خلافه .

ولذلك النفاق مثلا يقولون : مثل الجربوع ؛ هذا الحيوان الصغير الذي هو مثل الفأر يديه قصيرتان ، فالجربوع هذا يدخل في نفق في حفرة في الأرض وهو في الداخل له حفر كثيرة فيدخل فتظنه مستقر هو خرج من جهة أخرى وهرب ؛ كذا المنافق يدخل في الإسلام في الظاهر ويخرج بكفره .

والنفاق في الشرع قسمان ، نوعان :

– **النفاق الأكبر المخرج من الملة :** وهو أن يظهر الإسلام ويبطن الكفر ؛ فيظهر الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ؛ ولكن يبطن الكفر والتكذيب لهذه الأمور .

– **والنوع الثاني : النفاق الأصغر :** وهو النفاق العملي .

– **الأول الأكبر :** يقال له : زنديق ، ويقال له : النفاق الأكبر ، ويقال له : النفاق الاعتقادي ؛ وهو كفر مخرج من الملة .

---

[16]) رواه البخاري [رقم:34] ، ومسلم [رقم:58].

– أما النفاق الأصغر: فهو " النفاق العملي " ؛ وهذا لا يخرج من الملة ؛ ولكن فيه إثم ووعيد .

والنفاق العملي : سمي نفاقًا ؛ لأنه يُظهر أمرًا صالحا وهو يبطن غيره ، فإذا حدَّث يبطن أنه صادق وهو كاذب ، وإذا أوعد يُظهر أنه سيوفي وهو لن يوفي ؛ سيخلف ، وإذا خاصم لا يأخذ حقه ؛ وإنما يفجر في خصومته ، فيتجاوز إلى ما ليس له ويظلم الناس ، وإذا أعطى العهد والميثاق في الظاهر غدر .

فأول الخصال : الكذب : (إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ) ؛ والنبي – صلى الله عليه وسلم– ذمَّ الكذب ذمًا شديدًا ، فقال – صلى الله عليه وسلم– : (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ ، وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا) ؛ فذمَّ الكذب – عليه الصلاة والسلام – ، والكذب ليس من خصال المسلمين ؛ لذا من وقع فيه وقع في خصلة من خصال المنافقين ، وأشدُّ الكذب إذا كان يتوصل به الإنسان لأكل حقوق الآخرين ، أو ظُلم الآخرين ، وطعنهم في سمعتهم ، والافتراء عليهم ؛ فإن هذا أشد ، إذا كذبت في أمر لك فأنت كاذب ؛ وهو كبيرة من كبائر الذنوب كما ذكر العلماء ؛ ولكن أشده إذا تعلق بحقوق الآخرين .

ومن الكذب : اليمين الغموس : التي يحلف بها صاحبها كاذبًا على اقتطاع مال امرئ مسلم ، وسُميت يمينًا غموسًا ؛ لأنها تغمس صاحبها في النار ،

وقال بعض أهل العلم : " تغمس صاحبها في الإثم " .

- والخصلة الثانية : (وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ) : المؤمن إذا وعد أخاه أو وعد الناس يفي لهم ، أما إذا كان يبطن الخُلْفَ ؛ فإن فيه خصلة من خصال النفاق ، فإن وعد

الناس ثم تعذر عليه الوفاء لعذرٍ فهذا لا يدخل في هذا الحديث ؛ لأن هناك مانع وعذرٌ منعه ؛ ولكن الحديث صورته في من يتعمد ذلك ويتقصد ذلك .

وقد مرّ معنا الخطأ والنسيان ؛ فقد تتواعد مع أناس ثم تنسى ، (وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ) ولذلك إذا نسي الإنسان أو أخطأ لا ينزِّل عليه أحد من الناس : " أنت منافق ، أو فيك خصلة من النفاق ؛ وعدت فأخلفت " ، لا ، أنا نسيت ، أو أخطأت ، أو منعني مانع (وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ) .

الخصومة : الجدال والمراء .

ومعنى فجر : بمعنى تجاوز الحد بأن يسبه ، ويشتمه ، ويتنقصه ، ويفتري عليه ؛ وهذا - نسأل الله السلامة والعافية في النفس الأمارة في السوء ، والنفس البغية ، والنفس المتعالية ، والنفس الحسودة ؛ فإنه لا يجد عيبا في الصالحين فيفتري عليهم ما يطعن به عليهم ، ويطعن في صورتهم عند الناس ؛ وهم منه براء ؛ فهذا من الفجور في الخصومة ، ويجعل ما ليس بخطإ يظهره في صورة الخطأ ، وما ليس بعيب يظهره في صورة العيب ، يضحك على عوام الناس وسُذَّاجهم بكلام يظنه السامع أنه فعلاً كلامٌ صحيح ؛ ولكنه فاجر في كلامه هذا ، لم يتق الله - عز وجل- فكم ضيع هذا الفجور وهذه الخصومة من أموال الناس ومن حقوقهم ، وكم طعن في أعراض الناس وفي أخلاقهم ، وكم آذى به عباد الله - عز وجل - ولذلك الإنسان عليه أن يتقي الله - عز وجل - في لسانه .

شرعًا إن ظُلِمت أو أخطأ عليك أحد ؛ شرعا يُرغب لك بأن تعفو ، أن تصبر ، وتغفر ، وتعفو ، فإن أبيت إلا فجزاء سيئةٍ سيئة مثلها ، لا تتعداها ، فإن تعديتها ؛ فأنت فاجرٌ في الخصومة ؛ ولذلك قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : (الْمُسْتَبَّانِ مَا قَالاَ فَعَلَى الْبَادِئِ مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ)[17]؛ يعني الرجلان الذي يسب بعضهم بعضا ؛ يعني واحد قالك : " أنت مغفل " ، فقلت له : " أنت مغفل " ؛ رديتها عليه ، فالإثم على الأول ؛ لأنه هو البادئ ؛ (فَعَلَى الْبَادِئِ) ، الثاني انتصر لنفسه ؛ قاله : " أنت مغفل " ، قاله : " أنت مغفل" ؛ انتصر لنفسه ؛ لكن الأول يأثم .

(الْمُسْتَبَّانِ مَا قَالاَ فَعَلَى الْبَادِئِ مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ)

فإذا قال الأول : " أنت مغفل " ، فقال الثاني : " وأنت مغفل ، وأحمق ، وأبله ، وفيك ، ويخطيك " ؛ فهنا كلاهما آثم ؛ أما الأول فللبدء في السب ؛ وأما الثاني فلتجاوز وتعدي الظلم إلى ظلم آخر ؛ فكلاهما مشترك في الإثم .

وهنا قال النبي – ﷺ – : (وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ) .

أقول من الخصومة أيضا في هذا الحديث وتأملوا هذه – بارك الله فيكم – :

أن بعض الناس إذا حصل بينه وبين إخوانه بعض المشاكل ذهب وجمع أخطاءه وجمع أمورا عليه وأخذ ينشرها في الملأ من باب النصيحة ،" ومن باب الفضيحة " كما يقول ابن رجب .

طيب ؛ أنت تعرف هذه الأخطاء

---

[17]) رواه مسلم في الصحيح

– لمــــاذا عشـــرات السنين ســـاكت؟!

– لمـــــاذا خـــرجت لما حصـــلت بينك وبينـــه هذا العـــداء؟!

فهذا من الخصومة ، من الفجور في الخصومة ، وقد نبه الحافظ ابن رجب في الفرق بين النصيحة والتعيير على هذا الأمر.

ثم قال : (وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ) :

يعطي العهد والميثاق ثم يغدر لا يفي به ، والله – عز وجل – أمرنا بالوفاء بالعقود :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾[18] ، ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾[19] فإذا تم العهد ، وتم الصلح ، وتم الاتفاق ؛ فعليك أن تفي به ، لا أن تخلفه وأن تغدر بعدم الوفاء به .

وقوله – ﷺ – : (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا)

قال العلماء معناه : " أن هذه الأربعة لا يمكن أن تجتمع في مسلمٍ مؤمن ، وأن هذه الأربعة ظاهرة وبادية على المنافقين ؛ الذين يخدعون الله ، يظنون أنهم يخدعون الله وإنما هم يخدعون أنفسهم والله خادعهم " .

قال الحافظ ابن حجر : " (إِذَا خَاصَمَ فَجَرَ) ؛ يعني بالفجور أن يخرج عن الحق عمدا حتى يصير الحق باطلا ، والباطل حقا ؛ وهذا مما يدع إليه الكذب " .

---

[18]) سورة المائدة [الآية : 1]

[19]) سورة الإسراء [الآية : 34]

كما قال – ﷺ – : (إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ) ، وفي الصحيحين عن النبي – ﷺ – : (إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَلَدُّ الْخَصِمُ) ، وفي الصحيحين قال – ﷺ – : (إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، فَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ ، وإنما أَقْضِيَ لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِشَيْءٍ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ فَلا يَأْخُذَه ؛ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ).

وهذا أيضا – كما سبق – في الحيل أنه لو احتال فإنه يؤاخذ على حيلته .

الحديث التاسع والأربعون :

وهو ما رواه عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أنه قَالَ : (لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَروحُ بِطَانًا) .[20]

رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال الترمذي : حسن صحيح

قوله – ﷺ – : (تَغْدُو خِمَاصًا) : يعني تذهب في أول النهار جائعة ؛ بطونها خالية من الطعام .

(وَتَروحُ) : أي ترجع آخر النهار .

(بِطَانًا) : أي ممتلئة بالطعام .

---

[20]) رَوَاهُ أَحْمَدُ [رقم: 1 0 و52] ، وَالتِّرْمِذِيُّ [رقم:2344] ، وَالنَّسَائِيُّ فِي "الْكُبْرَى" كَمَا فِي "التُّحْفَةِ: [رقم: 79/8] ، وَابْنُ مَاجَهْ [رقم: 4164] ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ (730) ، وَالْحَاكِمُ 418، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

والتوكل على الله – عز وجل – : معناه –كما ذكر أهل العلم – :

– معنى التوكل على الله كما ذكره الحافظ ابن رجب – رحمه الله تعالى – : " أنه صدق اعتماد القلب على الله – عز وجل – في استجلاب المصالح ، ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها ، وكلة الأمور كلها إليه ، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه – أي سوى الله – " انتهى .

إذًا ؛ حقيقة التوكل : أن القلب يعتمد على الله اعتمادا كليا في جلب المنافع وفي دفع المضار ، ولو بذل الأسباب لا يعتمد على الأسباب ، وإنما فقط الأسباب يأخذ بها امتثالًا لأمر الشرع ، وإنما يعتقد يقينا أن الأمور كلها بيد الله – عز وجل – .

قال النبي – ﷺ – : (لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلُونَ) ؛ أي تتوكلون على الله حق توكله ، (لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ) إلى آخره ، المعنى :

- **أن بعض الناس يتوكل على الله حق التوكل .**
- **وبعض الناس عنده نقص في التوكل .**
- **وبعض الناس ربما يفقد التوكل على الله – عز وجل – .**

ولكن من يتوكل على الله حق التوكل فإن الله يرزقه كما قال الله – عز وجل – :

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [21]

﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا ﴾ [22] ؛ أي لا تتوكلوا على غيره ؛ ولذلك التوكل الاعتماد على الله كليةً في كل الأمور .

---

[21] سورة الطلاق [الآية : 3]

نعم ، تبذل الأسباب ؛ ولكن لا يتعلق قلبك بالسبب ؛ يعني بعض الناس يظن أنه إذا بذل السبب خلاص سيتم الأمر فينظر إلى هذا السبب أنه به سيتم الأمر ؛ وهذا خطأ ؛ وإنما الذي يحقق المصلحة ويدفع المضرة هو الله – عز وجل – ؛ فاجعل قلبك وعلق قلبك بالله – عز وجل – ، لا تعتمد على الأسباب الدنيوية معلقا قلبك عليها

نعم ، افعلها وابذلها واعلم أنها مجرد سبب ، وأن الأمة كلها كما ذكر النبي – صلى الله عليه وسلم – لابن عباس : (لو اجتمعت الأمة كلها –هذه الأسباب الآن– على أن ينفعوك بأمر لم يكتبه الله لك لم ينفعوك ....، ولو اجتمعت الأمة كلها على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقع عليك) أو كما قال – عليه الصلاة والسلام – .

ولذلك هنا يقع نقص كبير في التوكل ، لما الإنسان يظن أن الشخص الذي مثلا أعطيته الملف ، أو الذي طلبت منه الطلب أنه هو الذي سيحقق لك آمالَك ؛ فلا شك أن هذا خطأ ؛ وإنما هو سبب ، وأن الذي يحقق لك آمالك ، ويدفع عنك ما تخشاه والمضار ؛ هو الله – عز وجل – .

ذكر لنا النبي – ﷺ – مثالا : أن من توكل على الله – عز وجل – حق التوكل – يعني معلقا قلبه بالله كاملا – لو ذهب للسوق ولا شيء في يده لخرج من السوق وفي يده المال ، يذهب إلى السوق ليعمل ، ليبحث ، لكذا فالله يرزقه ويحقق له المال .

---

[22]) سورة المائدة [الآية : 23]

فالطير لا حول لها ولا تملك شيئا تذهب في الصباح تبحث عن طعامٍ ؛ ولكن الطير هذا لمَّا ذهب باحثا عن الطعام مستقرٌ في قلبه أن الله رازقه ؛ فما من دآبة إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها .

طيب ؛ أيضا فالنبي – ﷺ – ذكر هنا الطير مثالا : غادر وكره وذهب باحثا عن الطعام معتمدا على الله ورجع وبطنه ليس فيها طعامٌ قليل ؛ بطانا طعاما كثيرا ؛ أي رزقه الله – عز وجل – .

وأيضا قصة عبد الرحمن بن عوف لمَا دخل السوق وتاجر فأصبح من أثرياء الصحابة ؛ لأنه اعتمد على الله – عز وجل – وتوكل عليه .

قال الحافظ ابن رجب : " هذا الحديث أصل في التوكل ، وأنه من أعظم الأسباب التي يُستجلب بها الرزق ".

قال بعض السلف : " بحسبك من التوسل إليه أن يعلم من قلبك حسن توكلك عليه ، فكم من عبدٍ من عباده قد فوض إليه أمره فكفاه منه ما أهمّه ، ثم قرأ :

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[23] "

قال سعيد ابن جبير: " التوكل جماع الايمان ".

وقال وهب ابن منبه : " الغاية القصوى التوكل " .

وقال الحسن : " إن توكل العبد على ربه أن يعلم أن الله هو ثقته " .

---

[23]) سورة الطلاق [الآية : 2-3]

ثم قال ابن رجب : " واعلم أن تحقيق التوكل لا ينافي السعي في الأسباب التي قدر الله – سبحانه – المقدورات بها وجرت سنته في خلقه بذلك ، فإن الله – تعالى – أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل ، فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعة له ، والتوكل بالقلب عليه إيمان به ؛ كما قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾[24]، وقال : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ﴾[25] وقال : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ ﴾[26]

الحديث الخمسون :

وهو ما رواه عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ – رضي الله عنه – قَالَ : (قال : أَتَى النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – رَجُلٌ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله : إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيْنَا ، فَبَابٌ نَتَمَسَّكُ بِهِ جَامِعٌ ؟ قَالَ : لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)[27].

خرجه أحمد بهذا اللفظ ، وخرجه الترمذي ، وابن ماجه ، وابن حبان في صحيحه بمعناه ، وقال الترمذي : حسن غريب .

هذا الحديث فيه :

---

[24] سورة النساء [الآية : 71]

[25] سورة الأنفال [الآية : 60]

[26] سورة الجمعة [الآية : 10]

[27] رواه أحمد [رقم: 188 و 190].

أن الصحابة – رضوان الله عليهم – حريصون كل الحرص على تعلم ما ينفعهم ، وعلى الرجوعِ إلى النبي – ﷺ – ليتعلموا ، وأن الواحد لا يعمل بجهلٍ ؛ إنما بعلم .

مرّ معنا النبي – ﷺ – لما بعث أبا موسى إلى اليمن سأله عن " البتع والمزر " ، ما قال أبو موسى :" أنا خلاص عالم وشيخ أتكلم في كل شيء " ، لا ، رجع إلى النبي – ﷺ – ليسأله .

وهنا معنا في الأربعين كم مرة مرّ علينا أن الصحابة يسألون النبي – ﷺ – ؛ وهم أفضل هذه الأمة بعد نبي الله – ﷺ – .

فهذا يعلمنا أن الانسان إذا جهل شيئا يتعلمه ، ويسأله ، أما لو تكلم بلا علم فإنه يقع في الجهل والتخبط في دين الله – عز وجل – ؛ وهو آثمٌ ؛ لأن من تكلم في دين الله بغير علم ؛ فهو آثم .

قال للنبي – ﷺ – : (إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ) : يعني عبادات الإسلام وأعماله كثيرة ، وأبوابه كثيرة ، وأنا أريد أن تعلمني يا رسول الله أمرا جامعا ؛ يعني عبادات ، أو عبادة يسيرة يحصل لي بها أجر كبير ، فأنا لو أردت أن أعمل هذه الأعمال الكثيرة لأحصل على الأجر الكثير ما استطعت ؛ ربما لأنه كبير ؛ أو ربما لأنه ضعيف ؛ أو ربما لأنه لا يستطيع أن يتعلم كل هذه الأمور ، فقال :" يا رسول الله دلني على باب جامع " – يعني فيه أجر كثير جدًا – فقال – عليه الصلاة والسلام – : (لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ – عز وجل –) ؛ أوصاه بهذه الوصية الجامعة ؛ وهي أن يذكر الله دائمًا ؛ كما ذكر الله – عز وجل – في آخر سورة آل عمران لما ذكر – سبحانه وتعالى – قوله : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ

لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴿١٩١﴾﴾ ([28])

فذَكَرَهُم الله – عز وجل – أنهم يذكرون الله قيامًا ، وقعودًا ، وعلى جنوبهم ، وأنهم يذكرون الله في كل الأحوال ، وقالت عائشة – رضي الله عنها – : عن النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، أنه (كَانَ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ) ([29])

وقال العلماء في قوله – ﷺ – إذا خرج من الخلاء :

(غُفْرَانَكَ) ([30])؛ قال ابن القيم الجوزية – رحمه الله تعالى – : " النبي – ﷺ – قال : (غُفْرَانَكَ) عند الخروج من الخلاء ؛ لأنه وقت الخلاء لم يذكر الله ، فاستغفر الله من الوقت الذي لم يذكر الله فيه "

وأيضًا قالوا معنى آخر ذكره ابن القيم وهو : " أنه مهما شكر الله فلم يؤد شكر الله على نعمه التي أنعم بها عليه ؛ خصوصًا نعمة الخلاء " ؛ إخراج الفضلات والسموم من الجسم .

(لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ) ؛ والله – عز وجل يقول : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ ([31])؛ فبيّن – سبحانه

---

[28]) سورة آل عمران [الآية : 190–191]

[29]) رواه الخمسة إلا النسائي وحسنه الترمذي ، وأخرجه مسلم والبخاري تعليقًا ؛ وصححه الألباني – رحمه الله تعالى – في السلسلة الصحيحة.

[30]) رواه الترمذي وحسنه) حسن

[31]) سورة الرعد [الآية: 28] .

وتعالى – أن بذكر الله تطمئن القلوب ، فالذين يبحثون عن الراحة والاطمئنان ؛ يُقال لهم :" اذكروا الله – عز وجل –" ، والذين يشكون من قسوة القلوب يُقال لهم : " لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله " .

ولاحظوا أن هذا الحديث أفاد : أن اللسان الذي لا يذكر الله ، ويُكثر الكلام ؛ أنه يكون يابسًا ، ولسانا ثقيلًا ؛ فذِكر الله يرطب اللسان .

وذكر الله فيه فوائد كثيرة أذكر بعضها :

– فمن فوائد ذِكْر الله – عز وجل – :

– حصول الأجر الكبير ، كما قال – ﷺ – : (مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ)[32]

– أيضًا ذكر الله – عز وجل – يحصل به للعبد الحرز ، والحفظ ، بدل أن تُعلق التميمة ، أو أن تذهب للسحرة والمشعوذين ، أو الكهان الذين يُدْعَوْنَ كذبًا بالأولياء لحفظ ابنك ، أو ابنتك ، أو حفظ نفسك ، لا ، اشتغل بالأذكار ؛ ففي الأذكار ما هو حفظ لك كقوله – عليه الصلاة والسلام –: (مَنْ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ)[33].

---

[32]) رواه البخاري [رقم : 6405]

[33]) قال الترمذي: حسن صحيح غريب. وصححه ابن القيم في " زاد المعاد " (338/2) ، وصححه الألباني في " صحيح أبي داود" .

- وأيضًا في الأذكار من الفوائد ما في هذا الحديث : أن لسانك يكون رطبًا بذكر الله .

- وأيضًا في الأذكار من الفوائد : أن اشتغالك بالأذكار منع لك من الكلام الباطل .

- وأيضًا بالأذكار ترقق القلوب ، وتحصل الخشية ، وتحصل أيضًا التقوى ، ويزداد العبد إيمانًا ؛ فإن الله – عز وجل – يُثني على عباده الذاكرين ، والنبي – صلى الله عليه وسلم – قال : (سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ. قَالُوا : من هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ)[34].

فإذًا ؛ الذاكرون لهم سبق يوم القيامة .

- وأيضًا من فوائد الأذكار : أنها تحط الخطايا ، فإنه من قال : " لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة ، كتبت له مائة حسنة ، وحُطت عنه مائة خطيئة ."

- وأيضًا من فوائدها : أن صاحبها يكون من المفضلين يوم القيامة ، فإن النبي –صلى الله عليه وسلم – قال في : (مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِائَةَ مَرَّةٍ كُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ ، وحُطَّتْ عَنْهُ مِائَةُ خطيئة ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزاً حَتَّى يُمْسِيَ ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا رجل قال مِثْلَ مَا قَالَ ، أَوْ زَادَ)[35].

---

[34]) أخرجه مسلم؛ عن أبي هريرة ﷺ (4/ذِّكْر/ 2062/ح4)ولفظ الحديث (سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ. قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ) .

[35]) متفق عليه ، والحديث بلفظ(مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَومٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزاً مِنَ الشَّيْطَانِ يومَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ).

هذه بعض فضائل الأذكار .

– وأيضًا يا عبد الله بدل أن تتكلم بكلام كثير من غيبة ، ونميمة ، وأذية ، اشتغل بالأذكار قل : سبحان الله ، والحمد لله ، والله أكبر ، ولا إله إلا الله ، فهن الباقيات الصالحات ؛ بل الأذكار خير من الدنيا وما فيها ، كما قال النبي – ﷺ – في: (مَنْ قَالَ : سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ ثَلَاثًا خَيْرٌ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ) .

وباب الأذكار بابٌ عظيم ؛ ولكن أنبه على أمور أختم بها هذا الحديث :

– **أما الأمر الأول :** فنتقيد بالأذكار الواردة عن النبي – ﷺ – ، لا أحد يبتدع لنا أذكارا من عند نفسه ؛ فإنها لا تقبل منه ؛ بل يتقيد بالأذكار ؛ لك أن تدعو بما شئت ؛ ولكن الأذكار لابد أن تكون مشروعة عن النبي – ﷺ – ؛ فمثلًا : الذي يتوضأ فيغسل يديه ويقول : " اللهم كما غسلت يدي فاغسل كذا وكذا " ؛ فنقول له : هذا لم يرد عن النبي – ﷺ – ؛ هذا لا يُشرع ، فإذًا ؛

– **أولًا :** التقيد بما ورد عن النبي – ﷺ – في باب الأذكار .

– **ثانيًا :** الحذر من الأذكار المبتدعة والكتب المؤلفة في بعض الأذكار مثل : صلاة الفاتحة ، ومثل أذكار الأوراد عند الصوفية ؛ احذروها – بارك الله فيكم –

– **الأمر الثالث :** وهو أيضًا مهم تابعٌ للأول ؛ وهو أن تكون هذه الأذكار ثابتة عن النبي – ﷺ – فاجتنبوا الضعيفة التي لم تثبت عن النبي – ﷺ – .

– **الأمر الرابع :** هناك أذكار لها أوقات ؛ فهناك أذكار الصباح ، وأذكار المساء وأذكار النوم ، والأذكار بعد دبر الصلاة ، فحافظوا على الأذكار في أوقاتها .

– **الأمر الخامس :** الذي أنبه عليه في الأذكار هناك كتب مؤلفة في الأذكار مثل :

" **حصن المسلم** " ، وأيضًا أخونا الدكتور أسامة عطايا العتيبي– جزاه الله خيرًا – له رسالة صغيرة في الأذكار جمع فيها صحيح الأذكار ، وأيضًا العلامة الألباني ، له

" **صحيح الكلم الطيب** ".

فاحرصوا على هذه الكتب ، أما الأذكار للنووي – رحمه الله تعالى – فهو كتب جيد ؛ ولكنه يحتوي على بعض الأحاديث الضعيفة ، فالعوام لا يستطيعون أن يميزوا بين هذا وهذا .

– أيضًا اعلموا – بارك الله فيكم – أن الأذكار – ولو قلت – على سنة خير من الأذكار الكثيرة على بدعة ؛ قال ابن مسعود : " اقتصاد في طاعة خيرٌ من اجتهاد في بدعة " ؛ يعني عمل قليل في طاعة وسنة خير من عمل كثير في البدعة .

وقد مرَّ معنا بعض الفوائد المتعلقة بالأذكار ، والتنبيه على عدم جواز تخصيص عدد معين إلا بدليل ، فعلينا أن نلتزم بهذا الأمر .

وهذا الحديث هو آخر الأحاديث معنا في الأربعين النووية .

وبفضل الله نكون قد انتهينا من هذا الكتاب أو من هذه الرسالة ، أسأل الله – عز وجل – أن ينفعنا بما سمعنا وأن يكون حجةً لنا لا حجةً علينا .

أختم الدرس هذا – أيضًا – بالتنبيه على : حديث آخر ضعيف مرّ معنا لم أنبه عليه ؛ وهو حديث أبي ثعلبة الخشني – ﷺ – : (إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلاَ تُضَيِّعُوهَا ، وَحَدَّ حُدُودًا فَلاَ تَعْتَدُوهَا) فهذا ضعفه الألباني – رحمه الله تعالى– ؛ لكن صحت روايات بلفظ آخر مثل : ما ورد عَنْ سَلْمَانَ – ﷺ – قَالَ : (سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَنِ السَّمْنِ وَالجُبْنِ وَالفِرَاءِ ، فَقَالَ : الحَلاَلُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ ، – يعني الفأر الظاهر تسقط فيه – وَالحَرَامُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، وَمَا سَكَتَ عَنْهُ فَهُوَ مِمَّا عَفَا عَنْهُ)

– أيضًا جاء نحوه عن ابن عباس – رضي الله عنهما – عند أبي داود قال : (قَالَ كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَأْكُلُونَ أَشْيَاءَ وَيَتْرُكُونَ أَشْيَاءَ تَقَذُّرًا فَبَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ – صلى الله عليه وسلم – وَأَنْزَلَ كِتَابَهُ وَأَحَلَّ حَلاَلَهُ وَحَرَّمَ حَرَامَهُ فَمَا أَحَلَّ فَهُوَ حَلاَلٌ وَمَا حَرَّمَ فَهُوَ حَرَامٌ ، وَمَا سَكَتَ عَنْهُ فَهُوَ عَفْوٌ وَتَلاَ : قُل لَّا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ﴿١٤٥﴾)[36]

وهذا موقوف عن ابن عباس – ﷺ – فهذا الحديث وذاك الأثر يغنيان عن هذا الحديث الضعيف . فأحببت التنبيه عليه .

طيب ؛ **أنبه على** أن هناك سيكون توقف للدروس من باب الاستعداد للاختبار ؛ وهذا التوقف سيستمر إلى نهاية عيد الأضحى ؛ يعني اليوم السادس عشر أو اليوم السابع عشر كما سنعلن إن شاء الله .

---

[36]) سورة الأنعام [الآية : 145]

كما ننبه على : أن التسجيل في المعهد سيفتح بابه بعد العيد لستة أيام – بإذن الله تعالى – ثم ينشر موعد الاختبار .

وسيكون الاختبار في نظم الجمزورية – (تحفة الاطفال) ، وفي (رسالة في تجويد القرآن) للشيخ أبا بطين – رحمه الله تعالى – ، وفي (الأربعين النووية) .

وآمل من الطلاب والطالبات الاستمرار في المدارسات ، والمذاكرات ، فالتوقف عن الدروس ؛ لا يعني التوقف عن المدارسات .

إن شاء الله –ستكون هناك بعض المحاضرات والكلمات والنصائح يُعلن عنها في حينها – بإذن الله تعالى – .

وأيضًا ننبه على أن ما ينشره الإخوة في المعهد من ملفات للدروس –بي دي أف – هذا هو المعتمد ، وأما ملفات الوورد فالإدارة لن تنشرها مرة أخرى ؛ بسبب وجود من يتلاعب في الملفات ، ولاحول ولا قوة إلا بالله .

فنقول لهؤلاء الطلاب : اعتمدوا على ما ينشر عن طريق المعهد من الملفات بصيغة بي دي إف .

وآمل من الجميع الاستعداد للاختبار متنًا ، وما سبق من شرحه من كلام أهل العلم ، وأحث الطلاب على ذلك ، فأخبرني الإخوة بالإدارة عن طفلة ربما عمرها لا يتجاوز خمس سنين حفظت متن الجمزورية مع والديها ؛ وهذا شيءٌ مفرح ، وأظن اسم البنت أو الطفلة رنيم من ليبيا ؛ فهذا بلا شك أمر مفرح وأمر يدعو الطلاب والطالبات إلى

أن يحفظوا هذه المتون لما فيها من الخير والتزود من العلم ، وسوف ينشر التسجيل المتعلق بهذه الأمور – بإذن الله تعالى – .

أسأل الله – عز وجل – أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح ، وأن يرزقنا جميعًا الإخلاص في القول والعمل ، وأن يعلمنا ما ينفعنا ، وينفعنا بنا علمنا ، وأن يرزقنا العمل ؛ فإن العلم إنما يطلب للعمل ؛ كما قال علي – رضي الله عنه – : " هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل " .

ونعلم جميعًا إخواني وأخواتي – بارك الله فيكم – لابد أن نعلم أن المقصود

بالعلم : العمل والتقرب إلى الله – عز وجل – ؛ فعلم لم ينفعك كان وبالًا عليك ، وحجة عليك .

أسأل الله – عز وجل – أن يجعلنا جميعًا من أهل الجنة ، ويرزقنا النظر إليه ،

وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين .